



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي 1363 – 1482

The Political and Military Activities of the Dukes of Burgundy 1363 – 1482

السلطاني, محمد شدهان ذياب

إشراف: أ.د. حسنين عبد الكاظم عجه

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/181>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-25>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط/كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي

١٤٨٢ - ١٣٦٣

اطروحة تقدم بها الطالب

محمد شدهان ذياب السلطاني

المجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الحديث

أشرف

الأستاذ الدكتور

حسنين عبد الكاظم عجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا
مِثْقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
فَاغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

المائدة/ الآية ١٤

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الدراسة الموسومة بـ (النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢) والمقدمة من الطالب (محمد شدهان ذياب السلطاني) قد جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة واسط، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث.

التوقيع: 

أ. د. حسين عبد الكاظم عجه

التاريخ: ٢٠٢٦/٤/٢٥

بناءً على التوصيات المقدمة أشرح هذه الأطروحة للمناقشة.


م. د. حسين عبد الكاظم عجه
رئيس قسم التاريخ

التوقيع:

أ. د.

رئيس القسم

التاريخ: ٢٠٢٦/٤/٢٥

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢) المقدمة من الطالب (محمد شدهان ذياب السلطاني) قد جرى تقييمها لغوياً، وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. نضال حسيب فليفل

كلية التربية - جامعة واسط

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/

إقرار المقوم العلمي الأول

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢) المقدمة من الطالب (محمد شدهان ذياب السلطاني) قد جرى تقييمها علمياً وهي سليمة من الناحية العلمية ومؤهلة للمناقشة .

التوقيع:

الاسم: أ.د. احمد محمود علو

كلية التربية - جامعة سامراء

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/

إقرار المقوم العلمي الثاني

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢) المقدمة من الطالب (محمد شدهان ذياب السلطاني) قد جرى تقييمها علمياً وهي سليمة من الناحية العلمية ومؤهلة للمناقشة .

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. محمد حسن عبيد

كلية التربية للبنات - جامعة البصرة

التاريخ : ٢٠٢٦/٥/

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا قد اطلعنا على أطروحة الطالب (محمد شدهان ذياب السلطاني) الموسومة (النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها، وفيما له علاقة بها ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الحديث، بتقدير (جيد جداً).

الإمضاء: 
عضواً: أ.د. محمد حسين زبون
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

الإمضاء: 
رئيس اللجنة: أ.د. رحيم كاظم محمد
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

الإمضاء: 
عضواً: أ.د. جواد رضا رزوقي
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

الإمضاء: 
عضواً: أ.د. عباس فرحان ظاهر
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

الإمضاء: 
عضواً ومشرفاً: أ.د. حسنين عبد الكاظم عجة
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

الإمضاء: 
عضواً: أ.د. فهد عويد عبد
التاريخ ٢٠٢٦ / ٧ /

صدقت الأطروحة من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

الإمضاء:

عميد الكلية: محمود حمود عراك القرشي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٧ /



الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع . . .

إلى من اتقادت له الدنيا ولم ينقذ لها . . .

إلى من أعطى فلم يبق شيئاً . . .

إلى منقذ الانسان من الحيرة والضلال . . .

إليك سيدي ومولاي هذا وأكثر . . .



الباحث

شكر و عرفان



يستحب أن يستهل الحديث بأعذب العبارات وأزكاها، إكراماً للسامع وتقديراً للقارئ، وليس في الوجود كله قولٌ أطيب ولا أصدق من قول ربِّ العزة جلَّ شأنه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. فالحمد لله الذي فتق الأجواء وخرق الهواء، والشكر لله على عظيم عطائه وجزيل آلائه وشكر نعمائه، الذي سخر لي من أسبابه وأنعم عليَّ من إحسانه وفضله.. والصلاة والسلام على أشرف خلقه أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وأما بعد...

كلمة حق يتوجب علي الإبتداء بها يطيب لي أن أتقدم بخالص شكري وامتناني لأستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور حسنين عبد الكاظم عجه الشمري لقبوله الإشراف على أطروحتي، الذي لم يتوان ولو للحظة في تقديم التوجيهات العلمية السديدة، وسعة صدر فاقت حدود الشكر والعرفان بالجميل، وكان له الأثر الأكبر في إخراج الأطروحة بالشكل الذي عليه فله مني كل الدعاء والامتنان والتقدير.

وإذا كان الفضل لا ينسب إلا لأهله فأنتني أتوجه بالشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي الأجلاء الذين تتلمذت على أيديهم في قسم التاريخ - كلية التربية للعلوم الانسانية الذين لم يبخلوا على طلبة الدراسات العليا بالتوجيه والنصح والارشاد خلال السنة التحضيرية وهم كل من أ. د. طالب الوائلي، أ. د. رحيم الهاشمي، أ. د. عكاب الركابي، أ. د. عباس الموسوي، أ. د. حسنين عبد الكاظم، أ. د. علي خيري مطرود، أ. د. فهد عويد، أ. د. مازن الحلو، أطال الله في أعمارهم وألبسهم ثوب الصحة والعافية وأبقاهم ذخراً لطلبة العلم.

تمتدُّ مائدة الشكر والعرفان لتتشرف بالأستاذ الدكتور محمد السويطي رئيس قسم التاريخ في المرحلة التحضيرية لمواقفه المشرفة إلى جنبنا، ولما قدمه من تسهيلاتٍ ولمرونته العالية في التعامل معنا، ولتذليله جزء من الصعوبات الإدارية.

لا أستطيع أن أنهى الشكر دون أن أتقدم بشكري وثنائي إلى جميع اصدقائي وفي المقام الأول الدكتور حسين علي كاظم، الذي كان لتشجيعه ومؤازرته الأثر الطيب في انضاج اطروحتي، والشكر موصول لصاحب الفضل الاكبر م.م. حمزة صالح، ومن باب الوفاء أود أن أشكر بشكل خاص أخوتي الدكتور منتظر صباح، وم.م. احمد بشار، والدكتور حسام كاظم جواد، والدكتور عمر نعيم عطية، والدكتور قاسم هاشم وعلي عدنان الذين كان لهم دورٌ في تبادل وجهات النظر، ولنصائحهم القيمة التي صبّت في خدمة إنجاز هذه الأطروحة، وأتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من ساهم في تقديم الدعم والنصح فلهم مني جميعاً كل الدعاء والامتنان.

وفي نهاية هذه المغامرة العظيمة التي سوف تتمثل في الحصول على الدكتوراه، أود أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى من تحملوا القسط الأكبر من معاناة الدراسة وهم أسرتي بدءاً بوالدتي الحبيبة صاحبة الدعاء المبارك ووالدي الحبيب الذين لولا دعائهم ما توفقت ولزوجتي الوفية التي كان لتشجيعها وصبرها ومؤازرتها الأثر الأكبر في اتمام اطروحتي، فضلاً عن مساندة وتشجيع اخوتي واخواتي وفلذات كبدي وأولادي وابناء اخي كانوا لي خير سند وعون. ولكل من ساهم في الأطروحة ولو بكلمة واحدة، تحية حبٍّ وشكرٍ وتقدير.

ختاماً أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مدَّ يد العون والمساعدة لي وأقدم اعتذاري وشكري لكل من قدم لي العون والمساعدة ولم يحضرني اسمه ولله الشكر والحمد أولاً وأخيراً.

✍
الباحث

المحتويات

الصفحة	
أ	نية
ب	سداء
ج	سرفان
د - و	سويات
١ - ١٤	نطاق البحث وتحليل المصادر
	الفصل الأول
١٥ - ٧٢	الجريء، نشاطه السياسي والعسكري، وظروف تسنمه حكم دوقية بورغندي ٢٧ حزيران ١٣٦٣ - ٢٧ نيسان ١٤٠٤
١٥ - ٢١	أول: حصول فيليب الجريء على دوقية بورغندي ٢٧ حزيران ١٣٦٣، فيها .
٢٢ - ٣١	ثاني: النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الجريء، وصفقة زواج بيت الثالثة ١٩ تشرين الأول ١٣٦٤ - ١٨ حزيران ١٣٦٩ .
٣٢ - ٣٩	ثالث: تنامي النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الجريء تموز نيسان ١٣٧٩ .
٤٠ - ٤٨	رابع: تمردات غنت، ووآد الدوق فيليب الجريء لها ١٣٧٩ - ١٣٨٥ .
٤٩ - ٧٢	خامس: النشاطات الدبلوماسية والفعاليات القتالية للدوق فيليب الجريء ١٣٨٥ - ٢٧ نيسان ١٤٠٤ .
	الفصل الثاني
٧٣ - ١٢٨	دوقية بورغندي، ونشاطاتها السياسية والعسكرية في عهد الدوق جون الجسور حتى حادثة جسر مونتروا ١٠ أيلول ١٤١٩
٧٣ - ٨٨	أول: تسنم جون الجسور دوقية بورغندي وجهوده في الاستحواذ على عرش الفرنسي ١٤٠٤ - ١٤٠٧ .
٨٩ - ٩٨	ثاني: موقف الدوق جون الجسور من ثورة الهايدرويتس، واصلاحاته في ١٤٠٦ - ١٤٠٨ .
	ثالث: دور الدوق جون الجسور في الحرب الاهلية الأرمأغناكية - صراعه مع لويس دوق أورليان حتى عام ١٤١٥ .

١٠٩-٩٩	
١٢٨-١١٠	رابع: فعاليات إنكلترا القتالية في فرنسا وأثرها على النشاط السياسي لدوقية بورغندي ١٤١٥ - ١٤١٩.
٢٠١-١٢٩	الفصل الثالث الطيب، نشاطه السياسي والعسكري، وأثره في تنامي نفوذ دوقية بورغندي ١٠ أيلول ١٤١٩ - ١٥ حزيران ١٤٦٧
١٤٣-١٢٩	أول: تحالف الدوق فيليب الطيب مع الإنجليز، ونشاطه السياسي والعسكري والمدن الفلمنكية ايلول ١٤١٩ - ايلول ١٤٢٧.
١٦٢-١٤٤	ثاني: النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الطيب في فرنسا، ودوره على جان دارك أيار ١٤٢٨ - أيلول ١٤٣١.
١٧٥-١٦٣	ثالث: تنامي الحراك العسكري والنشاط الدبلوماسي للدوق فيليب الطيب ل ١٤٣١ - كانون الأول ١٤٣٧.
١٩١-١٧٦	رابع: التحديات التي واجهها الدوق فيليب الطيب في فرنسا والمدن ١٤٣٧ - ١٤٥٣.
٢٠١-١٩٢	خامس: جهود الدوق فيليب الطيب لتحويل اقطاعاته إلى مملكة، وانعكاسات ملوك آل - فالوا ١٤٥٤ - ١٤٦٧.
٢٦٣-٢٠٢	الفصل الرابع الجريء، قراءة في دوره السياسي والعسكري، وانعكاسات مقتله على مصير آل فالوا بورغندي عام ١٤٨٢
٢١٦-٢٠٢	أول: النشاط العسكري والدبلوماسي للدوق شارل الجريء ٢٨ حزيران ١٤٧٢.
٢٢٦-٢١٧	ثاني: تدابير الدوق شارل الجريء العسكرية والدبلوماسية منذ ٩ حزيران ١٤٧٤.
٢٤١-٢٢٧	ثالث: سجلات الدوق شارل الجريء مع السويسريين حتى مقتله.
٢٦٣-٢٤٢	رابع: أوضاع دوقية بورغندي في عهد الدوقة ماري الثرية، حتى انتهاء فالوا - بورغندي ١٤٧٧ - ١٤٨٢.
٢٦٩-٢٦٤	ة.
٢٩٢-٢٧٠	ق.

٣٢٤ - ٢٩٣	صادر والمراجع.
A - D	Ab

المقدمة

المقدمة

نطاق البحث، وتحليل المصادر

شهدت الجغرافية السياسية لأوروبا أواخر العصر الوسيط مخاضاً سياسياً وعسكرياً اقترن بتحولات بنيوية أعادت تشكيل خارطة القوى السيادية في غرب القارة، وكان لدوقية بورغندي النصيب الأوفر في رسم ملامح تلك التحولات، فمنذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر وتحديداً عام ١٣٦٣، تبلورت ملامح كيان سياسي طموح سعى لانتزاع مكانة الدولة الوسطى بين فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة، والحقبة التي امتدت حتى عام ١٤٨٢، لم تكن مجرد صراع على تخوم جغرافية، بل نزاعاً على الهوية السياسية والسيادة العسكرية استنزفت خلالها الدوقية ومنافسوها قواهم البشرية وقدراتهم الاقتصادية في سجلات طويلة انعكست بقوة على النظم الإقطاعية والملكية في آن واحد.

وصلت تلك السجلات ذروتها في القرنين الرابع والخامس عشر الميلاديين، تزامناً مع مرحلة تحول الدوقية من إقطاعية تابعة للتاج الفرنسي إلى مملكة شبه مستقلة امتلكت قرارها ومقراتها الخاصة، وهناك دراسات أكاديمية سابقة تناولت جوانب من تاريخ تلك الدوقية، إلا أن الحاجة ظلت ماسة لدراسة تحليلية معمقة تربط بين المتغير السياسي والممارسة العسكرية الاحترافية التي تبناها دوقات بورغندي من آل فالوا، بدءاً بتسليم فيليب الجريء مقاليد الدوقية سنة ١٣٦٣، مروراً بمرحلة التوسع المدروس، المقترن بمد وجزر عسكري ودبلوماسي، وصولاً إلى التوسع العسكري الكبير في عهد شارل الجسور، حيث كانت أرض بورغندي والفلاندرز وفرنسا مضماراً لفعاليات قتالية مستمرة.

من هنا اخترت النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي موضوعاً لدراستي التي جاءت تحت عنوان: "النشاط السياسي والعسكري لدوقات بورغندي ١٣٦٣ - ١٤٨٢"، وقد ارتبط تحديد الإطار الزمني للدراسة بهذين التاريخين لما يمثلانه من محطات مفصلية في تاريخ الدوقية، إذ شهد عام ١٣٦٣ بداية انتقال دوقية بورغندي إلى فرع آل فالوا - بورغندي، وما نتج عن ذلك من مشروع توسعي وطموح سياسي سعى دوقات بورغندي من خلاله إلى تعزيز نفوذهم وبناء قوة إقليمية موازية للقوى الكبرى في أوروبا آنذاك. ومن ثم، جاء اختيار عام ١٤٨٢ حداً نهائياً للدراسة لأنه يمثل نهاية مرحلة الدوقية البورغندية المستقلة، بعد وفاة دوق بورغندي ماري الثرية، وما ترتب على ذلك من انتقال الإرث السياسي البورغندي إلى أسرة آل هابسبورغ، الأمر الذي أدى إلى تغير موازين القوى في أوروبا وانحسار الدور السياسي المستقل لدوقية بورغندي. لذا اقتضت خطه الدراسة التوقف عند هذا العام.

ولا ريب أن تناول هكذا موضوع بفرضية ذات محاور متعددة لإثباتها أو نقضها كلياً أو جزئياً ينحو بدراستي منحى علمياً ينتهي إلى إجابات مسندة بأدلة وقرائن حول هذا الموضوع وحيثياته، لذا انطلقت في دراستي من فرضية مفادها: "أن دوقية بورغندي، ممثلة في سلالة دوقات فالوا الخمسة، شنت حراكاً سياسياً واسعاً ومناورات عسكرية معقدة لتحقيق مكاسب سيادية نمت عن مطامع توسعية للانفصال عن التبعية الفرنسية، وخاضت فعاليات قتالية لافتة لتدمير النفوذ الفرنسي والتنافس على زعامة غرب أوروبا، وبدأت بوضع اللبنات الأولى لمملكة شبه مستقلة في عهد

فيليب الجريء ، ثم وظفت الصراع الداخلي الفرنسي في عهد جون الجسور ، وصولاً إلى ذروة المجد السياسي والعسكري في عهد فيليب الطيب الذي حول الدوقية إلى بيضة القبان أثناء حرب المائة عام، وانتهاءً بالمغامرة العسكرية الكبرى لشارل الجريء التي نقلت زمام المبادرة في نهاية المطاف إلى الملكية الفرنسية المركزية بعد معركة نانسي سنة ١٤٧٧ وما تلاها من تداعيات حتى عام ١٤٨٢".

وفي إطار تحليل هذه الفرضية والتثبت من محاورها، حرص الباحث على وضع تساؤلات هامة والإجابة عنها بشكل يوضح محاور فرضية الدراسة نقضاً أو إثباتاً، ومنها:

- ما الدوافع السياسية الكامنة وراء منح دوقية بورغندي لفيليب الجريء سنة ١٣٦٣، وكيف استغلها لتأسيس كيان مستقل؟
- ما أسباب تفوق الدبلوماسية البورغندية في استقطاب النخب العسكرية والمالية في الفلاندرز؟
- لماذا ركز البورغنديون فعاليتهم القتالية في مناطق الشمال والشرق الفرنسي بدلاً من المواجهة المباشرة في العمق؟
- ما ظروف وملابسات تحالف البورغنديين مع الإنجليز بموجب معاهدة تروا عام ١٤٢٠، وما أثر ذلك على تقويت المؤسسة العسكرية الفرنسية؟
- كيف غير فيليب الطيب نمط الصراع من المعارك الصدامية إلى الدبلوماسية المقترنة بتهديدات عسكرية؟
- ما أثر استخدام المدفعية البورغندية المتطورة كمتغير تقني في حسم الحصارات والمعارك الكبرى؟
- ما المتغيرات التي طرأت على الفعاليات القتالية البورغندية أثناء الصدام مع الاتحاد السويسري؟
- كيف ولماذا انكسرت القوة العسكرية البورغندية أمام لويس الحادي عشر ملك فرنسا رغم التفوق التنظيمي للجيش البورغندي؟
- ما التدابير العسكرية التي تبناها شارل الجريء لمواجهة التهديدات المزدوجة، ولماذا فشلت في حماية حدود الدوقية في مرحلة الحسم؟

ولا ريب أن الفرضية آنفة الذكر ومحاورها اقتضت استبعاد الإطار السردى في تتبع الفعاليات السياسية والقتالية للطرفين، ومحاولة استعراضها بالتحليل والمقارنة والمقاربة، وتتبع آثارها وانعكاساتها على مستقبل فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة على حد سواء. لذا اجتهدت أثناء عرض دراستي على تبني منهجين: أولهما. **المنهج التاريخي الوصفي**، لملاءمته دراسة التطورات السياسية والعسكرية لدوقات بورغندي، مع مراعاة المسار الزمني لعهود الدوقات ووحدة العرض الجغرافي، وثانيهما. **المنهج التاريخي التحليلي**، في المواضيع التي اقتضت تفسير الدوافع الاستراتيجية وتحليل المادة الوثائقية. وقد وظفت بعض النصوص والمراسلات الرسمية في خدمة التصور العلمي الذي تبلور لدي أثناء تحليل المعلومات التاريخية ومقارنتها ومزجها ببعضها لتقديم صورة متكاملة عن الظاهرة البورغندية في العصور الوسطى.

اقتضى تصوري للموضوع، والمادة التي تيسرت لي تقسيم الدراسة على فصول أربعة، تطرق الأول منها الى: "فيليب الجريء، نشاطه السياسي والعسكري، وظروف تسنمه حكم دوقية بورغندي ٢٧ حزيران ١٣٦٣ - ٢٧ نيسان ١٤٠٤"، وهي في مجملها أعطت تصوراً عن حصول فيليب الجريء على دوقية بورغندي ٢٧ حزيران ١٣٦٣، ونشاطه السياسي والعسكري حتى ١٨ حزيران ١٣٦٩، ثم تنامي ذلك النشاط حتى نيسان ١٣٧٩، واستعراض ملابسات انتفاضة غنت ووقائعها، حتى وأدأها على يد الدوق فيليب الجريء عام ١٣٨٥، واختتمت الفصل باقتران نشاطات الدوق فيليب الجريء الدبلوماسية بفعالياته القتالية بين عامي ١٣٨٥ - ١٤٠٤.

استعرضت في الفصل الثاني: "تنامي نفوذ دوقية بورغندي، ونشاطاتها السياسية والعسكرية في عهد الدوق جون الجسور حتى حادثة جسر مونتروا ١٠ أيلول ١٤١٩"، مركزاً على تسنم جون الجسور دوقية بورغندي وجهوده في الاستحواذ على مؤسسة العرش الفرنسي بين عامي ١٤٠٤ - ١٤٠٧، وعرجت على موقف دوق بورغندي جون الجسور من تمردات رعاياه فيما عُرف بثورة الهايدرويتس، وتزامن ذلك مع اصلاحاته في بيزانسون بين عامي ١٤٠٦ - ١٤٠٨، ثم استرسلت في توضيح دور جون الجسور في الحرب الاهلية الأرمأغناكية - البورغندية وصراعه مع لويس دوق أورليان حتى عام ١٤١٥، واختتمت الفصل باستعراض فعاليات إنكلترا القتالية في فرنسا وأثرها على النشاط السياسي والعسكري لدوقية بورغندي ١٤١٥ - ١٤١٩.

تناولت في ثالث فصول الدراسة "فيليب الطيب، نشاطه السياسي والعسكري، وأثره في تنامي نفوذ دوقية بورغندي ١٠ أيلول ١٤١٩ - ١٥ حزيران ١٤٦٧"، الذي تطرقت فيه الى ملابسات ونتائج تحالف الدوق فيليب الطيب مع الإنجليز، ونشاطاته السياسية والعسكرية في فرنسا ودوره في القضاء على جان دارك منذ أيار ١٤٢٨ الى ايلول ١٤٣١، وحراكه السياسي والعسكري منذ كانون الأول ١٤٣١ الى كانون الأول ١٤٣٧، والتحديات التي واجهته في فرنسا والمدن الفلمنكية منذ ١٤٣٧ حتى ١٤٥٣، وجهوده لتحويل اقطاعياته الى مملكة شبه مستقلة وانعكاسات ذلك على ملوك آل فالوا ١٤٥٤ حتى وفاته.

تطرقت في الفصل الرابع الى: "شارل الجريء، قراءة في دوره السياسي والعسكري، وانعكاسات مقتله على مصير آل فالوا - بورغندي عام ١٤٨٢"، تناولت فيه بواكير حراكه العسكري والدبلوماسي منذ تسنمه حكم دوقيته في ٢٨ حزيران ١٤٦٧ حتى أواخر ١٤٧٢، وتدبيره العسكرية والدبلوماسية منذ ٩ حزيران ١٤٧٣ حتى ٢٥ تشرين الاول ١٤٧٤، وسجلاته مع السويسريين حتى مقتله في ٥ كانون الثاني ١٤٧٧، وأوضاع دوقية بورغندي في عهد ابنته ماري الثرية، حتى انتهاء سلالة آل فالوا - بورغندي في ٢٧ آذار ١٤٨٢.

استقرأت في خاتمة دراستي محاور الدراسة، وما استنبطته من اجابات للتساؤلات التي وردت في فرضيتها عن مجمل تساؤلات محاور دراستي. اقتضت طبيعة موضوع دراستي، واتساع مداها الزمني استخدام كم هائل من مصادر ووثائق ودراسات متخصصة توزعت بين اللاتينية والفرنسية والإنكليزية والهولندية، فضلاً عن الدراسات الأكاديمية العربية الحديثة، وأهم تلك المصادر هي الوثائق من سجلات وحوليات واتفاقيات وأوامر ادارية واحكام قضائية شكلت تركة ضخمة اتسمت بالتعدد اللغوي والتباين الأيديولوجي، علماً أن دراسة تاريخ دوقية بورغندي محفوف باختلاف الروايات وتناقض الولاءات، ولذا فمنطقي في استخدام المصادر ليس مجرد رصدها أو تجميعها، بل الغوص الممنهج في أعماق الأيديولوجيا التي حركت أقدام المؤرخين المعاصرين للحدث، مما استوجب وقفة نقدية فاحصة لاستجلاء خفايا الدور السياسي والعسكري لدوقات بورغندي.

شكلت المصادر البورغندية المعاصرة حجر الزاوية في فهم العقيدة السياسية لآل فالوا - بورغندي، وفي مقدمتها حوليات: (La Chronique D'enguerran De Monstrelet 1400 – 1444)، للمؤرخ: (Enguerrand de Monstrelet) الذي قدم فيها تفاصيل دقيقة عن الحقبة الممتدة بين عامي (١٤٠٠-١٤٤٤)، وتضمنت رسداً لافتاً للتحويلات العسكرية، إلا أننا وجدنا في ثناياها انحيازاً كبيراً لدوقات بورغندي، بدا في مواضع عدة ك تبريره واقعة اغتيال لويس أورليان عام ١٤٠٧، ومحاولة اصفاء بعد اخلاقي ومبررات موضوعية لاغتيال دوقات بورغندي له، وهو ما دفعني لمقارنة روايته بسواها للتخلص من مسحة التلميع السياسي، التي طغت على وصفه لجون الجسور. في السياق ذاته أظهرت حوليات: (Chronique 1419 – 1422) للمؤرخ: (Oeuvres de Georges Chastellain)، أنه لم يكن مجرد مدون لوقائع بورغندي، بل فيلسوفاً لبلاط بورغندي، صور دوقاته بأوصاف مبالغ بها، وابرز بورغندي ككيان متفوق أخلاقياً وحضارياً، وقد أدت من نصوصه في استجلاء الطقوس السياسية التي صاحبت تشكيل نظام الصوف الذهبي، وأثرها في توحيد النبلاء حول الدوق فيليب الطيب، مع انني أشرت مبالغاته عند تحري أسلوبه الخطابى الذي غلب عليه تبجيل دوقات بورغندي والمبالغة في وصف انتصاراتهم، بما جعل كتاباته مرآة لمفهوم العظمة البورغندية، مع ميل واضح لإضفاء شرعية على الأعمال العسكرية البورغندية، مصوراً إياها كضرورة لحماية دوقية بورغندي من فساد الأرمانياك، وهو انحياز واضح استدعى مني الحذر عند استقراء الدوافع السياسية للاغتيالات والتحالفات السرية، واتسمت مذكرات قائد حرس الدوق شارل الجريء: (Olivier de la Marche)، التي وثقها المؤرخ: (Henri Beaune Et J) بقيمة تاريخية كبيرة، زودتني بتصور واضح عن بنية الفرق العسكرية البورغندية.

لم تقتصر المادة الوثائقية على الحوليات السردية فحسب، بل توغلت في تحليل الأدب الوثائقي السياسي، الذي أنتجه البورغنديون بأنفسهم؛ وفي هذا الموضع تيسر لي الاطلاع على مجموعة: (Les ordonnances des Ducs de Bourgogne sur)، للمؤرخ: (Ernest Champeaux)، التي تضمنت الأوامر واللوائح التنظيمية التي وضعها الدوقات لتنظيم شؤون البلاط والجيش، والتي كشفت عن رغبة بورغندية جامحة

في مضاهاة القصر الملكي الفرنسي بل والتفوق عليه في التراتبية والمراسيم، مما يُعد وثيقة سياسية لإثبات طموح السيادة البورغندية المطلقة.

استقرأت ما ورد حول مكتبات دوقات بورغندي، في بعض المصادر ومنها: (La Bibliothèque De Philippe Le Hardi, Duc De Bourgogne 1364-1404. Etude Sur Les Manuscrits ... Scientifique) (Patrick Marc للمؤرخ: de Winter)، وخلصت منها الى أن المخططات الفنية والكتب المزخرفة التي أشرف عليها الدوقات لم تكن للترف فحسب، بل كانت رسائل دبلوماسية موجهة لملوك أوروبا لترسيخ صورة بورغندي كمركز حضاري وعسكري لا يقل شأنًا عن باريس، وضاهاه في الأهمية كتاب المؤرخ: (Edmund A. Bowles) الموسوم: (Instruments at the Court of Burgundy)، الذي وإن كان ذا طابع أدبي، إلا أنه تضمن إشارات سياسية وتاريخية مهمة عكست فلسفة البلاط البورغندي وموقفه من الصراعات الأوروبية الكبرى.

وأفدت أيضاً من السجلات الإدارية التي صاغها الموظفون البورغنديون، مثل: (Itinéraires De Philippe Le Hardi Et De Jean Sans Peur, Ducs De Bourgogne 1363 – 1419) للمؤرخ: (Ernest Petit) التي وثقت سجلات الرحلات والتحركات اليومية للدوقات، بما مكّني من تتبع المسارات العسكرية بدقة متناهية، وربط القرارات السياسية بالأماكن الجغرافية التي اتخذت فيها.

شكل كتاب: (Realms of Ritual Burgundian Ceremony and Civic Life in Late Medieval Ghent) للمؤرخ: (Peter Arnade)، ومراسلات الدوقات مع المدن الفلمنكية مادة حيوية لاستجلاء العلاقة المتوترة بين السلطة المركزية للدوق والاستقلال الذاتي للمدن الكبرى مثل غنت وبروج، واستجلبت منها أيضاً آليات التمويل العسكري التي اعتمدتها الدوقية في حروبها الطويلة، وعند تحليل كتابات المؤرخين البورغنديين الذين عاشوا في كنف الدوقية وجدتُ تحولاً لافتاً في اللغة السياسية البورغندية نحو مزيد من العداء للتاج الفرنسي، لاسيما نتاجات جيل من المؤرخين والمنظرين الذين عملوا في المستشارية البورغندية، ولو اخذت كتاب: (Chronique 1419 – 1422)، لـ: Oeuvres de Georges Chastellain، الذي كان أميناً لسجلات نظام الصوف الذهبي، مثلاً لوجدت أنها وفرت تفاصيل عسكرية وإدارية دقيقة تميزت بالتركيز على التقنية الحربية البورغندية وتطور استخدام المدافع، مما مكّني من موازنة

روايته مع ما أورده الإنكليز في سجلاتهم، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن كتاباته تميزت بلغة أدبية رفيعة حاولت صياغة تبريرات قانونية للتوسع البورغندي في الأراضي المنخفضة.

أمدني مسؤول أسلحة الدوقية: (Jean Le Fèvre de Saint-Rémy)، في كتابه الموسوم: (Seigneur de Saint-Rémy, Tome II, Transcrite d'un manuscrit appartenant à la bibliothèque ... Morand) بمعلومات تقنية وتفصيلية عن أنظمة الفروسية، وتنظيم الأسلحة، والتراتبية العسكرية في الجيش البورغندي، مما ساعدني في تحليل التطور المؤسسي للقوات البورغندية وتحولها من جيش إقطاعي إلى جيش شبه نظامي.

كان لمؤلفات: (Pierre de Fénin) أهمية خاصة في دراستي، بوصفه شاهد عيان على الصراعات الدامية بين البورغنديين والأرمانياك، فقدم في مذكراته الموسومة: (Mémoires de Pierre de Fénin 1407 – 1427 Éditée par Mlle Dupont, ... de France) وصفاً ميدانياً للمعارك التي دارت في شمال فرنسا، مكاني من ضبط التواريخ والتحركات العسكرية التي أغفلتها المصادر العامة، وتوسعت في استنطاق نصوص المؤرخ: (Jacques du Clercq)، الذي ركز في سجلاته على أحداث هينو والفلاندرز، وكشف عن خفايا التمردات الحضرية ضد السلطة البورغندية، مما أعطى دراستي بعداً اجتماعياً في فهم الأزمات الداخلية للدوقية، واستقرأت أيضاً الكتاب الموسوم: (La Jeunesse de Charles le Téméraire d'après les comptes de la cour de Bourgogne) (Monique Sommé)، الذي تضمنت تفاصيله الإدارية والمالية معطيات رقمية عن تكاليف الحملات العسكرية ورواتب الجند، مما سمح لي بإجراء مقارنة بين القوة العسكرية الاسمية والقوة الواقعية للدوقات، وفي الاطار نفسه استفدت مما قدمه المؤرخ البورغندي: (Jean de Waurin) من رصد ميداني لمعركة أجنكورت، في حولياته الموسومة: (Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretaigne)، ولاشك إن هذا التراكم من الكتابات البورغندية المتخصصة، التي تداخلت فيها السياسة بالإدارة والأدب بالتاريخ، منحتني القدرة على فهم الروح البورغندية وآلية عمل مؤسساتها في زمن الحرب والسلم، فضلاً عن اكساب دراستي بعداً أرشيفياً غاص في فكر صانع القرار

البورغندي نفسه، مما دعاني إلى إخضاعها جميعاً لمبضع النقد التاريخي المقارن لضمان الخروج بنتائج علمية رصينة وموضوعية.

مثلت المصادر الفرنسية الموالية لعرش بلادها ميزاناً نقدياً ضرورياً لموازنة الرواية البورغندية، من خلال وجهة النظر الفرنسية المناهضة، وقدمت أعمال: (Jean Juvénal des Ursins) رؤية باريسية للصراع، نظرت إلى التمدد البورغندي كعدوان صارخ على شرعية الملك شارل السادس، وقد اتسمت نصوصه بنبرة مأساوية رصدت معاناة الشعب الفرنسي جراء الفعاليات القتالية البورغندية، وهو ما ساعدني في تشخيص الأزمة العامة التي ضربت فرنسا، وكان لـ الراهب في سان دوني: (Religieux de Saint-Denys) حضور مؤثر في دراستي، إذ اتسمت حولياته بصبغة قانونية ودينية رأت في الطموح البورغندي خروجاً على الذات الملكية المقدسة، فأطلقت أحكام على دوقات بورغندي وصلت قسوتها إلى حد التجريم القانوني لهم بحكم ولائه للتاج، مما جعله يذهب بعيداً في تصوير شخصيات الدوقات، واصفاً تحركاتهم العسكرية بـ التمرد، لكن كتاباته رغم انحيازه للملكية الفرنسية تميزت برصانة لافتة، وقدمت وصفاً دقيقاً لتحركات الجيوش البورغندية، مما استدعى تفكيك نصوصه لاستخلاص وقائع سياسية وعسكرية مجردة من أحكام سياسية مؤدلجة مسبقاً.

وفي ذات السياق التحليلي، مثلت مذكرات: (Philippe de Commines)

الموسومة: (The Memoirs Op Philip De Commines, Lord of A.Egerton: Containing Tub Histokies of Louis Xi. And Charles VIII. Kings of France And of Charles The Bold, Duke of Burgundy Which Is Added, The Scandalous Chronicle or Secret History of Louis XI)، انموذجاً فريداً

لإنحياز مزدوج، فكونه انتقل من البلاط البورغندي إلى الخدمة في البلاط الفرنسي تحت إمرة لويس الحادي عشر، جعل من نصوصه مرآة للصراع النفسي والسياسي، فقدم تحليلاً سياسياً ميكافيلياً لسقوط الدولة البورغندية، ولم يخلُ نقده لشارل الجسور من محاولة تبرير انشقاقه عنه، فصور الدوق بصورة الرجل المتهور والمستبد، وهي صورة وإن كانت تحوي جوانب من الصحة، إلا أنها كُتبت بروح المنشق الذي يسعى لإرضاء سيده الجديد، مما جعلني أخضع مذكراته لـ تفكيك دقيق وأن ازن آرائه مع ما ورد في حوليات (Étienne Leroy) المعنونة: (Annales de Bourgogne)، الذي رأى في بورغندي ذروة الفروسية والأخلاق السياسية في أوروبا، ويحسب لتلك الحوليات

رصدها التحولات البنيوية لدوقية بورغندي، بما جعلها سجلاً جيوسياسياً دقيقاً أرخ لعملية التوسع في الأراضي المنخفضة وآليات دمج المقاطعات الفلمنكية والهولندية ضمن المنظومة البورغندية، كما أنها لم تكتفِ بذكر الصراعات العسكرية بل غاصت في التفاصيل القانونية والمالية التي شكلت العمود الفقري للدولة، مما منحها ميزة استثنائية في تتبع التفاعلات اليومية بين السلطة المركزية للدوق والمدن الكبرى المتمردة مثل غنت وبروج، ومن خلال ذلك الرصد الإداري الدقيق برزت كأداة تحليلية كاشفة عن كواليس صناعة القرار وجباية الضرائب والمراسلات الرسمية، لكنها غاصت في التفاصيل اليومية بشكل جعلها جافة وبحاجة إلى ربط مدخلاتها للخروج بمخرجات شاملة لموضوع الدراسة.

زودني المؤرخ (Jean Favier) في مصدره الموسوم: (La Guerre de Cent Ans)، برؤى موضوعية حول أزمة الحكم في عهد شارل السادس، لكن طرحه اتسم بنزعة أرشيفية صارمة، غلب عليها طابع المؤسسات المرتكز على وثائق مالية والسجلات الإدارية لتحليل أزمة النظام الإقطاعي، متميزاً بدقة رقمية عالية في تتبع الموارد التي بنى من خلالها الدوقات قوتهم، لكن يُؤخذ على منهجه أحياناً الجفاف السردى والغرق في التفاصيل البيروقراطية لمركزية باريس، مما قد يغفل الدوافع النفسية الذاتية للفاعلين السياسيين، أما الباحثة: (Françoise Autrand) فقد تضمن كتابها المعنون: Charles VI: la folie du roi تحليلاً سياسياً عميقاً، لأثر مرض الملك شارل السادس في تفتت السلطة المركزية، الذي صب في مصلحة دوقات بورغندي، ورغم قدرتها الفائقة على إبراز تناقضات الساسة والمستشارين في فرنسا وبورغندي، لكنها بررت بعض أخطاء الملك وركزت على بلاط باريس على حساب الأقاليم.

تلاههما في الأهمية ما قدمه المؤرخان: (Vallet de Viriville) (Siméon Luce) من استقصاء للجذور الإقطاعية للصراع الفرنسي - البورغندي، بما ساعدني على تشخيص الأزمات التي ضربت فرنسا وأفسحت المجال للأطماع البورغندية فيها، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن المؤلفين وإن شكلا مصادر وثائقية كلاسيكية لا غنى عنها، لكن معالجاتهما للأحداث اختلفت، فقدم (Vallet de Viriville) كما هائلاً من المراسلات والمراسيم الملكية الفرنسية، مما جعل مصدره مستودعاً للمادة الخام التي لا غنى عنها للباحث في تتبع البناء الطبقي للنباله والرواتب

العسكرية، لكن يُعاب عليه استسلامه أحياناً للنزعة القومية الفرنسية التي وصمت التحركات البرغندية بالخيانة، فضلاً عن تشتت السرد التاريخي بسبب الإقحام المكثف للنصوص الوثائقية داخل المتن، أما (Siméon Luce) فيحسب له التركيز على الواقع الاجتماعي للشعب الفرنسي في حقبة دراستي، والبراعة في تشريح أثر الحروب وعصابات المرتزقة على النسيج المجتمعي، مستنطقاً سجلات الكنائس والمحاكم المحلية لفهم الحياة اليومية، لكنه خاض أحياناً في تفاصيل صغيرة على حساب الموضوعات الرئيسة، كذلك ظهر في كتاباته مسحة رومانسية ملحمة، ابعدت بعض سردياته عن الواقع.

بقدر تعلق الأمر بالمؤرخين الفرنسيين المعاصرين، فإن المؤرخ: (Bertrand Schnerb) أورد في كتابه الموسوم: (L'État bourguignon) تحليلاً بنيوياً وتقنياً لمؤسسة الإدارة والحكم البورغنديتين، وسلاح المدفعية البورغندي، مما مكّني من فهم التطور العسكري والإداري للدوقية.

أما المصادر والوثائق اللاتينية، فكانت بمثابة شاهد أكثر دقة في تثبيت الحقائق الدبلوماسية، ومنها مجموعة: (Foedera)، التي جمعها توماس رايمر: (Thomas Rymer)، ونقلت دراستي من التاريخ السردى إلى التاريخ الوثائقي المجرد، وكمنت القيمة النوعية لهذا المصدر في كونه أزال الرداء الأيديولوجي الذي صبغته الحوليات البورغندية والفرنسية على الأحداث، فبينما غرق مؤرخو البلاط في أوصاف بطولية وملحمة، قدمت نصوص المعاهدات والرسائل اللاتينية في Foedera كشفاً صريحاً عن المصالح المادية والالتزامات القانونية التي حكمت العلاقات الدولية في القرن الخامس عشر، لكن هذا المصدر استوجب وقفة نقدية فاحصة عند التعامل مع المجلدات والأجزاء التخصصية التي أشرف عليها روبرت ساندerson (Robert Sanderson) وجورج هولمز (George Holmes) بعد وفاة رايمر، فمع أنهما عُرفا بدقتهما في تصحيح أخطاء النسخ والطباعة في المجلدات الأولى، إلا أن إشرافهما على تحرير الوثائق الدبلوماسية المتبادلة بين برغندي وإنجلترا وفرنسا تطالب حذراً منهجياً؛ لضمان عدم تأثر اختيارهما الوثائقي بالتوجهات السياسية للتاج البريطاني آنذاك، وبناءً عليه مكّني هذا التدقيق من إعادة قراءة معاهدة تروا ١٤٢٠ قراءة قانونية

محضة، كشفت عن وعود عسكرية وتفاهات لوجستية كانت غائبة تماماً عن النصوص الأدبية للمؤرخين المعاصرين.

وفي ذات الإطار الوثائقي، استعنتُ بمجموعة: (Lettres Secrètes & Curiales Du Pape Urbain V) التي حررها: (P. Lecacheux & G. Mollat)، وهي وثائق بابوية لاتينية كشفت المراسلات السرية التي واكبت مفاوضات الخلافة الفلمنكية، مما سمح لي بتحليل الدور الكنسي في هندسة التحالفات البورغندية المبكرة بعيداً عن الروايات الرسمية المعلنة.

برز في ذات السياق كتاب: (Vita & Gesta Henrici Quinti) المنسوب لـ (Thomæ de Elmham)، الذي يُعد من أثنى السير اللاتينية التي كشفت ملابسات التحالف الإنجليزي - البورغندي، فقد استشرّف جذور الصراع وتداعياته من منظور شرعوي ربط بين الحقوق الإقطاعية والمطامع التوسعية، ورغم أهمية هذا المصدر، إلا أنني أخضعتُه للنقد المقارن كونه كُتب بروح مجدّت الملكية الإنجليزية، مما استدعى موازنة معلوماته بما تضمنته موسوعة: (Urbain Plancher) من وثائق أصلية نادرة وقوانين بورغندية محلية، والتي قدمت رواية مضادة حول سعي الدوقات لترسيخ الشرعية القانونية في الأراضي المنخفضة والفلاندرز، وعززتُ هذا التوجه باستقراء ما ورد في: (The Chronica Maiora of Thomas Walsingham)، الذي رغم انحيازه للإنجليز، إلا أنه وفر مادة لاتينية غنية حول نظرة المجتمع الأوروبي لشرعية البيت البورغندي كقوة صاعدة، مما مكّني من رصد التناقض بين الخطاب السياسي والواقع الوثائقي.

تتبعُ في سجلات: (Thomas Walsingham) والنسخة المحققة من حوليات (Bellaguet) التداخل المعقد بين السلطة الزمنية والروحية، إذ أوضحت هذين المصدرين كيف وظف الدوقات المراسلات البابوية لتعزيز نفوذهم السياسي وإعطاء صبغة شرعية على تحركاتهم العسكرية ضد خصومهم. وامتد التحليل الوثائقي إلى وثائق (Acta Sanctorum)، التي رغم طابعها الكنسي، أمدتنا بمعلومات تاريخية ذات أهمية كبيرة عن الأوقاف والهبات والشبكات الاجتماعية التي ربطت البيت البورغندي بالكنيسة، وكيف تم استثمار هذا الرابط في المفاوضات الدولية. ولتعميق هذا الفهم استندتُ إلى ما نشره: (Léon Mirot) من وثائق لاتينية تتعلق بـ جالية لوكا (La

(Colonie Lucquoise) في باريس، التي كشفت الروابط المالية المعقدة بين التجار الإيطاليين والدوقات، موفرةً دليلاً وثائقياً على كيفية تمويل الحملات العسكرية عبر شبكات ائتمان عابرة للحدود، وهي تفاصيل اقتصادية لاتينية دقيقة لم تظهر في السرديات التقليدية، والثابت إن الاعتماد على هذه المادة اللاتينية الوثائقية، التي طبع القسم الأعظم منها في القرن التاسع عشر بجهود بحثية رصينة وفر لدراستي عمقاً بحثياً سمح لي بتجاوز السرد التاريخي التقليدي نحو فهم آليات بناء الدولة البورغندية على وفق أسس شرعية وقانونية متينة، حيث مكنتني هذه الوثائق من ملاحقة الخيط الرفيع بين الطموح السياسي والشرعية الدبلوماسية في زمن كان فيه الحبر والختم لا يقلان قوة عن السيف والمدافع.

أما المصادر الإنكليزية، وفي مقدمتها أعمال: (The Statutes of the Realm) الذي اشرفت عليه لجنة السجلات الملكية الإنكليزية، وكتاب: (The Burgundian Netherlands للمؤلفين: Walter Prevenier & Wim Blockmans)، فقد قدمت لنا رؤية الحليف المريب، حيث كان الإنكليز ينظرون للبورغنديين كأداة عسكرية لتمزيق وحدة فرنسا، ووجدت في ثنايا هاذين المصدرين تهميشاً متعمداً لانتصارات الدوقات المستقلة، ونسب الفضل دائماً للتاج الإنكليزي، وهو انحياز مركزي استوجب مقارنة هذه السجلات مع الوثائق البورغندية المحلية المحفوظة في: (Archives Départementales de la Côte-d'Or)، التي أثبتت استقلالية القرار العسكري والتمويلي للدوقية في كثير من المعارك الكبرى. وفي هذا الصدد، استعنتُ بأطروحة الباحث البريطاني: (Aleksandr Lobanov) الموسومة: (The Burgundy-England Alliance, 1420-1435)، التي قدمت تحليلاً نقدياً لأزمة الثقة بين الطرفين، كاشفةً عن مواطن الخلل في التنسيق العسكري التي كانت المصادر الإنكليزية التقليدية تتعمد إخفاءها لتلميع صورة القيادة اللانكسترية، مما مكنتني من نقد الطروحات الإنكليزية التي حاولت تصوير البورغنديين كجند مأجورين للتاج اللانكستري.

كما رفدت دراستي بمعلومات فائقة الأهمية أعمال المؤرخ الإنكليزي: (Christopher Allmand)، لا سيما في كتابه الموسوم: (The Hundred Years War)، الذي حل فيه الموقف الإنكليزي من الخيانة البورغندية المفترضة بعد معاهدة

أراس (١٤٣٥)، ووجدت في تحليله ميلاً لتبرير السياسة الإنكليزية العدائية ازاء فيليب الطيب، مما استدعى مني إخضاع نصوصه للمقارنة مع الوثائق المالية للدوقية. ولم يخل الأمر من الاستعانة بدارسات تخصصية دقيقة مثل أطروحة الباحث: (David Unorthodox warfare in the Age of Chivalry)، التي زودتني بتصور واضح عن التكتيكات العسكرية الإنكليزية التي تداخلت مع الأساليب البورغندية، وكيف أثر هذا التداخل على مخرجات الصراع في فرنسا، مبيناً في الوقت ذاته انحياز بعض الدراسات الإنكليزية التقليدية في تضخيم دور القوس الطويل الإنكليزي على حساب المدفعية البورغندية المتطورة.

لتنميق الفهم، تتبعتُ في دراسة الباحثة البريطانية: (Anne Curry) الموسومة: (The Battle of Agincourt: Sources and Interpretations)، كيف أعادت صياغة الرواية الإنكليزية التقليدية عبر نقد السجلات الحربية، مما مكّني من فهم الارتباك الدبلوماسي البورغندي أثناء تلك الموقعة الفاصلة. كما شكل كتاب المؤرخ (Richard Vaughan) حول: (Charles the Bold: The Last Valois Duke of Burgundy) مصدراً حيوياً في رصد التحولات الثقافية والعسكرية في البلاط البورغندي من منظور إنكليزي حديث، كشف عن مواطن القوة والضعف في شخصية الدوق شارل، معتمداً على وثائق الأرشيف الإنكليزي التي أغفلها المؤرخون الفرنسيون. وتوسعتُ في استقراء دراسة الباحث: (Graeme Small) المعنونة: (George Chastelain and the Shaping of Burgundian Identity)، والتي قدمت تحليلاً نقدياً لكيفية صناعة الهوية البورغندية كفعل مقاوم للتبعية الإنكليزية والفرنسية على حد سواء، مما منحني القدرة على تفسير التقلب السياسي للدوقات كاستراتيجية بقاء لا مجرد خيانة عابرة.

كشفت لنا الدراسات الحديثة، مثل موسوعة الباحث الإنكليزي: (John A. Wagner) عن حرب المائة عام، عن ثغرات واضحة في المصادر التقليدية، لا سيما في تقدير أعداد القوات وتكاليف التسليح، حيث مالت الحوليات الإنكليزية القديمة إلى المبالغة العددية لتعظيم النصر أو تبرير الهزيمة، مما دفعني للاعتماد على ما أورده الباحث: (Robert Douglas Smith) في دراسته عن التقنيات الحربية، وسجلات الرواتب الإنكليزية المودوعة في الأرشيف الوطني الإنكليزي، كمعيار أكثر موضوعية

من السرد الحولي، لاستخلاص الحقائق المتعلقة بحجم الإنفاق العسكري الحقيقي للدوقات ومدى اعتمادهم على الموارد الإنكليزية. إن هذا التعدد في المراجع الإنكليزية، بين حوليات العصور الوسطى والدراسات الأكاديمية المعاصرة، قد منح الأطروحة عمقاً نقدياً سمح لي بفرز الدعاية السياسية عن الواقع التاريخي الميداني.

كان لـ الدراسات الأكاديمية العربية الحديثة أثرٌ في استجلاء كثير من خفايا الصراع وسد ثغرات الأطروحة، ومنها أطروحة أستاذي المشرف الدكتور حسنين عبد الكاظم عجه حول الصراع الإنكليزي - الفرنسي التي بينت التوضع البورغندي إقليمياً، وأثره في تغيير مسارات حرب المائة عام.

يحسب لها أنها اتسمت بحرفية أرشيفية فندت الخيال التاريخي، أذ برعت في استنطاق الوثائق المعاصرة لحقبة دراستي لضبط إيقاع الصراع الدبلوماسي، لكنها ضربت صفحاً عن الأبعاد السوسيو-اقتصادية التي حركت الجماهير، كما أنه فصل سجلات حقبة دراستي ودبلوماسية أطرافها دون تحليل ديناميكياتها، وزودتني دراسة الدكتور (طالب محيبس حسن الوائلي) عن هزيمة العثمانيين في أنقرة عام ١٤٠٢ بتصور واضح عن السياق الشرقي الذي اشتبكت فيه بورغندي، خاصة فيما يتعلق بحملة نيكوبوليس التي شارك فيها جون الجسور، وكيف انعكست تلك الهزيمة على ثقل بورغندي العسكري في أوروبا. ولم تبتعد أطروحة الباحثة (رشا مجيد منديل الحاجم) عن حروب الوردتين، إذ مكنتني من فهم التقاطعات السياسية بين الأطراف المتصارعة في إنكلترا ودور الدعم البورغندي في ترجيح كفة على أخرى. كذلك كانت رسالة الباحثة (إيمان نعيم عرد الموسوي) حول المعارك الإنكليزية - الفرنسية (١٤١٥-١٤٥٣) مرجعاً حيويّاً في ضبط الإحداثيات العسكرية للمعارك الكبرى وتتبع أثر فرق النظام البورغندية في تلك السجلات.

إن هذا التراكم المعرفي، الذي واشج الحوليات البورغندية المنحازة الى دوقاتها والحوليات الفرنسية والإنكليزية المنحازة الى ملوكها، والوثائق اللاتينية الأكثر رصانةً من سواها، والدراسات العربية، منحني القدرة على إخضاع المادة التاريخية لمشروط التحليل والمقارنة، فبينما مالت المصادر القديمة للتركيز على شخصية الدوقات وبطولاتهم، عمدتُ من خلال الدراسات الحديثة إلى البحث في المؤسسة العسكرية والنظام المالي كركيزتين أساسيتين لبقاء الدوقية، وقد وجدت في تفاصيل أغلب

المصادر بياناً دالاً على حيوية المؤرخين وعدم محاكاتهم بعضهم البعض، مما دفعني لاستنباط النتائج عبر معيار موضوعية نسبية، متجنباً الوقوع تحت تأثير وجهة نظر طرف دون آخر، في محاولة لتقديم دراسة تاريخية تليق بعمق هذه العلاقة الشائكة بين دوقية بورغندي والقوى المحيطة بها، ومع إن هذا التنوع في المصادر من وثائق لاتينية قديمة وسجلات محاسبية فرنسية ودراسات إنكليزية وهولندية وعربية حديثة، اقحمني في خضم دراسات ذات معالجات وتوجهات مختلفة، لكنه وسع افق مداركي البحثية، ومكنني من إحكام السيطرة على الموضوع من جوانبه كافة، ومحاولة تقديم قراءة متوازنة تجمع بين التحليل السياسي والاستراتيجي العسكري وبين الرصد الحضاري والاجتماعي لدوقية كانت ملء سمع التاريخ وبصره في اواخر العصر الوسيط.

وختاماً لا يسعني إلا القول أنني بذلت أقصى ما استطيع لإنجاز هذه الدراسة بالصورة التي هي عليها، فان أصبت فذلك فضل من الله تعالى أولاً وأستاذي المشرف ثانياً، وأن أخطأت فكلي ثقة أن اساتذتي الافاضل في لجنة المناقشة سيصوبون دراستي لتكون بمستوى أفضل مما هي عليه، وما توفيقى إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
فيليب الجريء، نشاطه
السياسي والعسكري
وظروف تسنمه حكم دوقية
بورغندي
٢٧ حزيران ١٣٦٣ - ٢٧ نيسان
١٤٠٤

المبحث الأول
حصول فيليب الجريء على دوقية بورغندي ٢٧ حزيران ١٣٦٣، ونشاطاته فيها
تهيات فرصة ثمينة لتحقيق تطلعات فيليب الثاني الملقب بـ(الجريء)(١٣٦٣-
١٤٠٤) (Philip the Bold) ^(١) في الحصول على دوقية كبيرة ومؤثرة، حين توفي

(١) (١٣٤٢-١٤٠٤): ولد في ١٧ كانون الثاني في مدينة بونتواز (pōtwaz) الواقعة وسط فرنسا في حقبة حساسة من تاريخ فرنسا تزامنت مع بواكير نشوب حرب المائة عام بين بلاده و إنجلترا، وهو اصغر الابناء الاربعة لعاهل فرنسا جون الثاني الملقب بـ (الصالح)، ثاني ملوك آل

فيليب الأول (Philip I)(١٣٤٧-١٣٦١)، آخر دوق لبورغندي من آل كابيه نتيجة لحادث السقوطة عن ظهر حصانة في ٢١ تشرين الثاني ١٣٦١^(٢)، فاستعاد الملك الفرنسي جون الثاني الملقب بـ (الصالح)(John II)(١٣٥٠ - ١٣٦٤)^(٣)، دوقيته^(٤)، بيد أن فيليب الجريء لم يحصل على ضالته مباشرة لأن والده جون الثاني ملك فرنسا قرر في ٢٥ كانون الثاني ١٣٦٢، اسناد حكم دوقية بورغندي^(٥)، إلى كونت

فالوا، أمه أميرة بوهيميا، بون دي لوكسمبورغ، لقب بالجريء لشجاعته أثناء قتال اعدائه الإنجليز إلى جانب والده في معركة بواتيه ١٣٥٦ رغم صغر سنه، وكان لدى فيليب العديد من الأخوة والأخوات، هم شارل الخامس ثالث ملوك فرنسا من آل فالوا، وكاثرين، ولويس الأول، وجان دوق بيرري، وجوان فالوا ملكة نافا، وماري فالوا دوقة بار، للمزيد ينظر:

رشا مجيد منديل الحاجم، حروب الوردتين في إنكلترا (١٤٥٥-١٤٨٥)، كلية التربية للعلوم W. Kohlhammer, Geschichte der Burgundischen Niederlande, W. Kohlhammer GmbH, Stuttgart, 2018, p.27 – 29 ؛ Henri Beaune Et J, D'arbaumont, Mémoires D'olivier De La Marche Maitre D'hotel Et Capitaine Des Gardes De Charles Le Téméraire, Tome Premier, Librairie Renouard, Paris, 1885, p.58 – 59 . (١) أنظر ملحق رقم (١) (J. A. Buchon, Les Chroniques De Jean Froissart 1337 – 1410, Tome 7, Librairie Quai Des Augustins, Paris, 1824, p.268 ; W. Mark Ormrod, Edward III, Yale University Press, London, 2011, p.417. (٢) أنظر ملحق رقم (٢)

(٣) (١٣١٩ – ١٣٦٤): ثاني ملوك أسرة آل فالوا، والابن البكر لـ ملك فرنسا فيليب السادس الملقب بالمحظوظ، ولد في ١٦ نيسان في لومان عاصمة مقاطعة مين، تزوج بون في ٢٨ تموز ١٣٣٢، تسلم العديد من المناصب والالقاب منها دوق نورماندي عام ١٣٣٢، ثم عرش فرنسا للمدة ١٣٥٠ – ١٣٦٤، وبعد وفاة زوجته تزوج جوان الأولى Joan I، كونتيسة أوفرن وبولوني في ١٩ شباط ١٣٥٠، نعتته المصادر بأسماء منها: جون الطيب، ويوحنا الثاني، جان لو بون، جان دي فالوا، عانت فرنسا أثناء حكمه كارثتي انتشار وباء الطاعون والمجاعة وهزيمة معركة بواتيه عام ١٣٥٦، توفي في لندن في ٨ نيسان، للمزيد ينظر:

Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Jean II 1350 – 1364 Fils De Philippe VI, Éditions Pygmalion, Paris, 1980, p.41 – 45. (٣) أنظر ملحق رقم (٣) (Urbain Plancher, Histoire Générale Et Particulière De Bourgogne, Vol 2, Antoine Imprimeur, Dijon, 1739, p.324 – 326.

(٥)(٨٤٣-٨٧٠): تقع في وسط شرق فرنسا عاصمتها ديجون، نشأت من كيان إقليمي أوسع يُسمى بورغونديا، وأخذت "بورغندي" اسمها من البورغنديين، وهم شعب من السواحل الجنوبية لبحر البلطيق هاجروا في القرن الاول قبل الميلاد إلى وادي فيستولا السفلي قبل التوجه غرباً والاستقرار على نهر الراين، على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية. عندها تم دمج

تانكارفيل جان دي ميلون (Jean de Melun) (١٣٥١-١٣٨٢)، وتوسيع نطاق الدوقية بممتلكات شاسعة جداً متمثلة بضم دوقيات بيرى (Berry)^(٦)، وبوربون (Bourbon)، وأوفيرن (Auvergne) وبيجو (Beaujeu) ومقاطعات شامبانيا، بري (Brie)، وفوري (Forez)، ونيفير، وسينس Sens، وسان بيير لو موتيه (Saint-Pierre-le-Moutier)، وماكون (Mâcon) وليون (Lyonnais)، وهكذا أصبح الجزء الشرقي من مملكة فرنسا بأسره تحت سلطة كونت تانكارفيل^(٦)، الذي منحه جون الثاني في ٢٤ نيسان ١٣٦٢ منصب ملازم عام المملكة، وفوضه سلطات ملكية مطلقة في دوقية بيرى ومقاطعة نيفيرز ودوقيتى بوربون وأوفيرن، لأنها كانت مهددة بشكل خاص من خطر المرتزقة الكومبانين (companies)^(٧)، وبحكم رتبته العسكرية الرفيعة والدوقيات والمقاطعات التي منحت له ادى كونت تانكارفيل دوراً رئيساً في محاولة تهيئة مستلزمات القتال ضد أولئك المرتزقة^(٨).

واللافت أن كونت تانكارفيل برغم وفرة امكانياته فشل فشلاً ذريعاً في مهامه، على أثر ذلك عين الملك جون الثاني ابنه الأصغر دوق تورين فيليب الجريء في

البورغنديين في النظام الدفاعي للإمبراطورية الرومانية تحت عنوان الاتحاد، وأسسوا مملكة الراين وعاصمتها فورمز في بداية القرن الخامس الميلادي، غير أن التحولات الكبرى التي أعقبت انهيار الإمبراطورية الكارولنجية، ولا سيما معاهدة فردان صيف عام ٨٤٣، أسهمت في إعادة تشكيل الخريطة السياسية لأوروبا الغربية، لتظهر بحلول عام ٨٧٠ ملامح تأسيس بورغندي الفرنسية، للمزيد ينظر:

Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon 1363 – 1477, Librairie Académique, Perrin, 1999, p.11 – 12. (٤) أنظر ملحق رقم (٤).

(6) (I bid., p.34).

(٧) هم مجموعات مقاتلين مختلفي الجنسيات بقيادات مستقلة تم إعفاؤها من واجباتهم العسكرية بموجب معاهدة بريتيني وتم جذبهم إلى فرنسا على آمال النهب والحصول على الغنائم، للمزيد ينظر:

Richard Vaughan, Philip The Bold The Formation of The Burgundian State, Longmans, London, 1962, p.7.

(8) W. Kohlhammer, Op. Cit., p.30.

٢٧ حزيران ١٣٦٣ حاكماً لدوقية بورغندي والممتلكات الملكية التي ضمت إليها
بوصف

ممثلاً عن عاهل فرنسا^(٩)، ومنحه سلطة ملكية كاملة لإدارة شؤون تلك المناطق^(١٠)، فضلاً عن ذلك حصل فيليب على مجموعة من رتب النبالة وهي: دوق تورين، دوق بورغندي، وكونت شاروليه، وكونت نيفيرز، وكونت فلاندرز وأرتوا، وكونت ريثيل، وكونت بالاتين وفرنانش كومتيه وسواها من الألقاب^(١١).

كانت باكورة اعمال الدوق فيليب الجريء بعد مغادرة والده إلى باريس، عقد اجتماع لنوابه في ديجون في ٣ تموز ١٣٦٣، ومنح مساعدات كبيرة للحاميات العسكرية لتمكينها من التصدي للكومبانيين، ووضع فيليب الجريء جهازاً ادارياً فاعلاً لفرض سلطاته المركزية في عموم ممتلكاته لاسيما دوقية بورغندي، ومقاطعة شامبانيا وبري ومناطق سينس، وماكون، وسان بيير لو موتيه، ودوقية تورين^(١٢)، ولضمان هيمنة فيليب الجريء على المناطق المحاذية للإمبراطورية الرومانية المقدسة حصل الملك الفرنسي جون الثاني من صهره الإمبراطور الروماني شارل الرابع (Charles IV)، على حق توغل قوات فيليب الجريء في حدود الإمبراطورية الرومانية المقدسة عند الضرورة^(١٣).

(٩) من الاسباب الاخرى التي دفعت ملك فرنسا جون الثاني منح فيليب دوقية بورغندي كمكافأة هي الخدمات التي قدمها فيليب وهو بعمر صغير سواء في معركة بواتيه او أثناء الأسر، اما السبب الآخر هو لضمان أمن الدوقية من خلال وضع أمير على رأسها، للمزيد ينظر: Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.38 – 39.

(10) Ernest Petit, Ducs De Bourgogne De La Maison De Valois D'après Des Documents Inédits Philippe Le Hardi 1363 – 1380, Tome I, H. Champion, Paris, 1909, p.223 – 225.

(11) Stéphane Mund, Antoine de Bourgogne, prince français et duc de Brabant (1404 – 1415), Revue belge de philologie et d'histoire, Université Libre de Bruxelles, tome 76, number 2, 1998, p.319 – 321; Frantz Funck Brentano, The National History ..., p.489. (٥) أنظر ملحق رقم

(12) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.36 – 37.

(13) Ernest Petit, Ducs De Bourgogne ..., p.310.

بدا أن البورغنديين اطمأنوا إلى أميرهم الشاب، فزادت شعبيته، واعداد تنظيم الضرائب لإيجاد موارد كافية لإدارة ممتلكاته والانفاق على موظفيها العسكريين والمدنيين، وزاد في تموز ١٣٦٣ ضريبة "الفواج" (impôt un fouagé) المفروضة على جميع الدوقيات والمقاطعات التابعة له^(١٤)، لكنه وضع تسهيلات كبيرة لمساعدة اتباعه في بيع النبيذ مما أوجد رخاءاً نسبياً بينهم^(١٥)، وبعد مدة من تعيين فيليب نائباً عاماً للملك وممثلاً ملكياً لدوقية بورغندي، قرر جون الثاني إصدار مرسوم في ٦ أيلول ١٣٦٣ في مدينة جيرميني-سور-مارن الفرنسية (Germigny-sur-Marne) عهد بموجبه إلى ابنه فيليب الجريء رسمياً بلقب دوق بورغندي والوريث الشرعي لها، على غرار ما فعله ملك فرنسا روبرت الثاني الملقب بـ "التقي" (Robert II) (٩٩٦-١٠٣١)، مع ابنه روبرت الأول الملقب بـ "العجوز" (Robert I) (١٠٣٢-١٠٧٦) في عهد آل -كابيه، مع التأكيد على توريث دوقيته إلى نسله المباشرين دون تدخل مؤسسة العرش الفرنسي في ذلك، مما جعل فيليب الجريء نداً لعاهل فرنسا ونظيراً له، وأول دوقات آل فالوا-البورغنديين، مع تمتعه بسلطة غير محدودة^(١٥)، تشبه سلطة الملك تقريباً، فيما عدا تعهده أن يكون مخلصاً للملك^(١٦).

لا شك أن تلك الإجراءات الملكيةة دليلاً قاطعاً على "الحب الأبوي النقي" لفيليب الجريء الذي عرض نفسه طوعاً للموت لأجل والده في مناسبات متعددة، ووقف مع والده في ثاني أخطر معركة في حرب المائة عام (the hundred years' war) (1337-1453)^(١٧).

ظل ذلك الاجراء الملكي سرياً حتى أواخر تشرين الاول ١٣٦٣، ثم تم تسليم الوثيقة الملكية إلى مستشار بورغندي فيليبيرت بايار (Philibert Paillart)، الذي تلقى امراً من الملك جون الثاني في ٢٢ تشرين الاول من العام نفسه بالاحتفاظ بها

14) (Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.36 – 37.

15) (Patrick Marc De Winter, The Patronage of Philippe Le Hardi Duke of Burgundy 1364 – 1404, Doctoral Thesis, School of Arts And Sciences, New York University, 1976, p.65.

16) (Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 2, p.326.

17) (Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.36 – 37.

دون الإشارة إليها أو الإبلاغ عنها حتى يأتيه أمراً ملكياً بذلك، خوفاً من ردود أفعال ملك نافار شارل الثاني الملقب بـ السوء (Charles II) (١٣٤٣-١٣٨٧)^(١٨)، لكن الملك جون عاد إلى إنكلترا مطلع عام ١٣٦٤، ليكون رهينة نيابةً عن ابنه لويس أنجو الذي هرب من أسرته، وتوفي في لندن في ٨ نيسان ١٣٦٤، وبعدها بمدة قصيرة وتحديداً في ١٦ أيار ١٣٦٤، انتصر كونستابل فرنسا برتراند دو غويسكلين (Bertrand Du Guesclin) (١٣٧٠ - ١٣٨٠)^(١٩)، على ملك نافار في كوشيريل (Cocherel) مما سهل تسوية مسألة بورغندي^(٢٠).

تزامناً مع تلك التطورات اعتلى عرش فرنسا ابنه الأكبر شارل دوفين فرنسا المعروف بـ اسم شارل الخامس (Charles V) (١٣٦٤-١٣٨٠)، ثالث ملوك فرنسا

(١٨) (١٣٣٢-١٣٨٧): ولد في مدينة افرو في ١٠ تشرين الأول ابن الكونت فيليب افرو، وجوان الثانية ملكة نافار، ورث تاج نافار عام ١٣٤٩، والبرانس، وادعى أحقيته في بعض أجزاء نورماندي التي تنازل عنها التاج الفرنسي إلى والدته عام ١٣٢٨ مقابل تنازلها عن الادعاء في العرش الفرنسي وبعض أجزاء شمالي فرنسا كمقاطعة شمبانيا، بري، مورتن، فيكسن وكوتينتن، تزوج جوان فالوا ابنة جون الثاني ملك فرنسا، وأنجب منها سبعة أطفال، كان احد اللاعبين الأساسيين في الصراع الانكلو - فرنسي، أطلق عليه النافاريون لقب السوء لأنه في اليوم التالي لتتويجه شنق نواب بلده لأنهم تجرأوا على انتقاده لانتهاكه امتيازاتهم، توفي ١ كانون الثاني، للمزيد ينظر: حسنين عبد الكاظم عجة الشمري، الصراع الانكليزي - الفرنسي ومواقف القوى الأوروبية منه ١٣٣٧ - ١٣٧٧، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٢، ص ١٧٦؛ Edmond Meyer, Charles Iroi De Navarre, Comte D'évreux ; ٢٠١٢، ص ٢٥ - ٣٠ ; Et La Normandie Au Xiv Siècle Ernest Dumont, Paris, 1898, p.25 - 30 ; Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V Le Sage 1364 - 1380 Fils De Jean Ii Le Bon, Éditions Pygmalion, Paris, 1985, p.58 - 59.

(١٩) (١٣٢٠-١٣٨٠): وُلِدَ في موت برونز Motte-Broons قرب دينان Dinan، في بريتاني، وهو الابن الأول لبرتراند وجين دي مالمين Jeanne de Malmaines ، لقب بـ "نسر بريتاني"، لأنه احد اهم القادة العسكريين لملك فرنسا شارل الخامس أثناء حرب المائة عام، شارك في سلسلة معارك وصراعات كحرب الخلافة البريتونية، والحرب الأهلية القشتالية ومعارك مونت موران ١٣٥٤، كوشيريل ١٣٦٤، بونتفالين ١٣٧٠، وسواها، توفي في ١٣ تموز، للمزيد ينظر: Enoch Vine Stoddard, Bertrand Du Guesclin Constable of France His Life And Times, G. P. Putnam's Sons, New York , Weet Twenty-Third Street, 1897, p.99 - 107.

20(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.36 - 44.

من آل فالوا^(٢١)، وتوج في ريمس (Reims) في ١٧ أيار ١٣٦٤، وبعد سبعة أيام من تتويجه، اُضفى صفة رسمية على أوامر أبيه الراحل بشأن دوقية بورغندي، حينها تخلى فيليب الجريء عن لقب دوق تورين وحصل رسمياً على لقب دوق بورغندي^(٢٢).

أضفى شارل الخامس بعداً شرعياً وقانونياً جديداً لـ إرادة والده آنفة الذكر، فأصدر امراً ملكياً جديداً أكد بمنح الدوقية لأخيه فيليب الجريء من خلال وثائق رسمية حفظت في اللوفر في ٢ حزيران ١٣٦٤. تضمنت الوثائق الملكية النص الكامل لرسائل ملك فرنسا جون الثاني المؤرخة في ٦ أيلول ١٣٦٣، وتضمنت منح الملك الجديد الدوقية لأخيه فيليب الجريء وفقاً لنفس الشروط التي منحها سلفه، وكدليل على مودته، منح عاهل فرنسا الجديد شارل الخامس اخاه فيليب الجريء فندق بورغندي، وهو مقر الإقامة للدوق السابق الواقع على جبل سانت جنييف (Montagne-Sainte-Geneviève) على الضفة اليسرى لباريس^(٢٣).

لم يكتف الملك شارل الخامس بما تقدم بل عيّن فيليب الجريء ملازماً له في مدن وأبرشيات ليون ولانجر وأوتون وشالون وفوضه سلطات ذات طبيعة عسكرية ومالية، لكنه شرط على أخيه تهيئة المقاتلين الخاضعين له للدفاع عن المناطق الخاضعة له، وتنفيذ المهام التي توكلها مؤسسة العرش الفرنسي له، ومنحه حق جمع "المساعدات والإعانات" المخصصة لتمويل العمليات العسكرية، كما فوضه سلطة

(٢١) (١٣٣٨-١٣٨٠): الملقب بالحكيم ولد في قلعة فينسين في ٢١ كانون الثاني، تلقى تعليمه في البلاط مع عمه فيليب فالوا دوق أورليان، وإخوته لويس وجون وفيليب، وهو أول من حمل لقب دوفين في فرنسا، أصبح وصياً على فرنسا حين وقع والده في الأسر الإنكليزي في معركة بواتييه عام ١٣٥٦، فرفع الضرائب لتحرير والده، لكنه واجه معارضة النبلاء بقيادة شارل السيء ملك نافارا، ورفض البرجوازية الفرنسية، وانتفاضة الفلاحين المعروفة باسم جاكيري فتغلب عليها جميعها، وأصبح عام ١٣٦٤ ملكاً على فرنسا، فأسس أول جيش دائم، واعادة هبة فرنسا، توفي في ١٦ أيلول، للمزيد ينظر: Françoise Autrand, Charles V: Le Sagelibrarie Arthème Fayard, Paris, 1994, p.13 – 15 ; Marguerite Keane, Material Culture And Queenship in 14th Century France: The Testament of Blanche of Navarre 1331-1398, Brill, Leiden, Boston, 2016, p.17.

(22) (Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 2, p.249 – 250.

(23) (Ibid., p.249 – 250.

ممارسة جميع صلاحياته الملكية في ممتلكاته^(٢٤)، ولتوطيد مكانته في ممتلكاته وتمييز دوقيته وباقي ممتلكاته عن الممتلكات التابعة للعرش الفرنسي أنشأ الدوق فيليب رموز نبالة خاصة بدوقيته تمثلت بـ "بعلم بثلاثة زهور زنبق ذهبية في إشار إلى آل فالوا- البورغنديين مع إطار فضي، ومخطط بلون ذهبي وسماوي من ست قطع محاطة بحافة قرمزية وهو الشعار القديم لـ بورغندي"، ليثبت فيليب الجريء قدرته على موازنة أرث دوقات بورغندي السابقين مع شعار عائلته، ويظهر رغبته في منح خصوصية لسلسلة دوقات بورغندي التي غدا وريثاً لها^(٢٥).

قرر فيليب الجريء اظهار قدرته العسكرية وولائه لأخيه وعاهله شارل الخامس في أن واحد، فكثف حملاته ضد الكومبانين في حزيران ببوسي ونورماندي وشن حملة ضد كونت مونبيليار قرب باريس، ثم عاد إلى بورغندي في عام ١٣٦٤ واحتقل رسمياً بتتصيه دوقاً لبورغندي في كنيسة دير سانت - بيني (Saint-Bénigne) في ديجون بحضور أخيه لويس انجو، وأسقف أوتون، ورئيس دير سان بينيني والعديد من الأساقفة والنبلاء، وفي ختام الحفل أقسم فيليب على احترام امتيازات الدوقية بوصفه المسؤول الوحيد عنها^(٢٦).

المبحث الثاني

النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الجريء، وصفقة زواجه من ماركريت الثالثة ١٩ تشرين الأول ١٣٦٤ - ١٨ حزيران ١٣٦٩ أصبحت أرملة فيليب الاول دوق بورغندي الراحل ماركريت الثالثة (Margaret III)(١٣٥٧-١٤٠٥)^(٢٧)، ذات الإثني عشر ربيعاً مطمعا للنبلاء

24(Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 2, p.251 – 255.

25(Ottfried Neubecker et Roger Harmingues, Le Grand livre de l'héraldique, Bordas, Paris, 1976, p.99.

26(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.45 – 46.

(٢٧) (١٣٥٠ - ١٤٠٥): نعت المؤرخين ماركريت ببعض الاسماء منها ماركريت مالي،

ماركريت فلاندرز وماركريت دامبيير، ولدت في ١٣ نيسان، وهي وريثة لويس الثاني كونت الفلاندرز وماركريت برابانت، وآخر كونتيسة فلاندرز من آل دامبيير، وكونتيسة أرتوا، وأوفيرني وبولوني بين عامي ١٣٨٤ و ١٤٠٥، ودوقة بورغندي بعد زواجها الاول من دوق بورغندي فيليب

الأوربيين، لأنها الوريثة الوحيدة لابيها الكونت لويس الثاني (Louis II) (١٣٤٦-١٣٨٤)، عن ممتلكاته الواسعة المتمثلة بكونتيات الفلاندرز، افرانش، وأرتوا، ونيفيرز وريثيل (Rethel) (٢٨)، وكان أبرز خطابها إيرل كامبريدج إدموند لانجلي (Edmund Langley) (١٣٦٢-١٣٩٩)، ابن عاهل إنكلترا إدوارد الثالث (Edward III) (١٣٢٧ - ١٣٧٧) (٢٩)، الذي أرسل سفراءه إلى الدوق لويس الثاني لإقناعه باقتران الأيرل إدموند لانجلي من ابنته ماركريت (٣٠).

تشير المصادر إلى أن خلافاً حصل حول عائدة كونتيتي أرتوا وافرانش بين فيليب الجريء والكونتييسة ماركريت الأولى (Margaret I) (١٣٢٢-١٣٨٢)، عمة فيليب دي روفر ووالدة لويس الثاني، مما انتهى إلى خوض الدوق لويس الثاني قدماً في مفاوضاته مع الإنجليز عام ١٣٦٤ لاتمام زيجة الأميرة الصغيرة ماركريت من إيرل كامبريدج إدموند لانجلي (٣١)، مما أثار مخاوف مؤسسة العرش الفرنسي لأنه في حال اتمام تلك الزيجة سيتكلل التقارب الإنكلو - فلمنكي التقليدي بتحالف يجعل ميزان القوى

الأول المعروف بـ فيليب دي روفر ، وزوجها الثاني من دوق بورغندي فيليب الثاني، توفيت في ٢١ آذار، للمزيد ينظر: Thalia Brero, Les baptêmes princiers : le cérémonial dans les cours de Savoie et de Bourgogne (XVe-XVIe s.), Vol 36, Université de Lausanne, Section d'Histoire, Faculté des Lettres, Lausanne, 2005, p.468 ; W. Mark Ormrod, Op. Cit., p.417.

(28) Cathal J. Nolan, The Age of Wars of Religion 1000 – 1650, An Encyclopedia of Global Warfare And Civilization, Vol. I, Greenwood Press Westport, Connecticut, London, 2006, p.100.

(٢٩) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص ٥٣.

(30) Françoise Autrand, Op. Cit., p.17 – 18.

(31) Bart Lambert, The City, the Duke and their Banker The Rapondi Family and the Formation of the Burgundian State 1384 – 1430, Brepols Publishers N. V., Turnhout, Belgium, 2006, p.31.

القاري لصالح إنكلترا نهائياً^(٣٢)، ويؤدي إلى إنشاء فرع من العائلة المالكة الإنجليزية على حدود فرنسا الشمالية الشرقية ويتحكم في ممتلكات واسعة يستطيع استخدامها كقواعد لعمليات عسكرية ضد فرنسا، التي ستغدو حبيسة بين فكي كماشة يحاصرها من جنوبها الغربي الأمير الأسود ادوارد ابن ادوارد الثالث (Edward the Black Prince) (١٣٤٣-١٣٧٦)^(٣٣)، عبر ممتلكاته في اكييتاين وغاسكوني، ويضغط عليها اخيه ادموند ابن ادوارد الثالث من الفلاندرز وباقي ممتلكاته، وهكذا واجه شارل الخامس في بداية حكمه وضعاً حساساً وجرماً، لاسيما بعد ابرام اتفاق إنكلو - فلمنكي في ١٩ تشرين الأول ١٣٦٤ على اقتران الأميرة ماركريت بالاييرل ادموند^(٣٤)، مقابل تنازل والده ادوارد الثالث له عن ثغر كاليه (Calais) ومقاطعة بونثيو (Ponthieu) مع دفع مائة وخمسة وسبعون ألف فلورين مهراً لإبنة الدوق الفلمنكي لويس الثاني^(٣٥).

أدرك الملك الفرنسي شارل الخامس ضرورة التحرك لإفشال تلك الزيجة الخطيرة على بلاده، وسعى لربط كونتية فلاندرز بمملكته بوصفها كونتية ملكية، للإفادة من موقعها الاستراتيجي وثرواتها الكبيرة، وصناعة الأقمشة المزدهرة فيها، فعزم على طرح أخيه فيليب منافساً للاييرل ادموند^(٣٦)، لكنه اضطر لتأخير تنفيذ مخططه بسبب انشغاله مع اخيه فيليب بالضرب على أيدي بعض القلاع المتمردة عليه قرب شارتر (Chartres)، التي زحف فيليب الجريء نحوها أواخر عام ١٣٦٤، واستولى عليها

32(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.32.

(٣٣) (١٣٣٠ - ١٣٧٦): قائد عسكري متميز وُلد في ١٥ حزيران في قصر وودستوك في مقاطعة أوكسفوردشاير، هو الابن البكر لإدوارد الثالث ملك إنكلترا من زوجته فيليبيا أوف داينوا، حقق العديد من الانتصارات ضد فرنسا في حرب المائة عام، لقب بالأسود لارتدائه الدروع السوداء خلال معاركه، اما شكسبير فلهو رأي آخر حول اللقب مشيراً الى ان الأمير ارتدى درعاً أسود وهو في سن السابعة من عمره، توفي في ٨ حزيران اثر اصابته بمرض الزحار، للمزيد ينظر: The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts, Sciences, Literature And General, Vol. 7, The University Press, Cambridge, Eleventh Edition, 1910, p.999 – 1000.

34(Richard Vaughan, Valois Burgundy, London, 1975, p.5 – 6.

35(Françoise Autrand, Op. Cit., p.17 – 18.

36(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.32.

بعد حصارٍ قصير^(٣٧)، ثم هاجم فيليب الجريء المتمردين النافاريين وبعض المغامرين الإنجليز في لا شاريتيه سور لوار (La Charité-sur-Loire)، التي جعلوها قاعدة لحملات النهب في المناطق المجاورة، فنجح فيليب الجريء في استئصالهم، ثم حاصر نوجنت - سور - سين (Nogent-sur-Seine) ابرز معاقل الكومبانيين في شامبانيا، واستولى عليها، مما أبرز مدى قوته ومهارته^(٣٨).

توطدت مكانة فيليب الجريء لدى أخيه شارل الخامس الذي اعتقد أن الوقت غداً مناسباً للاستحواذ دبلوماسياً على ممتلكات كونت الفلاندرز لويس الثاني، فباشر جهوداً حثيثة منذ مطلع عام ١٣٦٥ لإقناع الكونت لويس الثاني بصفقة زواج فرنسية - فلمنكية بديلة عن طريق تزويج أخيه فيليب الجريء من الأميرة ماركريت الثالثة^(٣٩)، واقنع العاهل الفرنسي شارل الخامس البابا أوربان الخامس (Pope Urban V) (١٣٦٢ - ١٣٧٠)، الموالي لفرنسا، برفض اقتراح الأميرة ماركريت الثالثة من الأيرل الإنكليزي ادموند لانجلي بذريعة انها اقارب من الدرجة الرابعة، فأصدر البابا في ١٦ كانون الثاني ١٣٦٥ أمراً بعدم شرعية تلك الزيجة^(٤٠)، ومع أن عاهل إنكلترا ادوارد الثالث حاول اقناع البابا بالتراجع عن قراره، لكن البابا أوربان الخامس رفض ذلك، وأوعز في ٣٠ تشرين الأول ١٣٦٥ إلى رئيسي اساقفة كانتربري وريمس بإعلان الرفض البابوي في إنكلترا والفلاندرز، وإصدار قرارات اسقفية فيهما بضرورة الامتناع للقرار البابوي، وهكذا استفادت بابوية أفينيون من أدوات سلطتها الروحية في الفلاندرز وإنكلترا لتحقيق المصلحة السياسية لفرنسا^(٤١).

37(Siméon Luce, Chronique des quatre premiers Valois (1327-1393), J. Renouard, Paris, 1862, p.151.

38(Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.8.

39(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.32.

(40) J. J. N. Palmer, England, France, The Papacy And The Flemish Succession, 1361 – 1369, Journal of Medieval History, Amsterdam, Vol 2, Issue 4, December 1976, p.342 – 364.

41(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.57 – 59.

تشير المعطيات التاريخية إلى أن وفاق الأخوين شارل الخامس وفيليب الجريء وتنسيقهما المشترك بلغ ذروته في تلك الحقبة على كافة الصعد، فضايف فيليب الجريء نشاطه لخدمة مؤسسة العرش الفرنسي، ودعمه أخيه شارل الخامس بتوسيع صلاحياته مطلع عام ١٣٦٦ من ملازم ملكي على مقاطعة ليون الكنسية (Province ecclésiastique de Lyon) إلى ملازم ملكي لـ شامبانيا (Champagne) بأكملها^(٤٢)، ولزيادة نفوذه في مؤسسة العرش الفرنسي استهل فيليب الجريء عام ١٣٦٧ بتعيين رجاله الخاصين في خدمة الملك^(٤٣)، ومنهم هيوز أوبريوت (Hugues Aubriot) (١٣٥٩-١٣٨١)، الذي عينه شارل الخامس وكيلاً لـ باريس^(٤٤)، وسعى فيليب الجريء لكسب مستشاري الملك وأعضاء المجلس الملكي النافذين وضباطه من خلال منحهم هدايا أغلبها شحنات من النبيذ البورغندي الفاخر^(٤٥).

حصل تطور خطير في تلك الآلية حين حولها فيليب الجريء إلى رواتب دائمة لضباط الملك ومحامي برلمان باريس لشراء ذممهم وضمان ولائهم إليه على قدم المساواة مع عاهلهم شارل الخامس، بضمنهم بيرو دي لا ريفيير (Bureau de la Rivière)، اليد اليمنى للملك^(٤٦)، وهكذا تحول مناصري فيليب الجريء في البلاط الفرنسي إلى كارتل كبير، تلقى دعماً مالياً مستمراً فيما عرف بـ "الإقطاع المالي" أو "الإقطاع بالإيجار"، واللافت أن من تحدى فيليب الجريء خسر نفوذه وموارده المالية، مثلما حدث لـ بيرو دي لا ريفيير وجيهان لو ميرسييه (Jehan le Mercier)، اللذين

(42) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.58 – 59.

(43) Arsène Perier, Un prévôt de Paris sous Charles V, Hugues Aubriot, Jacquot et Floret, Dijon, 1908, p.57 – 59.

(44) De La Société Des Études Juive, Revue Des Études Juives, Publication Trimestrielle Biblioth De La Ville De Lyon, Paris, Tome Lviii, No. 115, 1909, p.297 – 298.

(45) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.12.

(46) Moranvillé Henri, Étude sur la vie de Jean Le Mercier (1300 – 1397)

In: Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres de l'Institut de France, Paris, 1888. p.37.

حاولا ايقاف نفوذ فيليب الجريء في البلاط الفرنسي، لكنهما فشلا واضطرا إلى مجارة فيليب الجريء وتنفيذ رغباته^(٤٧).

ادرك فيليب الجريء أنه لا يستطيع تطبيق أساليبه السابقة مع كبار القادة والنبلاء الفرنسيين، لذا حاول كسبهم بتوطيد علاقاته معهم، ومشاطرهم بعض الرياضات كالشطرنج والنرد، فأصبح مقرباً لهم، ومنهم القائدان برتراند دو غويسكلين، وأوليفيه دي كليسون (Olivier de Clisson) (١٣٨٠ - ١٣٩٢)، ولاشك أن تواصله مع رموز البلاط الملكي جعله ملماً بالجهاز الإداري لذلك البلاط، وأساليب كسب عناصره وموظفيه^(٤٨)، وهكذا لم يفوت فيليب الجريء أي فرصة لممارسة نفوذه وتوسيع شعبيته في الأوساط الحاكمة في فرنسا.

هنا لابد من توضيح نقطة بالغة الأهمية هي أن فيليب الجريء كان عازماً في عهد أخيه على دعم التاج الفرنسي وتعزيز سلطته، والاهتمام بتقوية دوقية بورغندي والممتلكات التابعة له، بما يجعلها عملياً مستقلة عن مؤسسة العرش الفرنسي، ولها سياسة داخلية وخارجية خاصة بها وخاضعة لمصالح الدوق فيليب فيها، بالشكل الذي جعل الدوق فيليب أميراً فرنسياً شبه مستقل في املاكه وقراراته، وللسبب ذاته اقام فيليب الجريء علاقات وثيقة مع قوى اوروبية مختلفة، منها جارتها الجنوبية كونتية سافوي التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بفرنسا جغرافياً ولغوياً، فضلاً عن وشائج المصاهرات مع نبلاء فرنسا^(٤٩)، فشارك كونتاتها في ٨ كانون الثاني ١٣٦٦ إلى جانب فرنسا في حرب المائة عام، وامتلكوا مساكن ومقار لهم في العاصمة باريس^(٥٠).

47(Moranvillé Henri, Op. Cit., p.35 – 38.

48(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.12 – 13.

49(Jean Cordey, Les comtes de Savoie et les rois de France pendant la guerre de cent ans 1329 – 1391, Librairie H. Champion, Paris, 1911, p.207 – 208.

50(P. Lecacheux & G. Mollat, Lettres Secrètes & Curiales Du Pape Urbain V 1362 – 1370 Se Rapportant A La France Extraites Des Registres D'avignon Et Du Vatican, Bocard, Paris, 1955, p.206.

في إطار تقربه من القوى المجاورة له رغب الدوق فيليب الجريء في مد أواصر التصاهر من خلال الاقتران بالأميرة ماركريت الثالثة، فاستعان بأخيه شارل الخامس للضغط على البابا أوربان الخامس لتسهيل تلك الزيجة، فاصدر البابا في ١٧ نيسان ١٣٦٧، إعفاءً سمح لـ فيليب الجريء بالزواج من أقاربه من الدرجة الثالثة أو الرابعة من الدم، مما سمح له بالزواج من ماركريت مع أن قرابته بها شابته قرابة إدموند^(٥١)، لكن كونت الفلاندرز لويس الثاني على الرغم من القرارات البابوية، كان راغباً في صفقة الزواج الإنكليزية، ورفضاً صفقة الزواج الفرنسية لإدراكه أن اقتران فيليب الجريء بابنته ماركريت سيهدد استقلال دوقيته، ويخضعها تماماً للتاج الفرنسي، حينها أصبحت قضية تزويج الأميرة ماركريت الثالثة معلقة، إلا أن والدته لويس الثاني ماركريت الأولى تدخلت لصالح الصفقة الفرنسية، وأخبرت ابنها أنها بوصفها أميرة ذات أصل ملكي فرنسي ترغب باقتران ابنته من فيليب الجريء، وللضغط عليه قالت له: "إذا لم تزوج ابنتك من فيليب الجريء سأقطع ثديي الذي غذاك صغيراً، لأنك ستكون سبباً في تدمير فرنسا"^(٥٢)، وهكذا أصبح الدوق فيليب قاب قوسين من تحقيق أهدافه في الفلاندرز.

تزامناً مع تلك التطورات الإيجابية بين دوقية بورغندي وجارتها الشمالية الفلاندرز حدثت تطورات سلبية مفاجئة بين دوقية بورغندي وجارتها الجنوبية سافوي، أدت تطورات عام ١٣٦٨ إلى اشتباكات حدودية بين رعايا بورغندي وسافوي، فبذل الدوق فيليب الجريء نشاطاً دبلوماسياً لافتاً أواخر عام ١٣٦٨ لحسم تلك الاشتباكات، ونجح في وئدها وإعادة علاقته مع سافوي إلى مسارها الطبيعي^(٥٣).

حقق الدوق فيليب في العام الذي تلاه انجازاً آخرًا تمثل بموافقة كونت الفلاندرز لويس الثاني على اقتران الدوق فيليب الجريء من ابنته ماركريت الثالثة، لكن مخاوفه من الفرنسيين دفعته للتشديد عليهم، وفرض طلبات مالية كبيرة عليهم، فطال أمد المفاوضات منذ أواخر عام ١٣٦٨ حتى ٢٥ نيسان ١٣٦٩، ثم انتهى بـ اتفاق قدم

(51) Ernest Petit, Ducs De Bourgogne ..., p.223 – 224.

(52) Joseph Calmette, Op. Cit., p.52.

(53) Jean Cordey, Op. Cit., p.208 – 209.

بموجبه شارل الخامس تنازلات كبيرة مقابل اتمام زيجة اخيه فيليب الجريء من الأميرة ماركریت^(٥٤)، أولها استعادة القلاع الفلاندرزية والونية الثلاثة (Flandres wallonne) ليل ودواي وأوركيز، التي تنازل عنها كونت الفلاندرز الأسبق روبرت بيثون (Robert of Béthune) (١١٣٠-١١٤٨)، لعاهل فرنسا فيليب الرابع (Philippe IV) (١٢٨٥ - ١٣١٤)، بموجب معاهدة بونتواز (Treaty of Pontoise)^(٥٥)، لكن التاج الفرنسي احتفظ بحقة في إعادة شراء القلاع في حالة وفاة فيليب الجريء دون وريث ذكر، وللتفاف على ذلك الأمر أبرم شارل الخامس اتفاقاً سرياً اقسم بموجبه اخيه فيليب الجريء على الكتاب المقدس بإعادة قلاع فلاندرز والونية إلى فرنسا عند وفاة الدوق لويس الثاني، لكن الأخير أثبت أنه اذكى من عاهل فرنسا شارل الخامس حين حصل في ٢٧ آذار ١٣٦٩ من ابنته وصهره على تعهد مكتوب بعدم فصل قلاع فلاندرز والونية عن الفلاندرز ابداً^(٥٦).

هكذا كان انتصار فرنسا باهظ الثمن، كما أن فيليب الجريء أثبت منذ البدء تفضيله مصالحه الخاصة على مصالح مؤسسة العرش الفرنسي، حين أكد لصهره لويس الثاني أنه سيقدم مصالح الفلاندرز على مصالح فرنسا، وانه حانث باليمين الذي اقسمه أمام أخيه^(٥٧).

لم تنته متاعب فيليب الجريء وأخيه شارل الخامس عند ذلك الحد، بل امتد للملف المالي أيضاً، فمع أن الملك الفرنسي شارل الخامس منح كونت الفلاندرز لويس الثاني مبلغاً كبيراً قدره مائتا ألف فرنك مقابل يد ماركریت^(٥٨)، لكنه ألزم أخيه فيليب

(54) Jean Rauzier, Finances et gestion d'une principauté. Le duché de Bourgogne de Philippe le Hardi 1364 – 1384, Comité pour l'histoire économique et financière, Paris, 1996, p.668.

(٥٥) ابرمت في ١١ تموز ١٣١٢ تنازلت بموجبها الفلاندرز عن ليواز الفلاندرز Lilloise Flanders لفرنسا، لكنها عادت في عام ١٣٦٩ إلى الفلاندرز من خلال زواج ماركریت مالي وفيليب الجريء، للمزيد ينظر:

(56) Bart Lambert, Op. Cit., p.32.

(57) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.30.

(58) Joseph Calmette, Op. Cit., p.53.

الجريء بدفع نصف المبلغ قبل الزواج، والنصف المتبقي بعد عامين^(٥٩)، فاقترض فيليب الجريء ذلك المال من كبار نبلاء فرنسا وقادتها وبعض افراد الحاشية الملكية^(٦٠)، وبمجرد انتهاء فيليب الجريء من الترتيبات المالية، اكمل احتفالات الزفاف في باريس في ٩ حزيران ١٣٦٩، وحصل على مباركة أخيه شارل الخامس في اليوم التالي، ثم سافر إلى غنت، فوصلها في ١٨ حزيران ١٣٦٩، وفي اليوم الذي تلاه أقام حفل الزفاف في كنيسة سان بافون (l'église de Saint – Bavon)^(٦١).

انبهر النبلاء الفلاندرزيون باستحضارات الزفاف التي جلبها فيليب الجريء من فرنسا، فقد رافقه طاقم ملكي ضخم ضم (موظفين، وموسيقين، ومبشرين، وخدم)، فضلاً عن خيول للمناسبات، وأطباق فضية، ومجوهرات، وباختصار يمكن القول أن فيليب الجريء جلب كل ما احتاجه للقيام باحتفال ملكي مهيب ومفعم بالحيوية لجذب أثرياء الفلاندرز ونبلائها^(٦٢).

اضفى فيليب الجريء لمساة كثيرة من المهارة والأبهة والفخامة في ترتيبات زفافه، حتى غدا الحفل الأول من سلسلة الاحتفالات المتألقة والمتقنة التي رافقت تاريخ فالوا - البورغنديين وعززت من هيبة دوقاتهم، فقد اغدق العطايا من نبيذ وصقور وأقمشة حريرية على النبلاء الفلمنكيين، والمستشارين وأعضاء المجالس وموظفي البلاط الدوقي وضباطه، وأقام مآدب فخمة للأمرء والنبلاء والفرسان الذين شاركوا في حفل الزفاف^(٦٣)، ولمواطني بروج، فأثبت عظمتة وسخائه لرعاياه المستقبليين^(٦٤)، واثار إعجابهم الشديد به^(٦٥)، وبعد بضعة أيام، دخل الزوجان إلى بروج^(٦٦)، ولأنه استدان الكثير بسبب نفقات زواجه اضطر إلى رهن بعض مجوهراته لدى اثنين من التجار^(٦٧)،

(59) Jean Rauzier , Op. Cit., p.668.

(60) Léon Mirot, La Colonie Lucquoise À Paris Du Xiiiie Au Xve Siècle, In: Bibliothèque De L'ecole Des Chartes, Paris, 1927, Vol. 88, p.76.

(61) Henri Beaune Et J, Op. Cit., p.72.

(62) W. Kohlhammer, Op. Cit., p.32.

(63) Bart Lambert, Op. Cit., p.34.

(64) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.6.

(65) Peter Arnade, Op. Cit., p.26 – 28.

(66) Bart Lambert, Op. Cit., p.34.

(67) Jean Rauzier, Op. Cit., p.613 – 614.

المرتبطين بالمصرفي فورتيجيرا فورتيجيرا (Fortigera Fortigera)، متعهداً بتسديد دينه البالغ سبعة عشر ألف فرنك لهم في أقرب فرصة^(٦٨).

رزق الدوق فيليب الجريء من زوجته بأطفال كثيرين توفي بعضهم، وعاش سبعة منهم، هم ثلاثة أولاد وأربعة بنات، أولهم ابنه البكر جون الأول (Jean I) الملقب بالجسور الذي لا يعرف الخوف (Fearless) (١٣٧١ – ١٤١٩)^(٦٩)، تلتها الأميرة ماركريت بورغندي (Margaret Burgundy) (١٤١٧ – ١٤٤١)^(٧٠)، أما ابنته الثانية فهي كاثرين بورغندي (Catherine of Burgundy) (١٣٩٣ – ١٤١١)^(٧١)،

(٦٨) مصرفي ولد في لوكا مطلع القرن الرابع عشر، أمضى شبابه في بروج، ادار مع ابن عمه بارثولوميو مستودعاً تجارياً، وكان من الموردين لفيليب الجريء، الذي كان دائناً له بمبالغ كبيرة ومجوهرات ذهبية، في عام ١٣٧٩، أثناء حرب غنت، أقرض المدينة ٣٠٠ بلون، للمزيد ينظر: James M. Murray, Bruges, Cradle of Capitalism, 1280 1390, Cambridge University Press, United Kingdom, 2005, p.235 – 238.

(٦٩) (١٣٧١ – ١٤١٩): ولد في ديجون في ٢٨ ايار، اقترن ب ماركريت بافاريا في ١٢ نيسان ١٣٨٥ التي رزق منها بابن واحد وسبع بنات، أصبح كونت نيفيرز عام ١٣٨٤، ثم كونت بالاتين، وخلف والديه في أراضيهم الرئيسية مثل الفلاندرز وأرتواز، وشاروليه، وبورغندي ١٤٠٤ – ١٤٠٥، قُتل ١٠ أيلول في حادثة جسر مونتيرو، للمزيد ينظر: Richard Vaughan, John The Fearless the Growth of Burgundian Power, Barnes & Noble, Inc, New York, 1873, p.2 – 3 ; Joni M. Hand, Op. Cit., p.21 – 22.

(٧٠) (١٣٧٤ – ١٤٤١): دوقة بافاريا وكونتيسة هينو، ولدت في مدينة شاتو دو مونتبيد في ١٦ تشرين الأول، تزوجت وليام الرابع المعروف بـ وليام الثاني في ١٢ نيسان ١٣٨٥ وأنجبت طفلة واحدة، هي جاكلين بافاريا، توفيت في لو كويسنوي في ٨ آذار، للمزيد ينظر: Margreet Brandsma, Riches and Power? Princely Widows in the Burgundian Period: The Case of Margaret of Burgundy 1374 – 1441, Vol. 5, Leiden University, 2018, p.39 – 122 ; Maur François Dantine, L'art de vérifier les dates des faits historiques, des chartes, des chroniques, et autres anciens monumens, depuis la naissance de Notre-Seigneur : par le moyen d'une table chronologique ... avec ceux calendriers perpétuels, le glossaire des dates, le catalogue des saints, le calendrier des Juifs, Paris, 1783, p.673.

(٧١) (١٣٧٨ – ١٤٢٥): دوقة بافاريا وكونتيسة هينو، ولدت في مونتبارد في نيسان، تزوجت من ليوبولد الرابع دوق النمسا في ١٥ آب ١٣٩٣، وحصلت على مقاطعة فيريتك مهراً لها، توفيت في ٢٦ كانون الثاني، للمزيد ينظر:

وتتابعت سلسلة الاناث في ابناء فيليب الجريء بولادة بون بورغندي (Bonne Burgundy)(٧٢).

رزق فيليب الجريء ثاني ابنائه الذكور(٧٣)، بولادة انطوان بورغندي (Anthony Brabant)(١٤١١-١٤١٥)(٧٤)، تلتها اخته ماري بورغندي (Marie de Bourgogne)(١٤١٦-١٤٢٨)(٧٥)، ثم اخاها فيليب بورغندي (Philippe de Bourgogne)(١٤٠٤-١٤١٥) الابن الأصغر والاخير لفيليب الجريء وماركيت الثالثة(٧٦).

Joseph Billioud, Les États De Bourgogne Aux Xit & Xv' Siècles, Academie Des Sciences, Arts Et Belles Lettres, Dijon, 1921, p.380. أنظر ملحق رقم (٦)

(٧٢) (١٣٧٩ – ١٣٩٨): ولدت في الفلاندرز، وتوفيت دون زواج في ١٠ أيلول، للمزيد ينظر: Maur François Dantine, Op. Cit., p.673.

(73) W. P. Blockmans & W. Prevenier, The Promised Lands The Low Countries under Burgundian rule, 1369 – 1530, University Pennsylvania Press, Philadelphia, 1999, p.30 – 31.

(٧٤) (١٣٨٤ – ١٤١٥): ولد في ١ آب في قصر ديجون، اقترن بـ جين سانت بول في ٢٥ نيسان ١٤٠٢ في مدينة أراس وأنجبت له طفلين، أصبح كونت ريثيل (١٤٠٢-١٤٠٦)، ثم دوق برابانت، ولوتير، ليمبورغ (١٤٠٦ – ١٤١٥)، ودوق لوكسمبورغ (١٤١١-١٤١٥)، وبذلك أصبح أول حكام برابانت من سلالة فالوا، قتله الانكليز في معركة اجنكورت بتاريخ ٢٥ تشرين الأول، للمزيد ينظر: Sergio Boffa, Warfare in Medieval Brabant, 1356 – 1406, The Boydell Press, Woodbridge, 2004, p.48 – 49 ; Sergio Boffa, Antoine de Bourgogne et le contingent brabançon à la batailled' Azincourt 1415, Revue belge de philologie et d'histoire, Université Libre de Bruxelles, tome 72, number 2, 1994, p.256.

(٧٥) (١٣٨٦ – ١٤٢٨): ولدت في ديجون، تزوجت أماديوس الثامن دوق سافوي في آيار ١٤٠١، وأنجبت له تسع اطفال واستمر الزواج لمدة ٣٦ عاماً حتى وفاتها في ٢ تشرين الأول، للمزيد ينظر: Joseph Billioud, Op. Cit., p.38 ; Maur François Dantine, Op. Cit., p.673.

(٧٦) (١٣٨٩ – ١٤١٥): ولد في تشرين الأول، تسلم منصب كونت نيفيرز وريثيل ١٤٠٤-١٤١٥، تزوج إيزابيل دي كوسي في ٩ نيسان ١٤٠٩، وأنجبت له طفلان، ثم تزوج بون أوف أرتوا عام ١٤١٣، قتل في معركة أجينكورت ٢٥ تشرين الأول على يد الانكليز مع اخية أنتوني، للمزيد ينظر: George Edward Cokayne, The Complete Peerage of

المبحث الثالث

تنامي النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الجريء
تموز ١٣٦٩ - نيسان ١٣٧٩

صمم عاهل فرنسا شارل الخامس على التصدي للخطر الإنكليزي على مملكته من خلال تقويتها، وإزالة آثار الكوارث التي آلمت بها في عهد سلفه الملك جون الثاني، وإعادة ترسيخ السلطة الملكية إزاء المتمردين عليها، لاسيما ملك نافار شارل السيء الطامع بالعرش، وتمثل التحدي الأخطر الذي واجهه الملك شارل الخامس بالحملة المدمرة لسرايا الكومبانيين، تزامناً مع ضم الإنكليز مناطق فرنسية مهمة، ففوض الملك شارل الخامس تنفيذ خطة انعاش مملكة فرنسا إلى بضعة أشخاص في مقدمتهم أخيه فيليب الجريء الذي ساهم بقوة في استعادة نظام ملكي فاعل في فرنسا، ودعم أخيه الملك في ملفي الحروب والدبلوماسية الفرنسية، مما راكم لديه خبرة كبيرة من التجارب المختلفة التي مر بها، ودرسها عن كثب، وأضاف إليه مهارة دبلوماسية بحكم دوره في دوقيته وممتلكاته ونشاطاته الأخرى في مملكة فرنسا برمتها^(٧٧).

هنا لابد من التنبيه إلى أن عاهل فرنسا شارل الخامس لم يشارك في المعارك شخصياً ولم يخض حرباً أبداً، لكنه أدار فعاليات قتالية طوال عهده، تاركاً قيادتها الميدانية إلى قادة اكفاء ليس آخرهم أخاه فيليب الجريء، الذي قاد حملات مدمرة ضد الكومبانيين والنافاريين (Navarrois) (أنصار ملك نافار شارل السيء)، وغزو بعض القلاع التي كان يسيطر عليها القادة والمغامرون الإنكليز، وأصبحت الحرب الإنكلو - فرنسية واسعة النطاق بعد مصادرة شارل الخامس لدوقية آكيتاين (Aquitaine)

England, Scotland, Ireland, Great Britain, and the United Kingdom, Vol. 6, London, 1926, p.228 - 230.

(77) Ernest Petit, Campagne de Philippe le Hardi 1372 Poitou Angoumois, Aunis Saintonge Anjou Bretagne fragments de documents inédits, Bibliothèque nationale de France, Paris, 1885, p.351 - 359.

رسمياً عام ١٣٦٩، ومنذ ذلك الحين بدأت عملية استرداد فرنسية منظمة لتلك المنطقة، وكان على رأس القيادات الفرنسية في تلك الفعاليات فيليب الجريء الذي قاد عمليات عسكرية بالغة الأهمية، لاسيما في مقاطعة بيكاردي الذي عينه الملك شارل الخامس نائبا ملكياً عليها في تموز ١٣٦٩^(٧٨).

لم يكتف عاهل فرنسا شارل الخامس بما سبق، بل وضع في مطلع تموز ١٣٦٩، خطة لمهاجمة سواحل إنكلترا ببضعة آلاف من المقاتلين الفرنسيين بقيادة أخيه فيليب الجريء على أن تتحمل الخزانة الملكية تكاليفها، وفي الشهر نفسه أرسل فيليب الجريء مبعوثاً إلى احد كهنة ديجون لمرافقته في تلك الحملة، بيد أن تلك الحملة وئدت في مهدها حين شن القائد الإنكليزي دوق لانكستر جون جاونت (John of Gaunt) (١٣٩٠-١٣٩٩)^(٧٩)، في ١ آب ١٣٦٩ هجوماً من كاليه على القلاع الفرنسية المحاذية لها، فاضطر شارل الخامس لإرسال أخيه فيليب الجريء مع قواته لصد الهجوم الإنكليزي، فزحف فيليب الجريء نحو كاليه ورابط في ٢٥ آب ١٣٦٩ على قمة جبل توميه (le mont de Toumehem)، قرب أردريس (Ardres)، على بعد فرسخ من معسكر دوق لانكستر جون جاونت المحصن^(٨٠).

(78) (Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.151-205).

(٧٩) (١٣٤٠-١٣٩٩): الابن الرابع لإدوارد الثالث ملك إنكلترا، ولد في دير القديس بافو في غنت في فلاندرز في ٦ آذار، أحد أغنى الرجال في عصره، تسنم العديد من المناصب منها إيرل ريتشموند ١٣٤٢ - ١٣٧٢، ثم إيرل ديربي ١٣٦١ - ١٣٩٩، ودوق لانكستر ١٣٦٢ - ١٣٩٩، ودوق أكييتاين ١٣٩٠ - ١٣٩٩، أطلق على نفسه لقب ملك قشتالة بعد زواجه كونستانس من قشتالة، توفي في ٣ شباط، للمزيد ينظر: Sydney Armitage Smith, John of Gaunt: King of Castile and Leon Duke of Aquitaine and Lancaster earl of Derby, Lincoln, and Leicester, Seneschal of England, Westminster, 1904, p.11 - 27.

(80) (Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.204 - 205 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V 1368 - 1377, Tome IV, Auguste Picard, Paris, 1928, p.209 - 213).

لم يهاجم فيليب الجريء الموقع الإنجليزي على الرغم من تفوقه العددي، وبدلاً من ذلك اختار الانغماس في مفاوضات عديمة الجدوى، وبعد فشلها تحدى جون جاونت في معركة ضارية بين جيشيهما، فوافق جون شريطة اختيار ساحة المعركة قبل أربعة أيام، ثم تم تعيين لجنة من ستة فرسان من كل جانب لتحديد مكانها، لكن الإنجليز أهملوا ذلك الاتفاق، فاضطر فيليب الجريء إلى المراقبة في موضعه حتى ١٢ أيلول ١٣٦٩، فنفذت مؤنه والأموال التي احتاجها لدفع رواتب مقاتليه، كما وردته أوامر من أخيه شارل الخامس بالانسحاب فوراً خشية التورط في معركة غير مأمونة العقب مع الإنجليز، مما اضطر فيليب الجريء للانسحاب فجأة تاركاً جون جاونت يواصل مسيرته المليئة بالدمار والنهب في نورماندي دون رادع^(٨١).

استغل الدوق فيليب الجريء ابتعاده مؤقتاً عن مجريات الحرب مع إنجلترا فتفرغ لحسم الخلافات بين رعاياه البورغنديين وكونتية سافوي، فأجرى مفاوضات مع كونت سافوي أماديوس السادس (Amadeus VI) (١٣٣٤-١٣٨٣)، المعروف بـ "الأخضر" في ١٣ تشرين الأول ١٣٦٩، انتهت إلى تسوية الخلافات بين الطرفين وتوطد علاقتهما الثنائية إلى حد كبير^(٨٢).

تدل الوقائع السابقة على أن فيليب الجريء قد اطمأن إلى وضع ممتلكاته، فقرر التفرغ إلى ملف صراع بلاده مع مملكة إنجلترا، فتعاون مع برتراند دو غويسكلين، في استعادة بواتو من الإنجليز أواخر ١٣٧٠، والثابت أن دور فيليب الجريء وشقيقه جون دوق بيري اقتصر في تلك الفعاليات على توفير القوات، مع أنهما قاداها شخصياً في كثير من الأحيان، لكن فيليب الجريء تلقى أموال طائلة مقابل فعالياته القتالية بلغت أربعة آلاف فرنك شهرياً، بخلاف الغنائم التي حصل عليها أثناء حملته ضد الإنجليز مطلع عام ١٣٧١^(٨٣).

81(Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.202 – 205 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.209 – 215.

82(Jean Cordey, Op. Cit., p.208 – 209.

83(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.421-425.

ولم يقتصر اهتمام فلييب الجريء على الأمور العسكرية، بل أفرد شطراً كبيراً من اهتمامه بالأمور السياسية التي اعتقد أنها ستمنحه ميزات كثيرة، وفي ذلك الصدد قرر فيليب الجريء مطلع عام ١٣٧١ زيارة البابا كريستوري الحادي عشر (Gregory XI) (١٣٧٠-١٣٧٨)، لتهنئته بانتخابه في المنصب، فسافر مع حاشيته واتباعه من مدينتي شالون إلى أفينيون في ستة قوارب عبر نهري ساون والرون من شالون إلى أفينيون، وكان معه صناديق الخبز والأسماك المجففة المختارة لتزيين موائد البابا والكرادلة والدوق نفسه، وأرسل ستة وثلاثون برميلاً من النبيذ بشكل منفصل إلى البلاط البابوي، وبعد اتمام زيارته ابقى وكيلاً له في البلاط البابوي في أفينيون لرعاية مصالحه وابقاء اتصاله مباشراً مع البابا وكرادلته وموظفيه، ودأب على ارسال النبيذ وبعض المواد الأخرى إلى البلاط البابوي مما أكسبه نفوذاً كبيراً في أفينيون^(٨٤).

تزامناً مع ما سبق استمر فيليب الجريء في تقديم خدماته العسكرية إلى عاهله واخيه الأكبر شارل الخامس، فشارك في الفعاليات القتالية الفرنسية في اكييتاين طوال عام ١٣٧٢ مقابل ستة الاف فرنك شهرياً، وتعاون مع بعض القادة الفرنسيين وفي مقدمتهم برتراند دي غويسكلين في حصار بعض القلاع الإنكليزية على تخوم اكييتاين مطلع عام ١٣٧٣، وبلغ نشاط فيليب الجريء ذروته حين نجح في الرابع الأول من عام ١٣٧٣ في ابعاد جيش جون جاونت عن باريس وضواحيها الجنوبية^(٨٥).

واللافت أن النشاطات العسكرية آنفة الذكر لـ فيليب الجريء لم تمنعه من اجراء اتصالات دبلوماسية مع كثير من القوى الأوروبية ما خلا البابوية، ولو أخذنا ايطاليا مثلاً نرى أن فيليب الجريء كان على اتصال وثيق مع جيان جالياتسو (Gian Galeazzo) (١٣٧٨-١٤٠٢)، نجل جالياتسو فيسكونتي (Galeazzo Visconti) (١٣٤٩-١٣٧٨)، الذي أصبح لاحقاً أول دوق لـ ميلانو بعد شراء اللقب من الامبراطور الروماني المقدس، وفي سياق تلك العلاقة أهدى جيان جالياتسو عام ١٣٧٥ لفيليب الجريء نمراً مع مدربه الخاص، وفي عام ١٣٧٦ أرسل جيان جالياتسو أربعة

(84) (Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.14.

(85) (Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.300-315 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.553 – 578.

عشر حصاناً إلى الدوق فيليب الجريء، ولاريب ان تلك الهدايا كانت مؤشراً على العلاقات المتميزة بين الرجلين، وانعكس ايجاباً على نفوذ فيليب الجريء في شمال إيطاليا^(٨٦).

استناداً لما سبق نرى أن الدوق فيليب الجريء اقام علاقات دبلوماسية متميزة مع أفينيون وشمال إيطاليا ودوقية سافوي، فضلاً عن اللورين التي حرص على كسب صداقة حكامها.

ركز فيليب الجريء نشاطاته الدبلوماسية في الأراضي المنخفضة التي خضعت لحقائق كثيرة منها أنها كانت مضماراً لصراع إنكلو - فرنسي، كما أن فيليب بحكم مصاهرته كونت الفلاندرز نجح في نشر نفوذه فيها، ومن ثم فإن فيليب الجريء كان حريصاً على تقوية نفوذ فرنسا، ونفوذ عائلته فيها، لذا أجرى مطلع عام ١٣٧٥ مفاوضات مطولة لتزويج ابنه أخيه شارل الخامس كاثرين الفرنسية (Catherine of France) مع وليام الرابع (William VI)، (١٤٠٤-١٤١٧)، آل - فيتلسباخ المعروف بـ وليام الثاني ابن ألبرت الأول، دوق بافاريا، وريث مقاطعات هولندا (Holland) وهينو (Hainault) (زيلاند المتحدة (Zeeland)، وأدى فيليب الجريء أيضاً دوراً مهماً في علاقات أخيه شارل الخامس مع والد زوجته لويس مالي، الذي قادته مشاعره الخاصة ومصالح رعاياه التجارية إلى سياسات لم تتناسب بأي حال مع مصلحة فرنسا^(٨٧).

في إطار تعاونه مع أخيه في ملفات فرنسا الدبلوماسية، رأس فيليب الجريء سفارة فرنسية للتفاوض على السلام بين إنكلترا وفرنسا، وعلى اثر ذلك تم الاتفاق في أواخر كانون الثاني ١٣٧٥، على عقد مؤتمر بين بعثة دبلوماسية إنكليزية برئاسة دوق لانكستر جون جاونت، ابن ادوارد الثالث، وبعثة فرنسا الدبلوماسية برئاسة فيليب الجريء، الذي منحه أخيه شارل الخامس مورداً شهرياً قدره خمسة آلاف فرنك لتغطية نفقات المؤتمر، وفي الشهر نفسه نقل فيليب الجريء كمية من النبيذ البورغندي الفاخر

86(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.14.

87(Margreet Brandsma, Op. Cit., Vol. 5, p.39 – 50.

إلى بروج، وفي آذار من العام ذاته ارسل ثلاثة عربات محملة بالمنسوجات والملابس من باريس إلى انجلترا، لخلق انطباع ودي لدى الإنجليز يسهم في تسهيل وقائع المحادثات الدبلوماسية للبلدين، واستمرت المفاوضات بشكل متقطع من أواخر آذار حتى ٢٧ حزيران، لكن عوضاً عن التوصل إلى سلام تم إبرام هدنة حتى ٣٠ حزيران ١٣٧٦، واختتمت الاجتماعات الإنكلو - فرنسية بمأدبة عشاء أقامها فيليب الجريء للدبلوماسيين والنبلاء الإنجليز^(٨٨).

شهد عام ١٣٧٦ تنامياً في النشاط السياسي للدوق فيليب الجريء على صعد مختلفة، منها لجوء الأمير البولندي لاديسلاس (Polish prince, Ladislas) (١٣٥٦-١٤٠١) إلى فيليب الجريء مطلع ذلك العام، وإقامته في كاتدرائية سانت بينيني (Cathedral of St. Benigne) في ديجون^(٨٩)، أما في الثلث الأول من ذلك العام فامتثل فيليب الجريء لأوامر أخيه شارل الخامس بثني البابا كريكوري الحادي عشر عن نقل المقر البابوي من أفينيون إلى روما، وسافر فيليب الجريء عبر نهر الرون نحو أفينيون لمقابلة البابا وإقناعه بالبقاء في أفينيون، لكن مساعيه ذهبت ادراج الرياح بسبب إصرار البابا على قراره ومغادرته أفينيون بعد مدة قصيرة^(٩٠).

كان الدوق فيليب الجريء على موعدٍ مع اخفاق آخرٍ أواخر ذلك العام حين أرسل قوات عسكرية بورغندية لمرافقة الأمير البولندي لاديسلاس إلى بلاده لتسبب عرشها بعد حدوث انتفاضة مؤيدة له فيها، لكن تلك الانتفاضة فشلت، واضطر الفرسان البورغنديون لافتداء أنفسهم بالأموال مقابل السماح لهم بالعودة إلى بلادهم، ولاشك أن توسيع فيليب الجريء نشاطاته على الساحة الأوروبية بتلك الطريقة، أشرت تصرفه بمعزل عن تبعيته للتاج الفرنسي، ونيته جعل بورغندي محوراً بدلاً عن فرنسا في تحريك الأحداث وإجراء الاتصالات الدبلوماسية في أوروبا، مع أنه ظاهرياً ابقى على صلته الوثيقة بمؤسسة العرش الفرنسي، وحرص على الاستمرار بدور الوسيط وصلة

(88) (Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.575 – 585.

(89) (Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.354 – 356.

(90) (Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.11.

الوصل بين تلك المؤسسة وبعض القوى الأوروبية ومنها إنجلترا التي كانت له خبرة في التعامل الدبلوماسي مع رجالها^(٩١).

وفي هذا الإطار اجتمع فيليب الجريء وأخوه لويس دوق أنجو مع وفد إنجليزي برئاسة جون جاونت في بروج في ٢٨ كانون الاول ١٣٧٦ وتبع ذلك سلسلة من المفاوضات التي انتهت بتمديد هدنة إنكلو - فرنسية حتى ١ نيسان ١٣٧٧، وفي ختام المفاوضات إقام فيليب الجريء ووالد زوجته كونت فلاندرز بطولة في غنت تكريماً لدوقات أنجو ولانكستر وبريتاني، ولاريب أن فشل الوفدين في الوصول إلى حل حاسم لخلافات بلديهما يعود إلى رفض الملك الفرنسي شارل الخامس تقديم تنازلات لإنجلترا، لأن فرنسا أصبحت في وضع عسكري أفضل من وضع إنجلترا، كما أن تمسك عاهل إنجلترا إدوارد الثالث بمطالبه في السيادة الكاملة على أكييتين لم يكن آخر أسباب فشل المملكتين في الوصول إلى تسوية نهائية لصراعهما^(٩٢).

امتد نفوذ فيليب الجريء في بعض انحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة مطلع عام ١٣٧٧، حتى غدا قادراً على التدخل عسكرياً في بعض سجالات نبلائها، فأرسل مساعدات عسكرية قدرها خمسون فارساً وعشرين رامياً بقيادة مارشال بورغندي غي الثاني دي بونتاييلر (Guy II de Pontailler) (١٣٩٢-١٣٦٤)، إلى دوق اللورين الذي كان في حالة حرب مع رئيس أساقفة ترير كونراد الثاني فون فالكنشتاين (Konrad II von Falkenstein) (1362- 1388)^(٩٣)، وبدا التفوق العسكري البورغندي أيضاً في تهيئة فيليب الجريء استحضارات عسكرية بورغندية لاسترجاع كاليه من الإنجليز، ثم زحف فيليب الجريء بقواته نحو كاليه فاستولى بين ٤ و ١١ أيلول ١٣٧٧ على بعض القلاع القريبة منها، لكنه فشل في إسقاط كاليه التي كانت الهدف الرئيس لحملة بسبب تدهور الأحوال الجوية وعدم تعاون الأسطول

91(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.354-356

92(Fritz Quicke, Les Pays-Bas à la veille de la période bourguignonne 1356 – 1384, Éditions universitaires, Brussels, 1947, p.263 – 280.

93(Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.49.

الفرنسي مع قواته، مما اضطره للانسحاب بقواته نحو دوقيته بعد أن لقن الإنجليز درساً قاسياً اضطرهم لتغيير تقييماتهم العسكرية لصراعمهم ضد فرنسا الذي أصبح في غير صالحهم تماماً^(٩٤).

حينها ادرك عاهل فرنسا ضرورة جعل أخيه الجريء في واجهة القوى الفرنسية المتصارعة مع الإنجليز، فعينه في مطلع عام ١٣٧٨ قائداً عاماً للقوات الفرنسية، ومنحه صلاحيات عسكرية واسعة في اصدار الأوامر وتسيير الجيوش، واستخدام القلاع الفرنسية ضد أعداء فرنسا، مما عزز مكانة فيليب الجريء ونفوذه في مملكة فرنسا^(٩٥).

واللافت أن ما تقدم لم يمنع الدوق فيليب الجريء من الاهتمام بشؤون دوقيته وأملكه الأخرى، وتحديداً في الملف العسكري الذي بدا الدوق فيليب الجريء أكثر اهتماماً به، مما دفعه إلى إبرام معاهدة تعاون عسكري أمدها عشرة سنوات في ١١ نيسان ١٣٧٩ مع كونت سافوي أماديوس السادس التي بموجبها وعد كل منهما الآخر بتقديم المساعدة العسكرية في حالة تورط أحدهما في حرب مع طرف ثالث، وتزامناً مع ذلك وطد الدوق فيليب الجريء علاقاته الدبلوماسية مع جارتة الشمالية اللورين^(٩٦). وهكذا مهدت تلك الأحداث الى ان بلغ الدوق فيليب الجريء ذروة قوته قبل وفاة شارل الخامس، ولم يبلغ الثامنة والثلاثين من عمره^(٩٧).

المبحث الثالث

تنامي النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الجريء
تموز ١٣٦٩ - نيسان ١٣٧٩

صمم عاهل فرنسا شارل الخامس على التصدي للخطر الإنكليزي على مملكته من خلال تقويتها، وإزالة آثار الكوارث التي آلمت بها في عهد سلفه الملك جون الثاني، وإعادة ترسيخ السلطة الملكية إزاء المتمردين عليها، لاسيما ملك نافار شارل السيء الطامع بالعرش، وتمثل التحدي الأخطر الذي واجهه الملك شارل الخامس بالحملات

(94) (Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.9 – 10.

(95) (Arsène Perier, Op. Cit., p.57-59.

(96) (Jean Cordey, Op. Cit., p.208 – 209.

(٩٧) توفي الملك شارل الخامس في أيلول ١٣٨٠، للمزيد ينظر:

Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, P.p.58-59.

الدمدرة لسرايا الكومبانين، تزامناً مع ضم الإنجليز مناطق فرنسية مهمة، ففوض الملك شارل الخامس تنفيذ خطة انعاش مملكة فرنسا إلى بضعة أشخاص في مقدمتهم أخيه فيليب الجريء الذي ساهم بقوة في استعادة نظام ملكي فاعل في فرنسا، ودعم أخيه الملك في ملفي الحروب والدبلوماسية الفرنسية، مما راكم لديه خبرة كبيرة من التجارب المختلفة التي مر بها، ودرسها عن كثب، وأضاف إليه مهارة دبلوماسية بحكم دوره في دوقيته وممتلكاته ونشاطاته الأخرى في مملكة فرنسا برمتها^(٩٨).

هنا لابد من التنبيه إلى أن عاهل فرنسا شارل الخامس لم يشارك في المعارك شخصياً ولم يخض حرباً أبداً، لكنه أدار فعاليات قتالية طوال عهده، تاركاً قيادتها الميدانية إلى قادة اكفاء ليس آخرهم أخاه فيليب الجريء، الذي قاد حملات مدمرة ضد الكومبانين والنافارين (Navarrois) (أنصار ملك نافار شارل السبع)، وغزو بعض القلاع التي كان يسيطر عليها القادة والمغامرون الإنجليز، وأصبحت الحرب الإنكلو - فرنسية واسعة النطاق بعد مصادرة شارل الخامس لدوقية آكيتين (Aquitaine) رسمياً عام ١٣٦٩، ومنذ ذلك الحين بدأت عملية استرداد فرنسية منظمة لتلك المنطقة، وكان على رأس القيادات الفرنسية في تلك الفعاليات فيليب الجريء الذي قاد عمليات عسكرية بالغة الأهمية، لاسيما في مقاطعة بيكاردي الذي عينه الملك شارل الخامس نائباً ملكياً عليها في تموز ١٣٦٩^(٩٩).

لم يكتف عاهل فرنسا شارل الخامس بما سبق، بل وضع في مطلع تموز ١٣٦٩، خطة لمهاجمة سواحل إنكلترا ببضعة آلاف من المقاتلين الفرنسيين بقيادة أخيه فيليب الجريء على أن تتحمل الخزانة الملكية تكاليفها، وفي الشهر نفسه أرسل فيليب الجريء مبعوثاً إلى احد كهنة ديجون لمرافقته في تلك الحملة، بيد أن تلك الحملة وئدت في مهدها حين شن القائد الإنكليزي دوق لانكستر جون جاونت (John of

98(Ernest Petit, Campagne de Philippe le Hardi 1372 Poitou Angoumois, Aunis Saintonge Anjou Bretagne fragments de documents inédits, Bibliothèque nationale de France, Paris, 1885, p.351 – 359.

99(Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.151-205.

(Gaunt) (١٣٩٠-١٣٩٩) (١٠٠)، في ١ آب ١٣٦٩ هجوماً من كاليه على القلاع الفرنسية المحاذية لها، فاضطر شارل الخامس لإرسال أخيه فيليب الجريء مع قواته لصد الهجوم الإنجليزي، فزحف فيليب الجريء نحو كاليه ورابط في ٢٥ آب ١٣٦٩ على قمة جبل توميه (le mont de Toumehem)، قرب أردريس (Ardres)، على بعد فرسخ من معسكر دوق لانكستر جون جاونت المحصن (١٠١).

لم يهاجم فيليب الجريء الموقع الإنجليزي على الرغم من تفوقه العددي، وبدلاً من ذلك اختار الانغماس في مفاوضات عديمة الجدوى، وبعد فشلها تحدى جون جاونت في معركة ضارية بين جيشيهما، فوافق جون شريطة اختيار ساحة المعركة قبل أربعة أيام، ثم تم تعيين لجنة من ستة فرسان من كل جانب لتحديد مكانها، لكن الإنجليز أهملوا ذلك الاتفاق، فاضطر فيليب الجريء إلى المراقبة في موضعه حتى ١٢ أيلول ١٣٦٩، فنفذت مؤنه والأموال التي احتاجها لدفع رواتب مقاتليه، كما وردته أوامر من أخيه شارل الخامس بالانسحاب فوراً خشية التورط في معركة غير مأمونة

(١٠٠) (١٣٤٠-١٣٩٩): الابن الرابع لإدوارد الثالث ملك إنجلترا، ولد في دير القديس بافو في غنت في فلاندرز في ٦ آذار، أحد أغنى الرجال في عصره، تسنم العديد من المناصب منها إيرل ريتشموند ١٣٤٢ - ١٣٧٢، ثم إيرل ديربي ١٣٦١ - ١٣٩٩، ودوق لانكستر ١٣٦٢ - ١٣٩٩، ودوق أكييتاين ١٣٩٠ - ١٣٩٩، أطلق على نفسه لقب ملك قشتالة بعد زواجه كونستانس من قشتالة، توفي في ٣ شباط، للمزيد ينظر: Sydney Armitage Smith, John of Gaunt, King of Castile and Leon Duke of Aquitaine and Lancaster earl of Derby, Lincoln, and Leicester, Seneschal of England, Westminster, 1904, p.11 -

(101) (Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.204 - 205 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V 1368 - 1377, Tome IV, Auguste Picard, Paris, 1928, p.209 - 213.

العوقب مع الإنجليز، مما اضطر فيليب الجريء للانسحاب فجأة تاركاً جون جاونت يواصل مسيرته المليئة بالدمار والنهب في نورماندي دون رادع^(١٠٢).

استغل الدوق فيليب الجريء ابتعاده مؤقتاً عن مجريات الحرب مع إنكلترا فتفرغ لحسم الخلافات بين رعاياه البورغنديين وكونتية سافوي، فأجرى مفاوضات مع كونت سافوي أماديوس السادس (Amadeus VI) (١٣٣٤-١٣٨٣)، المعروف بـ "الأخضر" في ١٣ تشرين الأول ١٣٦٩، انتهت إلى تسوية الخلافات بين الطرفين وتوطد علاقاتهما الثنائية إلى حدٍ كبير^(١٠٣).

تدل الوقائع السابقة على أن فيليب الجريء قد اطمأن إلى وضع ممتلكاته، فقرر التفرغ إلى ملف صراع بلاده مع مملكة إنكلترا، فتعاون مع برتراند دو غويسكلين، في استعادة بواتو من الإنجليز أواخر ١٣٧٠، والثابت أن دور فيليب الجريء وشقيقه جون دوق بيري اقتصر في تلك الفعاليات على توفير القوات، مع أنهما قاداها شخصياً في كثير من الأحيان، لكن فيليب الجريء تلقى أموال طائلة مقابل فعالياته القتالية بلغت أربعة آلاف فرنك شهرياً، بخلاف الغنائم التي حصل عليها أثناء حملته ضد الإنجليز مطلع عام ١٣٧١^(١٠٤).

ولم يقتصر اهتمام فيليب الجريء على الأمور العسكرية، بل أفرد شطراً كبيراً من اهتمامه بالأمور السياسية التي اعتقد أنها ستمنحه ميزات كثيرة، وفي ذلك الصدد قرر فيليب الجريء مطلع عام ١٣٧١ زيارة البابا كريكوري الحادي عشر (Gregory XI) (١٣٧٠-١٣٧٨)، لتهنئته بانتخابه في المنصب، فسافر مع حاشيته واتباعه من مدينتي شالون إلى أفينيون في ستة قوارب عبر نهري ساون والرون من شالون إلى أفينيون، وكان معه صناديق الخبز والأسماك المجففة المختارة لتزيين موائد البابا والكرادلة والدوق نفسه، وأُرسل ستة وثلاثون برميلاً من النبيذ بشكل منفصل إلى البلاط

)102(Siméon Luce, Chronique des quatre ..., p.202 – 205 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.209 – 215.

)103(Jean Cordey, Op. Cit., p.208 – 209.

)104(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.421-425.

البابوي، وبعد اتمام زيارته ابقى وكيلاً له في البلاط البابوي في افينيون لرعاية مصالحه وابقاء اتصاله مباشراً مع البابا وكرادلته وموظفيه، ودأب على ارسال النبيذ وبعض المواد الأخرى إلى البلاط البابوي مما أكسبه نفوذاً كبيراً في افينيون^(١٠٥).

تزامناً مع ما سبق استمر فيليب الجريء في تقديم خدماته العسكرية إلى عاهله واخيه الأكبر شارل الخامس، فشارك في الفعاليات القتالية الفرنسية في اكتوبرين طوال عام ١٣٧٢ مقابل ستة الاف فرنك شهرياً، وتعاون مع بعض القادة الفرنسيين وفي مقدمتهم برتراند دي غويسكلين في حصار بعض القلاع الإنكليزية على تخوم اكتوبرين مطلع عام ١٣٧٣، وبلغ نشاط فيليب الجريء ذروته حين نجح في الرابع الأول من عام ١٣٧٣ في ابعاد جيش جون جاونت عن باريس وضواحيها الجنوبية^(١٠٦).

واللافت أن النشاطات العسكرية آنفة الذكر لـ فيليب الجريء لم تمنعه من اجراء اتصالات دبلوماسية مع كثير من القوى الأوروبية ما خلا البابوية، ولو أخذنا ايطاليا مثلاً نرى أن فيليب الجريء كان على اتصال وثيق مع جيان جالياتسو (Gian Galeazzo Galeazzo Visconti) (١٣٧٨-١٤٠٢)، نجل جالياتسو فيسكونتي (Galeazzo Visconti) (١٣٤٩-١٣٧٨)، الذي أصبح لاحقاً أول دوق لـ ميلانو بعد شراء اللقب من الامبراطور الروماني المقدس، وفي سياق تلك العلاقة أهدى جيان جالياتسو عام ١٣٧٥ لفيليب الجريء نمراً مع مربيه الخاص، وفي عام ١٣٧٦ أرسل جيان جالياتسو أربعة عشر حصاناً إلى الدوق فيليب الجريء، ولاريب ان تلك الهدايا كانت مؤشراً على العلاقات المتميزة بين الرجلين، وانعكس ايجاباً على نفوذ فيليب الجريء في شمال ايطاليا^(١٠٧).

استناداً لما سبق نرى أن الدوق فيليب الجريء اقام علاقات دبلوماسية متميزة مع أفينيون وشمال إيطاليا ودوقية سافوي، فضلاً عن اللورين التي حرص على كسب صداقة حكامها.

)105(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.14.

)106(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.300-315 ; Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.553 – 578.

)107(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.14.

ركز فيليب الجريء نشاطاته الدبلوماسية في الاراضي المنخفضة التي خضعت لحقائق كثيرة منها أنها كانت مضماراً لصراع إنكلو - فرنسي، كما أن فيليب بحكم مصاهرته كونت الفلاندرز نجح في نشر نفوذه فيها، ومن ثم فإن فيليب الجريء كان حريصاً على تقوية نفوذ فرنسا، ونفوذ عائلته فيها، لذا اجري مطلع عام ١٣٧٥ مفاوضات مطولة لتزويج ابنه أخيه شارل الخامس كاثرين الفرنسية (Catherine of France) مع وليام الرابع (William VI)، (١٤٠٤-١٤١٧)، آل - فيتلسباخ المعروف بـ وليام الثاني ابن ألبرت الأول، دوق بافاريا، وريث مقاطعات هولندا (Holland) وهينو (Hainault) (Zeeland)، وأدى فيليب الجريء أيضاً دوراً مهماً في علاقات أخيه شارل الخامس مع والد زوجته لويس مالي، الذي قادته مشاعره الخاصة ومصالح رعاياه التجارية إلى سياسات لم تتناسب بأي حال مع مصلحة فرنسا^(١٠٨).

في اطار تعاونه مع أخيه في ملفات فرنسا الدبلوماسية، رأس فيليب الجريء سفارة فرنسية للتفاوض على السلام بين إنكلترا وفرنسا، وعلى اثر ذلك تم الاتفاق في أواخر كانون الثاني ١٣٧٥، على عقد مؤتمر بين بعثة دبلوماسية إنكليزية برئاسة دوق لانكستر جون جاونت، ابن ادوارد الثالث، وبعثة فرنسا الدبلوماسية برئاسة فيليب الجريء، الذي منحه أخيه شارل الخامس مورداً شهرياً قدره خمسة آلاف فرنك لتغطية نفقات المؤتمر، وفي الشهر نفسه نقل فيليب الجريء كمية من النبيذ البورغندي الفاخر إلى بروج، وفي آذار من العام ذاته ارسل ثلاثة عربات محملة بالمنسوجات والملابس من باريس إلى انكلترا، لخلق انطباع ودي لدى الإنكليز يسهم في تسهيل وقائع المحادثات الدبلوماسية للبلدين، واستمرت المفاوضات بشكل متقطع من أواخر آذار حتى ٢٧ حزيران، لكن عوضاً عن التوصل إلى سلام تم ابرام هدنة حتى ٣٠ حزيران

١٣٧٦، واختُتِمت الاجتماعات الإنكلو - فرنسية بمأدبة عشاء أقامها فيليب الجريء للدبلوماسيين والنبلاء الإنكليز^(١٠٩).

شهد عام ١٣٧٦ تنامياً في النشاط السياسي للدوق فيليب الجريء على صعد مختلفة، منها لجوء الأمير البولندي لاديسلاس (Polish prince, Ladislas) (١٣٥٦-١٤٠١) إلى فيليب الجريء مطلع ذلك العام، وإقامته في كاتدرائية سانت بينيني (Cathedral of St. Benigne) في ديجون^(١١٠)، أما في الثلث الأول من ذلك العام فامتلل فيليب الجريء لأوامر أخيه شارل الخامس بثني البابا كريكوري الحادي عشر عن نقل المقر البابوي من أفينيون إلى روما، وسافر فيليب الجريء عبر نهر الرون نحو أفينيون لمقابلة البابا وإقناعه بالبقاء في أفينيون، لكن مساعيه ذهبت ادراج الرياح بسبب اصرار البابا على قراره ومغادرته أفينيون بعد مدة قصيرة^(١١١).

كان الدوق فيليب الجريء على موعدٍ مع اخفاق آخرٍ وآخر ذلك العام حين أرسل قوات عسكرية بورغندي لمرافقة الأمير البولندي لاديسلاس إلى بلاده لتسزم عرشها بعد حدوث انتفاضة مؤيدة له فيها، لكن تلك الانتفاضة فشلت، واضطر الفرسان البورغنديون لافتداء أنفسهم بالأموال مقابل السماح لهم بالعودة إلى بلادهم، ولاشك أن توسيع فيليب الجريء نشاطاته على الساحة الأوروبية بتلك الطريقة، أشرت تصرفه بمعزل عن تبعيته للتاج الفرنسي، ونيته جعل بورغندي محوراً بدلاً عن فرنسا في تحريك الأحداث وإجراء الاتصالات الدبلوماسية في أوروبا، مع أنه ظاهرياً ابقى على صلته الوثيقة بمؤسسة العرش الفرنسي، وحرص على الاستمرار بدور الوسيط وصلة الوصل بين تلك المؤسسة وبعض القوى الأوروبية ومنها إنكلترا التي كانت له خبرة في التعامل الدبلوماسي مع رجالاتها^(١١٢).

109(Roland Delachenal, Histoire De Charles V ..., Tome IV, p.575 – 585.

110(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.354 – 356.

111(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.11.

112(Ernest Petit, Campagne de Philippe-le-Hardi ..., p.354-356

وفي هذا الإطار اجتمع فيليب الجريء وأخوه لويس دوق أنجو مع وفد إنجليزي برئاسة جون جاونت في بروج في ٢٨ كانون الاول ١٣٧٦ وتبع ذلك سلسلة من المفاوضات التي انتهت بتمديد هدنة إنكلو - فرنسية حتى ١ نيسان ١٣٧٧، وفي ختام المفاوضات إقام فيليب الجريء ووالد زوجته كونت فلاندرز بطولة في غنت تكريماً لدوقات أنجو ولانكستر وبريتاني، ولاريب أن فشل الوفدين في الوصول إلى حل حاسم لخلافات بلديهما يعود إلى رفض الملك الفرنسي شارل الخامس تقديم تنازلات لإنكلترا، لأن فرنسا أصبحت في وضع عسكري أفضل من وضع إنكلترا، كما أن تمسك عاهل إنكلترا إدوارد الثالث بمطالبه في السيادة الكاملة على أكييتاين لم يكن آخر أسباب فشل المملكتين في الوصول إلى تسوية نهائية لصراعهما^(١١٣).

امتد نفوذ فيليب الجريء في بعض انحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة مطلع عام ١٣٧٧، حتى غدا قادراً على التدخل عسكرياً في بعض سجاللات نبلائها، فأرسل مساعدات عسكرية قدرها خمسون فارساً وعشرين رامياً بقيادة مارشال بورغندي غي الثاني دي بونتاييلر (Guy II de Pontailler)^(١٣٩٢-١٣٦٤)، إلى دوق اللورين الذي كان في حالة حرب مع رئيس أساقفة ترير كونراد الثاني فون فالكنشتاين (Konrad II von Falkenstein)^(١٣٦٢-١٣٨٨)، وبدا التفوق العسكري البورغندي أيضاً في تهيئة فيليب الجريء استحضارات عسكرية بورغندية لاسترجاع كاليه من الإنكليز، ثم زحف فيليب الجريء بقواته نحو كاليه فاستولى بين ٤ و ١١ أيلول ١٣٧٧ على بعض القلاع القريبة منها، لكنه فشل في إسقاط كاليه التي كانت الهدف الرئيس لحملته بسبب تدهور الأحوال الجوية وعدم تعاون الأسطول الفرنسي مع قواته، مما اضطره للانسحاب بقواته نحو دوقيته بعد أن لقن الإنكليز درساً قاسياً اضطرهم لتغيير تقييماتهم العسكرية لصراعهم ضد فرنسا الذي أصبح في غير صالحهم تماماً^(١١٥).

(113) Fritz Quicke, Les Pays-Bas à la veille de la période bourguignonne 1356 – 1384, Éditions universitaires, Brussels, 1947, p.263 – 280.

(114) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.49.

(115) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.9 – 10.

حينها ادرك عاهل فرنسا ضرورة جعل أخيه الجريء في واجهة القوى الفرنسية المتصارعة مع الإنجليز، فعينه في مطلع عام ١٣٧٨ قائداً عاماً للقوات الفرنسية، ومنحه صلاحيات عسكرية واسعة في إصدار الأوامر وتسيير الجيوش، واستخدام القلاع الفرنسية ضد أعداء فرنسا، مما عزز مكانة فيليب الجريء ونفوذه في مملكة فرنسا^(١١٦).

واللافت أن ما تقدم لم يمنع الدوق فيليب الجريء من الاهتمام بشؤون دوقيته وأملكه الأخرى، وتحديداً في الملف العسكري الذي بدا الدوق فيليب الجريء أكثر اهتماماً به، مما دفعه إلى إبرام معاهدة تعاون عسكري أمدها عشرة سنوات في ١١ نيسان ١٣٧٩ مع كونت سافوي أماديوس السادس التي بموجبها وعد كل منهما الآخر بتقديم المساعدة العسكرية في حالة تورط أحدهما في حرب مع طرف ثالث، وتزامناً مع ذلك وطد الدوق فيليب الجريء علاقاته الدبلوماسية مع جارتها الشمالية اللورين^(١١٧). وهكذا مهدت تلك الأحداث إلى أن بلغ الدوق فيليب الجريء ذروة قوته قبل وفاة شارل الخامس، ولم يبلغ الثامنة والثلاثين من عمره^(١١٨).

المبحث الرابع

تمردات غنت، وواد الدوق فيليب الجريء لها ١٣٧٩ - ١٣٨٥
شهد عام ١٣٧٩ تمرداً لمواطني غنت وبروج وإيبرس ضد كونت الفلاندرز لويس الثاني^(١١٩)، وقد اختلف المؤرخون في تحديد الموعد الدقيق لتمرّد غنت، فذهب بعضهم إلى أنها حدثت في ٥ أيلول ١٣٧٩، فيما أكد آخرون أنها بدأت في ٦ أيلول ١٣٧٩، بجريمة قتل بعض نساكو غنت، وأغتيال مأمور غنت روجير فان

(116) Arsène Perier, Op. Cit., p.57-59.

(117) Jean Cordey, Op. Cit., p.208 – 209.

(118) توفي الملك شارل الخامس في أيلول ١٣٨٠، للمزيد ينظر:

Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, P.58-59.

(119) R. Demuyne, De Gentsche Oorlog 1379 – 1385, Oorzaken en karakter, delen 5, Handelingen der Maatschappij Voor Geschiedenis en Oudheidkunde, Gent, 1951, p.305.

أوتريف(Rogier van Outrive)(^{١٢٠})، لأسباب ابرزها اعلان المأمور نيته تنفيذ أوامر الكونت لويس الثاني بحفر قناة تربط بروج بنهر ليس (Lys) جنوب غنت(^{١٢١})، ولتدخله في مسألة اختصاصات نقابة النساجين وصلاحياتها، وفرضه ضرائب جائرة على النساجين، وحرمانهم من أي رأي في سياسة مدينة غنت، ومنعهم من الظهور في شوارع غنت في مجموعات، والاهم من كل ذلك الاعتقالات العشوائية لمواطني غنت التي كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فلم يكتفوا باغتيال مأمورهم روجير فان أوتريف، بل دمروا واحرقوا قلعة الكونت الجديدة في ونديلجيم (Wondelgem) في ريف غنت، ولخوفهم من رد فعل كونتهم سعى أهل غنت للحصول على دعم لقضيتهم من المدن الأخرى، لكن بروج التي هيمن عليها نبلاء المدينة، وقفت إلى جانب كونت الفلاندرز واستسلمت إيبرس (Ypres) لمحاولات الكونت في حكمها بمركزية شديدة(^{١٢٢}).

تلقت قيادة غنت الدعم من الطبقات الدنيا من سكان مدينتهم فقط، لكن تمردهم سرعان ما اتسع إلى حرب شاملة عُرِفَت بالتمرد الفلمنكي أو حرب الفلاندرز، وبلغت تلك الحرب ذروتها(^{١٢٣})، بعد أن حاصر متمردو غنت أواخر تشرين الأول ١٣٧٩ مدينة أوديناردي البلجيكية Oudenaarde التابعة للكونت لويس الثاني والواقعة على نهر

شيلدت Schelde، جنوب غنت، ثم توجه جيش المتمردين إلى مدينة دندرموند

120(Andrée Holsters, Moord En Politiek Tijdens De Gentse Opstand 1379 – 1385, Handelingen Der Maatschappij Voor Geschiedenis En Oudheidkunde, Gent, 1983, p.92.

121(David Nicholas, The Scheldt Trade and The Ghent War of 1379 – 1385 Belgique, Tome 144, Bulletin De La Commission Royale D'histoire, Académie Royale De, 1978, p.194.

122(R. Demuyne, Op. Cit., p.305 – 311 ; Andrée Holsters, Op. Cit., p.93.

123(Bert S. Hall , Weapons and Warfare in Renaissance Europe, The Johns Hopkins University Press, London, 1997, p.49.

البلجيكية Dendermonde التي اقام فيها الكونت الفلمنكي لويس الثاني، وفرض المتمرّدون حصاراً محكماً عليها منذ ١٠ تشرين الثاني ١٣٧٩ (١٢٤).

أصبح الدوق فيليب الجريء في موقف بالغ الدقة، بوصفه الوريث المستقبلي لصهره الكونت لويس الثاني، وقد حاول الدوق فيليب الجريء التوسط بين متمرّدي غنت والكونت لويس الثاني (١٢٥)، فاتجه إلى مدينة تورناي (Tournai) في ١٢ تشرين الثاني من العام نفسه بناءً على طلب كونتييسة أرتوا ماركريت الفرنسية. وبعد ثلاثة أيام رعى فيليب الجريء محادثات مباشرة بين جيش غنت المتمرّد من جهة وكونتييسة أرتوا وكونت الفلاندرز لويس الثاني من جهة أخرى، وبعد اسبوعين من تلك المحادثات تم التوصل إلى اتفاق سلام في ٣٠ تشرين الثاني - ١ كانون الاول ١٣٧٩، تضمن بنوداً أهمها: إلزام الكونت لويس الثاني بعزل أحد كبار مستشاريه من منصبه، وتشكيل لجنة من المدن الثلاث الكبرى مكونة من خمسة وعشرين عضواً تسعة من غنت، وثمانية من بروج، وثمانية من إيبيرس، لمراقبة التزام الكونت بالامتيازات التقليدية للمدن الثلاث، وبذلك انتهى التمرد واستتب السلام بفضل وساطة الدوق فيليب الجريء (١٢٦).

انتهت التطورات آنفة الذكر إلى تنامي شعبية فيليب الجريء بين رعاياه المستقبليين الذين لمسوا منه تعاطفاً مع قضاياهم، وتوظيف نفوذه لخدمتهم، بيد أن ذلك الأمر وتنامي نفوذ مواطني الفلاندرز وتجارهم على حساب كونت الفلاندرز ونبلائها دفع الكونت لويس الثاني إلى التأمّر على مواطني مدينة غنت تحديداً، فاستمال معظم نبلاء الفلاندرز وفرسانها إلى جانبه منذ ايار ١٣٨٠ (١٢٧)، وعبأ بعض القوات لسحق مواطني غنت، ثم باشر حصار مدينتهم منذ أيلول ١٣٨٠، لكنه فشل في

124(Le Baron Kervyn De Lettenhove, Oeuvres De Froissart 1377 – 1382, Tome 9, Biblio Verlag Osnabrück, 1967, p.204 – 206.

125(Andrée Holsters, Op. Cit., p.92.

126(Le Baron Kervyn De Lettenhove, Op. Cit., Tome 9, p.204 – 206.

127(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.35.

احتلالها لسعة مساحتها وقوة مقاتليها، مما أجبر الكونت لويس الثاني على التفاوض مع أهالي غنت لوقف الفعاليات القتالية في تشرين الثاني ١٣٨٠ (١٢٨).

تكشف الأحداث السابقة أن ما تقدم اجبر الدوق فيليب الجريء على التعاطف مع صهره، لأن ما حدث مع غنت جعلها مستقلة عملياً عن كونتها، وهو أمر سيشكل مشكلة خطيره له في حال تسنمه حكم الفلاندرز الذي بدا وشيكاً، لذا انحاز الدوق فيليب الجريء إلى صهره (١٢٩)، بعد اندلاع الاضطرابات في غنت مجدداً في آذار ١٣٨١، فعباً الدوق فيليب الجريء جيشاً لإرساله إلى الفلاندرز، وحصل من سكان بورغندي على اموال طائلة قدرها ستون ألف فرنك لتموين قواته وتسليحها، حينها أرسل فيليب الجريء جيشه إلى بروج في ٢٣ تموز ١٣٨١ لمساعدة الكونت لويس، ثم اتجه جيش الدوق فيليب الجريء إلى غنت لكنه فشل في اخضاعها، حينها قرر الكونت لويس قطع الإمدادات الغذائية الواردة إلى غنت عبر نهري لي (Leie) وشيلدت، تزامناً مع محاولات وساطة بذلها الدوق فيليب الجريء وزوجته ماركريت في آب ١٣٨١ (١٣٠). هنا من المناسب القول أن النشاطات العسكرية والدبلوماسية آفة الذكر فشلت في كسر ارادة متمردي غنت، الذين اعلنوا في كانون الثاني ١٣٨٢ رفضهم أية تسوية مع الكونت لويس الثاني، وأكدوا استعدادهم للتعاون مع حليفهم التقليدية إنكلترا ضد كونتهم (١٣١)، وتزامناً مع ذلك سير متمرّدوا غنت قوات تمكنت من اختراق القوات المحاصرة لهم، ووصلت في ربيع ١٣٨٢ إلى مدينة برابان (Brabant)، وبعد أن حصلت القوات الغنتية منها ومن مدينة ليج (Lüttich) على شحنات كبيرة من الحبوب، عادت إلى ديارها دون عوائق، وهكذا أصبح واضحاً أن غنت عصية على الكونت لويس الثاني وصهره فيليب الجريء، ولذا قرر طرفا النزاع إجراء مفاوضات جديدة مع متمردي غنت في نيسان ١٣٨٢، وبعد فشلها طلب نبلاء الفلاندرز دعم

128(David Nicholas, Op. Cit., p.195.

129(Andrée Holsters, Op. Cit., p.92.

130(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.35 – 36.

131(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.69.

الملك الفرنسي شارل السادس (Charles VI) (١٣٨٠-١٤٢٢)^(١٣٢)، فيما لجأ المتمرّدون إلى نظيره الإنكليزي^(١٣٣).

كان بديهياً أن يتجاوب عاهل فرنسا الصغير مع مطالب النبلاء الفلاندرزيين، لأنّه بحكم صغر سنه^(١٣٤)، كان تحت وصاية عمه فيليب الجريء، الذي أدار سياستي فرنسا الداخلية والخارجية منذ وفاة أخيه شارل الخامس، لذا أعلنت مؤسسة العرش الفرنسي الخاضعة لنفوذ فيليب الجريء نيتها في سحق متمردي غنت^(١٣٥)، لكن المتمردين أثبتوا مجدداً قدرتهم على حماية أنفسهم، فعبأوا جيشاً قاده فيليب فان أرتيفيلد (Philip Van Artevelde) (١٣٨١-١٣٨٢)، وحققوا نصراً كبيراً على جيش الكونت لويس الثاني في معركة بيفيرهوتسفيلد (Battle of Beverhoutsveld)^(١٣٦)، الضارية في الثالث من أيار ١٣٨٢، التي أسفرت عن تدمير ذلك الجيش، وفرار كبار قادته، وفي مقدمتهم الكونت لويس الثاني، لتسقط بروج بأكملها بيد متمردي غنت^(١٣٧). اقحمت التطورات العسكرية السابقة الدوق فيليب الجريء في معادلة عسكرية خطيرة، هددت طموحاته في خلافة صهره في الفلاندرز وما جاورها من المدن

(١٣٢) (١٣٦٨-١٤٢٢): الابن البكر لشارل الخامس من آل فالوا وجوانا من بوربون وُلد في ٣ كانون الأول في المقر الملكي بفندق سان بول في باريس، وورث العرش الفرنسي وهو بعمر الثانية عشر حتى وفاته عام ١٤٢٢، وعُرف بكنيتين، شارل المحبوب والمجنون، لأنّه عانى من نوبات دورية واضطرابات عقلية أدت إلى الجنون، للمزيد ينظر: Georges Bordonove, *Les Rois Qui Ont Fait La France Charles VI Le Roi Fol Et Bien-Aimé 1380 – 1422*, Éditions Pygmalion, Paris, 2006, p.5.

133(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.35 – 36.

134(Françoise Autrand, Op. Cit., p.12 – 19.

135(Frantz Funck Brentano, *The National History ...*, p.489.

(١٣٦) حدثت في ٣ أيار ١٣٨٢، في حقل بين مدن بيرنيم وأوستكامب وأسيبروك بين أهل غنت بقيادة فيليب فان أرتيفيلد وكونت الفلاندرز لويس مالي، وهي من أولى المعارك التي لعبت فيها الأسلحة النارية دوراً مهماً، للمزيد ينظر: Bert S. Hall , Op.

Cit., p.51

137(Robert Douglas Smith & Kelly Devries, *The Artillery of the Dukes of Burgundy, 1363 – 1477*, Boydell Press, England, 2005, p.15 ; Françoise Autrand, Op. Cit., p.122 – 123 .

الفلمنكية، لذا قرر الدوق فيليب توظيف طاقات بورغندي وفرنسا بأكملها لضرب متمردي غنت، فعباً جيشاً ضم ملك فرنسا شخصياً، وتوجه مع ابن أخيه الملك إلى الفلاندرز التي وصلها في ٣ تشرين الثاني ١٣٨٢^(١٣٨)، مما أدى إلى استسلام إيبرس (Ypres) دون قتال في ٢١ تشرين الثاني ١٣٨٢، ثم توجهوا نحو بروج واقتحموها بسهولة^(١٣٩).

هنا لا بد من التنويه إلى أن متمردي غنت استشعروا الخطر العسكري الفرنسي، فقررروا التصدي له بقوة، وخاض الجيشان في ٢٧ تشرين الثاني ١٣٨٢ معركة ويست روزبيك (West-Rozebeke)^(١٤٠)، على بعد عشرة كم^٢ شمال شرق إيبرس، التي انتهت بانتصار حاسم لدوق بورغندي فيليب الجريء وحلفاؤه على متمردي غنت الذين خسروا جزءاً كبيراً من قواتهم، بضمنها قائدهم فيليب فان أرتيفيلد، لكن سكان غنت ثبتوا على مواقفهم، فقرر الدوق فيليب الجريء اضعافهم دبلوماسياً من خلال كسب مواطني المدن المجاورة لهم، فأجرى محادثات في كورتراي (Courtrai) في النصف الأول من كانون الأول ١٣٨٢ انتهت إلى اقرار مدن الفلاندرز عدا غنت بتبعيةها لكونت الفلاندرز لويس الثاني، والاعتراف بسيادة ملك فرنسا الإقطاعي عليهم، والاعتراف بكليمنت السابع (Clement VII) (١٥١٣ – ١٥٣٤)، بابا شرعي عليهم، وفي الختام غادر فيليب الجريء وابن أخيه عاهل فرنسا ذا الاربعة عشر ربيعاً كورتراي في ١٨ كانون الأول ١٣٨٢^(١٤١).

أزاء تلك التطورات قرر الإنجليز التدخل في الفلاندرز لأسباب ليس آخرها دعم متمردي غنت الذين اصبحوا في أسوء حالاتهم، ولأن حصار غنت طوال عام ١٣٨٢

138(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.36.

139(George M. Wrong, The Crusade of Mccclxxxiiil, Known As That of The Bishop of Norwich, J. Parker, London, 1892, p.66

(١٤٠) حدثت في ٢٧ تشرين الثاني ١٣٨٢ بين خمسين ألف مقاتل فلمنكي والجيش الملكي الفرنسي، نتيجة محاولات المدن الفلمنكية الاستقلال، وانتهت بهزيمة الفلمنكيين، وقُتل فيليب فان أرتيفيلد و٩ آلاف من مدينة غنت وتوابعها، للمزيد ينظر: Bert S. Hall,

Op. Cit, p.53.

141(Richard Allington Smith, Henry Despenser The Fighting Bishop Larka Press, Dereham, 2003, p.56.

أعاق تصدير الصوف الإنجليزي إليها بشكل كبير، وتسبب في أضرار جسيمة للاقتصاد الإنجليزي، وهدد بتغيير ولاء اهالي غنت للبابا المدعوم فرنسياً، ونتيجة لما سبق انعقد البرلمان الإنجليزي من ٢٣ شباط - ١٠ آذار ١٣٨٣^(١٤٢)، وقرر اعلان حملة صليبية ضد الفلاندرز بذريعة كسب مواطنيها إلى بابوية أوربان السادس (Urban VI) (١٣٧٨-١٣٨٩)، الذي كان في روما، وانهاء التبعية المفروضة عليهم للبابا المنشق كليمنت السابع في أفينيون، المدعوم فرنسياً لاسيما من فيليب الجريء ونبلاء الفلاندرز، وأوعز رئيس أساقفة كانتربري، بأن يكون الإنزال الإنجليزي في الفلاندرز مصحوباً بخطب ومواعظ دينية^(١٤٣)، وأكد ضرورة شراء صكوك الغفران لتمويل الحملة الصليبية^(١٤٤).

تحشد الصليبيون الإنجليز في ساندويتش (Sandwich) في ٢٧ نيسان ١٣٨٣^(١٤٥)، وفي ١٧ أيار ١٣٨٣ تسلم أسقف نورويتش الإنجليزي هنري ديسبنسر (Henry Despenser) (١٣٧٠-١٤٠٦)، قيادة تلك الحملة التي عرفت بأسمه^(١٤٦)، وتمتعت بشعبية كبيرة بين مسحوقي الإنجليز وبسطائهم^(١٤٧)، وفي ٢٠ أيار ١٣٨٣ عبر ثلاثة آلاف مقاتل إلى كاليه، ثم توجهوا نحو الفلاندرز فحدثت معركة دونكيرك (Battle of Dunkirk) في ٢٥ أيار ١٣٨٣ التي انتهت بانتصارهم على القوات الفرنسية - الفلمنكية، وتمكنهم من احتلال مدن فلاندرزية كثيرة هي: بوربورج (Bourbourg)، بوبرنج (Poperinghe)، كاسكل (Cassel)، جرافلين (Gravelines)، نيوبورت (Nieuport)، فورنس (Furnes)، بكركس (Bergues)، وفي مطلع حزيران من العام نفسه سقطت دنكيرك (Dunkirk)، وأصبح ساحل القناة

142(Jean Favier, La guerre de Cent Ans, Fayard, Paris, 1980, p.395 – 396.

143(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.37 ; Fritz Quicke, Les Pays-Bas ..., p.345.

144(Françoise Autrand, Op. Cit., p.146.

145(Christopher Tyerman, England and The Crusades 1095 – 1588, University of Chicago Press, London, 1988, p.262.

146(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.37.

147(Christopher Tyerman, Op. Cit., p.336.

بأكمله من كاليه إلى بلانكنبرج (Blankenburg) في أيدي الإنجليز، فابتهج متمرّدوا غنت بتلك الانتصارات، وأرسلوا قوة عسكرية لمساعدة الإنجليز في حصار إيبيرس ٨ حزيران ١٣٨٣، الذي انتهى إلى فشل ذريع^(١٤٨).

شهد الصراع تطوراً نوعياً، حين استتجد كونت الفلاندرز لويس الثاني بصهره الدوق فيليب الجريء، فاستخدم الأخير نفوذه لدى الملك الفرنسي والمجلس الملكي لدعم الكونت لويس الثاني عسكرياً، فزحف الفرنسيون مطلع تموز ١٣٨٣ إلى الفلاندرز، واحتلوا مدنها الصغيرة تدريجياً، وحين وصلوا إيبيرس قطعوا الطريق أمام القوات الإنكليزية المتمركزة قربها، فانسحب الإنجليز في ٨ آب ١٣٨٣ من أمام أسوارها متوجهين إلى كاليه، تاركين حلفاءهم الغنتيين بمفردهم^(١٤٩).

تشير المعطيات السابقة إلى أن تلك المناوشات العسكرية المرهقة لجميع الأطراف دفعت الفرنسيين والإنجليز لولج المضمار الدبلوماسي دون الاستئناس برأي كونت الفلاندرز لويس الثاني، فاجريا محادثات تمخضت عن هدنة عامة بدءاً ب ٢٦ كانون الثاني ١٣٨٤، مما أثار استياء الكونت لويس الثاني، الذي توفي في سانت - أومير Saint-Omer بعد أيام قلائل من إبرام الهدنة، وتحديداً في ٣٠ كانون الثاني ١٣٨٤، وفي أواخر شباط من العام نفسه دفن في كنيسة القديس سانت بيير (Saint-Bertin) في ليل، في احتفال مهيب قدم فيه فيليب الجريء نفسه بصفته كونت الفلاندرز، وحاكماً لرعاياه من نبلاء الفلاندرز ومواطنيها^(١٥٠).

شكلت وفاة كونت الفلاندرز عام ١٣٨٤ فرصة لاستحواذ دوق بورغندي فيليب الجريء على ممتلكاته، في الفلاندرز، أرتوا، نيفيرز، ريثيل، أنتويرب (Antwerp) ومالينز (Malines)^(١٥١)، فتعاظم نفوذه بعد أن شكلت املاكه كياناً لقوة اقليمية كبرى

148(Jean Favier, Op. Cit., p.397.

149(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.76 – 77.

150(George M. Wrong, Op. Cit., p.69.

(151) Cathal J. Nolan, Op. Cit., Vol. I, p.100.

جعلته عملياً نظيراً لعواهل أوروبا ومنهم عاهلي فرنسا وإنجلترا^(١٥٢)، ولتوطيد مكانته واضفاء وحدة عسكرية وسياسية لجميع ممتلكاته أجرى فيليب الجريء سلسلة اجراءات اقتصادية بين مدنها الرئيسة، وباشر زيارات مكثفة لتلك المدن لاسيما ليل وإيبرس وغنت وبروج ودام (Damme)، لصهرها في بودقة سياسية واقتصادية واحدة، وبمجرد شروعه في تدشين بنية موحدة لممتلكاته، ايده رعاياه ذوي الميول الاستقلالية عن فرنسا، فأصبح فيليب الجريء - عملياً - حاكماً لقوة اقليمية غنية ومستقلة عن فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة الضعيفتين والمشغولتين بمتاعب سياسية وعسكرية ودينية^(١٥٣).

أظهر الدوق فيليب الجريء مهارة دبلوماسية حين ركز على حسم مشكلة غنت، فحرك الدوق بعض اذرعه داخل غنت لتكوين تيار داعي للسلام، في آب ١٣٨٤، لكن الملك الإنجليزي ريتشارد الثاني (Richard II) (١٣٧٧-١٣٩٩)، أصبح عقبة كأداء امام مساعي فيليب الجريء، لأنه ادعى أن لمؤسسة العرش الإنجليزي حقوق اقطاعية على الفلاندرز، ولا بد لكونت الفلاندرز الجديد فيليب الجريء أن يقسم يمين الولاء الاقطاعي لعاهل إنجلترا ريتشارد الثاني ليكتسب شرعيته، وحين تجاهل فيليب الجريء تلك الادعاءات أوعز ملك إنجلترا لأحد مؤيديه من زعماء الفلاندرز وهو جون بورشير (John Bouchier) (١٤٧٤-١٥٣٣)، أن يقمع التيار الداعم للسلام في غنت، فنفذ جون بورشير مهمته أواخر عام ١٣٨٤ ومطلع العام الذي تلاه^(١٥٤).

لكن قوة متمردى غنت ضعفت إلى حد كبير بسبب تقاعس الإنجليز عن إرسال تعزيزات اليهم، فتمكن ملك فرنسا شارل السادس والدوق فيليب الجريء من مهاجمة

(152) W. P. Blockmans & W. Prevenier, De Bourgondiërs De Nederland en Op Weg Naar Eenheid, Meulenhoff, Amsterdam- Leuven, 1997, p.13 – 14 ; Bar M. De Barant, History of The Ducs of Bourgogne De La Maison De Valoi, Bruxelles, J. P. Meline, 1833, p.163.

153(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.62.

154(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.38.

ضواحي غنت وتدميرها في نيسان ١٣٨٥^(١٥٥)، وصولاً إلى السيطرة على ميناء دام في ٢٨ آب ١٣٨٥، مما أدى إلى نقص المؤن داخل غنت، وبعد سلسلة محادثات بين مواطني غنت وكونتهم الجديد فيليب الجريء تم التوصل إلى إبرام اتفاق سلام عرف بـ صلح تورناي (Peace of Tournai) في ١٨ كانون الأول ١٣٨٥، الذي بموجبه التزم أهل غنت بطاعة فيليب الجريء وإنهاء الفعاليات القتالية ضده، مقابل تخلى فيليب الجريء عن أي نوع من انواع العقوبة ضدهم أو المدن المتحالفة معها، وإعلان عفو عام عنهم، وإطلاق سراح السجناء، والسماح للمنفيين بالعودة شريطة قسمهم على احترام بنود المعاهدة، وتأكيد فيليب الجريء امتيازات غنت التقليدية^(١٥٦)، ومنح سكانها حرية التجارة مع جميع القوى الأوروبية بغض النظر عن علاقات تلك القوى مع مملكة فرنسا، والغريب أن فيليب الجريء خضع لطلب مواطني غنت فأعلن اعترافه بتبعيتهم للبابا الروماني أوربان السادس، وهو مؤشر على تقديم فيليب الجريء مصالحه الإقليمية والذاتية على مصالح مملكة فرنسا، وبعد استكمال تنفيذ بنود تلك الاتفاقية استتبت الأمور لفيليب الجريء في ممتلكاته بعد ستة سنوات على صراع إقليمي بالغ الخطورة^(١٥٧).

أردف فيليب الجريء تلك الاتفاقية بتوجه كبير لتطوير غنت وباقي المدن الفلمنكية اقتصادياً، لكسب ولاء رعاياه والافادة الشخصية من الازدهار الاقتصادي المتوقع، فضلاً عن قطع الطريق أمام القوى الإقليمية الراغبة في تأليب رعاياه الفلمنكيين ضده، لاسيما إنكلترا التي اثبتت ذلك في مناسبات متعددة، لذا قرر فيليب الجريء إجراء عملية إعادة إعمار سريعة للمدن المدمرة وإعادة سكانها إليها ومنحها امتيازات ضريبية^(١٥٨)، وسمح فيليب الجريء للنبلاء الفلمنكيين بسك عملة ذهبية فلمنكية منافسة

155(Ibid, p.38.

156(Jean Favier, Op. Cit., p.397 – 400.

157(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.38.

158(Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.81 – 83.

للعلة الإنكليزية. مما انعش الاقتصاد، وانتهى إلى مكاسب اقتصادية جنى جميع الفلمنكيين ثمارها، وفي مقدمتهم فيليب الجريء^(١٥٩).

المبحث الخامس

النشاطات الدبلوماسية والفعاليات القتالية للدوق فيليب الجريء

١٢ نيسان ١٣٨٥ – ٢٧ نيسان ١٤٠٤

أ. تنامي نفوذ فيليب الجريء ونشاطاته الدبلوماسية والعسكرية:

ارسى فيليب الجريء ثوابت معادلة سياسية متسلسلة لتوطيد حكمه ونشر نفوذه السياسي في شطر كبير من شمال غرب أوروبا، واستندت تلك المعادلة إلى أربعة محاور رئيسة لتنفيذ مخططه الاستحواذي، هي: انشاء نظام تحالفات مع بعض القوى الأوربية من خلال الزواج السياسي بين ورثته واصحاب القرار في شمال غرب أوروبا ووسطها، واقتناص الفرص للاستحواذ على مزيد من الأراضي، وتطوير علاقاته الدبلوماسية مع حكام أوروبا، وتلقين ابنائه مبادئ الحكم من خلال اسناد حكم بعض ممتلكاته اليهم^(١٦٠).

كان قصب السبق في سياسة الزواج السياسي دخول فيليب الجريء في مفاوضات مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة لتزويج ابنه البكر جون الجسور من الأميرة هينو ابنه البرت الأول كونت هينو، وهولندا، وزيلاند، ولورد فريزلاند، وقد تكللت تلك المفاوضات باقتران جون الجسور من الأميرة ماركريت بافاريا (Margaret of Bavaria-1404)، في ١٢ نيسان ١٣٨٥^(١٦١)، وتزامناً مع ذلك سعى فيليب الجريء لتزويج أخته ماركريت بورغندي من وليام الثاني ابن ألبرت الأول، لرغبته في تكثيف نفوذه داخل اسرة آل فيتلسباخ^(١٦٢)، وتعزيز تحالفه مع جار قوي ومؤثر^(١٦٣)، ولإفشال مساعي مؤسسة العرش الإنكليزي في تزويج وليام الثاني من فيليب لانكستر (Philippa of Lancaster) (١٣٨٧-١٤١٥)، ابنة جون جاونت دوق

(159) Françoise Autrand, Op. Cit., p.116 – 118.

(160) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.81.

أنظر ملحق رقم (٧). Margreet Brandsma, Op. Cit., Vol. 5, p.39 – 55. ¹⁶¹

(162) Ibid, p.39 – 40.

(163) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.85.

لأنكستر، الذي من شأنه ايجاد موطن قدم للنموذج الإنجليزي في الامبراطورية الرومانية المقدسة^(١٦٤).

انتهت مساعي فيليب الجريء إلى زفاف مزدوج لإبنه واخته من ابنة وابن البرت الثاني، وأقيم حفل الزفاف المزدوج في كاتدرائية كامبراي (Cambrai Cathedral)^(١٦٥)، في حدث عُرف تاريخياً بـ "زواج كامبراي المزدوج" (Double Marriage of Cambrai)، وأمدنا حفل الزفاف بصورة واضحة عن مدى النفوذ الذي حققه فيليب الجريء بتلك الصفقة السياسية المربحة، فقد أقام فيليب الجريء في ذلك الزفاف مأدبة كبيرة حضرها ملك فرنسا شخصياً، وكبار نبلاء فرنسا واسكتلندا واسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة، فضلاً عن النبلاء والزعماء الفلمنكيين، وبلغت تكاليف تلك الاستحضارات والهدايا التي وزعها فيليب الجريء بعد الزفاف حوالي ثمانية وسبعون ألف فلورين، لأن فيليب الجريء أراد جعل احتفالات كامبراي فرصة لإظهار قوته وغناه أمام نبلاء أوروبا وعواهلها^(١٦٦).

امتدت صفقات الزواج السياسي للدوق فيليب الجريء إلى ابن أخيه ملك فرنسا شارل السادس، الذي اشرف فيليب الجريء على مفاوضات تزويجه عام ١٣٨٥ من إيزابيلا بافاريا (Isabelle de Bavière) (١٣٨٥-١٤٢٢)، ابنة دوق بافاريا ستيفن الثالث (Étienne III de Bavière) (١٣٧٥-١٣٩٢)، وبذلك الطريقة تشكيل تحالف سياسي قوي بين آل فيتلسباخ وآل فالوا، مما جعل هولندا بأكملها تدور في الفلك الفرنسي، وفلك الدوق فيليب الجريء تحديداً^(١٦٧)، الذي زادت مجالات نفوذه ونطاقها وإيراداتها وهيبتها في مملكة فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة على حدٍ سواء^(١٦٨).

164(Siméon Luce, Chroniques De J. Froissart 1382 – 1385, Tome Onzième, Librairie Renouard, Paris, 1800, p.189 – 191.

(165) Margreet Brandsma, Op. Cit., Vol. 5, p.39 – 122.

166(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.89.

167(Françoise Autrand, Op. Cit., p.149.

168(Florentin Briffaz, Jean Sans Peur 1419 – 2019, Archives Départementales De La Côte-D'or 8, Dijon, 2019, p.10.

يكفيها في ذلك الصدد معرفة أن الدوق فيليب الجريء هيمن على الشؤون الفلمنكية بصورة تامة، وتكفل بالتصدي لجميع المحاولات للنيل من استقلالها، بحكم تحوله إلى عراب للنبلاء الفلمنكيين دون استثناء، وهو ما بدا في قضايا كثيرة منها مشكلة النبيل الألماني دوق جيلدرز وليام الأول (1377-1402) (William I)، المعروف بـ وليام السابع مع جوان برابانت (Jeanne de Brabant) (1350-1406)، أرملة وينسيسلاس الأول دوق لوكسمبورغ (Venceslas Ier de Luxembourg) (1353-1383)، ووريثتها ماركرت فلاندرز (Marguerite de Flandre) (1347-1380)، فقد هدد دوق جيلدرز هاتين الاميرتين^(١٦٩)، واوز إلى بعض اتباعه بنهب المناطق الحدودية لبرابانت^(١٧٠)، والأخطر من ذلك كله انه اراد اضعاف بعد اقليمي خطير على صراعه من خلال اقام إنكلترا في الشؤون الفلمنكية وجعل نفسه ممثل لها ضد النفوذ الفرنسي الذي تجلى بهيمنة فيليب الجريء عليها، لذا اقسم دوق جيلدرز يمين الولاء لعاهل إنكلترا ريتشارد الثاني في ١٠ تموز ١٣٨٧، ووعدته بتحويل الولايات الفلمنكية إلى مضمار للصراع بين فرنسا وإنكلترا، وشرع دوق جيلدرز بتنفيذ مخططه حين ارسل خطاب تحدي إلى الدوق فيليب الجريء في ١٢ تموز ١٣٨٧، الذي أكد فيه نيته غزو مقاطعة برابانت^(١٧١).

تزامناً مع ذلك استتجدت جوان برابانت ووريثتها ماركرت فلاندرز بزوجها فيليب الجريء الذي أدرك ضرورة وضع حد لدوق جيلدرز وإنكلترا، وبدأت حنكة الدوق فيليب الجريء في اقناع ملك فرنسا شارل السادس بأن تحركات دوق جيلدرز في

(169) Fritz Quicke, Itinéraire de Jeanne duchesse de Brabant de Limbourg et de Luxembourg 1383 – 1404 Bulletin de la Commission royale d'histoire, Académie royale de Belgique, Tome 98, 1934, p.155 – 172.

(170) Felix Ragon, Histoire De France, Librairie Louis Colas, Paris, 1874, p.120.

(171) Albert Mirot, Chroniques De J. Froissart 1387 – 1389, Tome Quinzième, Librairie De La Société De L'histoire De France, Paris, 1975, p.10 – 12.

الولايات الفلمنكية ممهدة لتدخل عسكري إنكليزي سيطال فرنسا بعد حسم الملف الفلمنكي، فقرر ملك فرنسا استخدام قواته لدعم عمه فيليب الجريء ضد دوق جيلدرز^(١٧٢).

الحقيقة أن اتهامات الدوق فيليب الجريء كانت في محلها، لأن دوق جيلدرز أعلن تبعيته لملك إنكلترا مقابل إعانة سنوية قدرها ألف باون، ثم أعلن عدائه لملك فرنسا، وباشر استعدادات واسعة لغزو دوقية بورغندي^(١٧٣)، مما اثار حفيظة الدوق فيليب الجريء فحصل من المجلس الملكي الفرنسي على قرار بغزو دوقية جيلدرز، ومع أن ملك فرنسا شارل السادس رافق الدوق فيليب الجريء في حملته، لكن فيليب الجريء قاد نيابة عن ملك فرنسا جيشاً كبيراً قوامه مائة ألف مقاتل فرنسي - بورغندي وسار بقواته نحو جيلدرز في تشرين الاول ١٣٨٨^(١٧٤)، وبدلاً من أن يسلك الطريق المباشر اليها قرر سلوك الطريق الصعب عبر سلسلة جبال اردن (Ardenne) ولوكسمبورغ (Luxembourg) وغابات الأشجار المنتشرة بينهما، تجنباً لانتهاكات جيشه في بعض المقاطعات الفلمنكية الموالية له^(١٧٥).

هكذا اتبع جيش فيليب الجريء مسارات غير مؤكدة تحت إرشادات مرشدين غادرين إلى حد ما، مما أدى إلى بعض ردود الأفعال ضد دوق بورغندي^(١٧٦)، لكن الأخير تجاهل تلك الاعتراضات وكلف ألفان وخمسمائة من مقدمة جيشه بقطع بعض الأشجار التي اعاققت تقدمهم في الغابات القريبة من جيلدرز، وقدم إلى تاجر يُدعى

(172) Felix Ragon, Op. Cit., p.120.

(173) Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V ..., p.64.

(174) Albert Mirot, Op. Cit., p.13.

(175) Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V ..., p.64.

(176) Fritz Quicke, Itinéraire de Jeanne ..., Tome 98, p.155 – 175.

كولين بولارت (Collin Boullart) مائة ألف كراون ذهب لتزويد قواته بالمؤن والذخيرة^(١٧٧).

تجنب دوق جيلدرز المواجهات المباشرة، وترك الدوق فيليب الجريء وجيوشه يعاني من المناطق الجبلية الوعرة والغابات الكثيفة في ظل طقس شديد البرودة، واقتصر عمله على غارات مباغتة على طليعة جيش فيليب الجريء أو قواته الخلفية لاضعاف معنوياتها، واحداث خسائر فادحة فيها، لكن والده مارغريف جوليرز وليام الثاني(1361-1393)(William II)، توجس من الدمار الذي يحق بدوقيته من الجيش الفرنسي، فذهب لمقابلة الملك شارل السادس، وجثا على ركبتيه معترفاً عن سلوك ابنه، وقال للملك: "ان ابني ليس سوى رجل مجنون وإذا لم يخضع لك، فإنني بنفسى ساقاتله"، فقرر ملك فرنسا وفيليب الجريء منح دوق جيلدرز فرصة للتراجع عن عدائه لهم، وهو ما حدث فعلاً حين وافق دوق جيلدرز على نصيحة والده وعمه رئيس أساقفة كولونيا، وأعلن استسلامه لملك فرنسا في ١٣ تشرين الاول ١٣٨٨ في كورنزيتش (Corenzich) بشروط، ابرزها استمرار تحالفه مع ملك إنكلترا، وإعادة مدينة جافريس (Gâvres) التي استولى عليها إلى دوقة برابانت^(١٧٨)، ومع أن تلك الاتفاقية لم تحقق جميع أهداف فيليب الجريء لكنها اثبتت قدرته على حماية المقاطعات الفلمنكية التي كلفته الألف الضحايا الفرنسيين والبورغنديين^(١٧٩).

انسحبت القوات الفرنسية اواخر تشرين الاول عام ١٣٨٨ في تضاريس معقدة وظروف جوية بالغة، فقد فاضت الانهار على ضفافها، واصبحت الطرق المغمورة بالمطر غير سالكة، فانغمست العربات في الوحل وتم التخلي عنها، واثاء السير وسط المستنقعات والأهوار، عانى المقاتلون من البرد القارص، وقلة الطعام والمؤن والإعياء والملل والإرهاق والضجر، وزادت معاناتهم بسبب تعرضهم لهجمات متواصلة من

177(Amédée Gouët, Histoire Des Règnes De Charles VI Et Charles VII (1380 – 1461), A.-N. Lebègue Et, Bruxelles, 1870, p.84.

178(Amédée Gouët, Op. Cit., p.85.

179(Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V ..., p.64.

مجاميع من اللصوص والفرسان الألمان الخارجين عن السيطرة، فتضاعفت خسائر الجيش الفرنسي^(١٨٠).

حدث تدمير بين مقاتليه وقادته الذين حملوا دوق بورغندي فيليب الجريء مسؤولية تلك المغامرة العسكرية المكلفة، التي انتهت بوصول الجيش إلى شامبانيا وهو في حالة يرثى لها^(١٨١)، مما اثار حفيظة الملك شارل السادس ضد عمه فيليب الجريء بوصفه المسؤول الأبرز عن اضعاف فرنسا وزجها في مغامرات عسكرية لا فائدة منها، واستذكر الملك شارل السادس الخطط الفاشلة لغزو إنكلترا بسبب خطأ عمه دوق بيرى، والفرص التي ضاعت بسبب اخطاء دوق بورغندي كاستيلاء على غنت بعد روزبيك، وعدم استرداد كاليه بعد دام (Damme)، وشكاوى الشعب المثقل بالإعانات المالية والضرائب والجبايات، وحين ناقش الملك ذلك الأمر مع اخيه الأصغر دوق تورين لويس الأول، أكد له الأخير أنه وبعض المخلصين للتاج ك بيرو دي لا ريفيير، وأوليفيه دي كليسون، أن استمرار خضوعه لأعمامه وراء الكوارث التي تعرضت لها فرنسا، فاتخذ الملك لويس السادس قراراً بحكم بلاده بصورة مستقلة، وبما ينسجم مع مصالح شعبها وعدم الانجرار وراء مخططات اعمامه ومصالحهم^(١٨٢).

اقتنص الملك شارل السادس فرصة الاحتفال بذكرى تتويجه للتخلص من وصاية عمه فيليب الجريء، فجمع في ريمس بتاريخ ٣ تشرين الثاني عام ١٣٨٨ مجلسه الملكي المكون من ساسة وأمراء وضباط التاج ونبلاء ورجال دين^(١٨٣)، وناقش معهم المسائل المتعلقة بالسياسة العامة للمملكة، ثم ختم نقاشاته بإبلاغ مجلسه بقراره تولي السلطة بنفسه دون وصاية عمه فيليب الجريء لأنه بلغ العشرين من عمره، وشكر أعمامه على ما بذلوه من جهد في سبيل مملكته، ودعا عميه دوق بورغندي

(180) Amédée Gouët, Op. Cit., p.85.

(181) Joseph Calmette, Op. Cit., p 72.

(182) Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V ..., p.65.

(183) Amédée Gouët, Op. Cit., p.86.

ودوق بيرى للعودة إلى دوقية كل منهما، فحاول العمان اقناع ابن اخيهما بخطأ قراره وضرورة اعادة النظر فيه، لكنه أصر على قراره بحكم مملكته دون اشرافهما^(١٨٤). أعلن الملك شارل السادس قراره رسمياً مطلع عام ١٣٨٩ لتهدئة شكاوى الشعب وسخطه ضد وصاية اعمامه التي كلفت فرنسا الكثير، وهو ما رحب به أغلب نبلاء فرنسا واكليروسها، وفي مقدمتهم رئيس أساقفة ريمس بيير أيسيلين دي مونتايغوت (Pierre Aycelin de Montaigut) (١٣٥٩-١٣٨٨)، المعروف باسم الكاردينال دي لاون^(١٨٥)، واستند الملك شارل السادس في ادارة مملكته إلى مستشاري والده القدامى الذين كانوا قادرين على ادارة مؤسسة العرش الفرنسي إلى بر الأمان، وبتأثيرهم أجرى شارل السادس اصلاحات كثيرة في نظامي الحكم والإدارة، فألغى الضرائب الجائرة، وسن نظاماً عادلاً للضرائب، وزار مقاطعات جنوب فرنسا، ورسى النظام والعدالة في المقاطعات التابعة له، ونظم جميع وظائف الدولة، وإقالة عدداً كبيراً من المسؤولين الفاسدين^(١٨٦).

هنا ادرك الدوق فيليب الجريء خسارته للدعم الفرنسي له، فعول على تعويض ذلك بتقوية نفوذه في ممتلكاته، والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من المقاطعات الفلمنكية القريبة منها، فحارب دوقية لوكسمبورغ وأجبر دوقتها على وضع نفسها تحت حمايته، ونجح في اجبار جوان برابانت على التنازل عن مقاطعة برابانت له بموجب اتفاقية ٢٨ أيلول ١٣٩٠، مما شكل ضربة كبيرة لطموحات آل لوكسمبورغ وادعاءات الامبراطورية المقدسة بالسيادة عليها^(١٨٧)، وفي ١١ آيار ١٣٩٠ حصل فيليب الجريء على مقاطعة شاروليه بمهر ماركريت بافاريا عن طريق الشراء من كونت أرمانيك

(184) Georges Bordonove, Les Rois Qui Ont Fait La France Charles V..., p.64 – 65.

(185) Françoise Autrand, Op. Cit., p.166.

(186) Pierre Gosset, History of the Middle Ages from the 5th to the 15th Century, Legare Street Press, London, 2022, p.280.

(187) Joseph Calmette, Op. Cit., p 72.

جان الثالث (1384-1391)(Jean III)، وشقيقه برنارد السابع (Bernard VII) (1391-1418)، مقابل ستين ألف فرنك ذهبي^(١٨٨).

لا شك أن تلك الأمور بمجملها أدت إلى زيادة قوة الدوق فيليب الجريء ونفوذه في عموم المناطق الواقعة بين مملكة فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة بضمنها الفلاندر والولايات الفلمنكية، لتغدو ممتلكاته عملياً كيان كبير ومستقل يفصل فرنسا عن الامبراطورية الرومانية المقدسة، ويمتلك قدرات عسكرية كبيرة واجهزة حكم وادارة ومؤسسات سياسية راسخة.

حصلت عام ١٣٩١ تطورات خطيرة في مملكة فرنسا مكنت الدوق فيليب من استرجاع نفوذه فيها، ففي ذلك العام حاول بيير دي كراون (Pierre de Craon) اغتيال كونستابل فرنسا أوليفييه دي كليسون، وعند فشل محاولته لجأ إلى دوق بريتاني جون الرابع (1364-1399)(John IV)، الملقب بـ "الفتاح"، الذي رفض تسليم بيير دي كراون إلى فرنسا، فاستدعى الملك شارل السادس مطلع عام ١٣٩٢ عمه الدوق فيليب الجريء للانضمام إلى جيوشه لقمع تابعه المتمرد دوق بريتاني، واثناء زحف الجيش الفرنسي نحو بريتاني، وتحديداً اثناء عبور شارل السادس غابة لومان (Le Mans) أصيب بنوبة جنون مفاجئة، فتولى فيليب الجريء زمام قيادة الجيش، وألغى الحملة ضد دوق بريتاني، وبعد عودته إلى باريس قرر مع اخيه دوق بيري استغلال فرصة جنون الملك شارل السادس للاستحواذ مجدداً على مؤسسات فرنسا ومقدراتها، فاستبعد مستشاري الملك المقربين وعلى رأسهم أوليفييه دي كليسون، الذين شكلوا عقبة كأداء أمام خطط أعمام الملك وتدابيرهم^(١٨٩)، وأجرى دوقي بورغندي وبيري اجراءات كثيرة عام ١٣٩٢ انتهت إلى الإطاحة بدوق اورليان لويس الأول (1392-1407)(Louis I)

188(Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.118).

189(John Bell Henneman, Olivier de Clisson et la société politique sous Charles V et Charles VI, Presses universitaires, Rennes, 2011, p.229, 230 – 231.

١٤٠٧)، شقيق شارل السادس، وإنشاء وصاية جديدة على الملك المجنون عام ١٣٩٣ (١٩٠).

أكدت بعض الدراسات التاريخية أن الدوق فيليب الجريء لم يكتفِ بما حققه من نفوذ في ممتلكاته ومملكة فرنسا بل خاض قدماً في سياسة المصاهرات مع العوائل الأوربية النبيلة لاسيما في الامبراطورية الرومانية المقدسة التي اعتقد أنها المجال الحيوي لنشر نفوذه بعد استحواده على فرنسا، لذا ادار فيليب الجريء مفاوضات مع اسرة آل هابسبورغ الحاكمة لدوقية النمسا لتزويج ابنته كاثرين بورغندي من دوق النمسا ليوبولد الرابع (Duke Leopold IV) (١٣٨٦-١٤١١)، وتم الزواج رسمياً في ١٥ آب ١٣٩٣ في ديجون^(١٩١)، فكان ذلك الاتحاد بين آل هابسبورغ وآل فالوا -البورغنديين بمثابة نقطة شروع لسياسة تغلغل بورغندي في أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدسة^(١٩٢)، وفي هذا الصدد اشار احد المؤرخين الفرنسيين أن من ضمن اهداف تلك الزيجة فصل مقاطعة فيريت (Ferrette) عن الامبراطورية الرومانية المقدسة واضافتها إلى بورغندي المحاذية لها^(١٩٣)، فضلاً عن توسيع النفوذ البورغندي في الألزاس وإنهاء النزاعات والغارات المستمرة على بورغندي^(١٩٤).

خاض فيليب الجريء قدماً في سياسة المصاهرات مركزاً على آل سافوي هذه المرة، فأبرم اتفاقاً مع كونت سافوي اماديوس الثامن (Amadeus VIII) (١٣٩١-١٤٣٤)، بتزويج ابنته ماري بورغندي منه، لإنهاء سلسلة النزاعات بين رعايا سافوي وبورغندي على طول الحدود بين الطرفين، وتمت الزيجة رسمياً في شالون في عيد

190) John Bell Henneman, Op. Cit., p.241.

(191) Bar M. De Barant, Op. Cit., p.163.

192) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.90.

193) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.83 – 84.

194) Ernest Petit, Ducs De Bourgogne ..., p.507 – 509.

القديس ميخائيل الموافق ٣٠ تشرين الاول ١٣٩٣^(١٩٥)، وفي اطار السياسة ذاتها وعد فيليب الجريء جون دي بوروبون(Jean de Bourbon)(١٤١٠-١٤٣٤)، في تموز ١٣٩٤ بتزويج ابنته بون بورغندي منه في أقرب فرصة^(١٩٦).

لو تفحصنا الاحداثيات آنفة الذكر لتوصلنا إلى أن الدوق فيليب الجريء نجح نجاحاً مذهلاً في تحقيق اهدافه بالصورة التي جعلته محوراً بارزاً في الشؤون السياسية لغرب اوربا برمته، لاسيما فرنسا التي سمح فيليب الجريء لملكيتها إيزابيلا بافاريا زوجة شارل السادس بترأس مجلس الوصاية على زوجها المجنون، لكن فيليب الجريء استغل انشغال شقيق الملك لويس الأول، بشؤون نابولي بعد أن امسى ملكاً فخرياً عليها، كما أن دوق بيرري جون الاول انشغل بشؤون دوقيته لانغدوك، مما هيا الظروف لاستحواذ الدوق فيليب الجريء على مؤسسة العرش الفرنسي تماماً، فأدار دبلوماسيتها الاقليمية نيابة عن ملك وملكة فرنسا، وتولى مسؤولية التواصل مع الممالك والقوى الأوروبية، وابرام المعاهدات والتحالفات، وتعزيز مصالح التاج الفرنسي في الخارج بما يتوافق مع رؤاه ومصالحه، ليغدو صاحب القول الفصل في سياسات مملكة فرنسا وقراراتها^(١٩٧). ب.دور فيليب الجريء في حملة نيكوبوليس، ونشاطه السياسي والعسكري حتى وفاته ١٣٩٤ – ١٤٠٤.

195) (Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.91 – 92.

(١٩٦) لم تتم تلك الزيجة لتدهور صحة الأميرة بون ثم وفاتها سنة ١٣٩٨، للمزيد ينظر:

Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.71.

197) (John Bell Henneman, Op. Cit., p.241.

اهتم فيليب الجريء منذ شبابه بالحملة الصليبية، لكن ظروف بلاده منعتة من الاشتراك في حملة صليبية على الاراضي المقدسة^(١٩٨)، مع انه ابدى نشاطات محدودة لدعم فرسانها^(١٩٩).

يبدو أن استتاب الأمور لفيليب الجريء دفعه لولوج مضمار الحروب الصليبية لاسيما بعد تدشين العثمانيين قلعة أناضولي على مضيق البوسفور، وتركيزهم على طرد اللاتين الكاثوليك من بحر إيجة^(٢٠٠)، وتوسيع نطاق سيطرتهم العسكرية على شطر كبير من شرق أوربا، بضمنها تراقيا وبلغاريا ومقدونيا والبلقان وجنوب الدانوب، ليصبح ملوك أوربا ازاء خطر إسلامي دائم للزحف نحوهم، وكان أكثر ملوك أوربا قلقاً ملك المجر سيجيسموند(Sigismund)(١٣٨٧-١٤٣٧)، بحكم قربيه من مناطق

(١٩٨) ابدى فيليب الجريء رغبته بارسال حملات صليبية الى الاراضي المقدسة، وحمل الصليب عام ١٣٦٣ مع والده وفرسان بورغندي في حملة أماديوس سافوي الصليبية عام ١٣٦٦، للمزيد ينظر: Hilmi Kaçar & Jan Dumolyn, The Battle of Nicopolis 1396, Burgundian Catastrophe And Ottoman Fait Divers, Revue Belge De Philologie Et D'histoire, Ghent University, Tome 91, 2013, p.905.

(١٩٩) دفع فيليب الجريء مبالغ سنوياً لمساعدة فرسانه الراغبين في الذهاب الى الاراضي المقدسة، كرحلة بروس عام ١٣٩١، كما ارسل كونت الاتحاد الأوروبي، وكونستابل فرنسا فيليب ارتوا إلى المجر عام ١٣٩٣ لمساعدة ملك المجر سيجيسموند ضد الأتراك، وبحلول عام ١٣٩٤ أرسل مجموعة من رماة الاقواس وهدايا إلى زعيم الرهبنة التيوتونية لضمان تأييده لحملة المرتقة، للمزيد ينظر:

Richard Vaughan, Philip The Bold

p.61.

(٢٠٠) استكمل العثمانيين احتلال بلغاريا سنة ١٣٩٣، وحاصروا القسطنطينية في صيف ١٣٩٥، وفي ١٧ أيار ١٣٩٥، احتلوا ولاشيا، للمزيد ينظر: طالب محييس حسن الوائلي، هزيمة العثمانيين في أنقرة ١٤٠٢ دراسة في مقدمات الصدام التاريخي - العثماني ومجريات الحرب، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد ٤، تشرين أول ٢٠٠٨، ص ١٤٥ ؛ Edward Shepherd Creasy, History of The Ottoman Turks, R. Bentley, London, 1878, p.33 -

التماس مع العثمانيين^(٢٠١)، وكان بديهيًا أن تثير التطورات السابقة مخاوف البابا بونيفاس التاسع (Boniface IX) (١٣٨٩-١٤٠٤)، الذي دعا عام ١٣٩٤ فيليب الجريء لتنظيم حملة صليبية جديدة ضد التهديد العثماني، بوصفه أكثر أمراء غرب أوروبا الغربية ثراءً وأشدّهم قوةً ونفوذاً^(٢٠٢).

فرأى فيليب الجريء في التقدم العثماني فرصة مواتية لتسيير حملة صليبية ارادها منذ صباه، فوضع في تموز ١٣٩٤ مخطط متكامل لقيادة حملة صليبية مشتركة يقودها بالاشتراك مع دوقات لانكستر واورليان^(٢٠٣)، وفور اكتمال ذلك المخطط باشر فيليب الجريء بتهيئة المستلزمات الضرورية لتمويل حملته الصليبية من خلال فرض ضرائب استثنائية واستحصال هبات مادية، وبدء بالفلاندرز التي تولت زوجته ماركريت وولده جون كونت نيفيرز، وبناءً على تعليمات فيليب الصادرة في ١٢ تموز ١٣٩٤، طالبت الدوقة وجون نيفيرز إعانة من الفلاندرز قدرها مائة ألف نوبل ذهبي (Gold Noble)^(٢٠٤)، وسُمح لهما بتخفيض المبلغ إلى تسعين ألف نوبل ذهبي عند الضرورة

(٢٠١) محمود تركية، أوضاع الدولة العثمانية الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد بايزيد الأول (١٣٨٩م - ١٤٠٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، ٢٠١٥، ص ١٠٢.

(202) Hilmi Kaçar, Op. Cit., Tome 91, p.905.

(203) Bart Lambert, Op. Cit., p.113.

(٢٠٤) أول عملة ذهبية إنكليزية فريدة من نوعها اصدرها التاج الانكليزي لأول مرة عام ١٣٤٤ في عهد الملك إدوارد الثالث، تشير السجلات الفلمنكية إلى أن هذا المصطلح ارتبط بتقليد سكّ العملة التي أدخلها فيليب الجريء سنة ١٣٨٨، واستمر تداولها حتى وفاته، وبدأ فيليب بسك نسخة محلية في مقاطعة فلاندرز استجابةً للمتطلبات التجارية، ولا سيّما لتيسير تجارة الصوف مع الإنكليز في مدينة كاليه، إذ اشترط هؤلاء الدفع بهذه العملة، للمزيد ينظر: Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare and Military Technology, Vol. III. Oxford University Press, 2010, p.16.

(٢٠٥)، وبعد سلسلة مفاوضات ومساومات، تم التوصل إلى اتفاق في ١٩ آب ١٣٩٤ اضطر بموجبه جون كونت نيفيرز إلى الاكتفاء بخمسة وستون ألف نوبل ذهبي من جميع مدن الفلاندرز (٢٠٦).

تكاليف مستشار فيليب الجريء، بيير دي لا تانيري (Pierre de la Tanerie)، ورئيس غرفة الحسابات في مدينة ليل، بمهمة جمع أموال الإعانة من المدن الفلمنكية في خريف عام ١٣٩٤ (٢٠٧)، التي حددها بيير دي لا تانيري في تشرين الاول ١٣٩٤، بخمسة آلاف نوبل ذهبي من مدينتي أنتويرب (Antwerp) ومالين (Malines)، وعشرة الاف نوبل من مدن ليل ودواي وأوركيز، وعشرون الف نوبل من أرتواز، فضلاً عن مساعدات غير محددة من مدن غنت وبروج وإيبيرس، كما حصل بيير دي لاتانيري من اكليروس الفلاندرز على قرض قدره ٥,٢٦٥ نوبل ذهب، وفي اواخر ١٣٩٤ اعد المستشارين الماليين لفيليب الجريء ميزانية عام ١٣٩٥ لمعرفة المبالغ المتاحة لتغطية تكاليف حملته الوشيكة ضد العثمانيين في المجر (٢٠٨)، وعلى ضوء تلك التقديرات فرضت على دوقية بورغندي ثلاثين الف نوبل، وعشرين الف نوبل على مقاطعات ريثيل ونيفيرز وشاروليه، فضلاً عن اثنان وثمانون ألف نوبل تم جمعها

(205) W. Prevenier, De Beden in Het Graafschap Vlaanderen Onder Filips De Stoute (1384 – 1404), Revue Belge De Philologie Et D'histoire Année, Brussel, N.2, 1960, p.353 – 354.

(206) Bart Lambert, Op. Cit., p.114.

(207) Louis Prosper Gachard, Alexandre Joseph Pinchart, Inventaire Des Archives Des Chambres Des Comptes, Tome Troisième, Imprimeur De La Commission Royale, Bruxelles, 1851, p.97.

(208) Louis Prosper Gachard, Alexandre Joseph Pinchart, Ibid, Tome Troisième, p.97 – 98.

من أودنبورج ومدن أخرى، وأحدى عشر ألف نوبل من بروج، وهبة من ملك فرنسا قدرها خمسين ألف نوبل (٢٠٩).

اثبت فيليب الجريء نضجاً سياسياً وعسكرياً حين ارسل بعض مستشاريه إلى بروسيا والبندقية في كانون الثاني ١٣٩٥ لكسبهما إلى حملته، وحين وافقت البندقية على الاشتراك في الحملة الصليبية المتوقعة، أرسل فيليب الجريء مستشاريه إلى ليون الفرنسية في آيار من العام نفسه لحشد الدعم المادي من الدويلات الايطالية للحملة الصليبية (٢١٠)، فحصل على أربعين ألف نوبل من لومبارديا، وقرض قدره خمسين ألف نوبل من دوق ميلانو جيان جالياتسو فيسكونتي، وبضعة الاف نوبل من أهالي البندقية، وفي خاتمة المطاف توافرت لفيليب الجريء خمسمائة وعشرين ألف نوبل، وهو مبلغ ضخم فاق الإيرادات السنوية لجميع أراضي فيليب الجريء (٢١١)، ورغم تلك الاستعدادات المالية الكبيرة إلا أن تطوراً سلبياً طرأ على الحملة الصليبية حين قرر فيليب الجريء في النصف الثاني من عام ١٣٩٥ إرسال ابنه الأكبر جون كونت نيفيرز ذا الخمسة وعشرين ربيعاً ومنحه لقب فارس، مما ادى إلى انسحاب دوقي لانكستر واورليان، لكن ذلك الانسحاب لم يفت في عضد الدوق فيليب الجريء الذي أرسل خطابات إلى جميع مقاطعات فرنسا لحث ابنائها على الانضمام إلى حملة ابنه الكونت جون نيفيرز، ودعمه بما أمكن من هبات مادية (٢١٢).

أردف دوق بورغندي فيليب الجريء تلك الاستعدادات المادية باستحضارات سياسية، فعقد في ٢٨ آذار ١٣٩٦ اجتماعاً في باريس ضم ابنه الكونت جون نيفيرز وباقي قادة الحملة، لتوزيع المسؤوليات والمهام بينهم، واتمام الترتيبات النهائية، ووضع قائمة بالحاشية المرافقة لابنة جون نيفيرز البالغ عددهم اثنين وعشرين فارساً، وأوعز

(209) Aziz Suryal Atiya, The Crusade of Nicopolis, Methuen & Co, London, 1934, p.139.

(210) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.147.

(211) Aziz Suryal Atiya, Op. Cit., p.139.

(212) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.147.

فيليب الجري إلى مائة وخمسين فارساً من القوات التابعة للكونت جون، وبعض الضباط وحاملي الرايات بالذهاب إلى المجر قبل مسير الحملة^(٢١٣)، وأعلن فيليب الجري في ذلك الاجتماع أن أهداف حملته استعادة البلقان وعبور المضائق ثم سحق العثمانيين والسيطرة على القدس، وأن الشعار الرسمي لحملته سحق الأتراك أولاً واحتلال القدس ثانياً^(٢١٤)، ونبه فيليب الجري ابنه الكونت وكبار قادته إلى أن نجاح الحملة سيزيد هيبة آل فالوا - البورغنديين ويرسخ مملكتهم^(٢١٥).

يؤخذ على فيليب الجري أنه رغم اختياره ابنه جون قائداً لتلك الحملة، حدد سلطاته على قادتها ومقاتليها إلى حدٍ كبير^(٢١٦)، فجعل سلطته مقيدة بمشورة كبار قادته الميدانيين المعروفين بخبراتهم العسكرية الكبيرة، لتصبح قيادته فخرية واسمية لتلك الحملة، مما خلق إشكالاً خطيراً في الإدارة الفنية لها، وكأنه أراد أن يكون ابنه ممثلاً عنه لطبع الحملة الصليبية بطابع بورغندي خالص^(٢١٧).

رافق فيليب الجري ابنه الكونت جون في ٦ نيسان ١٣٩٦ إلى دير سانت دينيس (Saint-Denis) الملكي الفرنسي خارج باريس لأغراض دينية، وفي ١٣ نيسان من العام نفسه وصلوا إلى ديجون، واجتمع في بلاط دوقية بورغندي عدد من النبلاء والفرسان بضمنهم كونت سافوي، وجميع أفراد عائلة جون، وعشية المغادرة حضر فيليب الجري وزوجته ماركريت والكونت جون نيفيرز قداساً في كنيسة دير سانت بينيني (Saint-Bénigne)، ورفعت رايات فرنسا وبورغندي في موكب مهيب حول المدينة. وفي ٣٠ نيسان من العام اعلاه، غادر كونت نيفيرز جون ورفاقه ديجون عاصمة دوقية بورغندي بعد أن ودّعته الأسرة الدوقية ومواطني ديجون متجهين إلى مكان انطلاق حملة نيكوبوليس في مدينة مونبيليارد (Montbéliard) الفرنسية، ومن

(213) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.148.

(٢١٤) محمود تركية، المصدر السابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(215) Barbara W. Tuchman, A Distant Mirror: the Calamitous 14th Century, New York, 1978, p.545.

(٢١٦) من تلك العلامات جون ملازماً لوالده في بورغندي بعمر الرابعة عشرة، وفي سن السابعة عشرة شارك في أول بطولة له، للمزيد ينظر: Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.66.

(217) Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.67.

هناك سار الصليبيون إلى مدينة ريغنسبورغ (Regensburg) الألمانية، وبعد الإبحار عبر نهر الدانوب وصلوا فيينا في ٢١ آيار ١٣٩٦ (٢١٨).

استمر فيليب الجريء في دعم حملته مالياً بعد انطلاقها (٢١٩)، فأرسل إلى ابنه جون نيفيرز ثلاثة الاف، ثم ستة وعشرين الف دوك (٢٢٠)، واقترض جون نيفيرز من فيينا ١٠,٨٠٠ دوك (٢٢١)، وتزامناً مع حسم الملف المالي، حصل قادة الحملة الصليبية اثناء سيرهم في الدانوب على مرسوم من البابا بنديكت الثالث عشر (Pope Benedict XIII) (١٧٢٤-١٧٣٠)، لاضفاء صفة شرعة على حملتهم ومباركة مقاتليها (٢٢٢)، وفي اطار تجهيز تلك الحملة تم شراء معدات كثيرة اثناء الزحف نحو شرق أوربا، وتم تجهيز أربعة وعشرين عربة من الخيام والأجنحة المصنوعة من الحرير الأخضر مزينة بأشكال من القماش الفسيفسائي ومطرزة بالذهب، واثنان عشر غطاء للخيول من الذهب المطرز، وأربع رايات ملونة ضخمة طولها ذراع ونصف حملت في منتصفها صورة مطرزة بالذهب للسيدة مريم العذراء، وحولها شعار فرنسا المحاط بأشكال زخرفية وأزهار الزنبق، وحملت رايات أخرى اسم عائلة بورغندي، مع توفير المئات من الرايات الصغيرة لتزيين الخيام، وتم تجهيز اثنان عشر عازف بوق مزخرف بالذهب للوقوف أمام خيمة الكونت جون نيفيرز، كما صُنعت مجموعة كاملة من معدات الطبخ خصيصاً للحملة (٢٢٣)، واستعرض ليون ميروت (Léon Mirot) في كتابه مجتمع الرابوند تلك التجهيزات، مؤكداً "أن جزءاً من السلع الفاخرة وردها إلى

(218) Aziz Suryal Atiya, Op. Cit., p.441.

(219) Bart Lambert, Op. Cit., p.114.

(٢٢٠) عملة ذهبية اسمها مشتق من الكلمة اللاتينية دوكاتوس، التي تعني دوقية استخدمت وسط أوربا، وأول دوكات فضية صاغها الملك النورماندي روجر الثاني ملك صقلية عام ١١٤٠ لدوقية بوليا، للمزيد ينظر: <https://taxfreegold.co.uk/austrianducatsinfo.html>

(221) Andrée Van Nieuwenhuysen, Documents Relatifs À La Gestion Des Finances De Philippe Le Hardi, Duc De Bourgogne Et Comte De Flandre 1384 – 1404 Bulletin De La Commission Royale D'histoire, Académie Royale De Belgique, Tome 146, 1980. p.155.

(222) Bart Lambert, Op. Cit., p.113.

(223) Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, P.149 ; Aziz Suryal Atiya, Op. Cit., P. 436.

تلك الحملة مستشار فيليب الجريء دينو رابوندي (Dino Rapondi) وهو تاجر مصرفي من مواليد لوكا^(٢٢٤).

استقبل صهر جون دوق النمسا ليوبولد الرابع، كونت نيفيرز وافراد حملته في بودابست (Budapest) عاصمة المجر بتاريخ ٢٤ حزيران ١٣٩٦، وزودهم بسفن محملة بالمؤن والنبذ، واقرض قائدهم مائه ألف نوبل، واكتملت تعبئة قوات الحملة حين انضم اليها ملك المجر سيجيسموند وقواته، فضلاً عن القوات البورغندية والفرنسية والبالارية والبولندية والإنكليزية، وعلى اثر ذلك عقد القادة الصليبيون "مجلس بودا الحربي العام" أواخر تموز ١٣٩٦ واختاروا الملك سيجيسموند قائداً لهم، لكنهم وقعوا في خطأ قاتل حين رفضوا اقتراح سيجيسموند في اعتماد تكتيكات دفاعية وانتظار العدو في معاقلهم المجرية والتمركز الدفاعي على ضفاف نهر الدانوب، لتدمير السلطان العثماني بايزيد الأول عند غزوه للمجر، وكان البديل الذي طرحه القادة البورغنديين والفرنسيين مهاجمة الأراضي التي يسيطر عليها العثمانيون على الضفة اليمنى جنوب نهر الدانوب، ثم عبور النهر وتدمير بعض الحاميات والحصون العثمانية المحاذية له، وامثالاً لذلك المخطط سار الصليبيون وفرضوا الحصار على قلعة نيكوبوليس المحصنة في ١٠ أيلول ١٣٩٦، بعد فشلهم في السيطرة عليها لافتقارهم إلى آلات هجومية مثل المنجنيق ومحركات الحصار، عندها تخلى بايزيد الأول الملقب بـ"الصاعقة" عن حصار بيزنطة واتجه نحو نيكوبوليس، وعسكر على بعد أربعة أميال عنها في ٢٤ أيلول ١٣٩٦^(٢٢٥)، وحين وصل الخبر إلى سكانها المحاصرين نفخوا الأبواق وهتفوا واحتفلوا، لكن كونستابل فرنسا جان الثاني لو مينجر الملقب بـ بوكيكوت (Jean II Le Maingre Boucicaut) (١٣٩١-١٤٢١)، استهان برد فعل سكان نيكوبوليس، وقال: "إن ضجيج حفلتهم مجرد خدعة، وسأقطع آذان أي شخص يناقش شائعات اقتراب العدو وينشر الذعر واليأس في صفوف القوات الصليبية"^(٢٢٦).

224(Léon Mirot, La Colonie Lucquoise ..., p.299 – 389.

225(Aziz Suryal Atiya, Op. Cit., p.441 – 447.

226(Barbara W. Tuchman, Op. Cit., p.556 – 557.

أضاف الصليبيون إلى خطأهم الفادح خطأً تكتيكياً آخرًا حين تجاهلوا نصائح ملك المجر سيجيسموند الخبير بتكتيكات العثمانيين^(٢٢٧)، فمع أن الملك سيجيسموند أخبرهم أن العثمانيين معتادين على وضع حواجز من قوات غير نظامية عثمانية لتشتيت قوى أعدائها واشغالها بمعارك جانبية، وبين لهم أن افشال ذلك الأسلوب يقتضي تعبئة قواته وقوات ميرسيا وولاشيا في الطليعة، والاحتفاظ بسلاح الفرسان الفرنسيين - البورغنديين لتوجيه ضربة حاسمة لقوة بايزيد الرئيسة في الوقت المناسب، لكن الصليبيين رفضوا ذلك، وأصروا على أن يكونوا في طليعة القوات المواجهة للعدو، وفي فجر ٢٥ أيلول ١٣٩٦ بدأت معركة نيكوبوليس بشن الفرسان الفرنسيين - البورغنديين هجوماً شرساً^(٢٢٨)، بدعم جميع مقاتلي غرب أوروبا^(٢٢٩)، فأعلنت والاشيا والبغدان (رومانيا) التمرد على العثمانيين وانضمت إلى الصليبيين، بينما ظلت مملكة صربيا موالية للسلطان العثماني بايزيد^(٢٣٠).

بعد سلسلة انتصارات طارد الصليبيون المنهكون العثمانيين المنسحبين على تلال متوسطة الارتفاع دون انتظار المجريين لتقديم الدعم لهم، لاعتقادهم أن الجيش العثماني كله قد هزم، فاقتنص السلطان بايزيد وقوات الاحتياط المختبئين خلف التلال تلك الفرصة، فقاموا بمناورة على الأجنحة ونجحوا في تطويق العدو من الخلف، ودارت معركة طاحنة بين الجانبين، ومع أن مسار القتال كان متارجحاً لكن وصول الملك

227) (Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.21.

228) (Delaville Le Roulx, La France En Orient Au Xiv Siècle Expéditions Du Marechal Boucicaut, Libraire Des Ecoles Francaises, Paris, 1886,p.270.(٨) أنظر ملحق رقم

(٢٢٩) المانيا وبريطانيا واسكتلندا ولبارديا وجنوة وبولندا والمجر وملدافيا وإيطاليا وسويسرا وكرواتيا والبلغار والبولنديين والبوهيميين وفرسان القديس يوحنا والكونت هوهنزلن الألماني والكونت نافار الفرنسي، ودول البيلوكس (بلجيكا، هولندا، ولوكسمبورغ)، وإيطاليا والبندقية والقراصنة الإسبرطيين، وبولندا، والتشيك وترنسلفانيا، للمزيد ينظر:

محمود تركية، المصدر السابق، ص ١٠٢ ؛ Edward Shepherd Creasy, Op. Cit., p.356

(٢٣٠) طالب محييس حسن الوائلي، المصدر السابق، ص ١٤٥.

الصربي ستيفان لازاروفيتش (Stephen Lazarević) (١٣٨٩-١٤٢٧)، والف وخمسمائة من اتباعه وانضمامه للسلطان بايزيد رجع كفة العثمانيين، فأبديت معظم القوات الصليبية الغربية، ونجح عدد قليل من الصليبيين في الفرار ومنهم ملك المجر سيجيسموند الذي رمى نفسه في بارجة على نهر الدانوب مكنته من الهرب، أما الباقين فقطعت أعناق بعضهم، وحوصر الآخرون واسروا ومنهم قائد الحملة جون نيفيرز وقادته، ولأشك أن هناك أسباب كثيرة لذلك النصر العثماني الحاسم، ليس آخرها المهارة العسكرية العالية والتكتيكات والمناورات العثمانية الاستثنائية في سحب قوات العدو واستخدام وسائل قتال لا قبل للصليبيين بها، كما أن تهور الفرسان الصليبيين الفرنسيين-البورغنديين وثقتهم الزائدة بأنفسهم، كانت في مقدمة أسباب هزيمتهم^(٢٣١)، وهو ما بينه سيجيسموند ملك المجر قائلاً: "لقد خسرنا اليوم بسبب كبرياء وغرور الفرنسيين، لو أنهم استمعوا لنصحتي لكان لدينا ما يكفي من الرجال لقتال أعدائنا"^(٢٣٢)، وهناك معطيات إضافية انتهت إلى هزيمة نيكوبوليس منها عدم وجود قيادة موحدة للحملة الصليبية، وتجاهل الصليبيين الخطط العسكرية والتكتيكات اللازمة لمواجهة العثمانيين، ورفضهم النصائح الثمينة التي وجهها لهم الملك المجري سيجيسموند في مجلس بودا الحربي، وقبيل نشوب معركة نيكوبوليس.

تسربت أخبار كارثة نيكوبوليس إلى فرنسا^(٢٣٣)، ووصل جاك دي هيلي (Jacques de Heilly) في ٦ كانون الأول ١٣٩٦ إلى باريس ومعه رسائل من جون نيفيرز وبعض الأمراء الأسرى وتعليمات من بايزيد لبدء المفاوضات حول فدية الأسرى، وبعد التباحث مع جاك دي هيلي ذهب مبعوث فيليب الجريء وسكرتيه غيوم ليجل (Guillaume l'Aigle) إلى الدولة العثمانية بمساعدة البندقية في منتصف

231(Le Baron Kervyn De Lettenhove, Op. Cit., Tome 9, p.422 – 424.

232(Tuchman Barbara W, Op. Cit., p.561.

233(W. Prevenier, De Beden in Het Graafschap ..., N 2, p.115.

كانون الأول ١٣٩٦، واثناء لقاءه السلطان بايزيد اهداه سيوف ودروع مزخرفة نيابة عن فيليب، فسمح له السلطان بايزيد برؤية جون نيفيرز والأسرى قبل عودته إلى باريس^(٢٣٤).

هياً فيليب الجريء بعثة ضمت نخبة من الساسة الفرنسيين والبورغنديين المعروفين بالمهارة والدبلوماسية، وفي ٢٠ كانون الأول ١٣٩٦ سافرت تلك البعثة إلى الدولة العثمانية للقاء السلطان بايزيد، ومعها مجموعة مختارة من أفخم وأروع الهدايا، هي: عشرة خيول أصيلة مع تجهيزاتها وأربعة وعشرون سائساً، وكلاب صيد وصقور ونماذج من أرقى أنواع القماش المطرز بالذهب القبرصي والمرصع بالأحجار الكريمة، واقمشة مطرز باللؤلؤ وعشرات من قفازات الصقارين وبعض القطع المختارة من الأطباق واللوحات وتصميمات رمزية لـ حياة الإسكندر الأكبر^(٢٣٥)، وبعد أشهر من مفاوضات مضنية نجحت تلك السفارة في عقد اتفاقية في ٢٤ حزيران ١٣٩٧ في مدينة بورصة تم بموجبها تحديد فدية جميع الأسرى الذين تم أسرهم بمبلغ مائتا ألف دوقية اي ما يعادل سبعمائة كيلو جرام من الذهب يدفعها الدوق فيليب الجريء، وقد دفع جون نيفيرز منها ثمانية وعشرون ألف دوقية نقداً، اقترضها من ابن عم ملك قبرص، جان دي لوزينيان (Jean de Lusignan)، واثنين من تجار بيزا الجنوبيين الأثرياء، وتعهد أمراء وتجار من مستعمرات جنوة في بحر إيجه للسلطان بايزيد بمبلغ مائة وعشرة آلاف دوقية، وبمجرد التصديق على سداد ذلك المبلغ تم اطلاق سراح الأسرى^(٢٣٦).

ادرك فيليب الجريء ضرورة الحصول على أموال اضافية لملء خزائنه التي استنفذتها اموال الفدية بعد افراغها من مبلغ مائة واربعة وعشرون ألف نوبل، وأصبحت مديونة لبعض التجار، ففرض ضرائب على كثير من البضائع، وفي نيسان من العام

234(Delaville Le Roulx, Op. Cit., p.300 – 302.

235(Le Baron Kervyn De Lettenhove, Op. Cit., Tome 15, p.426 – 427 ; Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.152.

236(Aziz Suryal Atiya, Op. Cit.,p.459.

نفسه طُلب من أعضاء الفلاندرز التصويت على إعانة لا تقل عن مائة وخمسون ألف نوبل، ثم خفض ذلك الطلب إلى مائة ألف نوبل، وتم الاتفاق في ١٣ تموز ١٣٩٧ على استيفاء ذلك المبلغ في غضون عامين^(٢٣٧)، وطُلب من دوقية بورغندي مبلغ ثمانون ألفاً نوبل، وهو ضعف أعاناتهم العادية، لكن في آب من العام اعلاه اضطر فيليب لقبول عرضهم البالغ خمسون ألفاً، وساهمت الفلاندرز بـ مائة ألف نوبل، وبعض الأسرى بـ ٧,١٩٣ نوبل، ومقاطعة نيفيرز وباروني دونزي بـ عشرة آلاف نوبل، وشاروليه بـ خمسة آلاف، وأرتوا بـ عشرون ألفاً، وليل، ودواي وأورشية، بـ اثنا عشر ألفاً، ومقاطعات شامبانيا بـ ألفان، ومدينة بيزانسون بـ ثلاث آلاف، فبلغ المجموع الكلي أكثر من ثلاثمئة ألف نوبل^(٢٣٨).

لتسهيل اجراءات تسديد الفدية كلف فيليب الجريء في ٢٦ أيلول ١٣٩٧ رئيس غرفة الحسابات في ديجون، أودارت دواي (Oudart Douay) أحد أكثر موظفيه الماليين خبرة بالاحتفاظ بحساب خاص للأموال التي ستخصص لفدية جون نيفيرز وعودته، وانشأ الدوق لجنة خاصة برئاسة أودارت دواي لضبط وتسريع كل الأمور المتعلقة بالفدية^(٢٣٩)، ثم فوضه لاحقاً بجمع القروض اللازمة لذلك، وكانت عبقرية مستشار فيليب الجريء دينو رابوندي وراء استكمال العمليات المعقدة لتحويل الأموال إلى أودارت دواي وإرضاء الدائنين^(٢٤٠)، وتزامناً مع ذلك وتحديداً في تشرين الاول ١٣٩٧ أقنع فيليب شارل السادس عاهل فرنسا بمنحه أربعة وثمانون ألف نوبل، وفي ٢٠ تشرين الثاني ١٣٩٧ تم تحويل مساعدات ملكية اضافية إلى فيليب الجريء قدرها أربعون ألف نوبل^(٢٤١).

لم يكتفِ فيليب الجريء بالاستعدادات السابقة، بل كلف دينو رابوندي عضو اللجنة الخاصة المذكورة أعلاه في تنظيم جباية ضريبة المساعدة الخاصة للفدية التي

(237) (Delaville Le Roulx, Op. Cit., p.325.

(238) (Urbain Plancher, Op. Cit., Vol 3, p.155 – 166.

(239) (W. Prevenier, De Beden in Het Graafschap ..., N 2, p.116.

(240) (Delaville Le Roulx, Op. Cit., p.85 – 92.

(241) (Andrée Van Nieuwenhuysen, Op. Cit., p.176.

صوت عليها الفلمنكيون مؤخراً، كما أرسلت في ١٥ تشرين الثاني ١٣٩٧ مع مستشاره المخلص فرانثيسكو أكيثانتي (Francesco Accettanti)، وغاليكو دا بياسترا (Galico da Piastra)، وحاشية من ثمانية عشر حصاناً للانضمام إلى جون نيفيرز ورفاقه في تريفيزو (Treviso)، فحول دينو مائة وخمسون ألف نوبل من المبلغ الذي استلمه أودارت دواي من الخزنة العامة البورغندية. أما باقي المبلغ البالغ خمسون ألف نوبل، فحصل عليه أودارت من سلسلة جديدة من القروض التي جُمعت في البندقية في كانون الثاني ١٣٩٨، واستُخدمت تلك الأموال لتسديد مبلغ اثنان وخمسون ألف دوقية التي دفعها فرسان رودس واثنين من تجار جنوة في بحر إيجه إلى السلطان بايزيد، واستُخدم الباقي لسداد عدد من الديون والتكاليف التي تكبدها جون نيفيرز ورفاقه في تريفيزو والبندقية، فضلاً عن الديون التي تراكمت على ابن الدوق في الدولة العثمانية وأثناء طريق عودته والتي بلغ مجموعها حوالي مائة ألف دوقية^(٢٤٢).

اقترض فيليب من أخيه جون بيرري في ١٩ شباط ١٣٩٨ عشرة آلاف نوبل، وفي الوقت نفسه رهن فيليب بعض أواني الذهبية ولوحاته الخاصة مقابل عشرون ألف نوبل يسدد في غضون سنتين^(٢٤٣)، وفي آذار من العام نفسه جمع مسؤولوه قروضاً من أرتوا وغيرها عن طريق تأجير بعض أراضي وممتلكات تابعة لفيليب الجريء، وبهذه الطريقة جمعوا مبلغ قدره خمسة عشر ألف نوبل، أما الفلمنكيين فرفضوا منح الـ ثلاثين ألف نوبل المطلوب منهم، وتزامناً مع ذلك بدأ أسرى معركة نيكوبوليس بالعودة إلى ديارهم ابتداءً بـ ٢٣ كانون الثاني ١٣٩٨، وبعد شهر وتحديدًا في ٢٢ شباط ١٣٩٨ دخل جون نيفيرز إلى ديجون بعد عامين تقريباً من رحيله في الحملة الصليبية، وهكذا انتهت كارثة نيكوبوليس بتعزيز شهرة ومكانة بيت بورغندي من آل فالو بوصفهم من رجالات الحملات الصليبية، وأصبحت عائلتهم مرتبطة إلى الأبد بالتقاليد الفخرية المقدسة لتلك الحملات^(٢٤٤).

) 242(W. Prevenier, De Beden in Het Graafschap ..., N. 2, p.116.

)243(Delaville Le Roulx, Op. Cit., p.326.

) 244(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.75 – 78.

في سياق متصل، أٌخذ فيليب الجريء خطوة إدارية بالغة الدلالة حين أصدر عام ١٣٩٩ مرسوماً يقضي بتعيين مسؤول خاص يتولى مهمة حفظ الأرشيفات في الأراضي التابعة له، بما في ذلك فلاندرز، وأرتوا، وريثيل، وليمبورغ، وأوتر-ميز، وبرابانت. وقد وقع الاختيار على تيري غيربود (Thierry Gherbode)، لتولي المنصب الجديد، نظراً لخبرته السابقة في إدارة أرشيفات روبلموند. ومقابل ذلك منح له معاشاً سنوياً قدره ثلاثمائة فرنك ذهبي، كما اتُخذت مدينة ليل مقراً رسمياً لإقامته، بما يعكس الأهمية المتزايدة التي أولتها الدولة البورغندية لتنظيم الذاكرة الإدارية وتثبيت أسس الحكم^(٢٤٥).

تهيأت لدوق بورغندي فيليب الجريء فرصة ثمينة بعد دخول عاهل فرنسا شارل السادس في نوبة جنون جديدة، فتنافس تياران للهيمنة على مؤسسة العرش الفرنسي صيف عام ١٣٩٩، هما تيار الأرمانيك (Armagnac)، الذي قاده شقيق الملك دوق أورليان لويس الأول، والثاني تيار البورغنديين الذي تزعمه الدوق فيليب الجريء^(٢٤٦)، وكان التيار الأول مؤيداً لعقد هدنة مع إنجلترا، بينما أراد التيار الثاني استئناف القتال ضد العدو الإنكليزي، وفي كانون الثاني ١٤٠١، استعرض فيليب الجريء قواته حول العاصمة باريس لتخويف لويس أورليان، لكن دوقي بيري وأنجو والملكة إيزابيلا جنوبا فرنسا حرباً أهلية وشيكة بالتوصل إلى اتفاق سلام بين الطرفين في كانون الأول ١٤٠١^(٢٤٧).

حينها دخل تنافس الطرفين مضمار الدبلوماسية حين حاول فيليب الجري ودوق أورليان الهيمنة على الملك المجنون، فاستغل دوق أورليان عام ١٤٠٢ غياب

²⁴⁵(A. Et J. Le Glay, M. Desplanque, Inventaire- Sommaire Des Archives Départementales Anterieures A 1790-Nord . Archives Civiles . Série Bchambre Des Comptes De Lille ,Nos 4 À 1560,Tome Premier,Imprimerie De L. Danel,Lille ,1865,p.10-11.

²⁴⁶(Pierre Gosset, Op. Cit., p.280 ; Felix Ragon, Op. Cit., p.120.

²⁴⁷(Richard Vaughan, Philip The Bold ..., p.108 – 109.

فيليب الجريء عن العاصمة باريس، وحصل من أخيه على منصب "الحاكم السيادي للمساعدات"، وعند عودة فيليب الجريء إلى العاصمة حصل من الملك المجنون على حق "الحاكم السيادي المشارك للمساعدات"، على قدم المساواة مع دوق أورليان، وفي السنوات الأخيرة كثف فيليب الجريء ضغوطاته السياسية لإزاحة أنصار لويس دوق أورليان من المناصب المهمة في مملكة فرنسا، دون نجاح يذكر، وهكذا ظل احتمال نشوب حرب أهلية بين الأرمانيك والبورغنديين مطروحاً بقوة^(٢٤٨).

لم تشغل التجاذبات آنفة الذكر فيليب الجريء عن سياسته التقليدية في إرساء تحالفات مستتدة على المصاهرات السياسية، فزوج ابنه أنطوان بورغندي في ٢٥ نيسان ١٤٠٢ من جين سانت بول (Jeanne of Saint-Pol) (١٤٠٦-١٤٠٧)، الابنة الوحيدة لدوق لوكسمبورغ واليران الثالث (Waleran III) (١٣٧١-١٤١٥)، أقوى نبلاء بيكاردي، وكونت سانت بول وليني^(٢٤٩)، وبذلك حصل دوق بورغندي عام ١٤٠٢ على أراضي لوكسمبورغ، مما مكن دوقية بورغندي من تطوير نفوذها في منطقة بيكاردي^(٢٥٠).

اللافت أن سياسة فيليب الجريء في التصاهر السياسي امتدت إلى أحفاده، وكان تركيزه على توطيد روابط أسرة آل فالوا - بورغندي مع الفروع الجديدة للأسرة المالكة الفرنسية، فنجح عام ١٤٠٣ في عقد صفقة زواج حفيده الأولى ماركريت نيفيرز (Margaret of Nevers)، من لويس دوفين فرنسا ودوق جوين (Louis de Guyenne) (1401.1415)، الابن الأكبر لملك فرنسا شارل السادس، وفي الوقت نفسه اتم تزويج حفيده فيليب الثالث "الطيب" (Philippe le Bon) (١٤١٩-١٤٦٧)، ابن جون الجسور من ميشيل فالوا (Michelle of Valois) (١٤٠٩-١٤٦٧).

(248) John Bell Henneman, Op. Cit., p.352.

(249) Léon Mirot, Jean Sans Peur De 1398 – 1405 Bulletin De La Société De L'histoire De France, Paris, 1939, p.160 – 169.

(250) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.91 – 92.

١٤٢٢) الابنة الخامسة لشارل السادس ملك فرنسا(٢٥١)، والحقيقة أن سياسة المصاهرات التي قام بها فيليب الجريء طوال حياته كانت ابرز دبلوماسيته، وانتهت إلى توطيد نفوذ دوقية بورغندي وتضاعف ممتلكاته، وتوطيد علاقاتها مع أغلب القوى الأوروبية المحاذية لها أو القريبة منها في مملكة فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة(٢٥٢).

استناداً إلى ما تقدم يبدو واضحاً أن فيليب الجريء عد ابنائه واحفاده أدوات دبلوماسية لتوطيد نفوذ دوقيته وتوسيع ممتلكاتها وتحالفاتها، وهي سياسة ذكية اتبعتها خلفاؤه في بورغندي من بعده، كما عزز فيليب بأبنائه حلقة بالغة الأهمية من التحالفات على حدوده الشرقية وأمن بأحفاده حلقة مهمة من التحالفات على حدوده الغربية، وعزز مركزه في البلدان المنخفضة، وحمى حدود مقاطعة بورغندي، وحافظ على علاقات وثيقة مع فرنسا، ومواصلة التعاون معها. وهي أمور أسهمت في تعزيز مكانة بورغندي كقوة أوروبية فاعلة ومؤثرة.

استدعى فيليب الجريء في ١٣ نيسان ١٤٠٤ دينو رابوندي إلى غنت لمناقشة الشؤون المالية لتمويل بعض الاجراءات التي خطط لها لإقامته القادمة في فلاندرز(٢٥٣)، ثم ذهب إلى مدينة بروكسل لاستلام حكم دوقية برابانت، لكنه اثناء الطريق أصيب بمرض الالتهاب الرئوي فقرر العودة إلى الفلاندرز في ٢٦ نيسان من العام نفسه(٢٥٤)، لكن المرض ثقل عليه، واثناء احتضاره اوصى أبناءه الثلاثة بموالاته ملك فرنسا والاخلاص له(٢٥٥).

251(Emilie Lebailly, Le dauphin Louis, duc de Guyenne, et les arts précieux 1409 – 1415 Bulletin Monumental, Persée, Tome 163, n.4, 2005, p. 357 – 374.

252(W. Kohlhammer, Op. Cit., p.31.

253(Léon Mirot, La Colonie Lucquoise ..., p.365 – 366.

254(Ernest Petit, Ducs De Bourgogne ..., p.338.

255(Théophile Boutiot, Histoire De La Ville De Troyes Et De La Champagne Méridionale, Deuxième Volume, Dufey Robert, Paris, 1872, p.305 – 306.

لفظ أنفاسه الأخيرة يوم الأحد ٢٧ نيسان ١٤٠٤ عن عمر ناهز ٦٢ عاماً في مدينة هال (Halle) قرب بروكسل^(٢٥٦)، بحضور ابنه البكر جون الجسور البالغ من العمر الثالثة والثلاثين، وابنه الثاني أنطوني، وتميزت جنازته بـ أبهة غير مسبقة^(٢٥٧)، تلاها نقل الجثة إلى ديجون، برفقة ستين من حاملي الشعلة، الذين ارتدوا الزي الرسمي الأسود بشكل موحد، وساروا ببطى خلف عربة الجثة التي طوقت بقماش من الذهب مبطنه بالمخمل الأسود، ومزيناً في المنتصف بصليب من المخمل القرمزي، وفي كل زاوية من زوايا الأربعة رفرفت لافتة زرقاء مزينة بشعار فيليب الجري^(٢٥٨). جرت العربة ستة خيول مغطاة بأغطية سوداء، وتخللت الرحلة احتفالات كبرى. ووفقاً لرغبات المتوفى الأخيرة، تم لف جثته بالملابس الكارثوسية البيضاء لراهب كارثوسي في اثنين وثلاثين ذراعاً من القماش المشمع وجلد البقر^(٢٥٩)، وبعد وصول الجثة إلى ديجون نزع أحشاءها والقلب وحنطت، ثم وضعت في تابوت من الرصاص وزنه سبعمائة رطل، ثم تم إيداعها في منزل شارتروز دي شامبمول (Charterhouse of Champmol)، في ديجون، أما الأعضاء الداخلية فأرسلت إلى كاتدرائية القديس سانت مارتن في مدينة هالي لدفنها^(٢٦٠).

أرسل القلب إلى دير سانت دينيس خارج باريس، ليوضع إلى جانب رفات الأسلاف الملكيين لفيليب الجري^(٢٦١)، وفي ٣٠ نيسان ١٤٠٤ رافق أبناء فيليب الجري ومقربيه ونبلاءه جنازته المحنطة مع ستة عشر قسيساً مرتدين زياً أسوداً مهيباً، أما جون الجسور فذهب إلى باريس ليؤدي يمين الولاء لملك فرنسا، واللافت أن وفاة

(256) Françoise Autrand, Op. Cit., p.481.

(257) ADCO, Mandements Et Quittances De Jean De La Huerta, Imagier Du Duc De Bourgogne, Pour La Construction Du Tombeau De Jean Sans Peur 1447 – 1448, 19 November 1448, B 310. (٩) أنظر ملحق رقم

(258) Théophile Boutiot, Op. Cit., Deuxième Volume, p.305.

(259) Patrick Marc De Winter, The Patronage Op Philippe ..., p.74 – 75.

(260) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.136 – 140.

(261) Ernest Petit, Ducs De Bourgogne ..., p.574 – 579.

الدوق ادت إلى تداعيات كبيرة على معاصريه الذين رأوا فيه رمزاً لرجل دولة متمكن
وسياسي قدير (٢٦٢).

الفصل الثاني

تنامي نفوذ دوقية بورغندي، ونشاطاتها

١ لسياسية والعسكرية في عهد الدوق جون الجسور حتى حادثة جسر
مونتروا ١٠ أيلول ١٤١٩

المبحث الأول

تسنم جون الجسور دوقية بورغندي وجهوده في الاستحواذ على
مؤسسة العرش الفرنسي ١٤٠٤ - ١٤٠٧

أصبح جون الأول (Jean I) (١٤٠٤-١٤١٩)، الملقب بالجسور (Sans
Peur)^(٢٦٣)، مهيباً تماماً لورثة والده، وتحمل أعباء الحكم نيابة عنه، وهو ما حدث
فعلاً بعد وفاة والده دوق بورغندي فيليب الجريء في ٢٧ نيسان ١٤٠٤^(٢٦٤).
استهل جون الجسور عهده بتأدية يمين الولاء لعاهل فرنسا شارل السادس عن
دوقية بورغندي وممتلكاته الفرنسية الأخرى، ومن بين القابه العديدة اطلق على نفسه

(٢٦٣) (١٣٧١-١٤١٩): وُلد يوم الأربعاء في ٢٨ أيار في قصر دوقات بورغندي في ديجون،
وتعلم القراءة والكتابة والحساب والآداب والفنون السائدة في عصره ، كما وفر والده الدوق فيليب
كتب كلاسيكية لابنه، منها كتاب الأبجدية، وسفر المزامير السبعة، وكتب العبادة والخطابة والكتب
الكنيسة والوعظية، وحصل جون من والديه في ١٦ آذار ١٣٨٤ على مقاطعة نيفيرز وبارونية
دونزي كهدية له في عيد ميلاده ، وأصبح أول كونت لنيفيرز، تزوج الأميرة الألمانية ماركريت
بافاريا ابنة دوق ألبرت الأول ملك هولندا، ورزق منها بابن وحيد هو وريثه في حكم بورغندي
فيليب الطيب، وسبعة بنات هن: ماركريت نيفيرز، وماري، وكاترين، جوانا، وإيزابيل، وأن، وأغنيس
بورغندي، اكتسب لقب الجسور لاستبساله في معركة بوليس، لكن بعض المؤرخين اوردوا أسباباً
أخرى لتلك التسمية منها شجاعته منقطعة النظر في معركة أوئي ضد ثوار لياج، وتمكنه اثناءها
من قتل الكثيرين بسيفه، وانتقامه الرهيب من اهل لياج بعد انتصاره عليهم، بقطع رؤوس زعماءهم
وإغراق رجال الدين الذين تحدوه في نهر الميز، مما أثار إعجاب قادته به، وخشيتهم منه، فلقبوه بـ
الجسور، للمزيد ينظر:

Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur Le Prince Meurtier, Éditions Payot &
Rivages, Paris, 2005, p.23 – 24 ; Nathalie Blancardi, Les petits princes:
enfance noble à la cour de Savoie (XVe siècle), Lausanne, 2001, p.3 – 5 ;
Patrick M. De Winter, Copistes éditeurs et enlumineurs de la fin du XIVe
siècle, la production à Paris de manuscrits à miniatures, Paris, 1978, p.185
– 198 ; Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.77 – 82 ; M. Le Baron Kervyn
De Lettenhove, Oeuvres De Froissart, Tome 1, Op. Cit., p.296. (أنظر ملحق)

رقم (١٠)

264(Joseph Calmette, Op. Cit., p.104 – 105.

لقب دوق بورغندي في ٢٣ أيار من العام نفسه^(٢٦٥)، وقبل وصوله ديجون، عاصمة بورغندي "قطع يميناً بالحفاظ على امتيازات المدينة وعاداتها كما كانت في عهد الملك جون ووالده وأسلافهما من دوقات بورغندي"^(٢٦٦)، وفور وصوله ديجون في ١٧ حزيران ١٤٠٤، أعلن لسكان دوقية بورغندي مجدداً التزامه بجميع الامتيازات التي تمتعوا بها في عهد والده فيليب الجريء^(٢٦٧)، ثم أمر مستشاريه باستدعاء أتباعه الإقطاعيين في دوقية بورغندي ليقدموا له يمين الولاء مباشرة^(٢٦٨).

واجه جون الجسور تحديات كثيرة لنفوذ من خصم عائلته التقليدي ابن عمه لويس الأول دوق أورليان، وكمنت خطورة تلك التحديات في أنها هدفت للاستحواذ على عاهل فرنسا المجنون شارل السادس، ومن خلاله على مؤسسة العرش الفرنسي ونبلائها، وكانت إحدى أوجه ذلك التحدي اختلاف دوقي بورغندي وأورليان حول الاعتراف بالبابا بنديكت الثالث عشر، فقد أعترف دوق بورغندي جون الجسور ووالده من قبل ببابوية بنديكت الثالث عشر، في حين رفضها لويس دوق أورليان، وألزم الملك شارل السادس بمجاراته في رفض الاعتراف ببابوية بنديكت الثالث عشر^(٢٦٩)، واستغل دوق أورليان انشغال ابن عمه دوق بورغندي جون الجسور بتنظيم شؤون دوقيته وغيابه المتكرر عن مجلس الملك للاستحواذ على الملك شارل السادس، فطوال عامي ١٤٠٤ و ١٤٠٥ لم يحضر دوق بورغندي إلى مجلس الملك سوى ثلاثة مرات، مما عزز فرص منافسه دوق أورليان في الهيمنة على مؤسسة العرش بإدارتها كافة، لاسيما بعد معاناة أخيه شارل السادس من نوبات جنون دورية مكنته من الحلول محله في تسيير شؤون

265(J. A. Buchon, La Chronique D'enguerran De Monstrelet (1400 – 1444), Tome 1, Op. Cit., p.114.

266(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.137 – 140.

267(J. A. Buchon, La Chronique D'enguerran De Monstrelet (1400 – 1444), Tome 1, Op. Cit., p.114.

268(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.135.

269(Eugène Jarry, Op. Cit., p.220 – 222 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii Roi De France, Tome III, P. Jannet, A Paris, 1858, p.148.

فرنسا، واخضاع جميع أفراد العائلة المالكة لنفوذه بضمنهم زوجة اخيه الملكة ايزابو البافارية وابنائها الآخرين، بوصفه ممثل الملك وصنوه^(٢٧٠).

زادت وطأة التحدي بين دوقي أورليان وبورغندي، بعد إبرام اتفاق زواج في حزيران ١٤٠٤ بين الابن الأكبر لدوق أورليان، كونت انغوليم، شارل الأول دوق أورليان (Charles I, Duke of Orléans) (١٤٠٧-١٤٦٥)^(٢٧١)، من الملكة إيزابيلا الفرنسية (Reine Isabelle) (١٣٩٦-١٣٩٩)، ابنة شارل السادس وارملة عاهل إنكلترا ريتشارد الثاني^(٢٧٢)، تلاه سعي دوق أورليان تزويج حليفه وربيه ماركيز بونت إدوارد دي بار (Édouard III de Bar, Marquis du Pont) (١٣٩٩-١٤١٥)، من ابنة شارل السادس ماري دي فرانس (Marie de France)، لكن جون الجسور فشل الخطة حين أصر على أن تصبح الأميرة راهبة في دير بواسي الملكي (Le Prieuré Royal de Poissy) حيث تربت ونشأت^(٢٧٣).

اضطر دوق بورغندي للتغاضي عن تلك التحديات لانشغاله في تنظيم المؤسسات الدوقية والقضائية والمالية والعسكرية في ممتلكاته، لتقوية نفوذه ورفده

(270) (Léon Mirot, Jean Sans Peur De ..., p.209 – 220).

(٢٧١) (١٣٩٤-١٤٦٥): ابن لويس الأول، دوق أورليان وفالنتينا فيسكونتي، وُلد في باريس في ٢٤ تشرين الثاني، بعد اغتيال والده على يد دوق بورغندي جون الجسور في تشرين الثاني ١٤٠٧، ورث لقب دوق أورليان وترغم تيار الارمانيك المناوئ للبورغنديين، وفي عام ١٤١٠ تزوج مجدداً من بون ابنة كونت ارمانياك برنارد السابع، فشكّل تحالفاً بين أسرتي أورليان وأرمانياك، أسره الإنجليز في معركة أجينكور عام ١٤١٥، وقضى ٢٥ سنة في الاسر كتب خلالها حوالي ٥٠٠ قصيدة باللغتين الفرنسية والإنجليزية عن معاناته في الاسر، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٤٤٠، توفي في قلعة أمبواز في ٥ كانون الثاني، للمزيد ينظر: Frederick Converse Beach, The Encyclopedia Americana A Universal Reference Library Comprisi-ng The Arts And Sciencs ... Commerce, Etc., of The World, Vol. II, Scientific American Compiling Dpt, New York, 1905, p.549 ; Enid Mcleod, Charles Prince of Orleans, Paris, 1971, p.129.

(272) (Louis Douët D'arcq, Choix De Pièces Inédites Relatives Au Règne De Charles VI, Tome 1, Mame Ve Jules Renouard, Paris, 1863, p.260 ; Pierre Cochon, Chronique Normande De, A. Le Brument, Rouen, 1870, p.211 – 212.

(273) (Eugène Jarry, Op. Cit., p.322 – 323.

بالإمكانات التي يحتاجها لاحقاً لتصفية حساباته مع غريمه دوق أورليان، لذا قرر دوق بورغندي الاستفادة من خبرات جميع موظفي وضباط دوقيته وباقي ممتلكاته للارتقاء بها^(٢٧٤)، فأنشأ إدارة فعّالة يديرها موظفون متمرسون من ذوي الخبرة، وأرسى مركزية في غرف الحسابات في ديجون وعين تيري غريبود رئيساً لها ، ثم إصدار في شباط ١٤٠٥ أمراً بتقسيم تلك الغرفة إلى أربعة مكاتب، لمعرفة أوجه إيراداتها وانفاقها وتدقيق حساباتها، بدقة وسرعة، انتهت إلى تعاضد إيرادات الممتلكات التابعة لجون الجسور، أرفها بمراسيم لاحقة فصل بموجبها مجلس ديجون عن غرفة حساباتها، وإعادة تنظيم المجالس والدوائر والمناصب الإدارية في الدوقية، لأنها غير متوافقة مع القانون الدوقي، وأصدر مرسوماً لاحقاً بضرورة عمل جميع مكاتب غرفة حسابات ديجون بشكل مستمر، وأضاف لوائح أخرى لكيفية التعامل مع الشكاوى والاختفاء الإدارية وسبل معالجتها^(٢٧٥).

رسخت لمسات جون الجسور على مؤسسات دوقيته، بنية جهاز الحكم البورغندي، وأدت إلى إخضاعها لنفوذه، ودفعته للسير على سياسة أبيه الاستحواذية على مؤسسة العرش الفرنسي، لتسخير مواردها وسلطاتها لخدمة أهدافه السلالية، ووضع دوق بورغندي نصب عينيه حقيقة أن سر نجاح أبيه كمن في هيمنته على الملك المعنوي شارل السادس، مما ألقى في روع دوق بورغندي أن يمين "الطاعة والولاء" الذي أداه لشارل السادس سيكون له مفعول عكسي، يجعل الملك شارل - عملياً - مديناً لدوق بورغندي بفروض الطاعة ومقيداً بالتزامات الولاء، وأنه سيستغل ذلك لتصفية حساباته مع غريمه دوق أورليان في الوقت المناسب^(٢٧٦).

تزامناً مع وضعه تلك الخطة توفيت والدته ماركريت الثالثة في ٢١ آذار ١٤٠٥ عن عمر ناهز الخامسة والخمسين، إثر سكتة دماغية، فاتفق دوق بورغندي جون

(274) Ernest Champeaux, Op. Cit., p.69 – 70.

(275) Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.239 – 240 ; A. Et J. Le Glay, M. Desplanque, Op. Cit., p.10 – 11.

(276) Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.29.

وأخويه أنتوني وفيليب بموجب قانون أراس، الصادر في ١١ نيسان ١٤٠٥ على اقتسام ممتلكاتها بينهم، فكانت للدوق جون الجسور حصة الأسد، لأنه وفقاً لوصية والدته ورث دوقية بورغندي ومدن الفلاندرز الرئيسة: ليل، غنت، أودينارد، بروج، كورتراي، أراس وأرتوا، فضلاً عن مدينتي سالين ومالين، مقابل تنازله عن مقاطعة نيفيرز وبارونية دونزي لأخيه الأصغر فيليب، ومقاطعة ريثيل، لأخيه الثاني أنتوني^(٢٧٧)، واللافت أن الدوق جون الجسور، لم يؤدّ يمين الولاء لعاهل فرنسا عن ممتلكاته في الفلاندرز وبلوا، فأطلق على نفسه في ١١ نيسان ١٤٠٥، لقب جون، دوق بورغندي، وكونت فلاندرز وأرتوا وبورغندي وبالاتين، وسيد سالينس وماتينس، ثم باشر جون في اليوم الثاني المراسيم الرسمية لتتصيبه في مقاطعة الفلاندرز^(٢٧٨)، وفور اكمال مراسيم تتصيبه، حرص جون الجسور على كسب ولاء أخويه عن طريق منحهم حصصهم من الأثر، فأصدر في ١٤ نيسان ١٤٠٥ ثلاثة وثائق لتنفيذ ترتيبات والداه حول حصص أخويه، وبموجبها فإن شقيقه أنتوني أصبح حاكم برابانت - بما في ذلك أرضي أنتويرب ودوقية ليمبورغ (Limburg)، والأراضي الواقعة وراء نهر الميز (La Meuse)^(٢٧٩)، ثم تنازل أنتوني عن مقاطعات ريثيل ونيفيرز لأخيه الأصغر فيليب^(٢٨٠).

(277) (Léon Mirot, Jean Sans Peur De ..., p.213 – 219 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 3, Op. Cit., p.235 ; Jehan De Waurin, Tome 2, Op. Cit., p.92.

(278) (Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.248 – 250 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 6, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1800, p.335. أنظر ملحق رقم (١١).

(279) (Frederick C. Wilson, Anglo – Fresch Relations In The Reign of Kinghenry Iv of England 1399 – 1413, (Unpublished Doctoral Thesis), Department of History Philosophy, Mc Illuniversity, Quebec, 1973, p.249 ; W. Kohlhammer, Op. Cit., p.45 – 46.

(280) (Frederick C. Wilson, Op. Cit., p.249.

تعرض جون الجسور وأخوته إلى تحدي خطير من أبْن عمهم لويس دوق أورليان، الذي زوج ابنة عمه ماري داركورت (Marie d'Harcourt)، من رينو الرابع دوق جيلدرز (Renaud IV de Gueldre) (١٤٢٣-١٤٠٢)^(٢٨١)، واحتقل باتحاده مع الدوق رينو أمام الملك شارل السادس في ٣٠ نيسان ١٤٠٥^(٢٨٢)، مما أثار حفيظة جون الجسور وأخوته بسبب عداوتهما التقليدية مع أبْن عمهما، فضلاً عن التنافس الدائم بين دوقية جيلدرز ودوقية برابانت التابعة لأنطوني بورغندي، مما دفع الأخوين جون الجسور وأنطوني لإعلان الحرب على دوق جيلدرز في يوم زفافه، فعاد الدوق رينو إلى جيلدرز للدفاع عنها^(٢٨٣).

اضفى جون الجسور مزيداً من الأهمية على نفسه من خلال اختيار شعارات نبالة خاصة به، أولها شعار منجل النجار أو مايعرف بـ (المنشار الخشبي) الذي تبناه عام ١٤٠٥ كـ "رمز إلى الحكمة والاعتدال"^(٢٨٤)، والغريب أن جون الجسور أتخذ شعارات متعددة هي: نبات القراص، الطائرة، صليب القديس سانت أندريه (Saint

(٢٨١)(١٣٦٥ - ١٤٢٣): ابن ويليام الثاني دوق يوليش وماريا من جيلدرز، خلف أخاه الأكبر ويليام الأول عام ١٤٠٢، فجمع بين دوقيتيّ جيلدرز ويوليش ولقب كونت زوتقن، مما جعله من أبرز أمراء الراين الأدنى في مطلع القرن الخامس عشر. في ٥ أيار ١٤٠٥ تزوّج من ماري داركورت، ابنة عم لويس دوق أورليان، لكن زواجهما لم يُثمر عن ورثة. اتّسم حكمه بالاعتدال والسعي للحفاظ على استقلال دوقيتيه وسط النفوذيين البورغندي والبرابنتي. توفي في ٢٥ حزيران، وبوفاته انقرض الخط الذكري لبيت جيلدرز - يوليش، مما مهّد لصراع على الخلافة بين آل ساكسوني وبورغندي، للمزيد: Serge Boffa, L'expédition d'octobre 1407 dirigée par Antoine, duc de Brabant, contre Renaud IV, duc de Juliers et de Gueldre, Revue belge de philologie et d'histoire, tome 77, fasc. 2, 1999, p.303 – 305.

(282) (Pierre Cochon, Op. Cit., p.211 – 212 ; Serge Boffa, L'expédition d'octobre 1407 dirigée par Antoine ..., fasc. 2, Op. Cit., p.303.

(283) (Eugène Jarry, Op. Cit., p.320 – 325 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 3, Op. Cit., p.257 – 259.

(284) (Emily J. Hutchison, Partisan Identity in The French Civil War 1405 – 1418, Journal of Medieval History, Mount Royal University, History Department, Canada, Vol. 33, No. 3, 2007, p.257.

André^(٢٨٥)، غصن الجنب المزهري (The Flowering Hop Branch)^(٢٨٦)، وكانت شعاراته بمجملها رموز للقوة والالتزام الديني والإصلاح^(٢٨٧)، ووضع جون الجسور الرموز أنفة الذكر على بيرق دوقيته وجيوشه، الذي قسمه إلى أربعة أجزاء في القسمين الأول والرابع اللون الأزرق السماوي المنقوش بزهور الليز الذهبية، مع إطار من الفضة في وسطه شعار النبالة الخاص بعائلة آل فالوا، أما القسمين الثاني والثالث فمطرز باللونين الذهبي والأزرق السماوي، مع إطار من الفضة في وسطه درع منقوش عليه أسد^(٢٨٨).

أجرى جون الجسور مزيداً من الإصلاحات على الإدارة القضائية والمالية في بورغندي، فعين في ١٥ حزيران ١٤٠٥ لجنة خاصة من الإصلاحيين العامين برئاسة عمدة ديجون أنطوان شوفينج (Antoine Chauvin) لتنظيم الإدارة القضائية في ممتلكاته، ومنح تلك اللجنة سلطات واسعة النطاق لتوحيد القوانين، وتنظيم إجراءات التحقيق حول الجرائم المرتكبة في ممتلكاته، مع وضع لجنة رقابة دائمة على نبلائه وإداريته للتأكد من التزامهم بالقوانين ومعاقبتهم في حالة تجاوزهم عليها^(٢٨٩).

واجه جون الجسور تحديات جديدة من آل أورليان، حين رشحت إلى اسماعه شائعات مفادها أن لويس أورليان سيحصل على دوقية نورماندي، كذلك أستغل دوق أورليان وصايته على الملك واستحواذه على مؤسسة العرش الفرنسي لإنهاء نفوذ خصمه دوق بورغندي وتبني جميع السبل الكفيلة باضعافه، فأوعز دوق أورليان للمجلس الملكي برفض طلب دوق بورغندي إرسال تعزيزات إلى الفلاندرز وأرتوا لمواجهة خطر الإنجليز، وأصدر أوامر بقطع المبالغ الملكية لدوق بورغندي، مما زج الأخير في خضم

(285) Boris Bove, Le temps de la guerre de cent ans 1328 – 1453, Belin, 2015, p.288 – 290.

(286) Emily J. Hutchison, Pour Le Bien Du Roy ..., p.165 – 166.

(287) Emily J. Hutchison, Partisan Identity in The French ..., Vol. 33, No. 3, p.251.

(288) Ottfried Neubecker et Roger Harmingues, Op. Cit., p.99 – 100.

(289) Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.239 – 252.

صعوبات مالية، اضطر معها للاعتماد كلياً على ضرائب رعاياه، ف شعر الدوق جون الجسور أن سياسة لويس دوق أورليان كفيفة بتحجيم نفوذه في فرنسا، وتدمير مصالحه ومصالح عائلته، حينها أدرك دوق بورغندي أن لامناص من سحق خصمه اللدود دوق أورليان، والحلول محله في باريس بأية وسيلة للهيمنة على مؤسسة العرش الفرنسي^(٢٩٠).

استجاب جون الجسور للتحدي السابق وعباً قواته مطلع تموز ١٤٠٦، وتحالف مع لورد هاينسبرغ جون الثاني (Jean II) (١٣٩٥-١٤٣٨)، ضد سيده الاقطاعي لويس أورليان، وامتدت خيوط ذلك التحالف إلى ناخب ليبج جون بافاريا (Jean de Bavière, l'Élu de Liège) (١٣٩٠-١٤٢٥)^(٢٩١)، المعروف بـ جون الثالث القاسي، الابن الأصغر لـ ألبرت الاول فيتلسباخ، ملك المقاطعات المتحدة هينو وهولندا وزيلاند وشقيق وليام الرابع^(٢٩٢).

شهدت مدينة هينو اجتماع في ٢١ تموز ١٤٠٥ بين جون الجسور وأخيه أنتوني وصهره وليام الرابع، وأقسم النبلاء الثلاثة في ختام اجتماعهم على المساعدة

(290) Eugène Jarry, Op. Cit., p.319 – 32.

(٢٩١) (١٣٧٤-١٤٢٥): وُلد في لو كينوي (Le Quesnoy)، عُيّن أسقفًا على ليبج عام ١٣٩٠، ثم بعد وفاة شقيقه وليام السادس عام ١٤١٨، ورث جون ألقاب عديدة منها: دوق بافاريا - شتراوبينغ وكونت هولندا وزيلاند وهينو، تزوجت شقيقته مارغريت بافاريا عام ١٣٨٥ من دوق بورغندي جون الجسور، ثم تحالف في أواخر حياته مع دوق بورغندي فيليب الطيب، مما مهد لانتقال أراضيها إلى الحكم البورغندي بعد وفاته في ٦ كانون الثاني، للمزيد ينظر:

The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol. 15, p.507 – 508.

(292) (E. C. De Gerlache, Histoire De Liège, Depuis César Jusqu'a Maximilien De Bavière, M. Hayez, Bruxelles, 1843., p.123 ; Yves Charlier, La Bataille D'othée Et Sa Place Dans L'histoire De La Principauté De Liège, E L'institut Archéologique Liégeois, Tome Xcvii, Liège, 1985, p.142 – 151.

المتبادلة، ضد التحديات التي تواجههم^(٢٩٣)، واستناداً لذلك الاتفاق حصل وليام الرابع، على مساعدات عسكرية من حليفه جون الجسور قوامها مائة رمح وثلاثمائة حصان، لمساعدته على مواجهة عدوه جان داركيل (Jean d'Arkel) (١٣٤٢ - ١٣٧٨)، ثم اجتمع دوق بورغندي في أوديناردي مع ممثلي مدن الفلاندرز الأربعة للنظر في بعض شؤون مدنها، وفي ختام اجتماعه تلقى جون الجسور رسالة من شارل السادس في ٢٦ تموز ١٤٠٥ طلب فيها قدومه إلى باريس للتباحث حول بعض الأمور المهمة لمملكة فرنسا، ومن بينها دفع الأموال المستحقة لمملكة فرنسا على مقاطعتي الفلاندرز وأرتواز، فأدرك جون الجسور أن أيادي خصمه لويس دوق أورليان وراء تلك الرسالة لضعافه واخضاع ممتلكاته لهيمنة العرش الفرنسي^(٢٩٤)، ومع أن جون الجسور قرر الانتقام من عدوه دوق أورليان، لكنه تريت في رده لانشغاله بقضية مدينة بيزانسون التي عقد مواظنها في ٢٨ تموز ١٤٠٥ معه اتفاقاً بدفع خمسمائة فرنك سنوياً مقابل حمايتها^(٢٩٥)، ثم طلبوا منه ضمها إلى ممتلكاته لضمان أمنهم وازدهار مدينتهم، فأنشأ جون الجسور مجلساً لحكمها مع غرفة حسابات وإدارات تابعة له شخصياً^(٢٩٦).

شرع جون الجسور آواخر تموز ١٤٠٥، بتنفيذ مخطط تدمير خصمه اللدود دوق أورليان، فتوجه إلى باريس مع أخيه انطوني وصهره ناخب لياج جون بافاريا، وبعد أن زارها اقتنع بضرورة استخدام القوة ضد دوق أورليان، فغادر باريس في ٩ آب ١٤٠٥ نحو مدينة أراس التي تبعد عنها ١٨٥ كم، وحين وصلها في ١٢ آب ١٤٠٥ بدأ بجمع المقاتلين، وفي غضون ثلاثة أيام جمع جيشاً من بضعة آلاف مقاتل اسند

(293) Michael Nordberg, Les Ducs Et La Royauté Études Sur La Rivalité Des Ducs D'orléans Et De Bourgogne 1392 – 1407, Almqvist & Wiksells, Stockholm, 1964, p.175 – 188.

(294) Michael Nordberg, Op. Cit., p.190 – 193.

(295) Kathryn Edwards, Families and Frontiers Re-creating Communities and Boundaries in the Early Modern Burgundies, Brill, Boston, 2021, p.213.

(296) Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.13 – 14.

قيادته إلى مستشاره جان دي كروي (Jean, Seigneur de Croÿ)^(٢٩٧)، فأدرك دوق أورليان وايزابو ملكة فرنسا مغبة البقاء في باريس فغادرها إلى ميلون (Melun) في ١٧ آب ١٤٠٥، وأعطيا تعليمات بإرسال ولي العهد الفرنسي ودوق جوين لويس الدوفين إليهما^(٢٩٨)، وفي اليوم التالي تبعهما لويس الدوفين ابن شارل السادس، وشقيق الملكة ايزابو لويس السابع دوق بافاريا (Louis VII de Bavière) (١٤١٣-١٤٤٣)، وماركيز بونت إدوارد دي بار، لكن دوق بورغندي كان لهم بالمرصاد، ففور وصوله مشارف باريس صباح ١٩ آب ١٤٠٥ طارد دوق بافاريا ورفاقه، وأعادهم إلى باريس عدا ماركيز بونت، الذي رفض العودة وسارع لإبلاغ الملكة ودوق أورليان بما حصل^(٢٩٩).

عاد دوق بورغندي إلى باريس ظافراً بعد أن لقن اعداؤه درساً قاسياً مفاده قدرته على طردهم من عقر دارهم وفرض قوته على مؤسسة العرش الفرنسي، فاستقبله الباريسيون وأقام في قصر اللوفر على مرأى ومسمع من الملك ونبلاؤه الذين اضطروا للترحيب بدوق بورغندي جون الجسور، ثم أرسل جون الجسور رسائل إلى اكليروس فرنسا ونبلائها، طلب منهم فيها ارسال ممثلين عنهم إلى باريس للتباحث حول افعال دوق اورليان والوسائل المناسبة لردعه، وبعث خطابات اضافية إلى النبلاء طلب فيها دعمهم العسكري لمساعدته على وئد خطر دوق اورليان واتباعه^(٣٠٠)، وبعد أن اسقط في يد دوق اورليان وأدرك مدى ضعفه أمام غريمه أرسل رسائل احتجاج إلى برلمان باريس في ١٩ آب ١٤٠٥، اتهم فيها جون الجسور بارتكاب جريمة المساس بالسلطة الملكية، ودعا الملك لاتخاذ إجراءات صارمة بحقه^(٣٠١).

297(J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 1, Op. Cit., p.162 – 164.

298(L. Douët-D'arcq, Tome .1, Op. Cit., p.109.

299(J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 1, Op. Cit., p.163 – 164.

300(Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 3, Op. Cit., p.307 ; J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 1, Op. Cit., p.163 – 165.

301(Michael Nordberg, Op, Cit., p.193 – 195.

تجاهل جون الجسور احتجاجات خصمة واستقبل حلفاؤه الذين وصلوا بجيوشهم تباعاً إلى باريس، وفي مقدمتهم شقيقه أنتوني دوق ليمبورغ وبرابانت الذي دخل العاصمة في ٢٠ آب ١٤٠٥، مع ثلاثة آلاف ومائتي مقاتل، منهم ثمانمائة مشاة، والفي واربعمائة فارس، وناخب لياج جون بافاريا الذي وصل باريس على رأس ثمانمائة مقاتل^(٣٠٢)، تلاه صهر دوق بورغندي وكونت كليفر أدولف الأول (Adolphe Ier Comte de Clèves) (١٣٩٤-١٤٤٨)^(٣٠٣)، مع قواته وكبار قادته^(٣٠٤)، فضلاً عن قدوم قوات تابعة للبورغنديين من بيكاردي، وأرتوا، والفلاندرز وبورغندي، مما اقحم باريس والمقاطعات الفرنسية في استعراض قوة بالغ الخطورة^(٣٠٥).

استغل دوق بورغندي هيمنته العسكرية على باريس للتأثير على صناع القرار الفرنسي، فاجتمع في ٢١ آب ١٤٠٥ مع ولي العهد الفرنسي لويس الدوفين في متحف اللوفر، بحضور ملك نافار شارل الثالث (Charles III of Navarre) (١٣٨٧-١٤٢٥)^(٣٠٦)، وأعضاء من برلمان باريس وغرفة الحسابات ووفد من جامعة باريس،

302(Ibid., p.192 – 193.

(٣٠٣) (١٣٧١-١٤٤٨): ابن أدولف الثالث الملقب بـ المنتصر، بسبب الانتصارات التي حققها، خاض نزاعاً طويلاً مع شقيقه جيرارد بشأن اتحاد أراضي كليف والمارك بعد وفاة والده عام ١٤١٨. استمرت الحرب بينهما عشر سنوات، وانتهت عام ١٤٣٧ بتسوية نهائية أكدت وحدة الدوقيتين. تزوج أولاً من أغنيس ابنة ناخب بالاتين روبرت، لكنها توفيت ثم تزوج من ماري بورغندي، ابنة دوق بورغندي جون الجسور، وهو زواج عزز مكانته السياسية ووطّد علاقاته مع بيت بورغندي، عُرف أدولف بعدالته وتقواه ووفائه، حتى عُدّ قوله بمثابة عهد. توفي في ١٩ أيلول، للمزيد ينظر:

Louis-Gabriel Michaud, Biographie Universelle, Ancienne Et Moderne, Ou Histoire, Par Ordre Alphabétique, De La Vie Publique Et Privée De Tous Les Hommes Qui Se Sont Fait Remarquer Par Leurs Écrits, Leurs Actions, Leurs Talents, Leurs Vertus Ou Leurs Crimes, Vol.1, Desplaces, 1854, p.184.

304(Ernest Petit, Itinéraires De Philippe ..., p.489.

305(Léon Mirot, La Colonie Lucquoise ..., Tome 89, p.368 – 369.

(٣٠٦) (١٣٦١-١٤٢٥): ملك نافار وكونت إيفرو، الملقب بـ النبيل، وهو الابن الأكبر تشارل الثاني السبيء ملك نافار، وجين ابنة جون الثاني ملك فرنسا، وُلد في ٢٢ تموز في فرنسا، وتزوج

وفي ختام الاجتماع طلب جون الجسور من مستشاره لورد أولهاين جان دي نيلز (Jean de Nielles) (١٣٩٤-١٤٠٩)، أن يتلو على الملك عريضة ينتقد فيها هو وإخوته عمل وتصرفات تيار الارماغناكيين في بلاطه ومؤسسات ادارته، ويطلبوا انهاء رسمياً^(٣٠٧)، وشدد دوق بورغندي على ضرورة انهاء وصاية دوق اورليان التي استمرت ثلاث سنوات على عائدات المملكة، وأن يقدم دوق أورليان كشفاً عن عائدات المملكة اثناء تلك المدة، واعادة المبالغ التي قدرها دوق بورغندي بأربعة ملايين فرنك، ومع أن دوق بورغندي ادعى رغبته في أن تخضع المملكة للملك، وأن يتمكن المزارعون والتجار من العيش في سلام في ظل حكومة جيدة، لكن هدفه الحقيقي تمثل بالحلول محل غريمه دوق اورليان في الاستحواذ على مؤسسة العرش الفرنسي وملكها المعنوه شارل السادس^(٣٠٨).

أدرك دوق اورليان ضرورة تبني تدابير مضادة لغريمه، فشرع بتعبئة قواته وقوات أتباعه^(٣٠٩)، وتبنى اجراءات دبلوماسية لاستقطاب تأييد أغلب الفرنسيين وعسكرياً اعتمد على تأييد انصاره من نبلاء الفرنسيين وبسطنهم، فأرسل دوق اورليان في ٢ أيلول ١٤٠٥ بياناً إلى عدة مدن فرنسية، احتج فيه على اتهامات جون الجسور ضد وصايته، وهاجم دوق بورغندي وإخوته، متهماً إياهم بمحاولة الاستحواذ على الملك بشكل غير قانوني، لتحقيق الأهداف السلالية للبورغنديين على حساب مصلحة فرنسا

في عام ١٣٧٥ من ليونورا ابنة هنري الثاني ملك قشتالة، خلف والده في عرش نافار في كانون الثاني ١٣٨٧، وتميز حكمه بالسلام والاستقرار، عقد في عام ١٤٠٣ اتفاقاً مع ممثلي شارل السادس ملك فرنسا، سلم بموجبه شيربورغ للفرنسيين، وتنازل في العام التالي عن مقاطعة إيفرو مقابل منحه لقب دوق نيمور والاعتراف به كنبيل فرنسي.. توفي في أوليتي في ٨ أيلول، ودُفن في كاتدرائية بامبلونا، للمزيد ينظر: Hugh Chisholm, The Encyclopaedia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, Vol. 5, Encyclopædia Britannica Company, 1910, p.925.

(307) Michael Nordberg, Op. Cit., p.193 – 195.

(308) Pierre Cochon, Op. Cit., p.214 – 215.

(309) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 1, Op. Cit., p.165 – 167 ; Jules De La Chauvelays, Op. Cit., p.136 – 145.

ورخائها، فرد عليه جون الجسور واخيه انتوني دوق ليمبورغ في ٨ أيلول ١٤٠٥ ببيان بررا فيه افعالهما، وأعلنا شرعية مطالبهما ضد هيمنة دوق اورليان لويس واتباعه على مؤسسة العرش الفرنسي^(٣١٠).

هنا من المناسب القول أن موقف نبلاء فرنسا وعامتها كان فيصلاً في ذلك السجال الدبلوماسي المقترن بتهديدات عسكرية متبادلة بين الطرفين، وبدا واضحاً أن دوق بورغندي فشل في كسب برلمان باريس والإدارات التابعة لمؤسسة العرش، ومنها غرفة الحسابات، فأكد الجميع لدوق بورغندي ولأئهم للملك، لكنهم رفضوا الانجرار وراءه في صراع مفتوح ضد دوق اورليان وأنصاره، وتبنى كبار نبلاء فرنسا القرار ذاته، بضمنهم ملك نافار شارل الثالث، ودوقا بيرري جان دي بيرري وبوربون جون دي بوربون، الذين عارضوا برنامج جون الجسور للهيمنة على مؤسسة العرش بذريعة اصلاح اوضاع فرنسا، وأظهر سكان باريس نفوراً واضحاً من هيمنة دوق بورغندي على ملكهم، حينها اصبح دوق بورغندي على المحك، فناقش في ٢٧ أيلول ١٤٠٥ مع كبار مستشاريه الاسلوب الأمثل لإدارة صراعه ضد دوق أورليان، فنصحهم بعضهم بتبني اجراءات قانونية لإظهار الفساد المالي والإداري لدوق اورليان، وأكد بعضهم الآخر أن الحرب هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من نفوذ دوق اورليان في باريس وما حولها^(٣١١). تزامناً مع تلك النقاشات استمرت استعدادات دوق بورغندي وحلفاؤه الذين عسكرو في باريس وضواحيها، وبلغت قواته في ٢٠ تشرين الاول ١٤٠٥، ثمانية عشر ألف مقاتل، منهم اربعة آلاف وخمسمائة وستون مشاة، وثلاثة عشر ألف وستمائة وثمانون فارساً، مما أُنذر بدخول فرنسا حرباً أهلية مدمرة في ذلك المنعطف الخطير من تاريخها، المقترن بتورطها في حرب المائة عام^(٣١٢).

يحسب لدوق بورغندي أنه أثبت نضجاً سياسياً، وبعد نظر شديدين في التعامل مع عدوه، حين قرر اللجوء إلى الصلح معه لاستحالة تدميره، واثمرت تلك الرؤية عن تشكيل تيار تصالحي تمثل بـ: ملك نافار شارل الثالث، ودوق أنجو وملك صقلية لويس

310(Louis Douët D'arcq, Tome. 1, Op. Cit., p.273 – 285.

311(Michael Nordberg, Op. Cit., p.200 – 204.

312(Jules De La Chauvelays, Op. Cit., p.136 – 165.

الثاني (Louis II of Anjou, King of Sicily)(١٣٧٧-١٤١٧)، ودوقا بيري وبوربون، وكونت لامارش جاك الثاني دي بوربون(Jacques II de Bourbon)(1393-1438)، ووليام ميلون(Guillaume de Melun)(١٣٨٢-١٤١٥)، كونت تانكارفيل، ورئيس أساقفة أوش جان ارمانياك (Jean d'Armagnac)(١٣٩٠-١٤٠٧)، وأفلح أولئك الوسطاء في إبرام اتفاق مصالحة بين دوقي بورغندي وأورليان في ٢٢ تشرين الأول ١٤٠٥، تلاها عودة الملكة ايزابو ودوق أورليان إلى باريس بحضور نبلاء فرنسا واساقفتها، وتم إصدار أوامر بدخول الموكب إلى العاصمة باريس بطريقة تدل على المصالحة، وبموجبها: كانت الملكة وابنها ولي العهد (الدوفين) في المقدمة، وبعدهما دوق أنجو وملك صقلية لويس الثاني وملك نافار شارل الثالث، ثم دوقي بيري وبوربون، وأخيراً الخصمين اللدودين دوق أورليان وابن أخيه دوق بورغندي، ليلقوا في روع الجميع انتهاء صراعهما^(٣١٣).

لو قيما ما شهدته فرنسا من تطورات بين آب – وتشرين الاول ١٤٠٥، لألفينا فشل دوق بورغندي في التخلص من عدوه وإخفاقه في استمالة أعضاء المؤسسات الملكية الكبرى لبرنامج الإصلاح، لكنه أظهر مدى قوته، وقدرته على احتلال باريس وضواحيها أكثر من شهرين، وكون له شعبية بين مواطن باريس وضواحيها، واستعاد مكانته في مؤسسة العرش الفرنسي التي سلبها منه دوق أورليان مؤقتاً^(٣١٤)، وفي ظل ذلك الواقع بدأ توازن جديد في موازين أهم قوتين فرنسيتين ممثلتين بدوقي بورغندي وأورليان المتنافسين اللذين إظهارا مودة شكلية لبعضهما، وحضرا بعض المناسبات الملكية سوية، ومنها المأدبة التي اقامها الملك شارل السادس في فندق دارتوا الباريسي في يوم السبت ١ كانون الثاني ١٤٠٦، وحضرها متصافحين وإلى جانب ملكي فرنسا ونافار وبعض الفرسان والمرافقين^(٣١٥).

استرد دوق بورغندي موقعه في مجلس الملك، ومكث في باريس تسعة أشهر، حاز اثنائها مكتسبات كثيرة، منها: تعويضات مادية عما تكبده من خسائر جراء الهجمات الإنكليزية على بعض ممتلكاته، وإصدار مرسوم ملكي في ٢٣ كانون الثاني

313(Pierre Cochon, Op. Cit., p.214 – 215.

314(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.179.

315(Ernest Petit, Itinéraires De Philipp ..., p.354, 489, 585.

١٤٠٦ بمنحه راتب سنوياً قدره إثنا عشر ألف فرنك، فضلاً عن مبالغ نقدية لتمويل صيانة تحصينات مدينة ليكلوز البورغندية (L'Écluse)، وتبرع مالي بقيمة ثمانية عشر ألف فرنك لتغطية نفقات حرب دوق بورغندي ضد إنكلترا، ودفع أجور المقاتلين البورغنديين في مدينة ليكلوز وقلعتها، وتدشين برج يدعى بورغندي على الواجهة الساحلية لها تحسباً من أي عدوان إنكليزي^(٣١٦).

بلغت الامتيازات اقصاها حين أصدر الملك شارل السادس في ٢٧ كانون الثاني ١٤٠٦، مرسومين منح بموجبهما دوق بورغندي جون الجسور منصب والده الراحل الدوق فيليب الجريء في المجلس الملكي^(٣١٧)، وأثناء حضور دوقات أورليان وبورغندي وبوربون وملك نافار اجتماع المجلس الملكي في ٢٨ تموز ١٤٠٦، أصدر الملك شارل السادس مرسوم ملكي نص على ضم بعض مستشاري دوق بورغندي إلى قائمة أعضاء المجلس الكبير مما أوجد نفوذاً كبيراً للبورغنديين في مؤسسة العرش الفرنسي، بمجلسيها الملكي والصغير والكبير^(٣١٨).

امتدت سلسلة الامتيازات الملكية إلى حدٍ غير مسبوق حين أعلن الملك شارل السادس في ١٥ نيسان ١٤٠٧، أنه مدين لدوق بورغندي واخوته بـ ١٨٩,٦٦٦ ليفر (Livre)، لإنهاء الملف المالي لتركة والدهم في بعض مقاطعات فرنسا^(٣١٩)، واللافت أن دوق أورليان لم يبد حراكاً لوقف تلك الامتيازات، وفضل التكيف مع المكانة الرفيعة التي حازها منافسه دوق بورغندي، فأظهر له المودة وتعمد الظهور معه في بعض المناسبات الرسمية ومنها إحدى حفلات سان دوني، وتعامل دوق بورغندي من جانبه بدبلوماسية مع دوق أورليان، فأهداه في الحفلة ذاتها خاتم منقوش مع جوهرة فخمة مزينة بلؤلؤ والزمرد على شكل طائرة كانت شعاره، وتناول العشاء معه^(٣٢٠).

تمثل آخر امتياز ملكي حازه دوق بورغندي بإصدار الملك شارل السادس مرسوماً في ١ تشرين الأول ١٤٠٧ زاد بموجبه الراتب السنوي لدوق بورغندي من إثنا

316(Ibid, p.580 – 582.

317(Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.243 – 244.

318(Louis Douët D'arcq, Tome. 1, Op. Cit., p.288 – 298.

319(Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.243 – 244.

320(Ernest Petit, Itinéraires De Philippe ..., p.354, 489, 585.

عشر ألف إلى ستة وثلاثون ألف فرنك، وهكذا حقق دوق بورغندي امتيازات سياسية واقتصادية جعلته شريكاً لدوق أورليان في الاستحواذ على بلاط فرنسا ومقدراتها^(٣٢١). لكن ذلك كله لم يمنع دوق بورغندي من السير قدماً في إضعاف خصمه، فأبعد أغلب أنصاره من مجلس الملك الكبير واستعاض عنهم بأشخاص موالين للبورغنديين، وكسب ولاء كونت سانت بول واليران الثالث دوق لوكسمبورغ، بعد أن كان موالياً لدوق أورليان، وتزامناً مع ذلك مد دوق بورغندي شبكة تحالفاته إلى أطراف فرنسية وأوروبية جديدة بضمنهم لورد أوفيرني وكونت مورات رينو الثاني العظيم (Renaud II, Vicomte de Murat) (١٤٠٥-١٤٢٠)^(٣٢٢)، ونبلاء آل - بوربون ك لورد جاليني جيسارد الثاني الدوفين (Lord Guichard II Dauphin) (١٤٠٣-١٤١٥)، وابن عمه لورد ساليني جان الثاني (Jean II, Lourdine de Saligny) (1404-1446) اللذان أصبحا من خواص اتباعه ومؤيديه^(٣٢٣).

تمثلت الخطوة الأخرى لدوق بورغندي بتوطيد أواصر علاقته مع العائلة المالكة، لفرض هيمنته الكاملة على ملك فرنسا شارل السادس، من خلال إبرام صفقتي زواج سياسي معه، تمثلت أولاهما باقتران جاكولين بافاري (Jacqueline de Bavière) (١٤١٧-١٤٣٣)^(٣٢٤)، ابنة اخته ماركريت بورغندي من جان دو فرانس دوق

321) (Emily J. Hutchison, *Partisan Identity in The French ...*, Vol. 33, No. 3, p.262.

(٣٢٢) (١٣٩٠-١٤٤٤): ابن رينو الأول كونت مورات وزوجته جان دو شاتونوف، خلف والده عام ١٤٠٥، وانضم إلى صف دوق بورغندي جون الجسور. في خريف العام نفسه، خدم قائداً للحرس في الجيش البورغندي الذي حُشد قرب باريس ضد دوق أورليان، وفي تشرين الأول ١٤٠٧، شارك ضمن قوات الدوق ثم ضمّه جون الجسور إلى بلاطه في أيار ١٤٠٨ حاجباً لديه مقابل أجر قدره ألف فرنك، للمزيد ينظر: Bertrand Schnerb, *Un Seigneur Auvergnat: Renaud II, Vicomte De Murat (1405 – 1420), Editions De Boccard, Annuaire-Bulletin De La Société De L'histoire De France,* 2005, p.105 – 126.

323) (Jules De La Chauvelays, *Op. Cit.*, p.155 – 161.

(٣٢٤) (١٤٠٠-١٤٣٦): آخر حكام أسرة فيتلسباخ في هينو وهولندا، وُلدت في ١٥ تموز في مدينة لو كيسنوي بشمال فرنسا. حكمت خلال الاغوام ١٤١٧-١٤٣٣ مقاطعات هولندا وزيلاند وهينو، كما كانت دوفينة فرنسا (١٤١٥-١٤١٧) ودوقة غلوستر، تزوجت أربعة مرات: من

تورين(Jean de France)(١٤١٥-١٤١٧)، الابن الرابع للملك شارل السادس^(٣٢٥)، وتضمنت الأخرى زواج اصغر ابناء الملك شارل السادس من آن بورغندي ابنة الدوق جون الجسور، مع أن عمر ولي العهد الفرنسي شارل الدوفين المعروف بـ شارل السابع(Charles VII)(١٤٢٢-١٤٦١)^(٣٢٦)، لم يتعد الاربعة أعوام، وعمر الأميرة آن بلغ عامين فقط^(٣٢٧).

المبحث الثاني

موقف الدوق جون الجسور من ثورة الهايدرويتس، واصلاحاته في

بيزانسون ١٤٠٦ - ١٤٠٨

أولاً . موقف دوق بورغندي من ثورة الهايدرويتس:

دوفين فرنسا جان دو فرانس ابن شارل السادس، ثم من ابن عمها جون دوق برابانت، ثم من همفري دوق غلوسستر شقيق هنري الخامس، وأخيراً من فرانك فان بورسيل. دخلت في صراع طويل مع ابن عمها دوق بورغندي فيليب الطيب، وأجبرت على التنازل له عن ممتلكاتها عام ١٤٣٣. توفيت في ٨ تشرين الأول في هولندا، للمزيد ينظر: Thomas, J. The Universal Dictionary of Biography and Mythology. Vol. II., J. S. Virtue & Co., Limited, London, 1887, p.1257 - 1258.

325) Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.181 - 182 ; L. Douët-D'arcq, Tome .3, Op. Cit., p.279.

(٣٢٦) (١٤٠٣-١٤٦١): الابن الخامس لملك فرنسا شارل السادس وإيزابو بافاريا، ولد في ٢٢ شباط في أوتيل سانت بول، المقر الملكي في باريس، وحصل على لقب كونت بونتيو لدى ولادته، نجح أثناء حكمه في نقل فرنسا وتاج فالوا من الضعف والاضطراب والتفكك إلى القوة والسلام والوحدة، ولقب بالمنتصر لأن حكمه شهد نهاية حرب المائة عام وهزيمة الإنجليز. أصبح ملك فرنسا منذ عام ١٤٢٢ وحتى وفاته في ٢٢ تموز، للمزيد ينظر: John A Wagner, Op. Cit., p.89 ; Philippe Contamine, Charles VII Une Vie, Une Politique, Perrin, Paris, 2017, p.26 - 35.

327) Charles Arthur John Armstrong, Op. Cit., p.239 - 242.

كانت إمارة لياج (Principauté de Liège) البلجيكية، الواقعة بين دوقيتي برابانت وليمبورغ، إحدى أكثر الإمارات تمرداً في العصور الوسطى، بوصفها مسرحاً لحروب طبقية مستمرة، لاسيما أثناء عهد أميرهم جون بافاريا^(٣٢٨).

تضافرت عوامل عديدة على تورط دوق بورغندي في ثورة الهايدرويتس (Révolte des Haidroits)^(٣٢٩)، في لياج، منها أن أميرها صهره، كما أن تمرداتها المستمر أصبح مصدر خطر على باقي مدن الفلاندرز التابعة للبورغنديين، كما أن صراع حاكمها ومواطنيها وإن كان شأناً داخلياً بالأساس لكنه تحول إلى مضمار لصراع جديد بين دوقي بورغندي وأورليان، لأن دوق أورليان لويس اقنع بابا افينيون بنديكت الثالث عشر بتأليب مواطني لياج على جون بافاريا بذريعة عدم شرعية سلطته الأسقفية على لياج وباقي مدن امارته لأنه حصل من بابا روما بونيفاس التاسع على رتبة مساعد شماس التي لا تؤهله لمنصب الاسقفية^(٣٣٠).

هكذا شرعن بابا افينيون بتأثير دوق أورليان التمرد على جون بافاريا، وأقم دوق اورليان نفسه في خضم تلك المسألة حين حالف المعارضة في لياج ضد أميرها،

(٣٢٨) أصبح جون بافاريا في ١٠ تموز ١٣٩٠، أسقفاً منتخباً لـ لياج، فحاز السلطتين الروحية والدينية، مع أنه لم يأخذ سوى رتبة مساعد شماسية. بموجب اعتراف البابا الروماني بونيفاس التاسع Boniface X، لذلك لجأوا إلى التمرد الذي انتهى بمعركة أوثي عام ١٣٩٠ واستمر بشكل متقطع ضد جيش الإمارة، وانتهى باستيلاء نقابات الحرفيين في لياج على المدينة، مما دفع جون بافاريا لالغاء دستورها، وتحويلها إلى دولة وراثية، لكنه فشل في ذلك، واكتسب صراعه بعداً اضافياً بسبب ارتباطه بالصراع المستمر بين صهره دوق بورغندي ولويس أورليانز، وبعد سلسلة من التمردات نجح سكان لياج المشار إليهم باسم الهايدرويتس (الذين يكرهون القانون)، في تشكيل رابطة ضمت لياج وستة عشر مدينة أخرى في الإمارة ومقاطعة لوز Comté de Looz، في كانون الاول ١٤٠٤، باسم الدفاع عن الامتيازات الاسقفية، وفي أيلول ١٤٠٦ طردوا جون بافاريا، للمزيد ينظر:

Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.257.

(٣٢٩) آل - هايدرويتس: هم السادة الوحيدون لإمارة لياج، للمزيد ينظر: J. Van Ooteghem, Les Caecilii Metelli De La République Palais des Académies, Brussel, 1967, p.308.

) 330(E. C. De Gerlache, Op. Cit, p.123 ; Bart Lambert, Op. Cit, p.125.

مما أثار مخاوف دوق بورغندي من توسع نفوذ دوق أورليان إلى المدن الفلمنكية^(٣٣١)، ومع أن دوق بورغندي أرجأ تدخله في لياج لانشغالة بملفات أخرى، لكنه راقب عن كثب تنامي دور دوق أورليان في لياج^(٣٣٢)، الذي انتهى بتشكيل معارضتها تنظيم الهايدرويتس (الذين يكرهون القانون)، في لياج وستة عشر مدينة أخرى في الإمارة ومقاطعة لوز (Le comté de Looz)، بذريعة الدفاع عن الامتيازات الاسقفية التي لا تجيز تولي علماني منصبه باساليب سيمونية، وأدرك دوق بورغندي أن لا بديل أمامه سوى التدخل في مشكلة لياج بعد أن طرد مواطنيها أميرهم جون بافاريا في أيلول ١٤٠٦^(٣٣٣).

فدعم صهره في تشرين الثاني ١٤٠٦ ب أربعة آلاف كراون ومائتان وخمسة وثلاثون مقاتلاً ورامياً، لكن تلك التدابير فشلت في انقاذ قلعة الأمير جون من السقوط في أيدي منافسه دوق برويز هنري هورنز (Henri de Hornes) (١٣٩٠-١٤٠٨)، في ٢٨ كانون الثاني ١٤٠٧^(٣٣٤)، فغدا دوق بورغندي على قناعة بضرورة تدخله مباشرة، لكن انشغاله في الصراع مع دوق أورليان حول الاستحواذ على العرش الفرنسي الذي بينا في موضع سابق، دفع دوق بورغندي جون الجسور في التريث قليلاً، لاسيما أنه لا يستطيع اضعاف صفة قانونية على تدخله إلا بطلب من صهره جون بافاريا^(٣٣٥). استعاث أمير لياج جون بافاريا بصهره دوق بورغندي جون الجسور، ضد حربي لياج، فتهيأت الفرصة لدوق بورغندي، الذي هرع لمساعدة صهره مع ابن عمه كونت نامور وليام الثاني (Willem II) (١٤١٨-١٤٢٩)، وشقيقه وليام الرابع^(٣٣٦)،

331(Yves Charlier, Tome Xcvii, Op. Cit., p.159 – 165.

332(Van Loo, Bart. The Burgundians: A Vanished Empire. Translated by Nancy Forest-Flier. London: Head of Zeus, 2021, p.204 – 207.

333(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.257.

334(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.51.

335(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.257.

336(L. J. Andrew Villalon And Donald J. Kagay, The Hundred Years War, Part III, Brill, Boston, 2013, p.486.

والثابت أن دوق بورغندي اراد من تدخله انهاء مقاومة الطبقة البرجوازية لتطلعات سادتهم النبلاء، فضلاً عن توسيع نفوذه في الاراضي المنخفضة من خلال جعل صهره جون بافاريا حاكماً اسماً خاضعاً له، وبمجرد معرفة متمردي لياج بتدخل دوق بورغندي، فرضوا حصار على مدينة ماستريخت (Maastricht) الموالية لجون بافاريا في ٢٤ تشرين الثاني ١٤٠٧ (٣٣٧).

حاول جون بافاريا ثني المتمردين عن فعاليتهم القتالية، فأرسل اليهم خطاباً دعاهم فيه للتخلص مما وصفه "العناصر المتطرفة" بينهم، والعودة إلى ديارهم بسلام، لكنهم استخفوا بعرضه وأرسلوا له وفداً حمل خطاباً رمزياً من لحاء الشجر المختوم بكتلة من روث البقر، مما أثار غضب جون بافاريا فشلق بعض أسرى المتمردين أمام أنظار جيشهم المحاصر لقلعته، واقتلع أعين بعضهم الآخر (٣٣٨)، فكثف المحاصرون قصفهم على قلعة ماستريخت طوال شهر تموز ١٤٠٨ حتى بلغت قذائف البارود التي تعرضت لها القلعة ألفاً وخمسمائة وأربعة عشر قذيفة (٣٣٩).

استمر حصار ماستريخت طوال شهر آب، فعقد جون بافاريا في ٢٨ آب ١٤٠٨ مجلساً حربياً مع شقيقة وليام الرابع، اتفقا فيه على التنسيق مع دوق بورغندي وباقي حلفائهما على غزو لياج وباقي مدن التمرد لبث الرعب في صفوف الجيش المحاصر لقلعة ماستريخت، واجباره على انهاء حصاره وتشيتت جهده العسكري في محاولة الدفاع عن لياج، وفي ختام المجلس أرسل جون بافاريا إنذاراً نهائياً إلى اعدائه مطالباً إياهم برفع الحصار عن ماستريخت، لكنهم لم يمتثلوا للإنذار، فاتصل جون بافاريا بحلفاؤه، واتفق معهم على خطته آنفة الذكر، واستناداً إليها هيا دوق بورغندي استحضاراته العسكرية أواخر آب ١٤٠٨، للقيام بحملة كبيرة ضد لياج (٣٤٠).

337(Clifford J. Rogers, Vol. I, Op. Cit, p.543 – 545.

338(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.53.

339(Clifford J. Rogers, Vol. I, Op. Cit, p. 543 – 545.

340(Jehan De Waurin, Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre,Tome 1, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1864, p.41.

تولى دينو رابوندي الترتيبات المالية لتلك الحملة، واتمها في ١٥ أيلول ١٤٠٨^(٣٤١)، ثم تقدمت القوات (البورغندية - الفلمنكية - الفرنسية - الاسكتلندية) المشتركة إلى لياج، وبعد وصولها إلى ضواحيها في ٢٠ أيلول ١٤٠٨، أجرى دوق بورغندي مفاوضات مع زعمائها، وحين وصلت تلك الأخبار إلى قائد جيش لياج هنري هورنز دوق برويز، في ٢٢ أيلول ١٤٠٨، اضطر لرفع الحصار عن ماستريخت، وعاد فوراً إلى لياج لمنع غزوها، وبعد انسحابه مباشرة خرج جون بافاريا من قلعة ماستريخت للانضمام إلى قوات دوق بورغندي جون الجسور^(٣٤٢).

التقى الجيشان قرب المقابر الرومانية في سهل أوّثي^(٣٤٣)، ودارت معركة عرفت بإسم أوّثي الدموية (Bataille d'Othée)، في ظهيرة ٢٣ أيلول ١٤٠٨^(٣٤٤)، بين زعماء لياج وبرجوازيها وعمالها وحرفييها بقيادة هنري هورنز الذين تحشدوا على يسار سهل أوّثي، والجيش البورغندي بقيادة جون الجسور وحلفائه الآخرون على يمينه^(٣٤٥)، واستبق جون دوق بورغندي وحليفه جون بافاريا المعركة، برص قوات المشاة في كتلة واحدة كبيرة مع أجنحة على جانبيها من الفرسان والرماة والرجال المسلحين، واحاطوا مؤخرة جيشهم بالخيالة^(٣٤٦)، وبعد اتمام تشكيلات جيشه، أمتطى

341(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.55.

342(The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol. 15, p.445 – 446.

343(Hubert Carrier, Op. Cit., N. 619, p.639 – 640 ; J. Van Ooteghem, Op. Cit., p.315.

344(L. J. Andrew Villalon And Donald J. Kagay, Part III, Op. Cit., p.486 ; Alain Marchandisse & Bertrand Schnerb, La Bataille Du Liège Actes Des Congrès Nationaux Des Sociétés Historiques Et Scientifiques, Paris, 2013, p.31 – 32.

345(J. Van Ooteghem, Op. Cit, p.312 – 315.

346(Alain Marchandisse & Bertrand Schnerb, La Bataille Du Liège ..., p.32 – 33.

جون الجسور فرسه، والقى خطاباً شحذ فيه همم اتباعه وحلفاؤه لقتال اعدائهم ببسالة^(٣٤٧).

تقدم الليجويون وركزوا مدافعهم على يمين الجيش البورغندي، واطلقوا نيران مدفعيتهم، فرد عليها البورغنديون بالمثل، وبعد برهة أمر دوق بورغندي أغلب قواته بالتقدم لتفريق صفوف المتمردين وإرباكهم، فتقدم اربعمئة فارس وألف راجل نحو مؤخرة الليجيين، بينما اشتبك بقية الرجاله في هجوم أمامي، وتميز قتال البورغنديين بالدقة العالية في تنفيذ المهام، وتشتيت الأعداء^(٣٤٨)، فنجح تكتيك جون الجسور، وهُزِمَ اعدائه بعد ساعة ونصف من القتال، فأمر الدوق بقتل الليجويين وقطع رؤوسهم جميعاً^(٣٤٩)، وهو مؤشر على مدى قسوة الدوق، ورغبته في اخافة اعدائه لثنيهم عن أي تمرد جديد ضد سلطته الدوقية أو احد حلفائه، والحقيقة أن تكتيكات جون الجسور في استخدام أسلحة البارود، وتقسيم قواته في معركة أوثي بينت أنه كان جنرالاً عسكرياً محنكاً. فقد تعلم كيفية استخدام المدافع في ساحة المعركة وعمليات الحصار، من جانب آخر كانت معركة أوثي بالنسبة لجون الجسور حدثاً عسكرياً وسياسياً حاسماً في تاريخ الأراضي المنخفضة، فقد عززت بشكل كبير من هيئته بشكل عام ومكانته وأثره في بلجيكا بشكل خاص.

سحق دوق بورغندي جون الجسور وحلفاؤه مواطني لياج الثائرين، وقتلوا قائدهم هنري هورنز وعلقوا رأسه على رمح، ثم قدموه إلى جون بافاريا كعلامة على النصر، وبعد تلك المذبحة الدامية، عاد جون بافاريا إلى منصبه الأميري الاسقفي، أميراً على لياج وأسقفاً لها، حينها أدرك باقي النبلاء الفلمنكيين ضرورة التحالف مع دوق بورغندي جون الجسور لحماية أنفسهم من مواطنيهم، فأبرم دوقي لوكسمبورغ واللورين تحالفاً مع دوق بورغندي الذي أصبح محور الفلمنكيين - الفلاندرزيين والقوة الرئيسة التي لا بد

(347) (Bart Van Loo, Op. Cit, p.205 – 207 ; Alain Marchandisse & Bertrand Schnerb, La Bataille Du Liège ..., p.32 – 33.

(348) (J. Van Ooteghem, Op. Cit, p.315 – 316.

(349) (Robert Douglas Smith, Op. Cit., p.78.

من أن يحسب حسابها في أي ترتيب سياسي وعسكري في فرنسا والمدن الفلمنكية والمناطق الحدودية المحاذية للإمبراطورية الرومانية المقدسة^(٣٥٠).

حاول المتمردون جميع صفوفهم بعد ايام قليلة من معركة أوثي لكنهم لم ينجحوا، فسار دوق بورغندي وصهره جون بافاريا إلى ضواحي لياج دون مقاومة، وبعد وصولهما المدينة اعتقلا باقي زعماء التمرد وقطعوا رؤوسهم، وأمروا بإغراق رجال الدين الذين تحدوا أميرهم الأسقفي في نهر الميز (Meuse)، حينها اطلق على جون بافاريا لقب "عديم الرحمة" (Pitiless)، واكتسب جون دوق بورغندي لقب الجسور بسبب جراته في معركة أوثي، وفي التعامل مع المتمردين في مدينة لياج^(٣٥١).

استغل جون الجسور نجاح حملته، لتعزيز مصالحهم الخاصة في مدينة لياج والبلدات التابعة لها، والسيطرة على الأعمال التجارية في الأسقفية الأميرية، فضلاً عن فرض غرامة باهظة للغاية على أهل لياج، وكان على المهزومين أن يتنازلوا عن حقوقهم، ويتداولوا عملات جون الجسور في لياج، ليتسنى لهم تسديد الغرامات التي فرضت عليهم، والتي بلغت حصة دوق بورغندي جون الجسور منها مائة عشرة ألف فرنك^(٣٥٢).

أعلن المنتصران جون الجسور وصهره، بعد شهر من معركة أوثي حكمهم النهائي على إمارة لياج في اجتماع عقد في مدينة ليل انتهى إلى عقد معاهده ليل (Lille) في ٢٤ تشرين الاول ١٤٠٨، التي نصت على^(٣٥٣): تنازل أهل لياج والمدن الأخرى عن جميع ممتلكات مدينة لياج ومواثيقها وامتيازاتها وجميع معاهدات التحالف التي أبرمتها إلى المنتصرين للدوقتين في مونس (Mons) وهينو في ١٢ تشرين الثاني

350(Patrick Van Kerrebrouck, Nouvelle Histoire Généalogique De L'auguste Maison De France, Vol. 3, Villeneuve-d'Arcy, 1990, p.364 – 365.

351(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.63 ; Bart Van Loo, Op. Cit., p.206 – 208.

352(Bart Lambert, Op. Cit, p.126.

353(Alain Marchandisse & Bertrand Schnerb, La Bataille Du Liège ..., p.33 – 34.

١٤٠٨، وأخضاع مكاتب رؤساء البلديات لسيطرة السلطة الأميرية، وإنهاء الامتيازات الاسقفية، وأضاف جون الجسور ووليام الرابع بنوداً منحتهما حق التدخل في الإمارة، على حساب الجميع، وكالاتي: أولاً. لا يجوز منح أي امتياز جديد لسكان إمارة لياج من الأسقف دون موافقة الدوقين^(٣٥٤)، ثانياً. إلغاء جميع النقابات والأخويات في مدينة لياج، ثالثاً. لا تعقد أي تجمعات في أي من المدن دون أخذ إذن الأسقف، رابعاً. يكون للدوقين، جون وويليام وخلفائهما، حرية وحق المرور عبر نهر الميز وعبر أراضي لياج، مع أو بدون قوات "تخليداً لذكرى انتصارهم وكعلامة على الفتح أو الغزو"، خامساً. أن تكون أموال الدوقين عملة قانونية في جميع أنحاء أراضي لياج، سادساً. بناء كنيسة صغيرة، في ساحة معركة أوثي (أي في موقع انتصار جون الجسور ووليام الرابع) يخدمها ست قساوسة، لرعاية أرواح القتلى، على نفقة أسقف لياج، سابعاً. الاحتفال بقداس نوتردام السنوي في ٢٣ أيلول في جميع كنائس وأديرة لياج، ثامناً. تدمير التحصينات المختلفة، بما في ذلك أسوار وأبراج دينانت وبواباتها، كذلك تم تدمير قلعة ثوين (Le château de Thuin) وتحصينات كوفين (Couvin) وبوابة تونجيرين (Tongres) المؤدية إلى ماستريخت، وأخيراً فرض غرامة أو عائدات معونة قدرها ٢٢٠,٠٠٠ كرونة ذهب على سكان لياج تدفع للدوقين^(٣٥٥).

ثانياً. اصلاحات دوق بورغندي في بيزانسون:

بلغت قوة دوق بورغندي جون الجسور ذروتها بعد حسمه ملفي الاستحواذ على مؤسسة العرش الفرنسي وواد تمرد لياج، فاقتنص الفرصة لإصلاح المؤسسات الإدارية والمالية في ممتلكاته، لاسيما بيزانسون التي خضعت له حديثاً، فوقع معاهدة مع قضاة بيزانسون في ١٢ تشرين الاول ١٤٠٧، تم تفصيل بنودها في ٢٨ شباط ١٤٠٨، وفي ١٩ تموز ١٤٠٨ أصدر دوق بورغندي مرسوماً تفصيلياً بإنشاء جميع الأجهزة الحكومية اللازمة في بيزانسون، فأسس برلماناً في بيزانسون، وغرفة مجلس، وغرفة حسابات، ومحكمة مستشارية. وبموجب ذلك، أصبحت بيزانسون، بالنسبة لدوق بورغندي، مركزاً حكومياً لا يقل أهمية عن ديجون^(٣٥٦).

354(Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.273.

355(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.63 – 64.

356(Florentin Briffaz, Op. Cit., p.11 – 18.

وركز دوق بورغندي أيضاً على المؤسسات العسكرية والمالية في ديجون بوصفها عاصمة دوقيته، وأهم مدنها، فأصدر في ٣١ آب ١٤٠٨ مرسوماً للدفاع وارفه بمراسيم إصلاح مجلس ديجون وغرفة محاسباتها، وقد أثبتت تلك الإصلاحات قيمتها، لأنها حدثت آلية عمل غرفة المحاسبات، وأوجدت وظيفة المدقق التي سرعت عملية التدقيق، وأنهت امكانية حدوث الاخطاء، لاسيما بعد اشراف المدقق عل تسريع إجراءات التدقيق وتقسيمها بين عدة مكاتب بإشرافه المباشر، وانتهت تلك التدابير إلى إقناع التجار والعملاء الآخرين بتقديم حساباتهم وتعاملاتهم التجارية إلى غرفة المحاسبات لتدقيقها وإجراء فحص أكثر شمولاً نهاية السنة المالية، ومعاينة المحاسبين المتقاعسين أو غير الدقيقين، وفي ظل تلك التطورات أصبحت مؤسسات ديجون المالية انموذجاً يحتذى به في مؤسسات أوروبا المالية أثناء العصر الوسيط^(٣٥٧).

واللافت أن دوق بورغندي جون الجسور طرح اثناء عام ١٤٠٨ مخططاً لنقل عاصمة دوقية بورغندي من ديجون إلى بيزانسون، وتزويدها بجميع البنية الإدارية والمالية والقضائية التي يتطلبها وضعها الجديد بوصفها عاصمة بورغندي، بيد أن دوق بورغندي لم يفرض قراره على موظفيه بل أجرى مشاورات واسعة معهم حول جدوى ذلك الإجراء، وحين قدم المشروع للتصويت رفضه أغلب موظفيه، فاحترم قرارهم، وهو مؤشر على مدى انضباطه والتزامه بإرادة الكوادر الإدارية لدوقية بورغندي، ورؤيته المرنة التي تجاوزت عقدة فرض الأوامر إلى الوصول للإفضل وإن خالف قراراته ورؤاه^(٣٥٨).

يُرجح، في ضوء المعطيات السابقة أن تنظيم شؤون مدينة بيزانسون كان الشغل الشاغل لدوق بورغندي ووريثه كونت شاروليه فيليب الطيب، حتى أن دوق بورغندي استبدل مدير مكتب بيزانسون جيهان بونوست (Jehan Bonost) في ٢ تشرين الاول ١٤٠٨، بإبنه فيليب الطيب ليضمن إدارة فاعلة لتلك المدينة المهمة، ولقناعة دوق بورغندي بالكفاءة الإدارية لجيهان بونوست، كلفة بإجراء اصلاحات في ديجون على

(357) (Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p. 12.

(358) (Kathryn Edwards, Op. Cit., p.208 – 213.

غرار ما فعل في بيزانسون، فجرد جيهان بونوست جميع وثائق ديجون وسجلاتها ثم أرشفها وفقاً لنوعها، إلى سجلات إدارية، ومالية، وقضائية، ولاشك أن ما فعله دوق بورغندي كان احد ارهاصات عصر النهضة التي وإن بدأت في إيطاليا لكن مؤثراتها انتشرت في أوروبا، وكان دوق بورغندي من السباقيين في الإفادة من أفكارها لاسيما في تنظيم جهازي الحكم والإدارة، مما اقحمه في مواجهة مع بعض موظفيه الفاسدين الذين ارادوا الاستمرار على فوضوية الأساليب الإدارية والمالية العصر وسطوية، وحين أظهر أولئك الموظفون معارضتهم، أمر جون الجسور في آذار ١٤٠٩ باحتجاز ٢٢ موظفاً من موظفي المحاسبة البورغنديين الذين لم يدققوا حساباتهم، وفي ٢٤ نيسان ١٤٠٩ قدم ثمانية من كبار مستشاري الدوق وضباطه البارزين مذكرة إلى دوقهم جون الجسور احتجاجاً فيها على مشروعه التنظيمي، وانتقدوا شروط معاهدته مع بيزانسون، مما أجبر دوق بورغندي على الرضوخ بعد أن وقف الجميع ضده، فاستدعى جيهان بونوست، وألغى مرسوم ١٩ تموز ١٤٠٨، وأبرم معاهدة جديدة مع رئيس الأساقفة ثيبو دي روجيمونت (Thibaud de Rougemont) (١٣٨٩-١٤٢٩)^(٣٥٩)، تم بموجبها تقسيم بيزانسون بينهما^(٣٦٠).

لم يثن ذلك الاخفاق دوق بورغندي عن الاستمرار في مشروعه الاصلاحى في مضامير أخرى، في مقدمتها الاهتمام بتطوير مدفعية جيوشه واستخدمها على

(٣٥٩) (١٣٥٠-١٤٢٩): وُلد في مقاطعة بورغندي، وانتُخب أسقفًا على ماكون عام ١٣٨٩، ثم رُقي إلى رئاسة أساقفة فيين في ٨ كانون الأول ١٣٩٥. وفي عام ١٣٩٧ عمّد لويس دوق غوين، نجل الملك شارل السادس في باريس، ثم نُقل لاحقاً إلى رئاسة أسقفية بيزانسون في عام ١٤٠٤، وتسلم مهامه رسمياً كرئيس أساقفة بيزانسون في ١٤٠٥، توفي في ١٦ أيلول ودُفن في كاتدرائية بيزانسون، للمزيد ينظر: C.-U.-J. Chevalier, Notice Chronologico-Historique Sur Les Archevêques De Vienne : D'après Des Documents Paléographiques Inédits, E.-J. Savigné, Vienne, 1879, p.15-17.

(360) (Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.12 – 14, 232.

نطاق واسع وناجح في حملاته العسكرية^(٣٦١)، ووضع قانون كابوشي الشهير (Cabochienne) في بورغندي، وأنشاء لجاناً مالية خاصة لتنظيم شؤون مدن الفلاندرز التابعة له، وأصلح نظام النقل والضرائب فيها، ووضع ضوابط لتنظيم أداء موظفيه ومستشاريه، ونظم أليات إدارة اراضية وممتلكاته، وابتكر تنظيمًا عائلياً ناجحاً قسم بموجبه إدارة اقطاعه بين أفراد عائلته مع اشراف كامل عليهم، بموجبه عين ابنه فيليب ممثلاً عنه في الأقاليم الشمالية وأنباب زوجته ماركريت بافاريا لحكم الاقاليم الجنوبية من ممتلكاته، أما دوق بورغندي فقضى أغلب وقته في باريس لضمان نفوذه في مؤسسة العرش الفرنسي، وكان على اتصال دائم مع مجموعتي أقاليمه الخاضعة لحكم زوجته وابنه، للذان وفق تعليمات مسبقة لم يتصرفا قط في الأمور المهمة دون مشورته، مما مكن دوق بورغندي من التغلب على معضلة إدارة ممتلكاته الشاسعة بمنتهى الذكاء^(٣٦٢).

يحسب لدوق بورغندي أيضاً أنه أسس دار الميثاق في شارترور دي شامبول، لرعاية الفنون والفنانين والموسيقيين والمزخرفين والمصممين، ومؤلفي الكتب وأهدى للمكتبة أربعون كتاباً، وأبدى دوق بورغندي أيضاً اهتماماً لافتاً بالموسيقى والصيد والمبارزة والملابس الفاخرة والنحت والرسم^(٣٦٣).

استناداً لما تقدم نرى أن دوق بورغندي احدث تحولاً جذرياً في مؤسسات الحكم والإدارة، في ممتلكاته التي شملت اجزاء واسعة من فرنسا والاراضي المنخفضة وشرقاً من المناطق المتاخمة للامبراطورية الرومانية المقدسة، وهناك أدلة وقرائن كثيرة على أنه طور بعض المفاهيم السياسية والإدارية التي سادت في عهده، بالشكل الذي قربهُ من مواطنيه، ومكنه من الهيمنة على شؤون ممتلكاته، وأظهر الدوق اهتماماً باراء رعاياه وتوجهاتهم بضمنهم موظفي الخدمة المدنية الذين اشركهم في اتخاذ قرارات مصيرية وعملية صنع القرار التي مست حياتهم اليومية، وأدت إلى تحسين الأداء

(361) (Robert Douglas Smith, Op, Cit., p.15.

(362) (Boris Bove, Op. Cit., p.294 – 295.

(363) (Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.280 – 289.

الإداري، فشعر الموظفون أنهم شركاء دوقهم في اتخاذ القرارات، مما زاد من حماسهم وحسن أدائهم الوظيفي، مما أسهم في تثبيت دعائم الدولة.

المبحث الثالث

دور الدوق جون الجسور في الحرب الاهلية الأرمانيكية -
البورغندية وصراعه مع لويس دوق أورليان حتى عام ١٤١٥
شكلت الحرب الارمانيكية - البورغندية جزءاً مما اصطلحت عليها المصادر
الغربية حرب المائة عام أو الصراع الإنكليزي - الفرنسي وفقاً لأحدى الدراسات
الأكاديمية العراقية^(٣٦٤)، وكانت تلك الحرب صراعاً للهيمنة على مؤسسة العرش
الفرنسي بين فرعين رئيسيين من عائلة فالوا الفرنسية المالكة، هما: عائلة أورليان أنصار
أرمانياك، بقيادة ذئب أرمانياك برنارد السابع، وعائلة بورغندي بقيادة أسد بورغندي
جون الجسور، وكان لكلا الفرعين مؤيدين وانصار من عامة الشعب وحلفاء من الاسر

(٣٦٤) حيدر جابر حسين الزرقي، جان دارك وأثرها في الصراع الإنكليزي الفرنسي ١٤١٢-١٤٣١، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، ٢٠١٩، ص ٣١.

الفرنسية النبيلة، مما انتهى إلى تقسيم مملكة فرنسا لتيارين متصارعين تزامناً مع اشتداد وطأة الفعاليات القتالية الإنكليزية ضد مملكة فرنسا^(٣٦٥).

تضافرت عوامل مباشرة وغير مباشرة على نشوب ذلك الصراع، واندلاع سجالاته، تمثلت غير المباشرة منها بصراع الارمانيك والبورغنديين للهيمنة على العرش الفرنسي، من خلال فرض الوصاية على الملك المعتوه شارل السادس، والاستحواذ على الموارد الملكية في العاصمة باريس والمقاطعات الأخرى، والحقيقة أن هناك اختلافات جوهرية في مجمل نظرة الارمانيك والبورغنديين حول مفهوم الدولة، الدين، الاقتصاد، والدبلوماسية، زادت من حدة الصراع^(٣٦٦).

تكشف الروايات التاريخية أن سمعة دوق أورليان السيئة بوصفه زير نساء كانت وراء مقت دوق بورغندي له، لاسيما أنه ركز علاقاته الغرامية على نساء مقربات من دوق بورغندي أو مؤثرات على موازين القوى في مملكة فرنسا، في مقدمتهن زوجة جون الجسور دوق بورغندي ماركريت بافاريّا، التي حاول دوق أورليان اغوائها^(٣٦٧)، فضلاً عن عاهلة فرنسا الملكة إيزابو زوجة شارل السادس التي ربطته علاقة مشبوهة بها وبنبيلات أخريات، وهي أمور أثارت مقت دوق بورغندي من سلوك دوق أورليان المشين، الذي طال نساء النخب الفرنسية^(٣٦٨)، فروج شائعة مفادها أن ولي العهد

(365) Emily J. Hutchison, The Politics of Grief in the Outbreak of Civil War in France, 1407 – 1413, The University of Chicago Press, Vol. 91, No. 2, April 2016, p.422. أنظر ملحق رقم (١٢).

(366) Boris Bove, Op. Cit., p.284 – 290 ; Alexandre Grosjean, Toison D’or Et Sa Plume La Chronique De Jean Lefèvre De Saint-Rémy, Brepols, p.276 – 277.

(367) Georges Duby, Histoire De La France Des Origines À Nos Jours, Carl Aderhold, Larousse, 1970, p.334 – 343.

(٣٦٨) حيدر جابر حسين الزرقي، المصدر السابق، ص ٣٤.

الفرنسي شارل الدوفين هو ابن غير شرعي لدوق أورليان، مما أثار حفيظة دوق أورليان، وأزم علاقته بدوق بورغندي^(٣٦٩).

الأخطر من ذلك كله تحامل دوق بورغندي على دوق أورليان بسبب قربه من الملك شارل السادس، التي جعلته ملك فرنسا غير المتوج، والمتحكم الأبرز في القرار السياسي الفرنسي، والمستحوذ على العائلة المالكة الفرنسية^(٣٧٠)، مما مكّنه من اقضاء البورغنديين عن مجلس الملك واضعاف تأثير جون الجسور على مؤسسة العرش الفرنسي، ومع أن دوق بورغندي قبل تلك المعادلة إلى حدٍ ما مثلاً لاحظنا آنفاً، لكنه توجس من تنامي نفوذ دوق أورليان لويس مجدداً، فأمر باغتياله^(٣٧١).

هنا لا بد من الإشارة إلى أن ما أسبق وأن أجج صراعاً بين البورغنديين الارمانيكيين لكنه لم يرق إلى الصدام العسكري بينهما، لكن ما نقل الصراع إلى حيز الفعاليات القتالية بين الطرفين حادثة اغتيال لويس دوق أورليان، التي قام بها أحد اتباع دوق بورغندي وخمسة عشر رجلاً، حين استغلوا خروج دوق أورليان من قصر الملكة ايزابو البافارية في الثامنة مساءً من يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٤٠٧، فقتلوه بوحشية في شوارع باريس، ثم قطعوا يده، وسلخوا جلده، وشق رأؤول دانكيتونفيل (Raoul d'Anquetonville) رأسه بالفأس ناثراً دماغه على الأرض، فتوترت أوضاع باريس والمقاطعات المؤيدة للارمانيكيين، وبلغ الصراع اقصى مداه، بعد اشتعال فتيل حرب أهلية استمرت خمسة وعشرين عاماً^(٣٧٢).

يرى الباحث أن وحشية الاغتيال تجسد طبيعة العنف السياسي في أواخر العصور الوسطى أذ لم يعد يقتصر على تصفية الخصوم، بل غدا أداة لترسيخ النفوذ

(369) Georges Duby, Op. Cit., p.334 – 343.

(370) John Foster Kirk, History of Charles the bold Dike of Burgundy, Vol. I, J. B. Lippincott & Co, Philadelphia, 1803, p.14 – 15 .

(371) Georges Duby, Op. Cit., p.334 – 343.

(372) Léon Mirot, Raoul D'anquetonville Et Le Prix De L'assassinat Du Duc D'orléans, Bibliothèque De L'école Des Chartes, Tome 72, Avril 1911, p.30.

وبث الرهبة في صفوف المنافسين، بما يعكس تراجع الاعتبارات الأخلاقية أمام متطلبات الصراع على السلطة.

واللافت أن موقف الملك شارل السادس ومجلسه تناقضا تماماً، ففي الوقت الذي أعلن فيه المجلس دوق بورغندي عدواً للملك والدولة، منحه شارل السادس خطابات مغفرة، ما عزز موقف دوق بورغندي وشجعه على تحدي المناوئين له، انتصاراً على أهالي لياج في التدخل المسلح في أيلول ١٤٠٨ الذي مثّل أول فرصة اغتتمها جون الجسور دوق بورغندي لتوسيع نفوذه المباشر على إمارة لياج، وقد عاد إلى باريس في ٢٣ أيلول ١٤٠٨ مكللاً بالنصر، مما زاد من هيئته في البلاط الفرنسي ورسخ مكانته كقوة حاسمة في السياسة الفرنسية^(٣٧٣).

فور عودته حدثت مناوشات بين بعض اتباعه، واتباع دوق أورليان الجديد شارل الأول انتقاماً لمقتل والده، وبعد سلسلة من المناوشات، توسط الملك بين الطرفين، وتوصلوا في ٩ آذار ١٤٠٩ إلى اتفاق سلام ملكي في شارتر تألف من إحدى وعشرين بنداً، عرف باسم سلام شارتر (Raoul d'Anquetonville)، والمثير أن أحد بنود ذلك الاتفاق تضمن اعتراف دوق بورغندي بدوره في مقتل لويس الأول دوق أورليانز^(٣٧٤)، وأنه كان الأمر والمخطط، ثم قدم اعتذاره لأبناء دوق أورليانز، وتضمن

– 373 (The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol. 15, p.445 – 446. أنظر ملحق رقم (١٣).

(٣٧٤) النص الحقيقي للاعتراف: بعد كمين اغتيال لويس دوق أورليان، شقيق الملك شارل السادس، في مساء ٢٣ تشرين الثاني ١٤٠٧، انعقد في اليوم التالي الخميس ٢٤ تشرين الثاني الاجتماع الاستثنائي للمجلس الملكي في فندق دوق بيرري "نيسل"، وخلال الاجتماع، انفرد دوق بورغندي بملك صقلية ودوق بيرري "وقال لهما إنه، بتدبير من الشيطان، تسبب في تلك الجريمة". في نهاية المجلس، وأمام الأمراء الآخرين، جدد جون الجسور اعترافه علانية. وفي صباح اليوم التالي، عندما حاول دوق بورغندي المثل أمام المجلس، طُلب منه الانسحاب. وسيطر عليه الخوف، فامتطى جواده ومعه ستة من رجاله وغادر باريس عبر بوابة سان دوني، هارباً من عواقب جريمة، للمزيد ينظر:

A. Coville, Le véritable texte de la justification du duc de Bourgogne par Jean Petit (8 mars 1408), Bibliothèque de l'école des chartes, tome 72, 1911, p.57 – 59 ; L. Douët-D'arcq, Tome .1, Op. Cit., p.392 – 398 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome III, Op. Cit., p.150. (١٤) أنظر ملحق رقم (١٤).

اتفاق السلام عفو ورثة لويس دوق أورليان عن قاتل والدهم دوق بورغندي جون الجسور، ثم أقسموا على الأنجيل أن يحترموا السلام^(٣٧٥).

أعلن الملك شارل السادس عفو عن دوق بورغندي جون الجسور بموجب اتفاق شارتر، وأعاد اليه امتيازاته كافة بوصفه أحد المحاور الرئيسة في البلاط الفرنسي، وزاد عليها امتيازاً جديداً لا يضاهاى، حين أصدر في ٢٧ كانون الاول ١٤٠٩ مرسوماً جعل دوق بورغندي جون الجسور وصياً على ولي العهد الفرنسي شارل الدوفين، لكن النار التي تحت الرماد سرعان ما تأججت في العام التالي، حين تجاهل زعيم الأورليانيين الجديد كونت أرمانياك برنارد السابع بنود اتفاق شارتر، وشكل تحالفاً جديداً ضد دوق بورغندي^(٣٧٦).

زاد نفوذ كونت أرمانياك برنارد السابع بعد أن زوج ابنته بون (Bonne) من دوق أورليان شارل الأول في ١٥ آب ١٤١٠، وحدث تحالف سياسي وثيق بين عائلتي أورليان وأرمانياك، فذاب أسم أورليان في الأرمانياك، الذي غدا الأسم الجديد للأورليانيين^(٣٧٧)، وبعد تلك الزيجة أتخذ الارمانياك العصا المعقودة شعاراً لهم مع ارتداء الوشاح الأبيض على رؤوسهم، في إشارة إلى نية دوق اورليان والارمانياك بالانتقام من جون الجسور، بينما أتخذ الأخير نبات القراص شعاراً له ثم استبدله بشعار

(375) Augustin Challamel, *Mémoires Du Peuple Français Depuis Son Origine Jusqu'a Nos Jours*, Tome. 3, Biblio Lyon, Paris, 1893, p.492 ; Richard C. Famiglietti, *The French Monarchy in Crisis 1392 – 1415 and The Political Role of The Dauphin, Louis of France, Duke of Guyenne*, (Unpublished Doctoral Thesis), University of New York, The Graduate Faculty in History, 1982, p.154.

(376) *The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ...*, Vol. 15, p.445 – 446 ; *Chronique Du Religieux De Saintdenys*, Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 5, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1844, p.239.

(377) David Green, *The Hundred Years War A People's History*, Yale University Press, London, 2014, p.17.

الطائرة، مع ارتداء صليب القديس سانت أندرو (Saint-André) مع درع زهرة الليز، وهي رموز اتفق المؤرخون أنها كانت تحدياً مباشراً لعصا الارمانياك^(٣٧٨).

تبنى دوق بورغندي انتقامه ضد الأشخاص الذين اشتبه بصلاتهم بـ الارمانياك، بضمنهم جان دي مونتايجو (Jean de Montaigu)، كبير خدم بيت الملك، الذي اعتقله وعذبه ثم قطع رأسه في ١٧ تشرين الاول ١٤٠٩ بموافقة الملك. مما دفع الارمانياك للابتعاد عن البلاط الفرنسي، وتشكيل عصبة جيان (Gien) في ١٥ نيسان ١٤١٠، التي ضمت نخبة سياسية وعسكرية لـ الارمانياك أمثال دوقات أورليان وأرمانياك وبيري (Berry) وبوربون (Bourbon) وبريتاني (Bretagne) وكونتات ألسون (d'Alençon) وكليرمون (Clermont)، وإعلنت تلك العصبة ضرورة القضاء على دوق بورغندي وأنصاره، وتخليص الملك الغلوب على أمره من سيطرتهم بقوة السلاح، وكونت تلك العصبة جيشاً قوامه خمسة آلاف مسلح وستة آلاف جندي مشاة ورماة، علاوة على تجنيد برنارد السابع عصابات الإيكورشر (Écorcheurs)^(٣٧٩)، التي شنت حرباً شرسة على ضواحي باريس أدت إلى تدمير شطراً منها^(٣٨٠).

قابل دوق بورغندي القوة بمثلها، فجمع قواته، وبتأثيره أصدر الملك شارل السادس أوامر لمتحالفين مدينة جيان بإلقاء السلاح والاستسلام للسلطات الملكية في باريس، ثم توسط الملك بين الطرفين ونجح في ٢ تشرين الثاني ١٤١٠ في توقيع

378(Emily J. Hutchison, Partisan Identity in The French ..., Vol. 33, No. 3, p.251 – 252 ; Emily J. Hutchison, Pour Le Bien Du Roy ..., p.165 – 166. ^(٣٧٩) الإيكورشر: عصابات مرتزقة فرنسية عالية التنظيم وفعالة، انتشرت خلال الجزء الأخير من حرب المائة عام، أطلق عليهم ذلك الاسم لأنهم جردوا ضحاياهم من كل شيء باستثناء قمصانهم، عرفوا بالعديد من الأسماء منها إيكورشوز، الإيكورشور، فلايرز، الصيادين، الروتبير، روكتري، وأشهر قادتهم هو الإسباني رودريغ دي فيلاندراندو Rodrigue de Villandrando، الملقب بـ "إمبراطور اللصوص"، للمزيد ينظر: Clifford J. Rogers, The Wars of Edward III: Sources and Interpretations, Vol. 1, Woodbridge, Boydell Press, 1999, p. 13 ; J. de Fréminville, Les écorcheurs en Bourgogne (1435 – 1445), Mémoires de l'Académie des Sciences, Arts et Belles-lettres de Dijon, Imprimerie Darantier, 3e série, Tome 10, 1887, p.1.

380(Augustin Challamel, Tome. 3, Op. Cit., p.492 – 493.

معاهدة بيسيتر (le traité de Bicêtre) التي تضمنت بنود عدة، أبرزها: تسوية أمراء الارمانيك خلافاتهم مع دوق بورغندي بصورة سلمية، وانهاء مظاهر التسلح والأعمال العدائية، وعودة كل أمير إلى أراضيه، وعدم العودة إلى باريس إلا بموافقة ملك فرنسا، لكن السلام لم يدم طويلاً، لأن أمراء الارمانيك أدركوا أن دوق بورغندي أصبح ملكهم الفعلي، ولا بد من طرده من باريس لاستعادة استقلال مملكتهم، فحمل الطرفان السلاح مجدداً، وتقدمت قوات الامانيك إلى باريس، وبعد وصولها إلى بوفيه (Buffet) وبيكاردى (Picardie)، فرضت حصاراً محكماً على باريس، تزامناً مع حدوث حروب شوارع فيها بين أنصار البورغنديين والارمانيك^(٣٨١).

تبنى دوق بورغندي اجراءات حازمة لقطع دابر الارمانيك في باريس، وبتأثيره حشد حليفه كونت سانت بول (Count of Saint Pol)، في آب ١٤١١ مجموعة كبيرة من الجزارين وصناع الجلود والدباغين الباريسيين، وأمرهم بالبحث عن أنصار الارمانيك في العاصمة، فتورط الباريسيون في الصراع الذي غدا أهلياً، وبين جميع الفئات الاجتماعية، وفي أيلول ١٤١١ أعلن عمدة باريس بيير دي ايسارت (Pierre des Essarts) بموجب مرسوم ملكي أن جميع الأرمانياك متمردين، ويسمح بقتل ومصادرة ممتلكات أي شخص يُشتبه في انتمائه إلى الارمانيك، فارتدى داعمي دوق بورغندي شارات من الرصاص والقصدير حملت صليب القديس أندرو لتمييز أنفسهم عن الأرمانياك المشتبه بهم^(٣٨٢).

سعى كلا طرفي الحرب الأهلية للحصول على دعم ملك إنكلترا هنري الرابع (Henry IV) (١٣٩٩-١٤١٣)^(٣٨٣)، ومع أن دوق بورغندي جون الجسور نجح في

381(Frantz Funck-Brentano, The National History ..., p.497 – 498.

382(Emily J. Hutchison, Partisan Identity in The French ..., Vol. 33, No. 3, p.251 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 1, Op. Cit., p.10 – 11.

(٣٨٣) (١٣٦٧ - ١٤١٣): وُلد في ٣ نيسان في قلعة بولينجبروك في لينكولن، لذلك عرف باسم هنري بولينجبروك، ابوه جون غونت الابن الثالث للملك إدوارد الثالث، تُوِّج هنري ملكاً في ١٣ تشرين الاول ١٣٩٩، وتوفي في ٢٠ آذار، للمزيد ينظر: Catherine Isabelle Janvrin, Rawlinson, The French in London: From William The Conqueror To

التقرب من الإنجليز، لكنهم تغاضوا عن طلبه في أيلول ١٤١١ بمده بفرقة عسكرية إنجليزية لمساعدته على فك حصار باريس^(٣٨٤)، إلا أن دوق بورغندي لم يستكن، واقنع ملك إنكلترا هنري الرابع أن لإنكلترا وجوداً عسكرياً في فرنسا يجعلها مضطرة للتفاعل مع المتغيرات السياسية الفرنسية، وأن مصلحتهما المشتركة تقتضي تدمير الارمانيك، فاقترح الملك هنري الرابع بتلك الطروحات، حدث تنسيق عسكري إنكلو - بورغندي في تشرين الأول ١٤١١ ضد الارمانيك، اسفر عن ارسال الملك هنري الرابع جيشاً إنكليزياً لمساعدة دوق بورغندي جون الجسور ضد أعدائه^(٣٨٥).

بفضل الدعم الإنكليزي، حشد دوق بورغندي جيشاً قوامه ستين ألف جندي، اقتحم به باريس، ثم هاجم البريتونيين المتحالفين مع الارمانيك، الذين كانوا متحصنين في لا شابيل (La Chapelle)، ومع أن حصاره انتها إلى الفشل، لكن فعالياته القتالية أرست نفوذ البورغنديين في شمال فرنسا على حساب النفوذ الارمانيكي الذين اضطروا إلى التراجع إلى جنوب نهر اللوار (The Loire River)، لعدم قدرتهم على الوقوف امام جيشه الكبير، وفي ٨ تشرين الثاني ١٤١١، غادر دوق بورغندي باريس بقواته عبر بوابة سان جاك (Saint-Jacques)، وسار عبر سان كلو (Saint-Cloud)، ثم التقى جيش الارمانيك وهزيمة هزيمة منكرة^(٣٨٦).

أدرك الارمانيك أن لا قبل لهم بالقوات الإنكلو - بورغندية، وأن التفوق العسكري البورغندي عليهم المقرون بهيمنة بورغندية سياسية في ظل خضوع مؤسسة العرش الفرنسي لدوق بورغندي، ستجعل الارمانيك في موقف بالغ الدقة، وكان لا بد لهم من كسب الإنجليز إلى جانبهم للنيل من البورغنديين، فإنكلترا كانت بيضة القبان التي ترجح كفة أحد الطرفين على الآخر، لذا لجأ الارمانيك إلى الإنجليز عام ١٤١٢. وعرضوا عليهم تقسيم مملكة فرنسا إلى نصفين أحدهما لإنكلترا والآخر

Charles De Gaulle. Translated By Emily Read, Wilmington Square Books, 2016, p.10 – 16.

(384) Frantz Funck-Brentano, The National History ..., p.497 – 498.

(٣٨٥) حيدر جابر حسين الزرقي، المصدر السابق، ص ٣٥.

(386) Augustin Challamel, Tome 3, Op. Cit., p.493 – 494.

للارمانيك مقابل دعم إنكلترا الحراك العسكري الارمانيكي ضد دوق بورغندي، لتدميره تماماً، فابتهج الملك هنري الرابع بتلك الصفقة المربحة، التي جاءت على طبقٍ من ذهب، فأبرم معاهدة بورجيه (Traité de Bourges) مع الارمانيك في ١٨ آيار ١٤١٢، التي بموجبها الغى تحالفه مع البورغنديين، مقابل دفع الارمانيك مائتان وعشرة الاف باون له، والتنازل عن بعض أراضي (Gwen) غوين، والاعتراف بسيادته على بواتو (Poitou) وأنغوليم (Angoulême) وبيريغورد (Périgord)^(٣٨٧)، وأكيتاين، والتعهد بمساعدة ملك إنكلترا في الدفاع عنها ازاء أي طارئ، وتضمنت تلك المعاهدة المذلة للفرنسيين تنازلهم عن عشرين مدينة وقلعة مهمة في شمال فرنسا، ووضع مدينة بواتو تحت سيطرة التاج الإنجليزي، مما اشار إلى تغلب المصالح الذاتية للارمانيك على حساب سلامة مملكتهم، ومصالح شعبهم، بالشكل الذي جعل البورغنديين والارمانيك على حدٍ سواء خاضعين للإنكليز ومرحبين بأطماعهم التوسعية^(٣٨٨).

تعهد الارمانيك أيضاً بالاعتراف بسيادة هنري الرابع على غاسكوني دون اية روابط اقطاعية مع العرش الفرنسي، وكان الثمن الذي حصل عليه الارمانيك مقابل تلك التنازلات أربعة آلاف مقاتل إنكليزي، انضموا إلى جيش لويس الدوفين، وبعد سلسلة مواجهات عسكرية مخزية مع البورغنديين، مني جيش لويس الدوفين بهزيمة نكراء اضطرته إلى إبرام سلام أوكسير (Paix d'Auxerre) في ٢٢ آب ١٤١٢،

³⁸⁷(Nicolas Offenstadt, Faire La Paix Au Moyen Âge, Odile Jacob, France, 2007, p.16. انظر ملحق رقم (١٥))

³⁸⁸(Brendan Egan, Bore by discent and by title of right, justly to reign in England and in Fraunce: Literature Directed at English Kings During the Hundred Years War, (Unpublished Master Thesis), University of Guelph, Canada, 2019, p.50 ; Christopher Allmand, The Hundred Years War: England and France At War C. 1300 – C. 1450, Cambridge University Press, Cambridge, New York, 1988, p.26 – 27 ; L. Douët-D'arcq, Tome .2, Op. Cit., p.280 – 283.

الذي بموجبه تعهد لدوق بورغندي باحترام السلام، والتخلي عن أي تحالف مع ملك إنكلترا^(٣٨٩).

لم يتطرق سلام أوكسير لإسباب الخلاف الجذرية بين الطرفين، وتجاهل هيمنة دوق بورغندي على الشطر الأعظم من مقدرات مملكة فرنسا، وكان دوق بورغندي حريصاً على استخدام بسطاء الشعب الفرنسي للضغط على أعدائه، واشعارهم بضعفهم، وفي هذا الصدد أقنع دوق بورغندي جزاري باريس أنه مؤيد لهم في الحصول على حقوقهم واجراء اصلاحات لمؤسسات مملكتهم، مما شجع الجزائريين على تقديم مطالب اصلاحية إلى مجلس الملك الكبير، وحين قابلهم بالرفض، انتفض الجزائريون في ٢٧ نيسان ١٤١٣ بقيادة عضو نقابة الجزائريين سيمون كابوشي (Simon Caboche)، فانضم اليهم أنصار البورغنديين والحرفيين، واستخدموا العنف المفرط للسيطرة على باريس التي غدت مرتعاً للفوضى والقتل والارهاب^(٣٩٠).

تزامناً مع تلك الحركة، أعلن دوق بورغندي جون الجسور دعمه للجزائريين ورفاقهم، مطلقاً على حركتهم اسم ثورة الكابوشيين (Cabochien Revolt)، لأنها نادت بفرض مرسومه الكابوشي الاصلاحى (Ordonnance cabochienne)، على ملك فرنسا^(٣٩١)، مما اضفى على الكابوتشييين صفة شرعية دفعتهم لارتكاب سلسلة مذابح مروعة ضد قادة الارمانيك ومناصريهم في باريس، وفي خضم تلك الفوضى

(389) (David Green, Op. Cit., p.17 ; Emilie Lebailly, Op. Cit., p.357 – 374 ; Jules Finot, La Paix D'arras (1414 – 1415), Annales De L'est Et Du Nord, Berger- Levrault & Cie, Paris ,Vol. 2, N. 1 . Janvier 1906, p.35.

(390) (Boris Bove, Op. Cit., p.294 – 295 ; L. Douët-D'arcq, Tome 2, Op. Cit., p.463 – 464.

(391) (Alfred Coville, L'Ordonnance cabochienne (26 – 27 mai 1413), Alphonse Picard, Paris, 1891, p.2 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 1, Op. Cit., p.10 – 11.

هاجم الكابوتشيون الضباط الملكيين واعتقلوهم، ثم اقتحموا القصور الملكية فهاجموا الدوفين وأسرته، وأعلنوا مسؤوليتهم عن ادارة العاصمة باريس، والغاء الضرائب على سكانها، مما أثار حفيظة النبلاء الفرنسيين الذين رأوا فيما حدث سابقة خطيرة هددت نفوذهم ومصالحهم وارواحهم، وشجعت العامة على تحديهم، فتخلّى أغلب حلفاء دوق بورغندي عنه بوصفه محور تلك الحركة الخطيرة، فندم الدوق على خطته التي كلفته خسارة الكثير من حلفائه، وشعر في حزيران ١٤١٣ أن دعم حركة الكابوشيين أمراً مرهقاً له، ومشوهاً لسمعته بين نظرائه^(٣٩٢).

قيم دوق بورغندي الخطوات التي لا بد من اتباعها للتخلص من عبئ الكابوتشييين، مع الإفادة إلى أقصى حد من حركتهم، وانتهى إلى أن تقمصه دور الوسيط هو الحل الأمثل للاستئثار بفوائد تلك الحركة وتجنب مساوئها، فتواصل مع الملك شارل السادس في بونتواز، وإبرم صلح بونتواز (Paix de Pontoise) في ٢٨ تموز ١٤١٣^(٣٩٣)، الذي نص على تنفيذ معاهدة أوكسير، وحل القوات الكابوتشية مع اعلان العفو العام عنها، وعدم محاسبة افرادها على الجرائم التي اقترفوها بحق الباريسييين^(٣٩٤).

استهجنوا برجوازيي باريس وأعيانها ذلك الاتفاق، ولمسوا ضعف موقف دوق بورغندي، فاقتنصوا الفرصة للقصاص من الكابوتشين، ورأس المأمور السابق لمكتب رئيس بلدية باريس جان جوفينيل (Jean Jouvenel)، جموع الحانقين على الكابوتشين في ٢ آب ١٤١٣، فهاجموهم في أزقة باريس، واستعادوا السيطرة عليها، ثم اطلقوا رفاقهم من السجون، وانقضوا على الكابوتشييين في كل مكان، فاضطر الكابوتشيون لمبارحة باريس في ٤ آب ١٤١٣، وبعد خلوا باريس منهم، أصبح موقف دوق بورغندي بالغ الصعوبة، لاسيما بعد استدعاء الباريسييين سادتهم ورفاقهم الارمانيك لتولي زمام

392(Boris Bove, Op. Cit., p.294 – 295.

393(Nicolas Offenstadt, Op. Cit., p.479.

394(Alfred Coville, Op. Cit., p.338 – 339 ; Frederick c. Wilson, Op. Cit, p.454 – 455 ; L. Douët-D'arcq, Tome .2, Op. Cit., p.477 – 475.

السلطة في باريس، فاضطر دوق بورغندي في ٢٢ آب ١٤١٣ للفرار منها خوفاً من الارمانيك ولارتباط اسمه بالمذابح التي حصلت بين شهري حزيران وآب ١٤١٣، وهكذا استتبت أوضاع باريس لصالح الارمانيك، وتجاوب الملك الدمية شارل السادس معهم كعادته في الخضوع للطرف الأقوى، مما زاد من نفوذ الارمانيك، وأضاف زخماً إلى قوتهم في عموم مقاطعات فرنسا^(٣٩٥).

رافق الملك وابنه لويس الدوفين جيوش الارمانيك التي طردت دوق بورغندي، حتى وصلت مدينة أراس فضربت عليها حصاراً محكماً^(٣٩٦)، لكن النبلاء الفرنسيين ادركوا أن استمرارهم بحروبهم الأهلية مزقت مملكتهم، وأضعفتهم، وجرت عليهم عاهل إنكلترا الشاب هنري الخامس (Henry V) (١٤١٨-١٤٢٩)^(٣٩٧)، الذي بعث اليهم تهديدات نمت عن طمعه في مملكتهم، ورغبته في النيل منها^(٣٩٨)، فأصغى عقلاء

395(Richard C. Famiglietti, Op. Cit., p.327.

396(Françoise Autrand, Op. Cit., p.647 ; Nicolas Offenstadt, Op. Cit., p.479.

(٣٩٧) (١٣٨٧-١٤٢٢): المعروف بـ هنري مونماوث، ولد في غرفة برج بوابة قلعة مونماوث في ويلز، الابن الأكبر لهنري الرابع ملك انكلترا وماري دي بوهون، تولى عرش انكلترا في ٢١ آذار عام ١٤١٣، بعد وفاة والده، يعد واحد من اعظم الملوك الانكليز المحاربين في العصر الوسيط، اشتهر بانتصاراته على فرنسا في حرب المائة عام، للمزيد ينظر: Encyclopedia Americana, J. B. Lion Co, New York, 1920, Vol.14, p.100 ; Christopher Allmand, Henry V, Yale University Press, London, 1997, p.27 – 35.

(398) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Foedera, Conven-tiones, literæ, ... ex autographis, infra secretiore Archivorum regionum thesaurarias, per multa sæcula reconditis, fideliter exscripta, Vol. IX, London, 1739, p.208 – 215.

الفريقين إلى صوت العقل، وغلبوا المصالح الوطنية على صراعاتهم الشخصية، ليكون على أتم استعداد لمواجهة الخطر الإنكليزي الوشيك^(٣٩٩).

استناداً لما تقدم أجرى الطرفان مفاوضات انتهت إلى توقيع سلام أراس (Paix d'Arras) بين ملك فرنسا ودوق بورغندي في ٤ أيلول ١٤١٤، الذي أنهى الفعاليات القتالية بين الطرفين، وتضمن عفواً ملكياً عن دوق بورغندي جون الجسور، مقابل تعهده بعدم تهديد السلم الأهلي في فرنسا، وعدم التقارب مع الإنكليز والتفاوض معهم دون موافقة عاهل فرنسا شارل السادس^(٤٠٠).

المبحث الرابع

فعاليات إنكلترا القتالية في فرنسا وأثرها على النشاط السياسي والعسكري لدوقية بورغندي ١٤١٥ – ١٤١٩

استغل الملك هنري الخامس انشغال دوقي بورغندي وأورليان بصراعهما المضني لتنفيذ مشروع اخضاع ما تبقى من فرنسا لسيطرته، في ظل تقطع أوصالها وتشتت ولاءات سكانها بين الفصيلين المحاربين، فهياً هنري الخامس الاستحضارات المناسبة لحملته القارية^(٤٠١)، ثم ابجر باسطوله في ١١ آب ١٤١٥ من ميناء ساوثامبتون نحو ميناء هارفلر الفرنسي الذي وصله في ١٣ آب ١٤١٥، فضرب عليه حصاراً محكماً بقواته التي بلغت ثلاثة آلاف فارس وسبعة آلاف رامي وخمسة

(399) Thomas Keightlet, The History of England, From The Earliest Period to 1839, Vol. II, New York, 1842, p.44.

(400) Jules Finot, La Paix D'arras (1414 – 1415), Vol. 2, N. 1. Janvier 1906, p.35 ; Françoise Autrand, Op. Cit., p.647 ; Nicolas Offenstadt, Op. Cit., p.479.

(401) Thomas Mante, Naval and Military history of the wars of England including the wars of Scotland and Ireland, Vol. II, London, 1795, p.24 ; N. H. Nicolas, Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England, Vol. II, London, 1834, p.158 ; W. C. Oman, England and the hundred year's war 1327 – 1485, London, 1898, p.106 ; Ian Mortimer, Henry IV's Date of Birth and the Royal Maundy, Historical Research, Vol. 80, Novemper 2007, p.567 – 572.

وسبعون مدفعياً ومئات الأشخاص من التخصصات الساندة^(٤٠٢)، وبعد أربعين يوماً من حصارٍ مضنٍ^(٤٠٣)، توفي اثناؤها الآف المقاتلين الإنجليز بسبب وباء الزحار^(٤٠٤)، استولى الجيش الإنجليزي على ميناء هارفلر في ٢٢ أيلول ١٤١٥، وتزامناً مع تلك التطورات تخلى الإمبراطور الألماني سيغيسموند عن قضية شارل السادس، وأظهر تأييده للملك هنري الخامس^(٤٠٥).

زحف هنري الخامس في ٨ تشرين الأول ١٤١٥ بشطرٍ من جيشه نحو الأراضي الفرنسية الواقعة شمال هارفلر^(٤٠٦)، فاعترضته قوة فرنسية في يوم القديس كريستين (Saint Crispin)، ودارت معركة اجينكورت (Battle of Agincourt) قرب قرية أجينكورت في ٢٥ تشرين الأول ١٤١٥ بين الجيش الفرنسي بقيادة كونستابل فرنسا شارل الأول دالبريت (Charles I d'Albret)(١٤٠٣-١٤١٥)، والجيش الإنجليزي^(٤٠٧)، التي شكلت نقطة تحول بوصفها إحدى أهم معارك حرب المائة عام^(٤٠٨)، التي انتهت بانتصار ساحق للجيش الإنجليزي على نظيره الفرنسي الذي بلغ عدده ثلاثة أضعافه^(٤٠٩)، ففتك الرماة الإنجليز بسهامهم الطويلة بألاف النبلاء

(402) Georges Duby, Op. Cit., p.334 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome III, Op. Cit., p.154.

(403) The Chronica maiora of Thomas Walsingham, 1376 – 1422, Translated by David Preest with introduction and notes by James G. Clark, Woodbridge, 2005, p.408 – 409.

(404) Jehan De Waurin, Tome 2, Op. Cit., p.186.

(405) Christopher Allmand, The Hundred Years War ..., p.27 – 28.

(406) W. H. Margetson, Cassell's History of England from the Roman invasion to the Wars of the Roses, Vol. I, London, 1909, p.552.

(407) Alfred Higgins Burne, The Agincourt War A Military History of the Latter Part of the Hundred Years War from 1369 to 1453, Front Line Books, London, 1956, p.76 – 77.

(٤٠٨) إيمان نعيم عرد الموسوي، المعارك الإنجليزية – الفرنسية ١٤١٥ – ١٤٥٣ دراسة تاريخية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٤، ص ١٩ – ٣٠.

(409) Alfred Higgins Burne, Op. Cit., p.76 – 77 ; W. C. Oman, History of The Peninsular War, Vol. III, Oxford, 1812, p.354.

الفرنسيين، وقضوا على نخبة الفروسية الفرنسية في حقل اجنكورت الموحد^(٤١٠)، الذي بالغ احد المصادر في وصف من قتل فيه، فأدعى أنه أصبح مقبرة لأكثر من خمسة عشر ألف مقاتل فرنسي^(٤١١).

واللافت أن دوق بورغندي بقي محايداً، على الرغم من مقتل اثنين من إخوته في تلك المعركة الدموية هما: انتوني دوق برابانت، وفيليب بورغندي كونت نيفيرز، وهما يزودان عن فرنسا جنباً إلى جنب مع الفرسان والقادة الألمان^(٤١٢)، ومن خلال مجريات الأحداث، يتضح أن دوق بورغندي قرأ الوجه الآخر للمعركة التي خلصته من مئات النبلاء الفرنسيين الألمان المناوئين له، وفي مقدمتهم دوق أورليان شارل الأول الذي أصبح أسيراً لدى الإنجليز، فكانت اجنكورت ضارة للألمان نافعة لدوق بورغندي في ظل خلو المشهد الفرنسي من منافسيه، ومما له مغزاه أن المؤرخ البورغندي جان لوفيفر (Jean Le Fèvre)، المقرب من دوق بورغندي جون الجسور، ايد بكل وقاحة المجزرة التي اقترفها الملك هنري الخامس حين ذبح أسراه من النبلاء الفرنسيين^(٤١٣)، مشدداً على أنهم استحقوا ما حصل لهم^(٤١٤)، وفي ذلك دليل قاطع على ما ذهبنا اليه من أن ما حدث في اجنكورت منح دوق بورغندي أملاً في استرجاع نفوذه الضائع لدى مؤسسة العرش الفرنسي في تلك المرحلة الخطيرة من تأريخه^(٤١٥).

410(Stephanie Louise Coker, How Legend Constructs French National identity Jeanne d'Arc,(Unpublished Doctoral Thesis), Agricultural and Mechanical College, Louisiana State University, 2007, p.32.

411(Augustin Challamel, Tome. 3, Op. Cit., p.493 – 494.

412(The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol. 15, p.445 – 446 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ...,Tome III, Op. Cit., p.155 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 5, Op. Cit., p.579.

(413) David Glenn Whetham, Unorthodox warfare in the Age of Chivalry surprise and deception in the Hundred Years war, (Unpublished Doctoral Thesis), King's College – University of London, 2004, p.236, 240 ; W. C. Oman, England and the hundred year's ..., p.111.

(414) Chronique Jean Le Fèvre de Saint-Remy, Tome I, p.246 – 247.

415(Boris Bove, Op. Cit., p.296 – 297 ; Alfred Higgins Burne, Op. Cit., p.85 – 86.

بدا دهاء دوق بورغندي واضحاً حين أخفى ابتهاجه بتلك النتيجة، وأظهر أسفه على ما جرى لكسب مودة الفرنسيين والافادة من دعمهم له لتنفيذ مخطط السيطرة على موازين القوى في فرنسا، لذا اعتقل فارساً بورغندياً قاتل في أجنكورت يدعى ايسمبرت (Isambart)، متهماً أياه انه السبب المباشر في المذبحة التي قام بها الملك هنري الخامس لإسراه النبلاء، لأن الغارة التي قام بها الفارس البورغندي ايسمبرت على مؤخرة الجيش الإنجليزي لسرقة متاعه^(٤١٦)، هي التي أثارت حفيظة الملك هنري الخامس، فأمر بالإجهاز على اسراه الفرنسيين^(٤١٧)، بطرق دموية، وصفها مقاتل نورماندي قائلاً: "كان هؤلاء النبلاء الفرنسيون يقتلون ويقطعون إلى اشلاء وتتدرج رؤوسهم في مشهد مخيف تصعب رؤيته"، وبعد توجيه دوق بورغندي تهمة مسؤولية ايسمبرت عن مذبحة النبلاء الفرنسيين، لم يمنحه فرصة الدفاع عن نفسه، بل زج به في السجن، في مناورة ذكية اراد منها إظهار حرصه على فرنسا ونبلائها^(٤١٨).

لم يكتف دوق بورغندي بما سبق بل أمر ابنه البكر بالذهاب إلى ساحة معركة أجنكورت، وموارة النبلاء الفرنسيين الثرى، وحين وصل الأمير البورغندي إلى أجنكورت، وجد القتلى الفرنسيين مجردين من أسلحتهم وثيابهم الفاخرة، وأغلبهم "عراة كما ولدتهم امهاتهم"^(٤١٩)، فأمر بدفنهم في مقبرة جماعية ذات ثلاثة خنادق عرض كل منها اثني عشر قدماً، ضمت خمسة آلاف وثمانمائة قتيلاً في بلدة هيسدين القريبة من أرض المعركة^(٤٢٠).

انتهى مخطط دوق بورغندي إلى فشل ذريع بعد تسنم زعيم الارمانيك برنارد السابع قيادة الجيوش الفرنسية بوصفه كونستابل فرنسا خلفاً لدالبريت الذي قتل في أجنكورت، وهو ما بدا واضحاً في تأكيد كونستابل فرنسا وكونت أرمانيك برنارد السابع

(416) James Grant, British Battles on Land and Sea, Vol. I, New York, 1924, p.81.

(417) Edith Thompson, Op. Cit, p.129 ; Michael Drayton, The Battaile of Agincourt, Editor: Richard Garnett, London, 1893, p.252 – 254.

(418) Alfred John Church, Henry the Fifth, New york, 1889, p.83 – 85.

(419) Thomas Keightlet, Op. Cit, p.49.

(420) Alfred John Church, Op. Cit, p.87.

انه حريص على تقوية العرش الفرنسي داخلياً من خلال اضعاف النفوذ البورغندي في باريس والتصدي للتحدي الخارجي المتمثل بالمحتل الإنجليزي^(٤٢١)، وشدد الكونت برنارد السابع على رفضه أية تسوية مذلة مع عدويه اللودين هنري الخامس أو دوق بورغندي، وأن هزيمة اجنكورت مرحلة عابرة في تاريخ فرنسا وليست حكماً ابدياً عليها، ولا شك أن تلك التصريحات بينت مدى خطورة الكونت برنارد على تمدد النفوذ البورغندي والنهج التوسعي لمؤسسة العرش الإنجليزي^(٤٢٢)، مما وضع الإنجليز أمام حقيقة تجدد السجلات العسكرية ضد فرنسا^(٤٢٣).

أوعز الكونت برنارد السابع لقادته ومساعديه بجلب ما امكنهم من أموال لتمويل عمليات استعادة ميناء هارفلر^(٤٢٤)، وحشد "أسطول كبير من القوادم والمراكب"^(٤٢٥)، للمباشرة بحصاره بحراً تزامناً مع أوامر مماثلة بحشد قوات فرنسية برية للمرابطة في المناطق المتاخمة لهارفلر ليكتمل طوق حصارها براً وبحراً، وانتهى الجهد العسكري البري الفرنسي إلى حشد قوات فرنسية من غاسكوني في كانون الثاني ١٤١٦ قوامها ألفا مسلح والـ ألف رامي سهام، فضلاً عن حاميات وميليشيات أرسلتها روان قوامها ستمائة مسلح وخمسين رامياً^(٤٢٦)، لتغدو قوات فرنسا الأجمالية في نورماندي وتخومها أكثر من أربعة آلاف مقاتل بقيادة كونستابل فرنسا وكونت الارمانيك برنارد السابع^(٤٢٧).

فتبنى حاكم هارفلر الإنجليزي إيرل دورست توماس بيوفورت (Earl of Dorset Thomas Beaufort)، اسلوب مشاغلة القيادة الفرنسية من خلال شن

(421) Chronique Du Religieux De Saint-Denys, Tome .5, Op. Cit, p.507.

(422) Cyril E. Robinson, A History of England Early and Middle Ages to 1485, London, 1920, p.222.

(423) Charles Lethbridge Kingsford, Henry V. The Typical Medieval Hero, London, 1901, p.182.

(424) Charles de la Roncière, Histoire de la Marine Française, Tome. II, Paris, 1899, p.220 – 221.

(425) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.182.

(426) Richard Ager Newhall, The English conquest of Normandy 1416 – 1424 a study in fifteenth century warfare, New Haven, 2011, p.19.

(427) Cyril E. Robinson, Op. Cit., p.222.

غارات على المناطق المحيطة بهارفلر لتموين قواته واستنزاف تلك المناطق لمنعها من تشكيل خطر عليها^(٤٢٨)، لاسيما ان قوات بحرية فرنسية وجنوية - نزولاً عند أوامر كونستابل فرنسا - ضربت حصاراً بحرياً خانقاً على هارفلر تزامناً مع تجمعات برية فرنسية متفرقة رصدتها قوات الاستطلاع الإنكليزية على تخوم هارفلر مطلع اذار ١٤١٦^(٤٢٩).

جرت في ١١ أذار ١٤١٦ معركة فالموننت (Battle of Valmont)، غير الحاسمة بين الجيشين الفرنسي والإنكليزي^(٤٣٠)، التي انتهت بانسحاب الكونت برنارد السابع خوفاً من حامية هارفلر التي هاجمت جانبي جيشه اثناء المعركة، تاركاً قوات تابعه لويس دي لوغني (Louis de Lugne)، تحت رحمة الإنكليز الذين قضوا على أغلبها^(٤٣١)، وشنق الدوق بعض مقاتليه بعد تلك المعركة بتهمة تقهقرهم اثناءها^(٤٣٢). ادركت إنكلترا بعد معركة فالموننت أن ما حقته في العام السابق على وشك الإنهيار، بعد ايعاز الكونت برنارد في نيسان ١٤١٦ للاستيلاء على حليفه الجنوبي بفرض طوق بحري كامل على هارفلر ومصب نهر السين^(٤٣٣)، تزامناً مع تطويقها براً لإستنزاف مؤن حاميتها واجبارها على الاستسلام لفرنسا^(٤٣٤)، لكن تلك الجهود انتهت

(428) Alfred Higgins Burne, Op. Cit., p.99.

(429) James Hamilton Wylie, The Reign of Henry the Fifth (1413 – 1415), Vol. II, Cambridge at the University Press, Cambridge, 1914, p.346 – 347.

(430) Alfred Higgins Burne, Op. Cit, p.102 – 104 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome III, Op. Cit., p.156 – 157.

(431) Sharon Turner, The History of England During The Middle Ages, Vol. I, London, 1853, p.312.

(432) George Makepeace Towle, The History Henry The fifth King – of London, Lord of Ireland and Heir of France, New York, 1866, p.346.

(433) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.182.

(434) Sharon Turner, Op. Cit, Vol. I, p.312.

إلى الفشل بعد انتصار الإسطول الإنجليزي على نظيره الفرنسي في معركة السين (The Battle of the Seine) بتاريخ ١٥ آب ١٤١٦ (٤٣٥).

أرى أن معارك اجنكورت وفالمونت والسين إضعفت الملكية الفرنسية وتيار الارمانيك بالذات، لأنها أدت إلى تحول ولاءات أغلب النبلاء الفرنسيين بين إنكلترا والبورغنديين الذين احتفظوا بحيويتهم وقوتهم لنأيهم بأنفسهم عن ذلك الصراع الذي اضعف منافسيهم الارمانيك، كما أنه قربهم من الإنجليز، الذين قدموا لهم خدمات لا تقدر بثمن حين اجهزوا على القادة الارمانيك، وبالمقابل شعر الإنجليز أن عدم مواجهة البورغنديين لهم مؤشر على إمكانية كسب دوق بورغندي إلى جانبهم، أو ضمان حيادهم على اقل تقدير.

استغل دوق بورغندي حالة الوهن التي أصابت فرنسا والاراضي المنخفضة في تلك المرحلة، فشرع في ضم بعض الاراضي المجاورة لدوقيته، ومنها دوقية برابانت التي باشر الدوق مفاوضات موسعة مع سكانها لضمها إلى أملاكه، فأرسل بعثة إلى سلطات مقاطعات برابانت الثلاثة في كانون الثاني ١٤١٦ لاقتناعها بمنح الدوقية اليه بوصفه وصياً على ابناء دوقها الراحل اخيه أنتوني بورغندي، ثم ذهب اليها بنفسه في ١٣ شباط ومطلع آذار ١٤١٦، فقابل نواب المدن وطالبهم بإعادة الدوقية إلى ابني أخيه أنتوني الأميرين الصغيرين جون الرابع (John IV, Duke of Brabant) (١٤١٨-١٤٢٧)، وفيليب الأول المعروف بـ فيليب دي سان بول (Philip of St. Pol) (١٤١٥-١٤٣٠)، لكنه فشل في اقناعهم بمطالبه، ومع أن ممثلي برابانت اجتمعوا مجدداً مع ممثلي الدوق أواخر آذار من العام ذاته، لكنهم فشلوا في حسم مسألة وراثة برابانت (٤٣٦).

فأرسل الدوق في نيسان ١٤١٦ مبعوثين جدد إلى أنتويرب لحسم ملف الوراثة، وتم عقد مؤتمر مالين العام (Malines) مطلع أيار ١٤١٦، الذي جمع ممثلي ونبلاء وأساقفة لوفان (Louvain) وبروج وبروكسل (Bruxelles) وأنتويرب

435(Christopher Allmand, The Hundred Years War ..., p.28 – 29.

436(Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit., p.448 – 449.

وغيرها، وحين فشلوا في حسم ملف وراثة برابانت، أرسل إنذاراً نهائياً في ١ حزيران ١٤١٦، أكد فيه اضطراره لاستخدام القوة العسكرية، إن لم تحسم مشكلة وراثة برابانت، وحين يأس من مواطني برابانت أوعز لأبنيه البكر فيليب الطيب بضمها إلى الممتلكات البورغندية^(٤٣٧).

انتزع دوق بورغندي أيضاً مقاطعة بولوني (Boulogne) في أواخر عام ١٤١٦ بالقوة من مالكةا الشرعي جورج دي لاترومويل (George de la Trémoille) (١٣٨٤-١٤٤٦)^(٤٣٨)، فاصبح ولي العهد الجديد شارل الدوفين، في موضع لا يحسد عليه، لأنه بعد حصوله على لقب دوفين في ١٤ حزيران ١٤١٧، وتعيينه قائداً عاماً لمملكة فرنسا بدلاً من والده، أصبح بين مطرقة الخطر العسكري الإنجليزي، وسندان التوسع الإقليمي البورغندي^(٤٤٠).

تزامناً مع تجدد الفعاليات الإنجليزية في شمال فرنسا بتاريخ ١ آب ١٤١٧^(٤٤١)، اقتنص دوق بورغندي الفرصة وضم مدينة ماكون (Macon) الملكية وتوابعها إلى ممتلكاته في أيلول ١٤١٧، ثم انتزع مقاطعة تونير (Tonnerre) من

437(W. P. Blockmans & W. Prevenier, De Bourgondiërs De ..., p.16.

(٤٣٨) (١٣٨٢-١٤٤٦): وُلد في باريس، وكان على صلة بالدوق فيليب الطيب، قبل أن ينفصل عنه عام ١٤١٩ وينضم إلى شارل السابع. وبحلول عام ١٤٢٧ أصبح كبير مستشاري الملك وحاجب البلاط، ما أتاح له نفوذاً واسعاً داخل الدائرة الملكية، اشتهر بالمكر والتواطؤ مع البورغنديين والإنجليز على حساب الأرمانيك، ونجح في دفع الملك إلى تبني مواقف خالفت توجهات قادته. توفي في ٦ آيار في قلعة بمدينة سولي - سور - لوار، للمزيد ينظر : Winifred Stephens, The La Trémoille family, New York, 1914, p.16 - 45.

439(Pierre Héliot, A. Benoit, Georges de la Trémoille et la mainmise du duc de Bourgogne sur le Boulonnais, Revue du Nord, Tome. 24, No. 93, février 1938, p.33 - 34.

440(Frantz Funck-Brentano, Histoire Le Moyen - Âge - La France Féodale, Translated From French by Elizabeth O'Neill, William Heinemann Co., London, 1922, p.501 - 503.

(441) Anne Curry, The Hundred Years War 1337-1453, Oxford, 2003, p.67.

مالكها الشرعي كونت تونير لويس دي شالون (Louis de Chalon) المعروف بالفارس الأخضر بذريعة اختطافه إحدى وصيفات دوق بورغندي^(٤٤٢).

انعكست تلك التطورات على الشمال الفرنسي الذي غدا نهباً للحملة الإنكليزية الملكية^(٤٤٣)، التي ضمت في أقل من شهرين قلعة توكس الملكية، ثم دوفيل (Deauville)، هاركورت، إيفروكس (Évreux)، ليزوكس (Lisieux) والينكون (Alençon) ومواضع أخرى^(٤٤٤)، ونهبت بعض المصادر التاريخية إلى تلك الحقيقة، حين ذكرت أن السبب الأهم للانتصارات الإنكليزية السريعة، يعود إلى انقسام ولاءات نبلاء نورماندي وحكام قلاعها بين دوق بورغندي والعرش الفرنسي، مما أوجد جواً من عدم الثقة بينهم انعكس على ادائهم العسكري^(٤٤٥)، لاسيما أن الزحف الإنكليز كان سريعاً بشكل لم تجاربه الألة العسكرية الفرنسية^(٤٤٦).

استغل دوق بورغندي الضعف الذي ألم بمؤسسة العرش الفرنسي بسبب الضغط العسكري الإنكليزي، وتنامي طغيان نفوذ زعيم الارمانيك كونستابل فرنسا برنارد السابع بعد هيمنته على بلاط باريس، فقرر استخدام القوة العسكرية للتخلص

(442) Dunod De Charnage, Histoire Du Second Royaume De Bourgogne, Ducomté De Bourgogne Sous Les Rois Carlovingiens, Des Iii. Et Iv . Royaumes De Bourgogne, Et Des Comtes De Bourgogne, Montbéliard & Neufchatel. Avec Une Description Du Comté De Bourgogne, & Plusieurs Généalogies, Tome 2, Fay Imprimeur Des Etats, De La Ville & De L'université, Dijon, 1737, p.304 – 311 ; Jonathan Sumption, The Hundred Years War, Vol. 4, Cursed Kings, University of Pennsylvania Press, Pennsylvania, 2017, p.271 – 272.

(443) Anne Curry, Op. Cit, p.67.

(444) Alfred John Church, Op. Cit, p.110 – 112.

(445) Gérard Bacquet, Azincourt, Bellegarde, 1977, p.103.

(446) Desmond Seward, Henry V The Scourge of God, U.S.A, 1987, p.102.

من برنارد السابع^(٤٧٤)، فاتجه بقواته إلى باريس أواخر آب ١٤١٧^(٤٨٤)، وأقنع ملكة فرنسا ايزابو البافارية بدعم مساعيه للتخلص من غريمه والهيمنة معاً على مؤسسة العرش الفرنسي، ووضعاً في تشرين الثاني ١٤١٧ مخططاً للتخلص من برنارد السابع^(٤٩٤).

تأخر تنفيذ مخطط الانقلاب البورغندي سبعة أشهر، وسنحت الفرصة لتنفيذه بعد خيانة ابن حارس البوابة ومسؤول مخازن التموين بيرينيت لوكير (Perrinet Leclerc)، وتعاونه مع بعض حرفيي باريس في فتح بوابة سان جيرمان (Porte Saint-Germain)^(٥٠٤)، في الثانية من ليلة ٢٩ أيار ١٤١٨ لقائد الجيش البورغندي جان دي فيليز (Jean de Villiers)، فاقتحمت القوات البورغندية العاصمة، واتمت السيطرة عليها في ٣٠ أيار ١٤١٨، وتسلم البورغنديون مفاصل التنظيم الإداري والمالي للتاج الفرنسي، ثم أدار البورغنديون سلسلة مذابح ضد الارمانيك، فقتلوا كونستابل فرنسا برنارد السابع في ١٢ حزيران ١٤١٨، ومقربيه الذين بلغوا خمسمائة قتيل، واضطر ولي العهد الجديد شارل الدوفين للفرار إلى حصن باريس المعروف باسم باستيل سانت أنطوان (The Bastille St. Antoine)، ثم إلى ميلون ومنها إلى بورجيه (Bourges)^(٥١٤).

فور هيمنته على القرار الملكي الفرنسي نقل ملكية بلدات بيرون (Péronne) وروي (Roye)، ومونتديديه (Montdidier) إلى ابنه كونت

447(Frantz Funck-Brentano, Histoire Le Moyen-Âge ..., p.501 – 503.

448(Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome III, Op. Cit., p.158.

449(Augustin Challamel, Tome. 3, Op. Cit., p.494 – 495.

450(Jean Juvenal Des Ursins, Histoire De Charles VI, Roy De France, 1473 – 1388, Bostonpubliclibrary, Americana, 1841, p.541.

451(L. Douët-D'arcq, Tome .3, Op. Cit., p.258 – 265.

شاروليه فيليب الطيب بحجة ضمان سداد ملك فرنسا لمهر ابنته ميشيل الفرنسية زوجة فيليب شارولية(٤٥٢).

لم يكن لمسؤولي البلاط الفرنسي وأفراد العائلة الملكية سوى التسليم للأمر الواقع وهم يرون أوصال مملكتهم تتقطع بين العدو الخارجي والمتربص الداخلي المتمثل بدوق بورغندي، الذي حول دوقية بورغندي إلى قوة اقليمية مستقلة مؤثرة في الشؤون الأوروبية، وضاعف مساحتها بعد دمج بولوني وبرابانت وأرتوا وبيرون وروي ومونتديديه والكثير من مدن شمال فرنسا بها، حتى حاذت نهر السوم، وشكلت درعاً أمامياً للحيلولة دون تكرار الهجوم الفرنسي على أراس وسواها من المناطق التابعة للبورغنديين.

رافقت تلك التطورات الانتشار العسكري الإنجليزي في مقاطعة نورماندي(٤٥٣)، مما زج مملكة فرنسا في وضع بالغ التعقيد، أجبر ولي العهد الفرنسي للتوصل إلى تسوية مع دوق بورغندي، فأجرى معه مفاوضات تكلفت بإبرام معاهدة سانت مور دي فوسي (Treaty of St. Maur-des-Fossés) في ٢٩ تشرين الاول ١٤١٨، لكن ولي العهد الفرنسي ندم على تلك المعاهدة لأن تنفيذ بنودها سيضعه ووالديه تحت وصاية دوق بورغندي، وستنتهي صلته باتباعه ومستشاريه الارمانيك، لذا أعلن شارل الدوفين تنصله عن المعاهدة، واستعاض عن دوق بورغندي بالإنجليز، بوصفهم القوة الوحيدة التي ستخلصه من الهيمنة البورغندية(٤٥٤).

مارس الدوفين واتباعه الارمانيك اسلوب خنق باريس عسكرياً، عن طريق السيطرة على مساحات واسعة في أودية أيسن (Aisne) وأواز (Oise)، ومقاطعة جيز (Guise)، مما سمح لهم بالاستيلاء على أماكن مثل سواسون (Soissons) وكومبيان (Compiègne)، وتمركزت العائلات النبيلة الداعمة لـ الدوفين في أنجو وموكس

452(Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.237 – 238.

453(Philippe Contamine, Op. Cit., p.53 – 54 ; L. Douët-D'arcq, Tome .1, Op. Cit., p.258 – 262.

454() Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur ..., p.673.

(Meaux) وميلون، فضلاً عن مدينة ليون (Lyons) في الجنوب، وبعض المدن المؤيدة للارمانيك، مما حدد انتقال البورغنديين بين كثير من المدن الفرنسية^(٤٥٥).

زاد الوضع سوءاً على دوق بورغندي بسبب وجود عيون واتباع خفيين للارمانيك وسيدهم الدوفين في كثير من مؤسسات المملكة، واقترب الخطر الإنجليزي من باريس بعد حصار روان، فغادر دوق بورغندي باريس إلى بونتواز في ٢٤ تشرين الثاني ١٤١٨، للاجتماع بملك فرنسا، وأثناء اجتماعهما، أعلن الملك أن دوق بورغندي حامياً له ووصياً على العرش الفرنسي، مما جعل دوق بورغندي الحاكم الفعلي لفرنسا، المكلف بالدفاع عنها ضد الإنجليز^(٤٥٦)، وفي تلك الظروف بالذات بدا استسلام روان للإنجليز وشيكاً، فتسلل احد سكانها عبر الخطوط العسكرية الإنجليزية، وحين قابل دوق بورغندي، نقل اليه كلاماً عبر عن مشاعر مواطني روان، حين قال: "لو استمر إهمالك لنا، وهزمتنا ملك إنجلترا، سنصبح ألد أعداءك"^(٤٥٧)، فوعده الدوق بالمساعدة، وحين تسربت انباء ذلك الوعد تشجعت حامية روان في الدفاع عنها^(٤٥٨).

هنا من المناسب القول أن الدوق حاول تكوين قوة عسكرية لمجابهة الإنجليز، فجمع ما تيسر له من قوات، وكتب إلى زوجته ماركريت بافاريًا طالباً منها ارسال فرق من بورغندي وسافوي لدعم قواته في حالة اشتباكها ضد الجيش الإنجليزي، وجرى اتصالات مع الدوفين لنسيان الماضي وتوحيد قواهما ضد عدوهما المشترك^(٤٥٩)، ثم غادر بونتواز إلى بوفيه برفقة ملك فرنسا وملكتها، وعقد فيها سلسلة اجتماعات من ٢٩ كانون الاول ١٤١٨ حتى ١٣ كانون الثاني ١٤١٩^(٤٦٠)، تلك الاجتماعات لم تثمر إلا على محاولة فرنسية خجولة تمثلت بتوجه قوات فرنسية رمزية حاملة راية

(455) Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 5, Op. Cit., p.325.

(456) J. C. L. Sismonde De Sismondi, Histoire Des Français, Vol. XII, Imprimeur Libraire, Paris, 1828, p.574 – 575.

(457) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.247 – 248.

(458) Alfred John Church, Op. Cit., p.118.

(459) Jules De La Chauvelays, Op. Cit., p.244.

(460) Ernest Petit, Itinéraires De Philippe ..., p.444 – 445.

أوريفلام المقدسة، وبعد اقتراب تلك القوات من روان هالها الانتشار العسكري الإنجليزي، الذي احاط روان من كل مكان، فعادت ادراجها دون صدام^(٤٦١).

بدا النهج الاستسلامي الفرنسي واضحاً حين تجاهل الدوفين معاناه مواطنيه الفرنسيين في روان، وركز على النيل من عدوه دوق بورغندي بأي ثمن، ولو كان التحالف مع الإنجليز، فأجرى الدوفين مفاوضات مع ملك إنكلترا أثناء حصار روان، ولخص الدوفين عرضه بتنازل هنري الخامس عن ادعاءاته في العرش الفرنسي، مقابل بحث تنازل العرش الفرنسي عن بريتاني وغوين ونورماندي للعرش الإنجليزي^(٤٦٢)، لكن الملك هنري الخامس علم أن ثمن ذلك الاتفاق تحالف الإنجليز مع الدوفين ودعمهم له في الزحف نحو باريس لاسقاط حكومة دوق بورغندي، وهو أمر لم ينسجم مع استراتيجية العرش الإنجليزي في بقاء فرنسا ممزقة على نفسها، لذا أعلن الملك هنري الخامس أنه سيعلم عرض الدوفين على عدوه اللدود دوق بورغندي، وإذا رفضها سيزحف ملك إنكلترا بقواته إلى باريس لاعتقال الدوق وأنصاره، وتسليمهم إلى الدوفين، وسيساعده في الحصول على الفلاندرز ثمناً لتعاونهم مع إنكلترا^(٤٦٣).

تدل الوقائع على أن عقبات كثيرة حالت دون تنفيذ ذلك الاتفاق، منها أن الدوفين لم يمتلك سلطة التنازل لإنكلترا عن أهم اقطاعات فرنسا^(٤٦٤)، كما أن إنكلترا لم تكن مستعدة لعداء دوق بورغندي الذي يمتلك قدرات عسكرية ومادية من املاكه مترامية الأطراف، ومن ثم فإن ذلك الاتفاق ولد ميتاً، لاسيما أن الدوفين لم يكن جاداً في تنفيذه^(٤٦٥)، وهو ما بدا واضحاً في اختلاف وجهة نظر الدوفين مع السفراء الإنجليز الذين زاروه مراراً، وزاد الأمر سوءاً حين قال الدوفين في إحدى المرات: "انني لن أبرم معاهدة سلام مع إنكلترا العدو القديم لبلدي، ولن اساعدها في تدمير تابع لعرش

(461) Richard Ager Newhall, The English conquest of Normandy ..., Op. Cit., p.115 – 120.

(462) Alfred John Church, Op. Cit., p.121 – 122.

(463) Alfred John Church, Op. Cit., p.118 – 119.

(464) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.249 – 250.

(465) Ibid, p.250 – 251.

فرنسا"، ومع أن مفاوضات الطرفين استمرت لكنها انتهت إلى الفشل حين طلب عاهل إنكلترا بتنازل فرنسا عن اقطاعات فرنسية كثيرة، وحين اعترض المبعوثون الفرنسيون على طلبه شكك بسلطتهم في التفاوض، وانهى المباحثات فوراً^(٤٦٦).

وجه الملك هنري الخامس ضربة شديدة لـ الدوفين ودوق بورغندي على حدٍ سواء حين دخل روان في ٢٠ كانون الثاني ١٤١٩ بموكب ملكي مهيب^(٤٦٧)، تاركاً دوق بورغندي أمام واقع عسكري وسياسي جديد تطلب منه اخلاء العاصمة باريس لاحتمالية الزحف الإنكليزي نحوها^(٤٦٨)، فتخلى دوق بورغندي عن ادارة باريس لـ فيليب دي سان بول ابن اخية أنتوني، وانسحب مع العائلة المالكة نحو بروفانس (Provins)، التي اتخذها مقراً له، في ٢٢ كانون الثاني ١٤١٩^(٤٦٩).

كان عاهل إنكلترا على دراية تامة بتشظي مؤسسات القرار السياسي الفرنسي، بسبب وجود ملك معتوه هو شارل السادس، وانقسام النبلاء الفرنسيين إلى تيارين، سمي الأول بـ الارمانيكيين، وتزعمه الدوفين شارل السابع، وتمثل الثاني بـ البورغنديين، الذين رأسهم دوق بورغندي جون الجسور، ولاشك أن ذلك التنافس وفر فرصة ثمينة لعاهل إنكلترا لإستغلال تناقضات التيارين، وتحقيق اهداف غير منقوصة^(٤٧٠)، تزامناً مع تقرب بعض نبلاء فرنسا الذين تاخمت ممتلكاتهم اراضي نورماندي من عاهل

(466) Alfred John Church, Op. Cit, p.119.

(467) F. W. D. Brie, The Brut or The Chronicles of England, Vol. II, Oxford, 1906, p.420 – 422.

(468) J. C. L. Sismonde de Sismondi, Op. Cit., Vol. XII, p.574 – 575.

(469) Jonathan Sumption, Op. Cit., Vol. 4, p.580 – 597.

(470) Janet Shirley, A Parisian Journal 1405 – 1449, Translated from the Anonymous Journal d'un Bourgeois de Paris, Oxford, 1968, p.111 – 119.

إنجلترا، وتقديمهم فروض الطاعة والولاء اليه، ومنهم دوق بريتاني الذي زار الملك هنري مجدداً في ٢٥ اذار ١٤١٩^(٤٧١)، لتأكيد علاقته الودية معه^(٤٧٢).

تزامناً مع ذلك حاول قطبي رحا السياسة الفرنسية، وهما الدوفين ودوق بورغندي الوصول إلى تفاهم مع عاهل إنجلترا يضمن لكل منهما على حدة ارضاءه بتحقيق بعض مطالبه، ثم التحالف معه لتدمير خصمه^(٤٧٣)، فأجرى الدوفين مفاوضات سرية معه، بوصفه ابن الملك وولي عهده، لكن الدوفين لم يلقِ بالاً لإدعاءات الملك هنري في العرش الفرنسي، لأن الدوفين هو الإبن البكر للملك شارل السادس ووريثه المفترض على عرش فرنسا، ومن ثم فإن اعترافه بادعاءات هنري الخامس في العرش الفرنسي ستفقده أرث ابائه واجداده، مما انتهى إلى تناقض وجهتي نظر الطرفين، كذلك اتصل دوق بورغندي بعاهل إنجلترا على أساس أنه المتحدث الرسمي باسم الملك شارل السادس، والمعبر عن توجهات العرش الفرنسي^(٤٧٤).

كانت هناك فرصة لتفاهم الطرفين، لأن نفوذ دوق بورغندي شمل جميع أفراد الأسرة المالكة الفرنسية بضمنهم الملك، عدا الدوفين وتياره الذي ناوئ دوق بورغندي وقاوم نفوذه، ولذا ركز الدوق على ابقاء نفوذه في فرنسا الذي حتماً سيبطل أقوى في ظل حكم ملك معنوه^(٤٧٥)، لكن توجس دوق بورغندي من تسنم عدوه اللدود الدوفين عرش فرنسا في حالة وفاة والده، جعلت دوق بورغندي مستعداً لإعادة النظر في مسألة تسنم عاهل إنجلترا العرش الفرنسي في حال اطمئنانه على نفوذه وامتيازاته^(٤٧٦).

انتهت الحثثيات السابقة إلى قناعة دوق بورغندي وعاهل إنجلترا بالتفاوض، فتم عقد اجتماع رسمي بين الطرفين في ميلون في ٣٠ ايار ١٤١٩ حضره الدوق ومملكة

(471) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.281.

(472) James Hamilton Wylie, The Reign of Henry the Fifth (1415 – 1422), Vol. III, Cambridge at the University Press, Cambridge, 1929, p.176 – 177.

(473) Desmond Seward, Op. Cit, p.130.

(474) Robert Balmain Mowat, Henry V, London, 1919, p.217 – 218.

(475) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.282.

(476) Thomæ de Elmham, Vita & Gesta Henrici Quinti Anglorum Regis, Edited by T. Hearne, London, 1727, p.222.

فرنسا ايزابو البافارية وابنتها الأميرة كاثرين التي تعتمد دوق بورغندي جلبها إلى ذلك الاجتماع للتأثير على ملك إنكلترا الذي كان متعطشاً للإقتران بها^(٤٧٧)، ورافق العاهل الإنكليزي كبار مسؤوليه، بضمنهم أخويه دوق لانكستر توماس كلارنس (Thomas of Lancaster, Duke of Clarence) (١٤١٢-١٤٢١) (٤٧٨)، ودوق غلوسستر همفري (Humphrey, Duke of Gloucester) (١٤١٤-١٤٢٨) (٤٧٩)، وآخرين، وبعد التبادل الرسمي للتحايا^(٤٨٠)، جلس الطرفين في خيمة كبيرة، وشدد ملك إنكلترا في مطلع الاجتماع إلى أن له شرعية تامة في امتلاك جميع مقاطعات شمال فرنسا، فضلاً عن المقاطعات الأخرى في وسط فرنسا وجنوبها التابعة تاريخياً إلى العرش الإنكليزي، وبعد نقاشات مستفيضة تم الاتفاق على استئناف المفاوضات في اليوم التالي الموافق ١ حزيران ١٤١٩ (٤٨١).

تدريجياً أدرك الطرفان أن مفاوضاتهما ستطول في ظل تشبث كل منهما بآرائه، وهو ما حصل فعلاً حين قضى الطرفان شهر حزيران بأكمله في مفاوضات صعبة،

(477) James H. Ramsay, Lancaster and York A Century of English History 1399–1485, Vol. I, Oxford, 1892, p.270.

(٤٧٨) (١٣٨٧-١٤٢١): الابن الثاني لعاهل إنكلترا هنري الرابع، وُلد في ٢٥ تشرين الثاني في لندن، عيّنه والده لورداً على إيرلندا عام ١٤٠١، حمل لقب دوق كلارنس عام ١٤١٢. تولى الوصاية على إنكلترا عام ١٤١٦ أثناء انشغال شقيقه الملك هنري الخامس بالجهة الفرنسية، اضطلع بدور عسكري وسياسي بارز خلال حرب المائة عام، لقي مصرعه في معركة بوجيه (Baugé) في ٢٢ آذار، للمزيد ينظر: John A. Wagner, Op. Cit., p.297 – 299

(٤٧٩) (١٣٩٠ – ١٤٤٧): الابن الرابع للملك هنري الرابع، ولد في ٣ تشرين الأول في بوري سانت، حصل على لقب دوق غلوسستر وإيرل بيمبروك عام ١٤١٤، بعد وفاه شقيقه الملك أصبح وصياً على المملكة وحامياً ابن أخيه هنري السادس، توفي في ٢٣ شباط في لندن، للمزيد ينظر: Kenneth Hotham Vickers, Humphrey, Duke of Gloucester: A Biography, Good Press, 2019, p.5 – 22 ; Jehan De Waurin, Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 3, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1879, p.159.

(480) Robert Balmain Mowat, Op. Cit, p.221.

(481) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.284.

قدم فيها عاهل إنكلترا تنازلاً مفاده قبوله بمعاهدة بريتاني التي أبرمها جده الأكبر ادوارد الثالث مع مؤسسة العرش الفرنسي عام ١٣٦٠، بيد أن المفاوضين الفرنسيين استشكلوا على ذلك بذريعة أن بعض المناطق التي وردت في معاهدة بريتاني خاضعة لسيطرة الدوفين، ولا يمتلكون سلطة التنازل عنها إلى عاهل إنكلترا^(٤٨٢)، وحين وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، أحس العاهل الإنكليزي أن مفاوضاته الفرنسيين تعمدوا جلب الأميرة كاثرين للتأثير عليه، وجعله يقدم تنازلات في غير صالحه^(٤٨٣).

لا سيما أن دوق بورغندي طلب منه بجرأة أن يكون معتدلاً في مطالبه، فأجابه الملك بغضب قائلاً: "تعرف أنني سأحصل عليك، ولن أملك الأميرة فقط، لكنني سأملك ملكك ذاته، وإذا رفض اطاعة أوامري ساطرده من عرشه"، فقال له دوق بورغندي بالجرأة ذاتها: "يمكنك قول ما تشاء، لكن كن متيقناً أنك قبل أن تخلعه من عرشه ستشعر باستحالة تنفيذ تهديدك"^(٤٨٤)، ومع أن الطرفين اتفقا على جولة جديدة من المفاوضات في ٣ تموز ١٤١٩، لكن دوق بورغندي ووفده غادروا مكان المفاوضات دون إخبار عاهل إنكلترا، في إشارة إلى أن الحرب هي الفصيل بينهم، وهو ما عول عليه عاهل إنكلترا فعلاً^(٤٨٥).

لا سيما بعد أن وصلت إلى سمعه أنباء مفادها أن دوق بورغندي والدوفين يتفاوضان للاتحاد ضده، وهو ما حدث فعلاً حين أدرك دوق بورغندي أن قتال عاهل إنكلترا أمر حتمي لا مناص عنه، وأنه بمفرده أضعف من أن يتصدى للخطر الإنكليزي على بلاده، لذا حاول إنهاء خلافه مع الدوفين واتباعه، ليتوحد الفرنسيين جميعاً ضد

(482) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Vol. IX, Op. Cit, p.114.

(483) Desmond Seward, Op. Cit, p.131.

(484) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.286.

(485) Thomæ de Elmham, Op. Cit, p.224.

الإنجليز^(٤٨٦)، فأجرى مفاوضات مع الدوفين منذ ٨ تموز ١٤١٩ في مكان يدعى بويلي لو فورت (Pouilly le Fort)^(٤٨٧).

حرص الإثنان على ابداء مظاهر المودة والاحترام لكسب بعضهما، فقد انحنى دوق بورغندي إلى الدوفين اثناء لقاءاتهما كعلامة على اعترافه بأنه ولي عهد الملك الفرنسي، وحرص الدوفين في كل مرة أن يرفعه من مكانه بمودة واحترام^(٤٨٨)، وقد قاربت تلك النوايا وجهتي نظرهما أثناء المفاوضات، فأبرما معاهدة بويلي لو فورت (Treaty of Pouilly-le-Fort)، في ١١ تموز ١٤١٩^(٤٨٩)، التي نصت على نبذ أي خلافات بينهما، وإدارتهما المشتركة للمملكة، ومساعدة أحدهما الآخر ضد أي خطر، وعدم عقد أي اتفاق مع طرف خارجي إلا بموافقتهم الشائئة^(٤٩٠)، وفي اليوم ذاته احتفل الطرفان بصلحهما في باريس بتلاوة صلاة التبشير الملائكي، وأقسم الدوفين ودوق بورغندي على الكتاب المقدس بـ السلام والولاء لبعضهما البعض ومساعدة بعضهما البعض، والعفو المتبادل عما فعلاه سابقاً، وتقاسم السلطة، ومقاومة الإنجليز، وعدم إبرام أية معاهدة دون موافقة الآخر^(٤٩١).

(486) Ibid, p.227.

(487) Richard Vaughan, John the Fearless ..., Op. Cit., p.263 – 286.

(488) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit, p.286.

(489) (J. B. J. De Chantal, Manuel Des Dates En Forme De Dictionnaire Ou Répertoire Encyclopédique Des Dates Historiques Et Biographiques (Les Dates Des Principaux Événements Révolutions Politiques, Guerres, Batailles, Sièges, Traités), Librairie Classique De Perisse Frères, Paris, 1839, p.268 ; G. Du, Fresne De Beaucourt, Histoire De Charles Vii Le Dauphin 1403 – 1422, Tome. 1, Librairie De La Société Bibliographique, Paris, 1881, p.145 – 148. أنظر ملحق رقم (١٦))

(490) Janet Shirley, Op. Cit, p.111 – 119, p.126 ; L. Douët-D'arcq, Tome .3, Op. Cit., p.324 – 328.

(491) (J. C. L. Sismonde de Sismondi, Op. Cit, Vol XII, p. 574 – 575 ; G. Du, Fresne de Beaucourt, Op.Cit, Tome 1, p.145 – 148.

أدرك عاهل إنكلترا أن معاهدة لي بويي موجه ضده، وهي بمثابة إعلان حرب، فقرر أن يكون رده عسكرياً^(٤٩٢)، وقرر أن يركز الضغط على دوق بورغندي بوصفه الطرف الأخطر على تطلعات إنكلترا في فرنسا، لذا ألغى هنري الخامس في ٢٩ تموز ١٤١٩ الهدنة المبرمة مع دوق بورغندي، وأعلن الحرب ضده في اليوم التالي، فاحتل الإنجليز بونتواز فجر ٣١ تموز واستمروا في الاقتراب من باريس، التي سادها الذعر لاسيما بعد وصول القوات الإنجليزية بقيادة توماس لانكستر، دوق كلارنس، ابن هنري الرابع والأخ الأصغر لهنري الخامس إلى أسوار مدينة سان دوني (Saint-Denis) التي تبعد ستة أميال عن باريس، وبعد ذلك بأسبوع، وفي ٨ آب ١٤١٩، وصلت طلائع الإنجليز إلى أبواب العاصمة نفسها، مما اضطر جون الجسور للانسحاب مع العائلة الملكية من سان دوني إلى تروا (Troyes)، التي وصلوها في ١١ آب ١٤١٩، ومن هناك أعلن دوق بورغندي قطع أية مفاوضات مع الإنجليز^(٤٩٣). وعلى أثر ذلك، أبرم الدوفين شارل معاهدة بونسو (Ponceau) في آب ١٤١٩م مع دوق بورغندي، ونصّت المعاهدة على إعلان المصالحة ووقف الأعمال العدائية بين أنصار الطرفين، والاتفاق على التعاون ضد الإنجليز. غير أنّ تلك المعاهدة سرعان ما فشلت، لانعدام الثقة بين الطرفين، مما أدى إلى الترتيب لعقد لقاء جديد في مونتيرو^(٤٩٤).

استدعى جون الجسور في النصف الأول من آب ١٤١٩ قوات بورغندية لمواجهة الإنجليز في ضواحي باريس، وجدد مفاوضاته مع شارل الدوفين لتوحيد قواهما في التصدي للجيش الإنجليزي، فاقترح الدوفين عقد اجتماع للنظر في التدابير المناسبة لردع الإنجليز عن دخول باريس، وتم الاتفاق على لقاءهما في جسر مونتروا (The bridge at Montereau) الواقع على نهر السين على بعد

(492) Janet Shirley, Op. Cit, p.126.

(493) Philippe Contamine, Op. Cit, p.55-56 ; L. Douët-D'arcq, Tome .3, Op. Cit., p.332.

(494) Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome III, p. Jannet, A Paris, 1858, p.144.

خمسة وأربعين ميلاً جنوب شرق باريس، وفي الخامسة مساءً ١٠ أيلول ١٤١٩، توجه الطرفان إلى جسر مونتروا^(٤٩٥).

وصل دوق بورغندي جون الجسور والوفد الدبلوماسي المرافق له للقاء شارل الدوفين ووفده، ولضمان عدم اغتيال أحدهما، وضع كل من الوفدين باباً خشبياً على جانبي الجسر، وتم الاتفاق أن يجتاز كل منهما عشرة من اتباعه الباب الخشب ويلتقون في منتصف الجسر، وأقسم الجميع على عدم الغدر ببعضهم، وبعد لقاء الرجلين ركع دوق بورغندي لولي العهد شارل الدوفين، ثم استند على مقبض سيفه لينهض، لكن أحد رفاق شارل الدوفين يدعى اللورد روبرت لوار (Lord Robert Lower)، قال لدوق بورغندي باستهجان: "كيف تجرؤ على لمس مقبض سيفك بحضور صاحب الجلالة"^(٤٩٦).

تلاه تابع آخر لـ الدوفين يدعى تانيغي دو شاستيل (TanneGuy du Chastel)، قائلاً: "اقتل، اقتل"، ثم ضرب الدوق بفأس على رأسه، على مرأى من الدوفين الذي نظر لما جرى ببرود، وبعد اغتياله تركت جثة دوق بورغندي على الأرض، فالتهمت الذئاب نصفها، وتم دفن جثمانه أولاً في مونتيرو (Montereau)، ثم نُقل بعد ذلك إلى دير شارتروز دي تشامبمول في ديجون، ثم نُقل إلى ما يعرف بقصر دوقات بورغندي^(٤٩٧).

اتت الملك الإنجليزي فرصة ثمينة بعد تورط الدوفين باغتيال دوق بورغندي جون الجسور في حادثة جسر مونتروا، التي مهدت لتحالف إنكليزي - بورغندي في ظل دوق بورغندي الجديد فيليب الطيب، الذي جعل تدمير الدوفين وأنصاره في مقدمة

(495) Bernard Guenée, Les Campagnes De Lettres Qui Ont Suivi Le Meurtre De Jean Sans Peur, Duc De Bourgogne (Septembre 1419 – Février 1420), Editions De Boccard, Paris, 1993, p.45 – 50 ; Chronique Jean Le Fèvre de Saint-Remy, Tome I, p.3.

(496) John A. Wagner, Op. Cit., p.89 ; J. C. L. Sismonde de Sismondi, Op.Cit, Vol. XII, p.575 – 579.

(497) Bernard Guenée, Op. Cit., p.45 – 50 ; L. Douët-D'arcq, Tome 3, Op. Cit., p.339 – 341.

أولوياته^(٤٩٨)، وشاركه عاهل إنكلترا رغبته لإدراكه أن انهاء الدوفين وتياره سينتهي إلى استتباب جميع الأمور في فرنسا^(٤٩٩).

(498) Janet Shirley, Op. Cit, p.139 – 141 ; Alexandre Grosjean, Op. Cit., p.9.

(499) Oeuvres de Georges Chastellain, Chronique 1419 – 1422, Edited By: M. le Baron Kervyn de Lettenhove, Vol. I, F. Iieussner, Bruxelles, 1863, p.142 – 147 ; Robert Balmain Mowat, Op. Cit, p.238.

الفصل الثالث

فيليب الطيب، نشاطه السياسي والعسكري،

وآثره في تنامي نفوذ دوقية بورغندي

١٠ أيلول ١٤١٩ - ١٥ حزيران ١٤٦٧

المبحث الأول

تحالف الدوق فيليب الطيب مع الإنجليز، ونشاطه السياسي والعسكري في فرنسا والمدن الفلمنكية أيلول ١٤١٩ - أيلول ١٤٢٧
تحول حكم دوقية بورغندي وملحقاتها إلى دوق بورغندي الجديد فيليب الثالث (Philip III)، الملقب بـ "الطيب" (Philip the Bold) (١٤١٩-١٤٦٧)، بعد اغتيال والده^(٥٠٠)، الذي قرر الانتقام لمقتلة من الجناة، وفي مقدمتهم دوفين فرنسا شارل

(٥٠٠) (١٣٩٦-١٤٦٧): ولد في ٣١ تموز في مدينة ديجون عاصمة دوقية بورغندي، وهو الابن البكر لـ جون الجسور، والأميرة الألمانية ماركريت بافاريا، وعين له والده استاذ الفنون الفلمنكي تاكيلين في ٢٥ آذار ١٤٠٠ لتعليمه القراءة والكتابة والتحدث باللغة الفلمنكية، كما منحه لقبه الأول، كونت شاروليه في ٢٨ كانون الثاني ١٤٠٥، ولقب "الطيب" لا يرتبط بمهارته العسكرية أو براعته في استخدام السيف، بل يعود أساساً إلى ميله للمسامحة والتساهل مع خصومه، فيما يشير البعض الآخر إلى أنه لم يكن نتاج طبيعته أو أفعاله بقدر ما كانت منسوبة إليه من لدن كتاب البلاط، الذين سعوا إلى إضفاء صورة مثالية على شخصية الدوق وتجميل سيرته السياسية، للمزيد ينظر:

السابع، وأعلن دوق بورغندي الجديد أن اغتيال والده جعله في حل من جميع التزاماته مع البلاط الفرنسي، وانتقال ولاؤه إلى الجانب الإنكليزي^(٥٠١).

وصلت أخبار اغتيال جون الجسور إلى تروا وباريس في ١١ أيلول ١٤١٩، مما تسبب في زعر السكان الذين جلب لهم سلام بوبي أملاً في استقرار سياسي نسبي، وخوفاً من هيمنة الدوفينيين على الملك حثت الملكة إيزابو على توطيد تحالف البلاط مع دوق بورغندي الجديد فيليب الطيب^(٥٠٢)، لكن ذلك لم يمنع الدوق فيليب الطيب من الارتقاء في احضان ملك إنكلترا هنري الخامس نكاية بدوفين فرنسا وتيار الارماغناكيين الموالي له^(٥٠٣)، فعقد الدوق فيليب الطيب مع هنري الخامس حلفاً مناوئاً لمملكة فرنسا في ٢٥ كانون الأول ١٤١٩^(٥٠٤)، الأمر الذي أطال أمد حرب المائة عام لعقود من الزمن وسبب أضراراً لا توصف لفرنسا ورعاياها على الصعد السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية^(٥٠٥)، ولقوة الحلف الإنكلو- بورغندي أبرم عاهل فرنسا شارل السادس في ٢١ أيار ١٤٢٠ معاهدة تروا (The Treaty of Troyes) المذلة التي ضاهت مساوئها كل الهزائم العسكرية والتنازلات السياسية التي منيت بها فرنسا^(٥٠٦).

سمحت للإنكليز بالاستحواذ على ملك فرنسا المعنوه شارل السادس، فأجبره دوق بورغندي وملك إنكلترا والملكة إيزابو، على حرمان الدوفين شارل السابع من عرش فرنسا لصالح هنري الخامس، وذهبت الدعاية البورغندية بعيداً حين صورته كإبن غير

Norman davies, Op. Cit, p.132 – 137 ; Johan Huizinga, La Physionomic Morale De Philippe Le Bon, Dans Les Annales De Bourgogne, T. Iv, 1932, p.125.

(501) David Hume, The History of England from the invasion of Julius Cesar to the Abdication of James the second 1688, Vol. I, Phillips Sampson, Boston, 1854, p.193.

(502) Christopher Allmand, Henry V ..., p.126-127.

(503) Janet Shirley, Op. Cit, p.139 – 141.

(504) James Hamilton Wylie, Vol. III, Op. Cit, p.191.

(505) The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol.15, p.445-446 ; Georges Duby, Op. Cit, p. 335 ; Bernard Guenée, Op. Cit, p.45-50.

أنظر ملحق رقم (١٧). (Stephanie Louise Coker, Op. Cit, p.34.)⁵⁰⁶

شرعي لعاهل فرنسا، وبعد أن أصبح ملك إنجلترا ولياً لعهد شارل السادس، عبر عن امتنانه للدوق فيليب الطيب بسبب دعمه له، فمنحه ملكية مدن السوم (Somme Towns)^(٥٠٧)، بوصفه جزء من مهر زوجته ميشيل فالوا^(٥٠٨).

حول ذلك الوضع الشاذ شارل السادس إلى ملك تحت الوصاية الإنكليزية المتمثلة بـ هنري الخامس، والبورغندية المتمثلة بدوق بورغندي فيليب الطيب، وهو ما بدا واضحاً ورد في إحدى بنود الاتفاق مع البلاط الفرنسي، الذي جاء فيه: "أن ابننا هنري ملك إنجلترا، بمشورة ابننا العزيز، فيليب الطيب، دوق بورغندي، ونبلاء مملكتنا الآخرين المؤهلين سيدير شؤون حكمنا بأمان وكرامة وشرف، وفقاً لمقتضيات مكانتنا الملكية وكرامتنا"^(٥٠٩)، ولإضافة قدر من الشرعية إلى الإجراءات، اقترن عاهل إنجلترا هنري الخامس من كاثرين فالوا ابنة نظيره الفرنسي شارل السادس، وشقيقة ميشيل، زوجة دوق بورغندي في نفس اليوم الذي أبرمت فيه معاهدة تروا^(٥١٠)، وهكذا حصل نوع من الوحدة القانونية بين مملكتي إنجلترا وفرنسا، وهو أمر اضاف لدوق بورغندي مزيداً من الاستقلال والقوة^(٥١١).

استفاد دوق بورغندي فيليب الطيب من التطورات آنفة الذكر، فحول دوقية بورغندي وكونتيات الفلاندرز وأرتوا وفرانش كومتيه إلى كيان واحد مستقل أشبه بمملكة مستقلة عن فرنسا تماماً، مع أنها عبارة عن مجموعة دوقيات وكونتايات ومقاطعات

(٥٠٧) تقع تسعة مدن في بيكاردي (Picardy)، هي أميان (Amiens)، أبيفيل (Abbeville)، سان كوينتين (Saint-Quentin)، كوربي (Corbie)، دولينز (Doullens)، سان ريكيه (Saint-Riquier)، أرلو (Arleux)، مورتاني (Mortagne)، كريفكو (Crèvecœur)، بيرون، وروي ومونتيدييه، للمزيد ينظر: Richard Vaughan, Charles The Bold, The Last Valois Duke of Burgundy, Longman Group Limited, London, 1973, p.42 ; Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 3 ..., p.138 – 140.

(508) Boris Bove, Op, Cit, p.299 – 300 ; David Green, Op. Cit, p.18 ; Joseph Calmette, Op, Cit, p.184 ; Alexandre Grosjean, Op. Cit, p.9-10.

(509) E. Cosneau, Les Grands traités de la guerre de cent ans, A. Picard, Paris, 1889, p.101, p.110 – 112.

(510) Christopher Allmand, The Hundred Years War ..., p.30.

(٥١١) حيدر جابر حسين الزرقي، المصدر السابق، ص ٤٢.

واقطاعات مترابطة بشكل فضفاض بسبب تبعيتها لشخص واحد، حكمها بمراتب نبيلة مختلفة ورثها أو حصل عليها تحت ذرائع مختلفة^(٥١٢).

نسق دوق بورغندي فعالياته العسكرية مع عاهل إنكلترا، فضربا في مطلع حزيران ١٤٢٠ حصاراً على مدينة سينس (Sens) البورغندية التابعة لسيطرة الدوفين، وبعد مقاومة يائسة دامت اثني عشر يوماً، استسلمت المدينة للقوات الإنكلو - بورغندية^(٥١٣)، وبعد استسلامها توجه الجيش الإنكلو - بورغندي بقيادة فيليب الطيب إلى مدينة مونترو، فسقطت بأيديهم في ١ تموز ١٤٢٠ بعد مقاومة بسيطة، حينها أمر الدوق بنقل رفات والده ودفنه في مقبرة أسرة بورغندي "شانمول تشارترهاوس" في ديجون، بجوار رفات جده فيليب الجريء^(٥١٤).

واصل الحليفان زحفهما نحو مدينة ميلون (Melun) المهمة، ففرضا عليها حصاراً في ١٣ تموز ١٤٢٠، شهد تنسيقاً عسكرياً محكماً بين قوات عاهل إنكلترا^(٥١٥)، وحليفه دوق بورغندي فيليب الطيب، وباشرت المدافع والمنجنيقات قصف أسوار المدينة، ولحرص الملك هنري الخامس على سلامة جنوده رفض السماح بالهجوم. لكن الدوق فيليب الطيب ودوق بافاريا ألحا عليه، فوافق مضطراً^(٥١٦)، وأسفر الهجوم البورغندي - البافاري المشترك عن خسائر فادحة أجبرت المهاجمين على التراجع^(٥١٧). أجرت حامية ميلون بعد أربعة أشهر اتصالات مع الإنكليز، الذين أبدوا موقفاً متشدداً، فاعتبروا جميع أفراد الحامية أسرى حرب، باستثناء الاسكتلنديين والمتهمين

(512) Ruth Putnam, Last Duke of Burgundy 1433-1477, The Knickerbocker Press, New York, 1908, p.6.

(513) Robert Balmain Mowat, Op. Cit., p.238.

(514) Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.142 – 147.

(٥١٥) أيمن نعيم عرد الزاملي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.156–158 ; L. Douët-D'arcq, Tome.3, Op.Cit., p.409 – 407.

(516) Juliet Barker, The English Kingdom of France 1417 – 1450, Harvard University Press, Cambridge, 2012, p.32.

(517) Jean Juvénal des Ursins, Histoire de Charles VI, Roy de France et des choses mémorables advenues de son règne, Paris, 1754, p.381.

باغتيال دوق بورغندي السابق، بوصفهم خونة ومرتدين سيلاقون أشد أنواع العقاب^(٥١٨)، ورغم قسوة تلك الشروط، اضطر حاكم المدينة اللورد أرنو غيوم دي بارباسان (Arnaud Guillaume de Barbazan)(١٤٢٠-١٤٣٠)، لقبولها، واستسلمت المدينة في ١٨ تشرين الثاني ١٤٢٠^(٥١٩)، ثم توجه عاهل إنكلترا إلى باريس، للنيل من الدوفين سياسياً وقانونياً، فأجرى له محاكمة غيابية بتهمة اغتيال دوق بورغندي السابق، انتهت إلى ادانته وفُقدان حقوقه في العرش الفرنسي، وضرورة اعتقاله^(٥٢٠)، ورغم موافقة الملك الفرنسي الضعيف شارل السادس على تلك الإجراءات، إلا أن هنري الخامس استمر في تقليص سلطته ونفوذه^(٥٢١).

استغل دوق بورغندي انهيار مملكة فرنسا، وتحقيق أهدافه غير منقوصة فيها، فقرر توسيع ممتلكاته في أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بوسائل متعددة أبرزها الشراء، فتفاوض عام ١٤٢١ مع حاكم نامور الكونت جان الثالث (John III)(١٤١٨-١٤٢٩)، على شراء مقاطعته، وتم الاتفاق على ضم نامور إلى ممتلكات دوق بورغندي مقابل مئة واثنان وثلاثون ألف كراون ذهب، وانتفاع الكونت جان الثالث من نامور طوال حياته، ووفقاً لذلك الاتفاق أصبحت نامور احد مقاطعات بورغندي^(٥٢٢).

بعد شراءها أعلن دوق بورغندي نفسه وريثاً لأبناء عمومته في برابانت وليمبورغ بعد وفاتهما دون ورثة، فحصل عليهما رغم معارضة بعض نبلائها، وعلنت ابنة عمه كونتيسة هينو جاكوبيا بافاريا (Jacqueline, Countess of Hainaut)(١٤١٧-١٤٣٣)، انها بوصفها الابنة الشرعية الوحيدة لدوق شتراوبينغ - هولند وليام الثاني ووريثة عائلة فيتلسباخ، تعلن أن فيليب الطيب وريثها في حكم هولندا وهينو وزيلاند^(٥٢٣)، وبعد إضافة ألقاب هولندا وهينو وزيلاند إلى ألقابه الأخرى وشراء مقاطعة

(518) Ibid, p.383 – 384.

(519) Chronique Du Religieux De Saintdenys, Tome 6, Op. Cit, p.139.

(520) James Hamilton Wylie, Vol. III, Op. Cit., p.226 – 234 .

(521) Jean Juvénal des Ursins, Op. Cit., p.384 – 385.

(522) Christopher Allmand, The New Cambridge Medieval History: (1415-1500), Vol. 7, Cambridge University Press, Cambridge, 1960, p.439

(523) Ruth Putnam, Op. Cit., p.6.

نامور أصبح فيليب مالكاً كاملاً لهولندا وهينو وزيلاندا، وبذلك أصبح سيداً لجميع أراضي هولندا وشطر كبير من فرنسا^(٥٢٤).

شهدت موازين القوى في فرنسا ضربة مفاجئة بعد عودة هنري الخامس إلى إنجلترا وتركه القيادة لأخيه دوق كلارنس توماس لانكستر، فقد شنّ الأخير هجوماً متهوراً ضد أنصار الدوفين المدعومين بجيش اسكتلندي، مما أدى إلى حدوث معركة بيوج (Battle of Bauge) قرب مدينة انجو في ٢٢ أذار ١٤٢١، التي أسفرت عن سحق الجيش الإنجليزي البالغ ٢٥٠٠-٣٠٠٠ مقاتل، ومقتل قائداهم دوق كلارنس، مما عزز مكانة الدوفين بين الفرنسيين والنبلاء، ودفع بعضهم للتخلي عن دعم لعاهل إنجلترا هنري الخامس ودوق بورغندي فيليب الطيب على حدٍ سواء^(٥٢٥)، وبعد سماع هنري الخامس بتلك الأنباء سارع إلى باريس لتدارك الموقف، وبعد وصوله إليها قسم المهام العسكرية مع حليفه الدوق فيليب الطيب، فكّلف الأخير بالسيطرة على منطقة بيكارد^(٥٢٦).

ركّز الجيش الإنجليزي على الجبهة الجنوبية لباريس، مستهدفاً مدينة دروكس (Dreux)، أحد أهم معاقل الدوفين^(٥٢٧)، وحين طال حصار قلعة موكس (Château de Mox)، طلب هنري الخامس دعم حليفه الدوق فيليب الطيب، لكن الأخير تجاهل انه أبرز حلفاء إنجلترا، فتجنب لقاء الملك هنري الخامس خوفاً من التورط في فعاليات قتالية لا تحقق فوائد مباشرة له^(٥٢٨)، وبدأ نفور الدوق فيليب الطيب واضحاً في اختياره موضع بعيد عن قلعة موكس للقاء هنري الخامس، وهي إشارة واضحة إلى رفضه التورط في العمليات العسكرية خلافاً لعهوده واتفاقاته السابقة مع عاهل إنجلترا^(٥٢٩)، لكن الملك هنري الخامس اظهر تمسكاً بتحالفه مع الدوق فيليب

⁵²⁴(W. T. Waugh, A History of Europe From 1378 To 1494, Methuen, London, Third Edition, 1932, p.272 – 273. أنظر ملحق رقم (١٨).
(525) Guillaume Paradin De Cuy, Annales De Bourgogne, Antoine Gryphius, Lyon, 1566, p.664.

(526) Charles Lethbridge Kingsford, Op. Cit., p.353 – 354.

(527) John Richard Green, History of the English People, Vol. I, Harper & brothers, New York, 1892, p.547, p.547.

(528) John A. Wagner, Op. Cit, p.215.

(529) Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.292.

الطبيب، حتى أنه فرض على حامية موكس تسليمه الفرنسيين المتورطين في اغتيال دوق بورغندي جون الجسور عند جسر مونتروا^(٥٣٠).

واجه دوق بورغندي عام ١٤٢١ مشكلة في نقل بضائع رعاياه الفلاندرزيين، بعد رفض كونت أومال جان الثاني داركورت (John II d'Harcourt, Count of Aumale) (١٤١٢-١٤٢٤)، الاعتراف بالتحالف القائم بين الدوق فيليب الطبيب وهنري الخامس ملك إنجلترا، وبدأت معارضة كونت أومال في مهاجمة سفينة محملة بالحبوب راسية في ميناء إتابلز، تعود لإيمون دو بوبيرز (Lemon Dew Poppers)، الموالي لدوق بورغندي، وكانت تلك الحادثة الشرارة الأولى التي دشنت ما عُرف لاحقاً بحرب بيكاردي^(٥٣١).

هنا لابد من الإشارة إلى أن عداء كونت أومال جان داركورت للإنجليز وولائه لفرنسا غلب على طاعته للدوق فيليب الطبيب الذي خدمه سنتين بوصفه تابع إقطاعي له، فرد الدوق فيليب بقسوة تمثلت بتدمير جميع سفن داركورت الراسية في ميناء كروتوي، ونهب أراضيه. حينها أعلن داركورت الحرب على ملك إنجلترا ودوق بورغندي، وتبعه بعض اللوردات المحليين^(٥٣٢).

أفضت تلك الانشغاقات إلى خسارة البورغنديين عدة قلاع في بيكاردي، منها: بونت ريمي، جسر ريمي، سانت ريكيه، أيرين، وجاماش التي وقعت في أيدي الدوفينيين. ومع ذلك استعاد البورغنديون بعض المعاقل بالقوة مثل أوكورت، ماريويل، ودورييه، بينما انسحب الدوفينيون من حصن ماريسيل خشية قوات الدوق، أما المدن الأخرى مثل دروغي، لا فيرتيه، وبايول فقد استسلمت دون مقاومة، وبذلك تحول الوضع من سيطرة شبه كاملة لفيليب الطبيب على بيكاردي إلى تمرّد واسع النطاق هدد النفوذ البورغندي في المنطقة^(٥٣٣).

(530) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Vol. IX, Op. Cit, p.112.

(531) Patrick Proisy, La bataille de Mons-en-Vimeu, août 1421, (Thesis Unpublished Master's), Université de Lille III, 2011, p.17-22.

(532) Guillaume Paradin De Cuy, Op. Cit, p.665

(533) Guillaume Paradin De Cuy, Op. Cit, p.665.

استغل الارمانيكيون اضطراب اوضاع بيكاردي فحاصر الفي مقاتل منهم مدينة سان ريكيه، فاستسلمت لهم دون قتال، فجمع الدوق فيليب الطيب ثلاثة آلاف مقاتل في أميان، ثم تحرك نحو بوفيه، وجيزور، ومانت. ومع أنه قرر أولاً مقاتلة الدوفين، لكن أحداث بيكاردي أجبرته على تغيير خطته، فعاد مرة أخرى إلى أميان، ودولين، وأوكسي لو شاتو، فاستعاد جيشه مدن بونت ريمي، ماريويل، وإوكور، ثم توجه إلى أبفيل بانتظار التعزيزات، ثم بدأ فعلياً بحصار سان ريكيه في ٢٩ تموز ١٤٢١ بجيش قدره المؤرخون بحوالي خمسة آلاف - ستة آلاف مقاتل. في محاولة لاستعادة المبادرة في بيكاردي^(٥٣٤).

حاصر البورغنديون ثلاثاً من بوابات المدينة الأربعة، وبقت بوابة هيرون مفتوحة دون تطويق، مما أتاح لحامية المدينة حرية الخروج وطلب المدد، فاستغل جان داركورت تلك الثغرة فغادر المدينة مستجداً بحلفائه، فاستدعى كلاً من: قائد كومبيين جيل دو غاماش (Captain of Compiègne, Gilles de Gamaches)، وملازم الدوفين في شامبانيا أوستاش دو كونفلان (Eustache de Conflans, Seigneur de Mareuil)، وقائد بومون-أون-أرغون جان راوليه (Captain of Beaumont-en-Argonne, Jean Raoulet)، وقائد فيتري-لو-فرانسوا لا هير (Captain of Vitry-le-François, La Hire)، فاستبق الدوق فيليب الطيب تلك التحالفات بنظام تجسس فعال مكنه من تلقي تحذيرات مبكرة عن تحركات جيوش اعدائه الساعية لمباغتته، وبناءً على تلك المعلومات قرر الدوق فيليب الطيب رفع الحصار مؤقتاً وإرسال كشافين لاستطلاع المنطقة وتحديد مواقع قوات الأرمانيك بدقة، تفادياً لوقوع الجيش البورغندي في فخ قاتل^(٥٣٥).

انتهت تلك التطورات إلى وقوع معركة مونس - أون - فيمو (Bataille de Mons-en-Vimeu)، بين الأرمانيك والبورغنديين، التي كانت أول اختبار حقيقي

(534) Henri Potez, Recueils Périodiques Et Sociétés Savantes Bulletin Mensuel De La Société D'histoire Et D'archéologie Du Vimeu. Années 1906, 1907 Et 1908, Annals De L'est Et Du Nord, Berger-Levrault, Paris, Libraires-Editeurs, Nancy, Vol. 50, No 1. Janvier 1909, p.301 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome I, Op. Cit, p.19-21.

(535) Guillaume Paradin De Cuy, Op. Cit, p.665.

لقيادة فيليب الطيب لجيشه، وكان لتلك المعركة أهمية كبرى تمثلت بالسيطرة على منطقة بيكارد، ولأهمية تلك المعركة استدعى الدوق فيليب الطيب تعزيزات لجيشه بقيادة جان دي لوكسمبورغ (Jean de Luxembourg) (١٤١٤-١٤٤١)، المعروف تاريخياً بـ جان الثاني، ثم زحف الجيش البورغندي في ٣٠ آب ١٤٢١ إلى مشارف قرية مونس-أون-فيمو، لملاقاة الأرمنياك المتجحفلين فيها، ومع حلول الظهر اصطف الأرمنياك في تشكيل قتالي مستقيم، ونظم الدوق فيليب الطيب قواته في تشكيل مركزي مدعوم بجناحين، مما اكسبه قوة ومرونة كبيرتين^(٥٣٦).

أثناء المعركة حدثت محاولة لاغتيال دوق بورغندي فيليب الطيب، وتم أسر كشاف أرمنياكي أُجبر تحت التهديد بالغرق على الاعتراف بخطة الاغتيال، ورداً على ذلك لجأ فيليب إلى حيلة دفاعية بارعة، فأمر بصناعة أربعة نسخ من شعار النبالة مطابقة لشعاره وأثناء المعركة أصبح هناك أربعة دوقات لبورغندي، مما أربك خطط خصومه وأحبط محاولة الاغتيال، وهكذا دخل فيليب الطيب ساحة معركته الأولى كقائد محنك، مستخدماً المكر الاستخباراتي والحيلة الرمزية لحماية نفسه وتعزيز معنويات جيشه^(٥٣٧).

هجم الأرمنياك بقوة انتهت إلى تدمير شطر من صفوف الجيش البورغندي، ففرّ قسم من مقاتليه مذعورين، وألقى أحد خدم الدوق الراية أرضاً في محاولة للهروب مما فُسر على أنه إشارة للهزيمة، وما زاد الطين بلة أن منادياً من أرتوا نشر إشاعة بموت دوق بورغندي مما دفع بعض الفرسان إلى الهروب نحو بيكيني، فاستحقوا لقباً ساخراً هو "فرسان بيكيني" (Chevaliers de Picquigny)، لكن حدثت مفاجئة لصالح البورغنديين في نهاية المعركة، لأن الأرمنياك بعد اعتقادهم بحتمية انتصارهم انشغلوا بمطاردة الهاربين وأسره، في تلك اللحظة الحاسمة سار الأمر بشكل مختلف تماماً بعد أن ثبت الدوق في الميدان ومعه خمسمائة مقاتل من خيرة فرسانه وأكثرهم خبرة، فأعادوا تنظيم الصفوف، وأنهوا المعركة بـ انتصار بورغندي حاسم، نتج عنه

(536) Alexandre Grosjean, Op. Cit, p.282.

(537) Patrick Proisy, Op. Cit, p.45-65.

مقتل كونت أومال جان داركورت، مما شكل ضربة قاسية لمعسكر الدوفينيين. وتعزيز سيطرة البورغنديين على شمال فرنسا وبيكاردي، وتأمين حدودهم مع أرتوا^(٥٣٨).

أظهرت تلك الواقعة أن تماسك نواة صغيرة من النبلاء المتمرسين وذوي الخبرة العسكرية، كان كفيلاً بقلب موازين القتال، وتحويل مسار الأحداث من حالة فوضى كادت أن تكون هزيمة مؤكدة إلى انتصار استراتيجي لصالح البورغنديين.

ردت قوات الدوفين بمحاصرة مدينة كوسن سور لوار (Cosne-Cours-sur-Loire) التابعة لدوق بورغندي فيليب الطيب، فطلب الدوق مساعدة حكام بيكاردي والوار دون جدوى، ومع تفاقم الحصار أعلنت الحامية عزمها على الاستسلام لقوات الدوفين إن لم تصلها نجدة دوق بورغندي وحلفائه قبل ٦ آب ١٤٢٢، فاستتجد دوق بورغندي بـ هنري الخامس، الذي استجاب له رغم حالته الصحية المتدهورة، فحشد قواته في باريس لكنه عند وصوله إلى ميلون عجز عن امتطاء فرسه^(٥٣٩)، واضطر تحت وطأة المرض إلى تسليم قيادة جيوشه لأخيه دوق بيدفورد جون لانكستر (John de Lancastre, Duke of Bedford) (١٤١٤-١٤٣٥)^(٥٤٠).

قبيل وفاته أوصى الملك بأن تُعهد وصاية فرنسا إلى الدوق فيليب الطيب، لكن الأخير رفض، فانتقلت الوصاية على مملكة فرنسا إلى دوق بيدفورد، وتم نقل عاهل إنكلترا هنري الخامس إلى غابة فانسين (Lebois de Vincennes) شرق

(538) Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome. I, Op. Cit, p.22.

(539) Christopher Allmand, Henry V ..., p.152.

(٥٤٠) (١٣٨٩-١٤٣٥): الابن الثالث لملك إنكلترا هنري الرابع، ولد في لندن بتاريخ ٢٠ حزيران، وهو قائد عسكري ودبلوماسي ورجل دولة من طراز خاص، سنمه أخيه هنري الخامس دوقية بيدفورد عام ١٤١٤، وبعد وفاة أخيه، أقره البرلمان الإنكليزي لورداً حامياً للمملكة، على أن تؤول الوصاية عند غيابة إلى شقيقه همفري دوق غلوسستر، وحقق دوق بيدفورد انتصارات على شارل السابع كاد خلالها يسيطر على ما تبقى من فرنسا، توفي في روان في ١٤ أيلول، تزامناً مع اتفاق اراس الذي بموجبه ألغى دوق برغندي تحالفه مع إنكلترا، ووقع معاهدة سلام منفصل مع فرنسا، للمزيد ينظر: John .A. Wagner, .

باريس، وقضى نحبه في ٣١ آب ١٤٢٢^(٥٤١)، منهياً مرحلة حاسمة من تاريخ العمليات العسكرية الإنكليزية في فرنسا، وبدأت بعدها مرحلة جديدة تُعد امتداداً لها، وإن اختلفت في القيادة والظروف، تلى ذلك وفاة شارل السادس في باريس في ٢١ تشرين الأول ١٤٢٢ بعد حكم دام ثلاثة وأربعين عاماً^(٥٤٢)، فأصبح عاهل إنكلترا هنري السادس (Henry VI) (١٤٢٢-١٤٧١)، ملكاً لفرنسا وفق معاهدة تروا، بينما عدّ الدوفين شارل السابع نفسه الوريث الشرعي لعرش والده استناداً للقانون السالي (loi salique)^(٥٤٣)، مما مهد لمرحلة جديدة من حرب المائة عام^(٥٤٤).

أُبرمت معاهدة التحالف الثلاثي في مدينة أميان بتاريخ ٢٧ نيسان ١٤٢٣، بين دوق بيدفورد جون لانكستر، شقيق الملك هنري الخامس ودوق بورغندي فيليب الطيب، ودوق بريتاني جون الخامس (John V, Duke of Brittany) (١٣٩٩-١٤٤٢)^(٥٤٥)، شقيق ارثر دي ريتشمونت (Arthur de Richemont) (١٤٢٥-١٤٥٨)^(٥٤٦)، والزمّت المعاهدة الأطراف المتعاقدة بوضع ٥٠٠ رجل مسلح تحت

(541) Charles M. Andrews, History of England, London, 1903, p.226.

(542) Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome I, Op. Cit, p.3.

Michèle Clément, Éliane Viennot, La France, les Femmes et le Pouvoir, l'invention de la loi salique (Ve-XVIe siècles), Réforme, Humanisme, Renaissance, n.67, 2008. p.181-183.

(544) Guillaume Paradin De Cuy, Op. Cit, p.664.

(٥٤٥) (١٣٨٩-١٤٤٢): الابن البكر لدوق بريتاني جون الرابع والأميرة جوان نافار، وُلد في ٢٤ كانون الأول في قلعة ليرمين في مدينة فان (Vannes)، بعد وفاة والده في ١ تشرين الثاني ١٣٩٩، خَلَفَه بصفته دوق بريتاني وكونت مونتفورت، تزواج جون ابنة شارل السادس، حكم تحت وصاية والدته حتى زواجها من هنري الرابع ملك إنكلترا عام ١٤٠٣، ثم تولّى إدارة شؤون الدوقية بنفسه، وأصلح الجيش، لقب بـ "جون الحكيم" لسياساته المترنة، توفي في ٢٩ آب ودُفن في كاتدرائية نانت، للمزيد: John A. Wagner, Op. Cit., p.182.

(٥٤٦) (١٣٩٣-١٤٥٨): دوق بريتاني، ولد في ٢٤ آب، وتولى منصب كونستابل فرنسا بين عامي ١٤٢٥-١٤٥٠، وأصبح دوق بريتاني خلال المدة ١٤٥٧-١٤٥٨، توفي في ٢٦ كانون

تصرف من يحتاج إلى مساعدة، والتنسيق العسكري بينها لمواصلة الحرب ضد دوفين فرنسا شارل السابع، ولتعزيز التحالف تزوج جون دوق بيدفورد من آن ابنة دوق بورغندي جون الجسور بعد أيام من توقيع التحالف، وتزوج آرثر دي ريتشموند ماركيت بورغندي ابنة جون الجسور الكبرى، فعززت تلك الروابط العائلية وحدة الجبهة الإنكلو-بورغندية - بريتانى، في مواجهة شارل السابع^(٥٤٧).

تعاون الحلفاء الثلاثة للسيطرة على مدينة مونتيكيلون (Montaiguillon)، المالية لشارل السابع، فأرسل دوق بيدفورد جيشاً قاده إيرل سالسبوري توماس مونتاكوت (Thomas de Montacute, th Earl of Salisbury) (١٤١٩-١٤٢٨)^(٥٤٨)، لتنفيذ الهجوم^(٥٤٩)، لكن الدوفين استهان بتلك التدابير لاعتقاده أن الإنجليز يمرون بفراغ سياسي وعسكري، فحرك أنصاره لاحتلال بعض ممتلكات البورغنديين، وخطط لمهاجمة باريس بغتة، فتنبه الإنجليز لمخططه واحبطوه^(٥٥٠).

تزامناً مع ذلك أرسلت قوة إنكلو-بورغندية قوامها أربعة آلاف مقاتل لفلّ حصار قوات الدوفين عن مدينة كرافانت البورغندية جنوب شرق باريس^(٥٥١)، وحوصرت عدة قلاع مالية لشارل السابع^(٥٥٢)، فحشد الأخير جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل من

الاول، للمزيد ينظر:-Guillaume Gruel, Op. Cit, p.1-5.

(547) Alexandre Tuetey, Op. Cit, p.185.

(٥٤٨) (١٣٨٨-١٤٢٨): الإبرل الرابع لسالسبورى، وأحد أبرز القادة الإنجليز، بدأ نشاطه العسكري عام ١٤١٢ مع دوق كلارنس، وشارك في معركة أجنكورت ومعظم جولات الحرب ضد فرنسا. كوفئ عام ١٤٢١، باستعادة أملاك والده، تولّى مناصب مهمة مثل حاكم أنجو، وحاكم شمبانيا تحت وصاية دوق بيدفورد. حقق انتصارات على شارل السابع في كرافانت وفيرنويل، قُتل أثناء حصار أورليان، للمزيد ينظر: John .A. Wagner, Op. Cit, p.217.

(549) Thomas Keightley, The history of England from the earliest period to 1839, Vol. II, New York, 1842, p.56.

(550) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 4, Op. Cit., p.157 – 162.

(551) Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome I, Op. Cit, p.32.

(552) Thomas Keightley, Op. Cit, Vol. II, p.56.

الفرنسيين والاسكتلنديين لمواجهة الإمدادات البورغندية القادمة، وقرر خوض معركة كبرى ضد القوات الإنكليزية بقيادة إيرل سالسبوري^(٥٥٣).

فحدثت معركة كرافانت (Battle of Cravant)، في ٣١ تموز ١٤٢٣، التي أسفرت عن انتصار حاسم للقوات الإنكلو - بورغندية على القوات الفرنسية - الاسكتلندية بقيادة الدوفين، ومقتل وجرح وأسر المئات من قواته، أبرزهم جون ستewart (John Stewart)، قائد الجيش الاسكتلندي في فرنسا، وهكذا شكلت تلك الهزيمة ضربة قوية لمعنويات الدوفين وحلفائه، رغم محاولته التقليل من شأنها، وكان من نتائجها تثبيت قبضة الدوق فيليب الطيب على بيكاردي^(٥٥٤)، وفي إطار التعاون العسكري الإنكلو - بورغندي حاصرت القوات الإنكليزية في تشرين الأول ١٤٢٣ مدينة كومبين البورغندية لاستعادتها من القائد الأرمانياكي إتيان دي فينيول (Étienne de Vignolles) المعروف بلا هير^(٥٥٥)، انسحبت حامية كومبين من المدينة بعد اثني عشر يوماً من حصارها^(٥٥٦).

شهد عام ١٤٢٤ زواجاً ثانياً للدوق فيليب الطيب، بعد اقترانه في ٣٠ تشرين الثاني ١٤٢٤ من بون أرتوا (Bonne of Artois) (١٣٩٦-١٤٢٥) أرملة عمه الراحل فيليب بورغندي كونت نيفيرز لتعزيز سيطرته على نيفيرز الواقعة بين أراضييه في

(553) William Henry Ireland, Memoirs of Jeanne D'ark Suhnamed La Pucelle D'orleans With The history of her tims, Vol. I, rinted for Robert Triphook, London, 1824, p.71.

(554) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 4, Op. Cit., p.157 – 162 ; Jehan De Waurin, Tome 1, Op. Cit, p.29.

(٥٥٥) (١٣٩٠-١٤٤٣): ولد في غاسكوني، أيد الارمانياك منذ نشأته، وكان في البدء تابعاً إلى كونت ارمانياك برنارد، ثم تحول إلى موالة الدوفين عام ١٤١٨، اشترك في أغلب معارك بلاده ضد إنكلترا كـ بيبج وفيرنويل، ثم انضم إلى لقيط أورليان عام ١٤٢٧، شارك في حصار أورليان وروفراي وحملات اللوار عام ١٤٢٩، اسره الإنكليز بعد موت جان ثم افتداه شارل السابع عام ١٤٣٥، شارك في أغلب سجالات بلاده ضد إنكلترا بعد عام ١٤٣٦، واستمر في معاركه حتى وفاته في مونتبان في ١١ كانون الثاني، للمزيد ينظر: John A. Wagner, Op. Cit, p.308 – 309.

(556) Richard Ager Newhall, The English conguest of Normandy ..., Op. Cit., p.314.

بورغندي وفرنسا، لكن زوجته توفيت في ١٥ أيلول ١٤٢٥، دون أنجاب وريث شرعي من الدوق فيليب الطيب^(٥٥٧).

سعى دوفين فرنسا، شارل السابع إلى رآب الصدع مع دوق بورغندي فيليب الطيب^(٥٥٨)، مطلع عام ١٤٢٥، مستغلاً خلافه مع همفري دوق غلوسستر وإيرل بيمبروك (Humphrey, Duke of Gloucester)(١٤١٤-١٤٢٨)، وأسفرت الاتصالات بينهما عن استعداد دوق بورغندي فيليب الطيب للتعاون مع شارل السابع، بشرط إبعاد قتلة أبيه عن بلاطه، ورغم موافقة شارل السابع، فإن نفوذ أولئك داخل البلاط حال دون تنفيذ الشرط، مما أدى إلى فشل الوساطة^(٥٥٩).

في تلك الأثناء ساءت علاقة الدوق فيليب الطيب بالإنجليز بسبب مطامع دوق غلوسستر بأمالك زوجته الفلمنكية، وبلغ التوتر ذروته بعد نزول القائد الإنجليزي فيوفاتر (Feuvaltre)، عام ١٤٢٥ إلى هينو على رأس ثلاثة آلاف مقاتل، فجهز الدوق فيليب الطيب قواته، وخاض معركة ضارية ضد الإنجليز، انتهت بهزيمة ساحقة لقواتهم، حتى أن شهود عيان قدروا قتلهم بـ ألف وخمسمائة قتيل، فضلاً عن أسر وهرب القائد الإنجليزي فيوفاتر على متن سفينته مع بعض رجاله إلى إنكلترا^(٥٦٠).

عزز الدوق فيليب الطيب عام ١٤٢٥، هيئته حين تحدى همفري دوق غلوسستر في مبارزة في بروج لتسوية خلافهما^(٥٦١)، وفي عام ١٤٢٦ خاض الدوق فيليب سلسلة مناوشات مع ابنة عمه كونتيسة هينو جاكوبيا بافاريا، التي حظيت بدعم

(557) Helena Avelar De Carvalho, *An Astrologer At Work in Late Medieval France*, The Notebooks of S. Belle, Boston, 2021, p.233 ; Aline S. Taylor, *Isabel of Burgundy The Duchess Who Played Politics in the Age of Joan of Arc*, I397-I47I, Madison Books, New York, 2001, p.71 ; *Chronique Jean Le Fèvre de Saint-Remy*, Tome 2, p.481.

(558) M. Berriet Saint Prix, *Jeanne d'Ark ou coup d'oeil sur les Révolutions de France au tems de Charles VI et de Charles VII, et surtout de La Pucelle D'orléans*, Pillet, Paris, 1817.p.41.

(559) M. Berriet Saint Prix, *Op. Cit*, p.41.

(560) Jean Chartier, *Hronique De Charles Vii ...*, Tome I, *Op. Cit*, p.50-51 ; Jehan De Waurin, Tome 3, *Op. Cit*, p.159-171.

(561) Jeffrey Chipps Smith, *Op. Cit*, p.5.

زوجها همفري دوق غلوسستر، وبعد سلسلة من المناوشات، دارت معركة برويرشافن (Battle of Brouwershaven)، في ١٣ كانون الثاني ١٤٢٦ بين قوات جاكوبيا بافاريا، المدعومة بحلفائها من تيار الهوكن (Hacqing) والإنجليز البالغ عددهم ألف ومائتان مقاتل من أصل قوة إجمالية قوامها ٤,٠٠٠ مقاتل، وبين جيش دوق بورغندي فيليب الطيب المدعوم من تيار الكود (The Cods) ورغم تكافؤ العدد، فقد انتهت المعركة بانتصار ساحق لفيليب الطيب، مما عزز نفوذه في المنطقة على حساب خصومه^(٥٦٢).

أواخر آذار ١٤٢٦ ومطلع عام ١٤٢٧، جمع دوق بورغندي جيشاً من الفلاندرز وأرتوا وبورغندي، وسار إلى هولندا نحو مدينة قوية تُدعى زينينبيرغ (Zenenberghe) لمحاصرة قوات ابنة عمه جاكوبيا بافاريا، وبعد حصار المدينة واشتداد القتال اضطرّ لورد زينينبيرغ إلى إبرام معاهدة مع الدوق، سلّم بموجبها المدينة وقلعتها بما فيها من لوردات ورعايا ومعدات، فأفرج الدوق عن الأسرى بعد أن أقسموا على الامتناع عن حمل السلاح ضد رعاياه مستقبلاً^(٥٦٣).

لم يقف طموح الدوق فيليب الطيب عند حد، فاستغل وفاة دوق برابانت جون الرابع (John IV, Duke of Brabant) (١٤١٨-١٤٢٧) أبن أنطوان بورغندي في ١٧ نيسان ١٤٢٧، وأقنع شقيقه وخليفته، فيليب سانت بول (Philippe de Saint-Pol) (١٤١٥-١٤٣٠)، بالتنازل له عن مطالبه بالوكسمبورغ ونقل أي حقوق قد تكون له عليها، وأبرم الدوق فيليب الطيب أيضاً معاهدة دوردرخت (The traité de Dordrecht)، مع عمته إليزابيث غورليتز (Elizabeth of Görlitz) (١٤١١-١٤٤٣)^(٥٦٤)، والتي بموجبها عهدت إليه بإدارة لوكسمبورغ وتنازلت له عن جميع حقوقها

(562) Richard Vaughan, Philip the Good: The Apogee of Burgundy, The Boydell Press, 2002, p. 33-45.

(563) L. Douët-D'arcq, Tome .4 ,Op. Cit., p.257-259.

(٥٦٤) (١٣٩٠-١٤٥١): الابنة الوحيدة لـ جون من غورليتس دوق لوساتيا وغورليتس، وناخب براندنبورغ، تم توقيع عقد زواجها في براغ في ٢٧ نيسان ١٤٠٩، مع أنطوني دوق برابانت، وخصص لها والدها مهراً قدره ١٢٠ ألف فلورين ودوقية لوكسمبورغ وكونتية غيني وبافوريه،

ينظر: https://en.wikipedia.org/wiki/Elizabeth_of_G%C3%B6rlitz

فيها عند وفاتها، مقابل عائدات من هولندا وزيلا ند بقيمة ٣,٠٠٠ كرونة سنوياً تدفع لها كدخل سنوي، لكن رعايا لوكسمبورغ رفضوا تلك الاتفاقية واحتجوا لدى الامبراطور الروماني المقدس سيجيسموند^(٥٦٥).

أحدثت سياسة فيليب المركزية في كل منطقة، تغييرين رئيسيين: فقد استبدلت محاكم أعضاء المجالس البلدية في المدن الكبرى بغرفة مجلس الدوق في كل إقليم كمحكمة استئناف لجميع السكان، وضمنت التحويل المنتظم لجزء كبير من الإيرادات العامة للمدن إلى الخزنة المركزية. بإضافة الدخل الإضافي إلى الإيرادات المتنوعة التي كان الدوق يجمعها بصفته مالكاً خاصاً للعقارات وحاكماً يتمتع بأرباح العدالة وسك العملة والرسوم، تمكن فيليب من تنفيذ تلك السياسات من خلال ضم إداريين أكفاء من حكومات المدن إلى الحكومة المركزية^(٥٦٦).

حاصرت القوات الإنكليزية قلعة مونتارجيس (Montargis Castle) في ١٥ تموز ١٤٢٧، ذات الموقع الاستراتيجي المهم، لقربها من باريس بنحو ٦٠ ميلاً ووقوعها عند ملتقى نهري السين واللوار. شهد الحصار قتالاً شرساً من كلا الطرفين، ما عكس الأهمية البالغة للقلعة في الصراع العسكري بين الجانبين^(٥٦٧)، وخلال حصار مونتارجيس، تعرض الإنكليز وحلفاؤهم البورغنديون لكمانن فرنسية محكمة، أبرزها خدعة نفذها أسير فرنسي أُوهمهم بإمكانية مساعدتهم على دخول القلعة، أذا تم إطلاق سراحه وعاد إلى الحامية فسيرشدهم إلى موقع يسمح لهم باقتحام القلعة، لكن بعد إطلاق سراحه، أبلغ حاكم القلعة بالخطة، فطلب منه التظاهر بالتواصل سراً مع الإنكليز والبورغنديين لاستدراجهم، وبالتنسيق معه، نُصبت الحامية الفرنسية فخ عسكري تم خلاله اعتقال المهاجمين فور تسلقهم الأسوار^(٥٦٨)، وبعد فشلهم في اقتحام القلعة، راهن الإنكليز على إطالة الحصار لإخضاعها عبر التجويع^(٥٦٩)، لكن بعد

(565) Olivier De La Marche, Tome 2, Op. Cit., p.5-15.

(566) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.93-93.

(567) John A. Wagner, Op. Cit., p.219.

(568) D. Cornet, siège de Montargis par les Anglais 1427, Imprimerie Deslis Frères, Montargis, 1903, p.25 – 27.

(569) John A. Wagner, Op. Cit., p.219.

سلسلة من المجازر وفشل الحصار اضطرت القوات الإنكليزية إلى الانسحاب نحو باريس في ٥ أيلول ١٤٢٧، بكيفية أثّرت سلباً على نفوذها في وسط فرنسا^(٥٧٠).

المبحث الثاني

النشاط السياسي والعسكري للدوق فيليب الطيب في فرنسا، ودوره في القضاء على جان دارك أيار ١٤٢٨ - أيلول ١٤٣١

بدأ أثر جان دارك (Jeanne d'Arc) (١٤٢٩-١٤٣٠)^(٥٧١)، على الصراع الإنكلو - فرنسي حين ذهبت في ١ أيار ١٤٢٨ برفقة عمّها دوراند لأكسارت للقاء حاكم فوكولورس روبرت دي بودريكورت (Robert de Baudricourt) (١٤١٥-١٤٥٤)^(٥٧٢)، في مجلسه الذي عُقد في ١٣ أيار من العام نفسه^(٥٧٣)، فتحدثت بثقة عن مهمتها، زاعمة أنها مرسلّة من القديسين ليساعدها في مقابلة شارل السابع، لمساعدته في طرد الإنكليز والبورغنديين، واستعادة مجد فرنسا، وتتويجه ومسحه بالزيت المقدس في ريمس^(٥٧٤)، لكن الحاكم بودريكورت أبدى تردداً رغم محاولاتها إقناعه بصدقها^(٥٧٥)، وفي العام ذاته تدهورت الأوضاع السياسية والعسكرية في فرنسا نتيجة التآمر البورغندي - الإنكليزي الذي هدف إلى إخضاع شمال فرنسا والاستيلاء على ممتلكات شارل السابع، وفي مطلع تموز من العام نفسه شنّ البورغنديون حملة كبيرة

(٥٧٠) أيّمان نعيم عرد الزاملي، المصدر السابق، ص ٩.

(٥٧١) (١٤١٢-١٤٣١): ولدت في ٦ كانون الثاني في قرية دومرمي بمنطقة اللورين لأسرة فلاحية، والدها جاك دارك ووالدتها إيزابيل روميه، لها أربعة أشقاء. اعتقدت أنها على تواصل مع القديسين. دفعتها قناعاتها إلى السعي لتحرير فرنسا من الاحتلال الإنكليزي، وشاركت في جهود عسكرية حتى أحرقت في ٣٠ أيار، للمزيد ينظر: حيدر جابر حسين الزرفي، المصدر السابق، ص ١٠-٣٠.

(572) E. M. Wilmot Buxton, Jeanne D'Arc, Frederick A. Stokes company, New York, 1914, p.42.

(573) Philippe Hector Dunand, Études Critiques d'apres les textes sur l'hlstodre de Jeanne d'Arc, Toulouse, 1903, p.42.

(574) Andrew Lang, The Maid of France Being the Story of the Life and Death of Jeanne D'arc, London, 1909, p.59.

(575) Francis C. Lowell, Joan of Arc, Houghton Mifflin and Co, Boston, 1896., p.40.

على قرية دومرمي، مما أجبر سكانها على الجلاء، فزادت قناعة جان دارك، أن البورغنديين أعداء فرنسا والكنيسة^(٥٧٦).

خاض فيليب الطيب قدماً في اعماله العدوانية ففرض في أيار ١٤٢٨ حصاراً على مقر إقامة الكونتيسة جاكوبيا، عُرف تاريخياً بـ حصار غودا (Beleg van Gouda). ورغم صمودها أكثر من شهر، اضطرت إلى الاستسلام، وقبول شروط فيليب على مضمض بموجب^(٥٧٧) معاهدة دلفت (Delfter Versöhnungsvertrag)، في ٣ تموز ١٤٢٨ التي بموجبها احتفظت بلقبها كونتيسة لهولندا وهينو وزيلاند، لكنها اعترفت بفيليب شريكاً ووريثاً شرعياً لها في حكم مقاطعات هولندا وهينو وزيلاند وفريزلاند في حالة وفاتها دون أبناء، وتعهدت بعدم الزواج مجدداً دون موافقته، وهكذا ترسخت هيمنة فيليب الطيب رسمياً ومادياً على الأراضي الفلمنكية^(٥٧٨).

في إطار الفعاليات القتالية التي شهدتها فرنسا، زحف ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل ونبال إنكليزي في تشرين الأول ١٤٢٨^(٥٧٩)، نحو أورليان بأمر الوصي جون دوق بيدفورد، واحتلوا جارجيو وميونغ القريبتين منها لتضييق الخناق عليها^(٥٨٠)،

(٥٧٦) حيدر جابر حسين الزرقي، المصدر السابق، ص ٥٠.

(577) Alois Schmid, Katharina Weigand, Bayern mitten in Europa: von Frühmittelalter bis ins 20.Jahrhundert, C.H.Beck, München, 2005, p.92–106.

(578) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.89.

(579) Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Vol. IX, Op. Cit, p.132- 135.

(580) Sharon Turner, F.S.A., R.A.S.L., The history of England during the middle ages, from the as session of Edward the third to the reign of Edward the fourth, Vol. II., London, 1853., p.315.

فأغلقت بوابات أورليان في ١٢ تشرين الأول ١٤٢٨ أمام حصارهم^(٥٨١)، وبدأ قصف الإنجليز عليها في اليوم التالي^(٥٨٢)، وبحلول ٣٠ كانون الأول ١٤٢٨ سيطروا على ضواحيها الشمالية والشرقية والغربية، وبذلك اكتمل طوق حصارهم^(٥٨٣)، فأرعبت تلك التحديات العسكرية جان دارك فمثلت مجدداً أمام مجلس الحاكم روبرت دي بودريكورت في ٥ كانون الثاني ١٤٢٩^(٥٨٤)، وطالبته مجدداً بقاء شارل السابع، فوافقها الحاكم بسبب تحقق نبوءتها السابقة عن حصار أورليان^(٥٨٥)، وانتشر خبرها وطبيعة مهمتها في فوكولورس^(٥٨٦)، فاعتقد الناس أنها ستمثل أمام شارل السابع، وستقود جيشه ضد الإنجليز والبورغنديين، حتى تثبته على عرشه، ورغم ما شاب تلك الأقاويل من مبالغات، فإنها كسبت رأي عام مؤيد لها في مقاطعة اللورين^(٥٨٧)، ولذا أرسل الحاكم بودريكورت خطاباً إلى شارل السابع بشأن قضيتها وادعاءاتها^(٥٨٨).

تزامناً مع ذلك وتحديداً في ٨ شباط ١٤٢٩ وصلت قوة اسكتلندية قوامها ألف مقاتل بقيادة وليام ستيوارت (William Stuart) إلى أورليان، وتبعتها في اليوم التالي مجموعة من ثلاثمائة مقاتل بقيادة النبيل الفرنسي جيلبرت دي فيكت (Gilbert

(581) Philippe Hector Dunand, Histoire Complète de La Bienheureuse Jeanne D'ark, Toulouse, Vol.I, 1912, p.62.

(582) P. Mantellier, Siège D'orléans, H. Herluison, Orléans, 1867, p.27.

(583) A. Maude Royden, Blessed Joan of Arc, Sidgwick and Jackson, London, 1918, p.30.

(584) Mark Twain, personal Recollections of Joan of Arc, eartnow, London, 1895, p.63 – 65.

(585) M. Jollois, Histoire abregee de la Vle atdes exploits, de Jeanne D'ark Surnommee La Pucelle D'orleans, DE L'imprimerie de P. Didot, Paris, 1821, p.33

(586) Lucy Foster Madison, Joan of Arc the Warrior Maid, Philadelphia, 1919, p.144.

(587) Mark Twain, Op. Cit., p.65 – 67.

(588) Lucy Foster Madison, Op. Cit., p.150.

(de Vichte)^(٥٨٩)، دخلت أورليان من جهة النهر لتعزيز موقف المدافعين عن المدينة، مما دفع القادة الفرنسيين للتخطيط لقطع إمدادات الإنجليز^(٥٩٠)، وفي ١٢ شباط ١٤٢٩ شن الكونت كليرمونت (Clermont)، ولقيط أورليان جان دونويس (Jean Count of Dunois Bastard of Orléans) (١٤٢١ - ١٤٦٨)^(٥٩١)، ووليام ستيوارت هجوماً على قافلة إنجليزية متجهة نحو مدينة أورليان، وجرى تصادم بين الطرفين، عرف تاريخياً بـ "معركة الرنجة"^(٥٩٢).

انتهى بمقتل وليام ستيوارت وعدد من النبلاء الفرنسيين والاسكتلنديين، فيما أُصيب جان دونويس بجراح، فاضطر الكونت كليرمونت إلى الانسحاب نحو أورليان بما تبقى من قواته، وفي تلك الظروف العصيبة غادر معظم النبلاء الفرنسيين والقادة المدينة لتجنب الوقوع في أسر الإنجليز، ولم يبق في أورليان سوى حاكمها دونويس، وبعض القادة الميدانيين^(٥٩٣).

واللافت أن زعماء أورليان اعتقدوا أنه لا خلاص لهم من الإنكليز إلا بوضع مدينتهم تحت حماية دوق بورغندي، حليف الإنكليز والند الأقوى لشارل السابع، فأرسلوا الكابتن بوتون سانترايل (Captain Poton of Sainttrilles)، واثنان من قضاة أورليان في ١٩ شباط ١٤٢٩^(٥٩٤)، إلى دوق بورغندي فيليب الطيب لإخباره بذلك

(589) William Henry Ireland, Op. Cit., Vol. I, p.199 – 200.

(590) M. Jollois, Op. Cit., p.5 – 6.

(٥٩١) (١٤٠٢ - ١٤٦٨): ولد في ٢٣ تشرين الثاني، تولى قيادة عائلة أورليان بوفاة أخيه فيليب عام ١٤٢٠، قاد سلسلة حملات ضد الإنكليز منذ عام ١٤٣٠، تسنم منصب أمين الخزانة الملكية عام ١٤٣٣. اقتحم باريس سنة ١٤٣٦، ونُصّب كونتاً على دونويس عام ١٤٣٩، ولونجاويل سنة ١٤٤٤، قاد حملة في نورماندي بين عامي ١٤٤٩ - ١٤٥٠، عينه لويس الحادي عشر عضواً في المجلس الملكي منذ سنة ١٤٦٥ حتى وفاته في ٢٣ تشرين الثاني، للمزيد ينظر:

Enid Mcleod, Op. Cit., p.129-130.

(592) M. Jollois, Op. Cit., p.6 ; Alexandre Tuetey, Op. Cit, p.230.

(593) A. Maude Royden, Op. Cit, p.30.

(594) P. Mantellier, Op. Cit, p.42.

المقترح، ومطالبته بحماية المدينة حتى عودة دوقها شارل أورليان من الأسر، وإيجاد حل شامل لأزمات المملكة^(٥٩٥).

فأصبح دوق بورغندي فيليب الطيب في موقف بالغ الصعوبة لأنه وإن رغب بذلك بشدة، لكنه لم يجرؤ على خسارة حلفائه الانكليز، الذين دعموه ضد الارمانيك بعد اغتيال ابيه، وابرموا معه تحالفاً وجودياً لايمكنه تجاوزه، وحين حاول الدوق جس نبض حليفه جون دوق بيدفورد، اجابه بوضوح قائلاً: "لا اريد أن انصب الشباك ليصطاد غيري"، ولذا رفض الدوق فيليب عرض الاورليانيين على مضض^(٥٩٦)، فأجهض مسعاهم^(٥٩٧)، ورغم الانكسار النفسي لم يجد سكان أورليان بداً من مواصلة الصمود، فاستمرت المناوشات مع الإنكليز مطلع آذار ١٤٢٩^(٥٩٨).

تلقى سكان أورليان في ذلك الظرف الدقيق أنباء عن فتاة فلاحية تُدعى جان دارك، زعمت أن الرب أرسلها لإنقاذهم^(٥٩٩)، فلاقت دعوتها صدى في نفوس الأورليانيين^(٦٠٠)، فأطلقوا عليها لقب جارية أورليان، وتتبعوا أخبارها فعرفوا أنها انطلقت إلى شينون لابلاغ شارل السابع أن الرب أرسلها لرفع الحصار عن أورليان^(٦٠١)، فطلبوا من حاكمهم جان دونويس إرسال مبعوثين إلى عاهل فرنسا في ٦ آذار ١٤٢٩، هما: حاكم مونتارجيس السير أركامبود من فيلارس (Sire Archam -baud of Villars)، وجامي دو تيلاي (Jamet du Tillay)، للاستفسار عن جان دارك، ومهمته^(٦٠٢).

(595) Anatole France, The Life of Joan of Arc, Vol.I, London, 1908, p.233.

(596) J. A. Buchon, La Chronique D'enguerran De Monstrelet (1400 – 1444), Tome 4, Op. Cit., p.320 – 321.

(597) Bran de Charmettes, Histoire de Jeanne D'ark surnomme La pacelle d'orléans, Vol.I, Arthus Bertrand, Paris, 1817, p.210 – 212 .

(598) Mark Twain, Op. Cit, p.91.

(599) P. Mantellier, Op. Cit, p.55 – 58.

(600) Cyril E. Robinson, Op. Cit., p.225.

(601) Janet Hubbard Brown, Women of achievement Joan of Arc religious and military leader, New York, 2010., p.40.

(602) Anatole France, Op. Cit., Vol. I, p.145.

أسفرت تلك الجهود عن مجي جان دارك الى اورليان في ٢٩ نيسان ١٤٢٩، وتحقيقها نصراً فرنسياً حاسماً أسفر عن انسحاب الإنجليز من معقلهم غربي أورليان صباح ٨ أيار ١٤٢٩^(٦٠٣)، وبعد ذلك الانتصار وعلى أثر نقاشات مستفيضة قررت التوجه لتحرير مدن نهر اللوار من الاحتلالين الإنجليزي والبورغندي على حداً سواء، تمهيداً للوصول إلى ريمس لتتويج شارل السابع^(٦٠٤).

وصلت قوات شارل السابع في ٣١ حزيران ١٤٢٩ إلى مدينة أوكسير أول مدن اللوار الموالية للبورغنديين، فرفض سكانها الاستسلام^(٦٠٥)، وعقدوا اتفاقاً مع مستشار الملك جورج لاترومويل لدفع فدية تقدر بألفي كراون، وتقديم مؤن مقابل انسحاب الجيش الفرنسي، فقبل لاترومويل العرض وأقنع الملك دون الرجوع إلى جان دارك^(٦٠٦)، مما أغضب جان دارك التي رأت في ذلك تفريطاً بفرصة استراتيجية، مستهجنةً موقف لاترومويل ومؤكدة أنه كان بإمكانها اقتحام أوكسير، ومن العبث مغادرتها لأنها تمثل جيباً للبورغنديين والإنجليز، لكن الاتفاق نُقذ رغم احتجاجها^(٦٠٧).

تقدم الجيش الفرنسي في ٤ تموز ١٤٢٩ نحو مدينة تروا، التي رفضت الاستسلام، على اثر عقد مجلس مدينة تروا اجتماعاً في ٥ تموز من العام نفسه رغم تلقيها وعوداً بالأمان^(٦٠٨)، وفي اليوم التالي طلب منهم شارل السابع الاستسلام^(٦٠٩)، إلا أن مجلس تروا كرر رفض الاستسلام^(٦١٠)، على الرغم من اعتمادهم على حامية

(603) Leon Bloy, Jeanne D'ark et L'allemagne, G. Crès et company, Paris, 1915., p.146.

(604) E. A. Ford, Blesseb Joan of Arc, Christian Press association publishing Company, New York, 1910, p.91 – 93.

(605) Ibid, p.103.

(606) David W. Bartlett, The Life of Joan of Arc The maid of Orleans, Miller & Orton & Mulligan, N.Y, 1854, p.154.

(607) E. A. Ford, Op. Cit., p.103 – 104.

(608) Donald Spoto, Joan The Mysterious Life of the Heretic Who Became a Saint, harper san Francisco, London, 2007., p.90.

(609) E. A. Ford, Op. Cit., p.105.

(610) Donald Spoto, Op. Cit., p.91.

مدفعية إنكلو - بورغندية ضعيفة لا تتجاوز ستمائة مقاتل^(٦١١)، وحين حاصرها الجيش الفرنسي بقيادة جان دارك، أرسلوا نداء استغاثة إلى دوق بورغندي وسط تصاعد التوتر ورفض القائد البورغندي للاستسلام^(٦١٢).

بعد أدراك سكان تروا حتمية سقوط مدينتهم^(٦١٣)، أرسلوا وفداً برئاسة أسقفها جان ليغويسى (Jean Laiguise) (١٤٢٦-١٤٥٠)، لمقابلة شارل السابع، مبررين عدم فتح الأبواب بسيطرة القوات الإنكلو - بورغندية، التي ترهب أبناء تروا، وتغلق بوابات مدينتهم رغماً عنهم^(٦١٤)، عندها أبدى الملك تسامحاً، وأصدر عفواً عاماً، وسمح بانسحاب العدو الإنكلو - بورغندي، بدروعه وأسلحته^(٦١٥)، ففتحت المدينة وأعلن أعيانها استسلامها، ودخلها شارل السابع في ١٠ تموز ١٤٢٩^(٦١٦)، ثم توج في ريمس ملكاً على فرنسا في ١٧ تموز ١٤٢٩^(٦١٧).

عين شارل السابع في ١٨ تموز ١٤٢٩ جان دارك قائداً عاماً لجيوشه، ووافق على طلبها بقيادة حملة لتحرير باريس، من قبضة الإنكليز^(٦١٨)، مانحاً إياها سيفه في إشارة إلى مدى ثقته بها وتعويله عليها في سجاله مع الإنكليز^(٦١٩)، بيد أن بعض المستشارين المناوئين حذروا الملك من خطر الإنكليز وقدراتهم العسكرية، داعين

(611) Andrew C. P. Haggard, The France of Joan of Arc, Stanley Paul & Company, New York, 1912., p.294.

(612) John A. Mooney, Joan of Arc, Nova Publishers, New York, 1919., p.41 ; E. A. Ford, Op. Cit., p.105.

(613) Henry Ketcham, Joan of Arc the Maid of Orleans from mitchelet's history of France, Perkins Book Company, New york, 1900, p.90.

(614) E. A. Ford, Op. Cit., p.105.

(615) Henry Ketcham, Op. Cit, p.90 – 91.

(616) Sarah M. Grimke, Joan of Arc A Biography, Published by Adams, Boston, 1867., p.51.

(617) Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol. 7, p.439.

(618) J. R. Moreton Macdonald, Op. Cit, Vol. I, p.291 ; Arthur Whetnall, Joan of Arc, Robert Culley, London, 1900, p.138.

(619) C. M. Stevens, The Wonderful story of Joan of Arc and the meaning of her life, Cupples & Leon, New York, 1918, p.161.

للتفاوض مع دوق بورغندي لتسلم المدينة دون قتال^(٦٢٠)، فرفضت جان دارك التباطؤ في مهاجمة باريس، مؤكدة أن ضعف الإنجليز والبورغنديين بعد خسائرتهم في أورليان ومعارك اللوار يشكل فرصة حاسمة للهجوم^(٦٢١)، فوافق الملك وقلدها سيفه رمزاً لنقته^(٦٢٢)، حينها عقدت اجتماعاً طارئاً ووضعت خطة محكمة مع قادتها لاسترجاع باريس^(٦٢٣).

أرسلت جان دارك مساء ١٨ تموز ١٤٢٩ خطاباً إلى دوق بورغندي دعت فيه إلى موالاته فرنسا وملكها شارل السابع^(٦٢٤)، وعرضت عليه السلام مقابل دعمه للعرش الفرنسي^(٦٢٥)، محذرة إياه من حرب مدمرة في حال الرفض، لن تنتهي إلا بالقضاء عليه، وفي اليوم التالي، دخل شارل السابع مدينة سواسون (Soissons)، وسط ترحيب شعبي بسبب تخلصهم من السيطرة الإنكليزية^(٦٢٦)، لكن الملك شارل السابع في ذروة انتصاراته اقترب خطأً دبلوماسياً حين وافق على عرض الدوق فيليب بعقد هدنة أمدها خمسة عشر يوماً مقابل تسليم باريس للملك دون قتال^(٦٢٧)، مما أتاح لإنكليز إرسال تعزيزات عسكرية إلى العاصمة ناهزت خمسة آلاف مقاتل، ويُعتقد أن دوق بورغندي كان يهدف من تلك الهدنة منع تقدم الجيش الفرنسي إلى باريس لضمها للأراضي البورغندية بعد انسحاب الإنجليز منها، أو بقاء الإنجليز فيها لإضعاف شارل السابع^(٦٢٨).

(620) Francis M. Wyndham, Life of the Blessed Joan of Arc, London, 1910, p.9.

(621) C. M. Stevens, Op. Cit, p.150 – 151.

(622) Arthur Whetnall, Op. Cit., p.13 ; C. M. Stevens, Op. Cit., p.161.

(623) Donald Spoto, Op. Cit, p.108.

(624) Abel Desjardins, Vie de Jeanne d'Arc, Didot, Paris, 1854, p.103.

(625) Ibid, p.103 – 104.

(626) Denis Lynch, Joan of Arc the Liff - story of the maid of Orleans, Chicago, 1919, p.190 – 192.

(627) Louise Creighton, Some Famous Women, London, 1909, p.46.

(628) Abel Desjardins, Op. Cit., p.105.

وصل شارل السابع قلعة تيري (Thierry)، وحين استسلمت توجه إلى بروفانس^(٦٢٩)، بدل التوجه مباشرة إلى باريس في إشارة لتجنب إنهاك قواته قبل دخول باريس وفقاً لاتفاقه السابق، مما أثار قلق الفرنسيين^(٦٣٠)، ودفع جان دارك إلى الندم على بقائها مع الملك^(٦٣١)، ولاحقاً أدرك شارل السابع خطأه بعد تلقيه رسالة من بيدفورد دعاه فيها إلى النزال في الميدان في ١٢ آب ١٤٢٩، مما كشف له أن معاهدة تسليم باريس كانت عبارة عن مكر وخدعة بتواطؤ من دوقي بورغندي وبيدفورد ومستشاريه^(٦٣٢).

أخيراً واجه جيش شارل السابع جيش دوق بيدفورد مدعوماً ببضع مئات من البورغنديين شرق مدينة سيميس قرب سهول مونتيلوى، في ١٤ آب ١٤٢٩، فسعى بيدفورد لاستفزاز شارل لكسر الهدنة كي يتصل من تعهده بتسليم باريس سلماً^(٦٣٣)، وعند اقتراب الفرنسيين من العاصمة باريس تحصن الإنجليز والبورغنديون بخنادق دفاعية مدعمة بعربات مدججة بالمقذوفات والكرات النارية تحسباً لهجوم مفاجئ^(٦٣٤)، فاندلعت مناوشات عنيفة أوقعت العديد من القتلى^(٦٣٥).

سعى الفرنسيون عن طريق الاشتباكات إلى استدراج الإنجليز من تحصيناتهم نحو معركة حاسمة لكسر القوة الرئيسية التي اعتمد عليها بيدفورد، إلا أن الأخير تحلى بالحدز وأبقى قواته داخل مواقعها الدفاعية^(٦٣٦)، ثم انسحب ليلاً تحت جناح الظلام إلى باريس. عقب ذلك، عاد الفرنسيون إلى كريبي، ومنها تقدموا إلى كومبيغن (Compiègne) التي أعلنت استسلامها فور وصولهم، وفيها التقى شارل السابع مع

(629) Denis Lynch, Op. Cit., p.192.

(630) Arthur Whetnall, Op. Cit., p.138.

(631) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p.293.

(632) Ronald Gower, Joan of Arc, J. C. Nimmo, London, 1893, p.104.

(633) John A. Mooney, Op. Cit., p.47 – 48.

(634) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p.297.

(635) John A. Mooney, Op. Cit., p.47.

(636) Arthur Whetnall, Op. Cit., p.139.

مبعوثي دوق بورغندي فيليب الطيب لمناقشة هدنة للسلام، واستمرت المباحثات حتى ٢٢ آب ١٤٢٩، وأثناءها أعلنت بيوفيس (Beauvais) استسلامها للملك^(٦٣٧).

حينها أدرك دوق بيدفورد اختلال موازين القوة، فعرض هدنة على شارل السابع لتعزيز سيطرته على باريس، بيد أن الأخير رفض^(٦٣٨)، وفي ٢٣ آب ١٤٢٩ قرر القادة الفرنسيون في اجتماع كومبيغن مهاجمة باريس، وسارت قواتهم نحوها في اليوم ذاته^(٦٣٩)، وبحلول ٢٦ آب وصلت القوات الفرنسية إلى سانت دينيس^(٦٤٠)، فأرسل بيدفورد مبعوثاً لشارل السابع لإبرام معاهدة يتنازل بموجبها شارل السابع عن شطر كبير من شمال فرنسا للبورغنديين مقابل الحصول على وعد إنكليزي بإخلاء باريس للفرنسيين^(٦٤١).

وأخيراً أبرم شارل السابع في ٢٨ آب ١٤٢٩ هدنة سرية مع البورغنديين والإنكليز على حداً سواء، تمتد حتى أعياد ميلاد ١٤٢٩ دون علم جان دارك، لضمان بقاء باريس تحت سيطرة الإنكليز^(٦٤٢)، ورغم ضغوط القدوم إلى باريس^(٦٤٣)، وافق شارل السابع على مضمض^(٦٤٤)، لكنه سعى لوضع عراقيل لإفشال اقتحامها، وإظهار الأمر كفشل عسكري محض لا يتحمل الملك مسؤوليته مع أنه في الحقيقة تواطؤ بينه وبين لاترومويل، وبعد استكمال حيثيات ذلك المخطط السري وصل الملك شارل السابع في ٧ أيلول ١٤٢٩ إلى تخوم باريس، فيما أعدت جان دارك خطة لهجوم مباغت في اليوم التالي، منتظرة أوامره للهجوم^(٦٤٥)، وحين تردد الملك في إعطاء أمر الهجوم، بادرت جان دارك باقتحام بورت سانت أونوريه المحاذية لأسوار باريس على

(637) Ronald Gower, Op. Cit., p.105 – 106.

(638) Sarah M. Grimke, Op. Cit., p.57.

(639) Arthur Whetnall, Op. Cit., p.146.

(640) Eberhard Windecke, Les Sources Allemandes de L'histoire de Jeanne d'Ark, Vol. II, Paris, 1903, p.101.

(641) Denis Lynch, Op. Cit, p.194.

(642) John A. Mooney, Op. Cit, p.51 ; Denis Lynch, Op. Cit, p.194.

(643) Ronald Gower, Op. Cit, p.107.

(644) Denis Lynch, Op. Cit, p.199 – 200.

(645) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.58.

مسؤوليتها^(٦٤٦)، وعبرت الخندق الأول وقصفت الأسوار بالكرات النارية والسهام^(٦٤٧)، لكنها أُصيبَت برمح في فخذاها في ٧ أيلول ١٤٢٩^(٦٤٨).

استغل شارل السابع غياب جان دارك، فأوقف خطة مهاجمة باريس، وأمر بتخريب جسر سانت دينيس الذي أنشأه فوق نهر السين للشرع في مهاجمة باريس التزاماً بهدنته مع البورغنديين التي تمتد حتى أعياد ميلاد ذلك العام^(٦٤٩)، ثم انسحب إلى سنس في ٢١ أيلول ١٤٢٩^(٦٥٠)، حينها أعلن الإنجليز والبورغنديون نقض الهدنة، وهاجموا مدن شارل السابع^(٦٥١)، فاضطرب الوضع العسكري في المناطق المحاذية لمدن شمال اللوار، مما أثار قلق سكانها، واستشعروا قرب الخطر الإنكليزي - بورغندي منهم^(٦٥٢).

اقتترنت تلك التطورات العسكرية بتطور سياسي لصالح الدوق فيليب الطيب، الذي أصبح دوق برابانت في تشرين الأول ١٤٣٠، بعد وفاة ابن عمه فيليب سانت بول، الذي أقرّ بفيليب الطيب وريثاً له، فانتقل فيليب الطيب إلى الشمال بناءً على إرث برابانت^(٦٥٣)، وجلب الاستحواذ على برابانت لفيليب الطيب ثلاثة ألقاب دوقية، هي: لقب دوق برابانت، ولقب دوق ليمبورغ، الذي ارتبط بها منذ فترة طويلة، ولقب لوثرينجيا، الموروثة من الماضي الكارولنجي المجيد الذي اعتر به البرابانتيون منذ

(646) Heather K. Robinson, Joan of Arc From Myth to Modern Fragmentation, (Unpublished Doctoral Thesis), University Texas, San Marcos, 2007, p.13.

(647) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.51.

(648) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p. 299.

(649) John A. Mooney, Op. Cit., p.48.

(650) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p.301.

(651) Denis Lynch, Op. Cit, p.201.

(652) Lucy Foster Madison, Op. Cit., p.311 – 312.

(653) Edward Adib Tabri, Political Culture in The Early Northern Renaissance The Court of Charles The Bold, Duke of Burgundy (1467-1477), (Unpublished Doctoral Thesis), Department Philosophy, University of Virginia, 1996, p.181.

القرن الثالث عشر، وسمح آخر تلك الألقاب الدوقية لفيليب الطيب بتأكيد استقلاله عن ملك فرنسا والإمبراطور الروماني المقدس^(٦٥٤).

وفي ذلك الوقت، وتحديداً في ١٠ كانون الثاني ١٤٣٠ اقترن الدوق فيليب الطيب من إيزابيلا البرتغالية (Isabella of Portugal) (١٣٩٧-١٤٧٢)^(٦٥٥)، ابنة ملك البرتغال جواو الأول (João I de Portugal) (١٣٨٥-١٤٣٣) من أسرة أفيش (Aviz)، وفيليبا لانكستر (Philippa of Lancaster)، مما عزز التحالف البرتغالي - البورغندي^(٦٥٦)، وكإشارة تكريم وتشريف لعروسه أعلن الدوق فيليب الطيب عن نيته إنشاء نظام جديد للفروسية يُجسّد ويبرهن على حبه الكبير لـ "الطبقة النبيلة ونظام الفروسية"، الذي أراد تعزيزه وتطويره دفاعاً عن العقيدة الكاثوليكية والضعفاء والحفاظ على السلام^(٦٥٧)، عرف فيما بعد بـ وسام فرسان الصوف الذهبي الشهير (Ordre de la Toison d'Or)^(٦٥٨).

انتشرت شائعات وحكايات مختلفة حول الدوافع الحقيقية للدوق من ذلك الوسام، فترددت شائعات مفادها أن سيدة من بروج، ميزها باهتمامه، تعرّضت للسخرية

(654) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.91 – 92.

(٦٥٥) (١٣٩٧-١٤٧١): ولدت في إيفورا، واتقنت أربعة لغات اللاتينية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية، تزوجت دوق بورغندي فيليب الطيب عام ١٤٢٨، وذكرت بعض المصادر بأن تم الزواج في ١٠ كانون الثاني ١٤٣٠ واهتمت بالسياسة وعملت فيما بعد كرئيسة ومستشارة رسمية للدوق في الإدارة، للمزيد ينظر: Philip De Com Mines, The Memoirs Op Philip De Commines, Lord of A.Egerton: Containing Tub Histokies of Louis Xi. And Charles VIII. Kings of France And of Charles The Bold, Duke of Burgundy Which Is Added, The Scandalous Chronicle or Secret History of Louis XI, Vol. I, London, 1855, p.2.

(656) Alexandre Tuetey, Op. Cit, p.250 – 251 ; Philip De Com Mines, Op. Cit, p.1 – 2.

(657) Julien De Palma, Op. Cit, p.366-367 ; Alexandre Grosjean, Op. Cit, p.64.

(٦٥٨) هو وسام أوربي استحدثه فيليب الطيب في ١٠ كانون الثاني ١٤٣٠ في بروج بمناسبة زواجه من زوجته الثالثة إيزابيلا البرتغالية، وحازه أربعة وعشرون فارساً، وهدفه منه تحقيق ثلاثة أهداف: أولاً. تقوية الروابط مع ممثلي الطبقة الأرستقراطية الذين شكلوا عضويته، ثانياً. جمع أعضاء النبلاء من جميع الأقاليم والأراضي البورغندية في مؤسسة واحدة، ثالثاً. تعزيز مكانته وهيئته ليكون رئيساً للرهينة، ورغبته في المشاركة في الحروب الصليبية، للمزيد ينظر:

Edward Adib Tabri, Op. Cit, p.8.

بسبب شعرها الأحمر من قبل رجال البلاط المُرَحَّين، فأمر فيليب بأن تُكْرَمَ خصلات شعرها إلى الأبد تكريماً خالداً بالشعار الذهبي لمجتمع جديد^(٦٥٩)، وبمرور الوقت نفرت إيزابيلا البرتغالية من زوجها فيليب الطيب لكثرة عشيقاته^(٦٦٠)، بعد أن أنجبت له ثلاث أطفال شرعيين، هم: أنتوني (Antoine) (١٤٣٠-١٤٣٢)، الذي توفي وهو طفل رضيع، وجوس (Josse) (١٤٣٢-١٤٣٢)، الذي توفي أيضاً، وكونت شاروليه شارل الجريء (Charles the Bold) (١٤٣٣-١٤٧٧)، الذي خلف والده بعد وفاته^(٦٦١). اشتط الدوق فيليب الطيب في علاقاته غير الشرعية فاتخذ أربعة وعشرون عشيقة انجب منهن ستة وعشرون طفلاً غير شرعي^(٦٦٢)، منهم: كورنيل بورغندي (Cornell Burgundy) أكبر أبناء فيليب غير الشرعيين^(٦٦٣)، وفيليب الذي مات رضيعاً^(٦٦٤)، وأنتوني بورغندي المشهور بلقيط بورغندي (Anthony, Bastard of

(659) Ruth Putnam, Op. Cit, p.2.

(660) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit.,p.114.

(661) L. Douët-D'arcq, Tome .5 ,Op. Cit., p.49 – 50.

(662) Marcel Brion, Op. Cit, p.36.

(663) Hubert Nelis, Bâtards de Brabant et bâtards de Bourgogne, Revue belge de philologie et d'histoire, tome.1, fasc.2, 1922, p.340 – 341.

(664) L. J. Chrétien, Essai sur l'histoire et les antiquités d'Argentan, de l'imprimerie de Letellier, Falaise, 1834, p.150 ; Amédée Renée, Op. Cit, p.242.

Burgundy^(٦٦٥)، ويولاند بورغندي (Yolande Burgundy)^(٦٦٦)، ورئيسة دير الجليل في غنت كاثرين بورغندي (Catherine Burgundy)^(٦٦٧)، واسقف اوترخت ديفيد بورغندي (David of Burgundy)^(٦٦٨) (١٤٩٦-١٤٢٧)، وأن بورغندي (Anne Burgundy)^(٦٦٩) (١٥٠٤-١٤٣٥)، ورافائيل بورغندي (Raphael of

(٦٦٥) (١٤٢١-١٥٠٤): ولد في مدينة بيكاردي، امه الاميرة جين دي بريسل (Jeanne de Presle)، حصل على لقب "اللقيط الأكبر لبورغندي" وسيادة بيفرين بعد وفاه اخيه كورنيل، هو سيد بوليس في فلاندرز وتورنهايم وكريفيكور وفاسي وكونت سانت مينهولد وشاتو تيبيري وغينيس وغراند بري، وكونت لا روش في أون آردين، وستينبيرج، شارك في حملات مختلفة مع والده، وفي عام ١٤٥٦ تم قبوله في وسام فارس الصوف الذهبي، وفي عام ١٤٦٤ تم تعيينه كونت لا روش، ثم شارك في حملة ضد العثمانيين لرفع حصار سبتة، وفي عام ١٤٦٥ قاتل في معركة مونتليري، وخلال الاعوام ١٤٧٦ - ١٤٧٧ دخل في خدمة أخيه شارل الجريء وقاتلوا ضد ليج والسويسريين، وكان قائداً للطليعة في جرانسون عام ١٤٧٦، توفي في بروج في ٥ أيار عن عمر ناهز ثلاثة وثمانين عاماً، للمزيد ينظر: Amédée Boinet, Un Bibliophile Du Xve Siècle : Le Grand Bâtard De Bourgogne, Bibliothèque De L'école Des Chartes, Tome 67, 1906. p.255 - 260.

(٦٦٦) (١٤٢٨-١٤٧٠): ابنة إيزابيلا ديلا فيني، ولدت في ديجون، وقد أدت دوراً في مهرجان الطيور في عام ١٤٥٤، متزوجة من جان ديلي (Jean d'Ailly)، سيد بيكيني ١٤٥٠، توفيت في ١٢ تشرين الثاني، عن عمر يناهز ٤٣ عاماً، للمزيد ينظر:

Hubert Nelis, Bâtards de Brabant et ..., p.340 – 341.

(667) L. J. Chrétien, Op. Cit, p.155.

(٦٦٨) (١٤٢٦-١٤٩٦): ابن كوليت شاستيلان (Collette Chastellin)، المعروفة باسم فان بوسكيل، ولد في أوترخت وسط هولندا، أصبح رئيساً لكنيسة سانت دوناتيان في بروج عام ١٤٣٩، ثم أسقف تيروان في عام ١٤٥١ ثم أصبح أسقف أوترخت في عام ١٤٥٦، وبدعم من والده، أصبح الأسقف الأقوى في أوروبا بين عامي ١٤٧٠ - ١٤٧٩، عين رئيس البلدية، توفي في ١٦ نيسان، للمزيد ينظر: Académie Royale Des Sciences, Des Lettres Et Des Beaux-Arts De Belgique, Bulletins De L'académie Royale Des Sciences, Des Lettres Et Des Beaux-Arts De Belgique, Tome Xiv - I Partie, M. Hayez, Bruxelles, 1847, p.593.

(٦٦٩) (١٤٣٥-١٥٠٨): أبنة جاكلين فان ستينبيرجي (Jacqueline van Steenberghe)، قامت بتربية ابنة أخيها ماري الثرية ابنة شارل الجريء، تزوجت الزواج الاول في سن الثانية والعشرين عام ١٤٥٧ من أدريان دي بورسيل، سيد بريدان فارس الصوف الذهبي، الذي توفي في عام ١٤٦٨، ثم تزوجت عام ١٤٧٠، من ابن عمها أدولف من كليفز، لورد رافنشتاين، توفيت في ١٤ كانون الثاني، للمزيد ينظر:

Cit, p.242

Burgundy، المعروف بـ رافائيل دي ميركاتيل (١٥٠٨-١٤٣٧)^(٦٧٠)، وبالدين بورغندي (Baldwin Burgundy) (١٥٠٨-١٤٤٥)^(٦٧١)، وجوزفين بورغندي^(٦٧٢)، وسيد سوميلسدايك فيليب بورغندي (Philip Burgundy) (١٥٢٤-١٤٦٤)^(٦٧٣)، وجون بورغندي (John Burgundy)^(٦٧٤)، وماري بورغندي (Mary Burgundy) (١٤٢٦-١٤٧٥)^(٦٧٥)، المعروفة بـ ماريون (Marion)^(٦٧٦)، وكاترين بورغندي (Catherine Burgundy)^(٦٧٧)، ومادلين بورغندي (Madeleine

(٦٧٠) (١٤٣٧-١٥٠٨): ولد في بروج ابن ميركاستل ماري دي بيليفال، تسنم منصب رئيسا لدير سانت بافو في غنت في عام ١٤٧٨، ومن ثم أصبح رئيساً لدير القديس بطرس ودير سان بيير في أودنبورغ في عام ١٤٦٣، ثم أسقف روس أضاف إلى مكتبة ديره عدة مخطوطات قيمة، توفي في ٥ آب في غنت، للمزيد ينظر: Hubert Nelis, Bâtards de Brabant ..., p.340 – 341.

(٦٧١) (١٤٤٥-١٥٠٨): ابن كاترين من ثيفريس، ولد في ليل، لقب بـ دي ليل، منحه والده مجموعة من الاراضي في ١٤ شباط ١٤٦٤ (لوفينديجيم وزوميرجيم ولا روندري)، اصبح لورد بير وبودر، خلال الاعوام ١٤٦٥-١٤٦٧ شارك مع اخيه شارل الجريء في العديد من المعارك منها حرب الصالح العام عام ١٤٦٥، ومن ثمة في حروب ليبج، وشارك في الاستيلاء على دينانت، ومعركة بروسستيم، وهبة الإمبراطور ماكسيميليان الأول، في عام ١٥٠٢، بارونية فاليز، خان عائلته في برابانت وانتقل لخدمة لويس الحادي عشر وتوفي في بروكسل، للمزيد ينظر:

Jean-Marie Cauchies, Baudouin de Bourgogne (v. 1446-1508), bâtard, militaire et diplomate. Une carrière exemplaire, Revue du Nord, no 310, 1995, p. 259-277 ; Amédée Renée, Op. Cit, p.242.

(672) L. J. Chrétien, Op. Cit, p.155.

(٦٧٣) (١٤٦٤-١٥٢٤): ولد في بروكسل، مُنح لقب فارس في عام ١٤٨٦، وفي عام ١٥٠١ تم قبوله في وسام فرسان الصوف الذهبي، أصبح أسقف أوترخت عام ١٥١٦، امه مارغريت بوست (Marguerite Post)، توفي في ٧ نيسان، للمزيد ينظر L. J. Chrétien, Op. Cit, p.155.

(٦٧٤) عميد كنيسة القديس دوناتوس في بروج عام ١٤٣٨، وعميد كنيسة القديس بطرس في أوترخت عام ١٤٧٦. ابن غير الشرعي للدوق فيليب الطيب ومارغريت سكوبلين (Marguerite Scupelins)، توفي في بروكسل عام ١٤٧٩، للمزيد ينظر:

Académie Royale Des Sciences, Op. Cit, p.593.

(٦٧٥) ابنة جين شاستيلان (Jeanne Chastellain)، تزوجت بيير دي بوفريمونت في عام ١٤٤٨، كونت شارني، وفارس الصوف الذهبي، ولورد مونتفورت، للمزيد ينظر: Amédée Renée, Op. Cit, p.242.

(676) L. J. Chrétien, Op. Cit, p.159.

(٦٧٧) تزوجت عام ١٤٦٠ من هومبرت دي لورييو (أو لورويل)، كونت لا كويل، وفارس ومستشار وحاجب الدوق شارل الجريء وقائد مئة رمح و ٥٠٠ من رماة السهام من على ظهر

Burgundy^(٦٧٨)، وجيروم (Jerome) وبودوان (Baudoin)، اللذان أطلق عليهما لقب "اللقيطين الصغيران من بورغندي"^(٦٧٩).

عقب تأسيس وسام الصوف الذهبي عام ١٤٣٠ عمّد فيليب الطيّب إلى ارتداء التاج، ومع أنه إكسسوار غير مألوف في تقاليد الدوقات، لكنه ذا دلالة سياسية بالغة الأهمية، منسجمة مع طموحات فيليب السلطوية. فالتيجان كانت مخصّصة للملوك تحديداً، ومع أنّ فيليب لم يحمل ذلك اللقب رسمياً، لكنه طمح إليه بشدة، واستخدامه التاج عكس نزوعه إلى مرتبة ملكية لتأكيد سيادته شبه المستقلة^(٦٨٠).

في السياق نفسه، منحت السلطة الإنكليزية كونتية شمبانيا لفيليب، دوق بورغندي في ٨ آذار ١٤٣٠، في إطار ترتيبات سياسية هدفت إلى تعزيز التحالف الإنكلو-بورغندي خلال مراحل حرب المائة عام، لكن ذلك التبرع لم يُطبّق قط، لأنّ الشامبانيا كانت آنذاك في أيدي أنصار شارل السابع^(٦٨١)، وفي ١٦ آذار ١٤٣٠، طلب أهل ريمس مساعدة جان دارك، خوفاً من مهاجمة الإنكليز والبورغنديين مدينتهم، فأعلنت استعدادها للدفاع عنهم^(٦٨٢).

فشلت العملية العسكرية التي نفذتها جان دارك دون اذن الملك لاقتحام باريس أواخر آذار ١٤٣٠، فأعدم ١٥٠ من الموالين لها، واضطرت إلى تغيير وجهتها والبحث عن مضمار جديد لفعاليتها العسكرية^(٦٨٣)، بيد أنها أثناء انسحابها، واجهت زعيم العصابات الموالية للبورغنديين فرانكيت دي أراس (Franket de Aras) في معركة شرسة، فقضت على أغلب رجاله وأسرتة، وساومت الإنكليز والبورغنديين على الأسرى

الخیل، للمزید ينظر: Académie Royale Des Sciences, Op. Cit, p.596.

(678) L. J. Chrétien, Op. Cit, p.159.

(679) Hubert Nelis, Bâtards de Brabant ..., p.340-341.

(680) Kathleen Louise Kenyon, Op. Cit, p.16.

(681) Richard Vaughan, Philip the Good ..., p.18.

(682) Ronald Gower, Op. Cit, p.119.

(683) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p.302 ; Ronald Gower, Op. Cit, p.108.

مقابل من تبقى من اصدقائها في باريس، وحين فشلت مساعيها حوكم فرانكيت وقطع رأسه(٦٨٤).

سعى دوق بورغندي بعد نقض الهدنة عملياً للسيطرة على مدينتي كومبيغن وتشويسسي، مما دفع جان دارك لزيادة قواتها حتى بلغ عدد فرسانها ألف فارس(٦٨٥)، وحثت شارل السابع على دعمها لإنقاذ مدن الشمال مثل كومبيغن وتشويسسي وريمس(٦٨٦)، بيد أن الملك طلب منها التريث حتى انتهاء الهدنة في عيد الفصح في ٢٣ نيسان ١٤٣٠(٦٨٧)، لكنها قامت بسلسلة عمليات عسكرية أسفرت عن استعادة لاجني وميلون(٦٨٨)، ثم توجهت لإنقاذ مدينة تشويسسي من حصار القوات البورغندية، لكن سقوطها بيد دوق بورغندي دفعها للتوجه بقوات قليلة نحو مدينة بونت ايفيك (Pont Evec)(٦٨٩)، لتحريرها، ولدى وصول القوات الإنكليزية انسحب الجيش الفرنسي إلى سواسون، فأغلق حاكمها بيكار (Gouverneur Picard) المتواطئ مع البورغنديين(٦٩٠)، بواباتها بذريعة نقص الإمدادات وخوفاً من انتقام البورغنديين والإنكليز، فاضطر الجيش الفرنسي للتخيم خارجها(٦٩١).

ولا ريب أن جان دارك وجدت نفسها في مأزق، فانسحبت مع قواتها إلى كومبيغن، التي كانت على مرمى حجر من خطر القوات لإنكلو - بورغندية(٦٩٢)، ووصلتها في ٢٣ أيار ١٤٣٠، ومن هناك رصدت تمركز قوات العدو في ثلاثة

(684) Abel Desjardins, Op. Cit, p.125.

(685) Claude Bernard Petitot, précis de L'histoire de Jeanne d'Arc, surnommée La pucelle d'orleans, Foucault, Paris, 1819, p.62.

(686) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.62.

(687) Denis Lynch, Op. Cit, p.203.

(688) John A. Mooney, Op. Cit., p.52 ; Laura E. Richards, Joan of Arc, D.Appleton And Company, London, 1919., p.217 ; Ronald Gower, Op. Cit, p.120.

(689) Abel Desjardins, Op. Cit, p.126.

(690) Arthur Whetnall, Op. Cit, p.146.

(691) Claude-Bernard Petitot, Op. Cit, p.62.

(692) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.64.

معسكرات^(٦٩٣): الأول. في مدينة كليريويكس شمال كومبيغن^(٦٩٤)، والثاني. إنكليزي في مدينة فينيت جنوباً^(٦٩٥)، والثالث. بورغندي بقيادة جان دي لوكسمبورغ في مارغني مقابل المدينة^(٦٩٦).

حينها تبنى الفرنسيون أسلوب الكر والفر والانفراد بتلك المعسكرات لاستنزاف قواها^(٦٩٧)، فاتفق الفرنسيون مع حاكم كومبيغن غيوم دي فلافي على شن غارة فجرية ضد معسكر البورغنديين في مارغني عبر جسر واز (Oise)، ثم الانسحاب قبل وصول الدعم من باقي المعسكرات^(٦٩٨)، وكُلف حماة أسوار كومبيغن برشق البورغنديين بالسهم لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بهم^(٦٩٩)، واستناداً لتلك الخطة انطلقت جان دارك بخمسمائة مقاتل في الساعة الخامسة فجراً ففاجأت البورغنديين وأوشكت على هزيمتهم، لكن وصول إمدادات إنكليزية عاجلة من مارغني بقيادة جان دي لوكسمبورغ وقطع طريق تراجعها نحو مدينة كومبيغن^(٧٠٠).

أدركت جان دارك خطر تطويقها، فحاولت اختراق صفوف الإنكليز للوصول إلى جسر كومبيغن، لكن واجهوها بدفاع محكم ورفعوا سلاسل الجسر، مما قطع طريق عودتها إلى كومبيغن^(٧٠١)، فأغلق حاكم كومبيغن غيوم دي فلافي بوابة المدينة خوفاً من اقتحامها من القوات البورغندية^(٧٠٢)، حينها طوقها الإنكليز وأسقطها الفارس البورغندي "أرتشر" من حصانها^(٧٠٣)، فوقع في أسر البورغنديين في ٢٤ أيار ١٤٣٠، الذين أكدوا أنها أسيرتهم لاعتقالها في معسكرهم^(٧٠٤).

(693) Arthur Whetnall, Op. Cit, p.146.

(694) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.64.

(695) Arthur Whetnall, Op. Cit, p.146.

(696) Ronald Gower, Op. Cit, p.123.

(697) Lucy Foster Madison, Op. Cit., p.326.

(698) William P. Nimmo, Joan of Arc or the Story of a noble Life, Edinburgh, 1871, p.76.

(699) Arthur Whetnall, Op. Cit, p.147.

(700) William P. Nimmo, p.76 – 77.

(٧٠١) أيمن نعيم عرد الزاملي، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(702) Sarah M. Grimke, Op. Cit, p.64.

(703) Andrew C. P. Haggard, D.S.O., Op. Cit., p.303.

(704) Francis M. Wyndham, Op. Cit, p.10.

طالب البورغنديون الإنجليز بعشرة آلاف قطعة ذهب مقابل تسليم جان دارك لهم^(٧٠٥)، ثم أرسلوها إلى قلعة روان خوفاً من محاولة إنقاذها^(٧٠٦)، بينما تجاهل شارل السابع أسرها ولم يحاول استغلال مفاوضاته مع البورغنديين لعقد صفقة تضمن استعادتها والحيلولة دون تسليمها للإنجليز، ولم يسع لمبادلتها ولم يفكر قط في افتدائها بالأموال رغم قدرته على ذلك^(٧٠٧).

فبعث رئيس أساقفة أمبرون رسالة إلى شارل السابع يحثه على التفاوض مع البورغنديين ودفع فدية لإطلاق جان دارك، محذراً من أن تسليمها للإنجليز وإعدامها سيكون عاراً أبدياً على فرنسا على مر العصور^(٧٠٨)، لكن الملك الفرنسي تجاهل الأمر، وهو موقف استند إلى حيثيات في مقدمتها اعتقاد الملك أن جان أصبحت عبئاً على مساعيه للسلام مع البورغنديين والإنجليز، واللافت أنه بالتزامن مع الموقف المتصل لعاهل فرنسا أظهر البسطاء وبعض رجال الدين موقفاً مشرفاً بجمع التبرعات لافتدائها من البورغنديين، إلا أن جميع جهودهم باءت بالفشل^(٧٠٩).

بعد مرور شهرين من احتجاز جان دارك، طالبت جامعة باريس ومحاكم التفتيش دوق بورغندي فيليب الطيب بتسليمها لمحاكمتها بتهمة مناصرة الكنيسة والمسيحية والهرطقة^(٧١٠)، لكن دوق بورغندي قرر بيعها للإنجليز مقابل فدية لتجهيز قواته بشتى أنواع الأسلحة والمؤن^(٧١١)، فيما حاولت بعض سيدات البلاط المقربات من بلاط الدوق المتعاطفات معها إقناع جان دي لوكسمبورغ بالتوسط لدى دوق بورغندي لمنع بيعها للإنجليز، لكنه رفض، حينها نصحت أولئك النسوة جان دارك بخلع زيها الرجالي

(705) Joel Dorman Steele & Esther Baker Steele, A brief history of France, New York, 1875, p.92.

(706) Donald Spoto, Op. Cit, p.112.

(707) Ronald Gower, Op. Cit, p.133 ; Arthur Whetnall, Op. Cit, p.154.

(708) Arthur Whetnall, Op. Cit, p.154 – 155.

(709) Sarah M. Grimke, Op. Cit., p.65.

(710) Pierre Champion, The Trial of Joan of Arc, Paris, 1932, p.3.

(711) Donald Spoto, Op. Cit., p.114 – 115.

لتجنب تهمة الهرطقة^(٧١٢)، لكنها رفضت خلع زيها الرجالي قائلة لهن وكأنها تستشرف المستقبل "لم يحن الوقت بعد"^(٧١٣).

لتجنب تحويلها إلى رمز وطني للفرنسيين، خططوا لمحاكمتها كنسياً بتهم الهرطقة والشعوذة، لتبرير إعدامها، وإبطال شرعية دورها في تتويج شارل السابع، وشرعنة الفعاليات القتالية الإنكليزية ضده بوصفه شريكاً لجان عدوة كنيسة الرب^(٧١٤)، ووجد دوق بيدفورد في أسقف بيوفيس ببيير كاوشون (Bishop of Beauvais Pierre Cauchon)^(٧١٥)، الأداة المناسبة لتنفيذ ذلك المخطط لعلاقته المميزة بدوق بورغندي^(٧١٦)، فأرسله إلى الدوق وعرض عليه عشرة آلاف قطعة ذهب مقابل

اقتيادها إلى الإنكليز، لمحاكمتها بتهمة الهرطقة، فوافق الدوق فيليب^(٧١٧).

نُقلت جان دارك إلى روان في ١ كانون الثاني ١٤٣١ لمحاكمتها كنسياً في أبرشية كاوشون، الواقعة تحت السيطرة الإنكليزية^(٧١٨)، وبعد جلسات محاكمة مطولة أعلن الأسقف كاوشون في الساعة الثامنة صباح الأربعاء ٣٠ أيار ١٤٣١، حكمه بإعدام جان دارك، فربطت على صليب خشبي وأحيطت بأكوام الحطب وأحرقت حية في مدينة الروان، بعد أن أدانتها المحكمة الكنسية برئاسة كاوشون^(٧١٩).

(712) Lucy Foster Madison, Op. Cit., p.339.

(713) Laura E. Richards, Op. Cit., p.240.

(714) Daniel Hobbins, The Trial of Joan of Arc, London, 2005, p.20 – 21.

(٧١٥) (١٣٧١-١٤٤٢): وُلد في ريمس وتلقّى تعليمه في جامعة باريس، ثم تولّى رئاستها، انضمّ إلى المعسكر البورغندي عام ١٤١٣، أوفده فيليب الطيّب إلى مجلس كونستانس، فأُسندت إليه عام ١٤١٨ وظيفة رئيس القضاة، ظلّ موالياً للبورغنديين، عُيّن بدعم من فيليب أسقفاً على بوفيه عام ١٤٢٠، وعقب اعتقال جان دارك، اخفى دوافعه السياسية لمحاكمتها، وفي عام ١٤٣٧ عُيّن أسقفاً لليزيو، وتوفّي في روان في ١٨ كانون الأوّل، للمزيد ينظر:

The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts ..., Vol. 5, p.555.

(716) John O'Hagan, Joan of Arc, Kegan Paul, Trench, Trübner & Co. Ltd, London, 1893., p.69 – 70.

(717) Daniel Hobbins, Op. Cit, p.37 ; John O'Hagan, Op. Cit, p.69 – 70.

(718) Francis M. Wyndham M.A, Op. Cit., p.10.

(719) Leah Shopkow, Joan of Arc Study of Documents, New York, 1902, p.57.

هنا من المناسب القول أن سلسلة تصفيات حاقت بالقادة الارمانيك بعد اعدام جان، فبعد اقتحام الإنجليز قلعة دوردون (Dourdon Castle) في منطقة لا شاريتيه سور لوار (La-Charité-sur-Loire)، اعتقلوا القائد الأرمنيكي لاهير، واغتال البورغنديون القائد الارمانيكي الشهير باربازان في معركة بولجنفيل (The battle of Bulgnéville) (١٤٢٠-١٤٨٠)، في ٢ تموز ١٤٣١، وأسر بعض أصدقائه رينيه أنجو (René of Anjou)، صهر شارل السابع، ثم أطلق سراحه لاحقاً مقابل ٤٠٠ ألف كرونة ذهب للدوق فيليب الطيب، والتنازل عن أراضي مختلفة بعضها في الفلاندرز، مما أضعف الارمانيك بشدة، فغدو في موقف لا يحسدون عليه^(٧٢٠).

أوفدت البابوية المبعوث البابوي الكاردينال سانت - كروا (Cardinal Niccolò Albergati) إلى عدة مناطق من فرنسا، في إطار مساعٍ بابوية للوساطة، واستخدم كونستابل فرنسا آرثر دي ريتشمونت جميع الوسائل المتاحة له - من القوة العسكرية والدبلوماسية ونفوذه الشخصي - لتهدة الخلافات بين صهره دوق بورغندي فيليب الطيب المتحالف مع الملك الإنجليزي هنري السادس من جهة، والملك شارل السابع من جهة أخرى، فأسفرت تلك الجهود عن إبرام هدنة مؤقتة بين الطرفين في هام (The Truce of Ham) بتاريخ ١١ أيلول ١٤٣١^(٧٢١).

المبحث الثالث

تنامي الحراك العسكري والنشاط الدبلوماسي للدوق فيليب الطيب

كانون الأول ١٤٣١ - كانون الأول ١٤٣٧

توج هنري السادس ملكاً على فرنسا في ١٦ كانون الأول ١٤٣١ بكنيسة نوتردام في باريس، وهو في العاشرة من عمره^(٧٢٢)، وكان تتويجه رتيباً مليئاً بالتناقضات واختلاف الطقوس والعادات الفرنسية والإنجليزية، مما أثار استياء إكليروس فرنسا ونبلائها وامتعاظ المسؤولين الفرنسيين لابتعاده عن تقاليد ريمس المقدسة التي ظلت

(720) James H. Ramsay, Vol. I, Op. Cit., p.433 – 434.

(721) Jehan De Waurin, Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 4, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1884, p.20 – 21.

(722) L. Douët-D'arcq, Tome .5 ,Op. Cit., p.1 – 2.

رمز الشرعية لألف عام^(٧٢٣)، وقد عكس حفل التتويج ضعف الشرعية الإنكليزية مما أدى إلى مزيد من التباعد مع الفرنسيين الذين غاب معظم نبلائهم، وفي مقدمتهم دوق بورغندي فيليب الطيب، رغم ادعاء السلطات الإنكليزية بقرب وصوله لطمأنه الباريسيين وكسب تأييدهم^(٧٢٤).

واللافت في هذا الصدد أن دوق بورغندي تجنب لقاء هنري السادس للتهرب من قسم الولاء له، مفضلاً إبقاء خياراته مفتوحة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنه مال للتقارب مع الأرمنياك، بدليل أنه تزامناً مع تتويج هنري السادس عقد هدنة أمدها ست سنوات مع شارل السابع، لكنه لامتنصص زخم الإنكليز أرسل خطاباً لملكهم ادعى فيها أنه عقد الهدنة مجبراً بذريعة ضعف دعمهم المالي له والعسكري لممتلكاته، منهيّاً خطابه بالقول: "وبسبب هذا يا جلالة الملك، لا تتصور أو تتخيل أي شيء شرير ضدي"، وبقدر تعلق الأمر بمحور دراستنا، فإن تلك الهدنة ألفت عبيّ الدفاع عن "فرنسا الإنكليزية" على الإنكليز وحدهم، ومكنت الأرمنياك من تركيز جهودهم ضدهم مباشرة^(٧٢٥).

أظهرت الهدنة بين دوق بورغندي فيليب الطيب وشارل السابع مؤشراً على رغبة الأرمنياك في استغلالها مع الدوق لتركيز جهودهم ضد الإنكليز ومباغتتهم لإسقاط قلاعهم، والدليل على ذلك أن روان وحدها تعرضت عام ١٤٣٢ لاثنتي عشرة محاولة للسيطرة عليها، أخطرها محاولة ١٢ نيسان ١٤٣٢، حين تسلل مقاتلون أرمنياك متنكرون كتجار ملح داخل عربات، فذبخوا الحراس وسيطروا على البوابة وأعدموا مسؤولي المدينة^(٧٢٦)، وتكررت مثل تلك المحاولات في مدن نورماندي الأخرى

(723) R. A. Griffiths, The Reign of King Henry VI, Fonthill Media, Stroud, 2004., p.192.

(724) Janet Shirley, Op. Cit, p.268.

(725) Joseph Stevenson, Letters and Papers Illustrative of the Wars of the English in France during the Reign of Henry the Sixth of England, Vol.II, London, 1861, p.196 – 202 ; Jehan De Waurin, Tome 4, Op. Cit, p.20 – 21.

(726) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 5, Op. Cit., p.21 – 25 ; Jehan De Waurin, Tome 4, Op. Cit, p.15-18

كأرجينتان، وسواها^(٧٢٧)، حينها تشتت الجيش الإنجليزي بين خيارات عسكرية عدة وأخفق في إنهاء الخطر الفرنسي على باريس، فاشتدت معاناة سكانها^(٧٢٨).

أضيف شرح جديد إلى مسار العلاقات الإنكلو - بورغندية المتأزمة، بعد وفاة اخت الدوق فيليب بورغندي وزوجة جون دوق بيدفورد في ١٣ تشرين الثاني ١٤٣٢، فشعر الدوق بزوال آخر وشائج تحالفه مع إنكلترا، وفشلت وساطة البابا أوجينيوس الرابع (Eugene IV) (١٤٣٧-١٤٤٧)، ومفاوضات أوكسير للسلام التي جمعت لأول مرة مندوبين بورغنديين وفرنسيين وإنكليز في تشرين الثاني ١٤٣٢، بسبب تمسك هنري السادس بعرشه الفرنسي، ورفض شارل السابع ذلك الأمر، وإصرار دوق بورغندي على الانتقام لمقتل والده وانتزاع مكاسب سياسية ومادية^(٧٢٩).

بضمنها منحة مقاطعة شامبانيا، لكن جل ما توصلت إليه مفاوضات أوكسير اتفاق شكلي على استئناف مفاوضاتها في آذار ١٤٣٣، التي انتهت بإنفاق الأموال وهدر الوقت دون نتائج ملموسة^(٧٣٠)، وهكذا أدرك دوق بيدفورد افتقاره للدعم المالي والعسكري من إنكلترا، لرفد مجهوده الحربي، تزامناً مع تنامي التداعيات السلبية لانهايار تحالفه مع البورغنديين مما أدى إلى ازدياد موقفه العسكري والسياسي ضعفاً^(٧٣١).

أصبحت ممتلكات التاج الإنجليزي في فرنسا مهددة بالخطر منذ ربيع عام ١٤٣٣ بفعل هدنة دوق بورغندي مع شارل السابع، فانفرد الإنكليز بعبء القتال، مما أرهق بيدفورد عسكرياً ومالياً، فأمسى عاجزاً عن صد غارات الألمانياك المتكررة المدعومة بخيانات من داخل الحاميات الإنكلو - نورماندية، فتشتت جهده العسكري -

(727) Paul Le Cacheux, Actes de la Chancellerie d'Henri VI Concernant La Normandie sous la Domination Anglaise 1422 – 1435 Société de l'Histoire de Normandie, Tome. II, A. Lestringant, Paris, 1907, p.233 – 237.

(728) Gerald Harriss, Shaping the Nation: England 1360 – 1461, Oxford University Press, Oxford, 2005, p.328

(729) R. A. Griffiths, Op. Cit, p.191.

(730) Ibid., p.192.

(731) Richard Vaughan, Philip the Good ..., p.27– 133.

الدفاعي وفقد القدرة على شن هجمات على قلاع ومدن أعدائه دون دعم وإمدادات من إنكلترا^(٧٣٢).

هكذا وجد بيدفورد نفسه في وضع حرج، خاصة مع إرسال دوق بورغندي مبعوثه هيو دي لانوي (Hugh de Lannoy)، إلى إنكلترا بعد تعرض دوقيته لهجمات أرمانيكية في سان فاليري وبيكاردي وباسي سور، وكان هدف المبعوث البورغندي استشراف موقف الإنجليز من تصاعد خطر الأرمانيك وتنامي قدرتهم العسكرية وتهديداتهم المتزايدة، حينها أدرك بيدفورد أهمية التحالف الإنكليزي - البورغندي، فسعى لكسب دوق بورغندي إلى جانبه وتجديد تحالفهما السابق بأسلوب دبلوماسي، مؤكداً محبته للدوق وختم حديثه قائلاً: "إن دوق بورغندي أحد الأمراء الذين أحببتهم دائماً، وأعلم جيداً أن الطريقة التي أدركنا بها الأمور سابقاً انعكست سلباً على علاقتنا الثنائية"^(٧٣٣).

أدرك المبعوث البورغندي أثناء إقامته في إنكلترا أن معظم المسؤولين الإنجليز باستثناء - دوق غلوسستر - مقتنعون بضرورة أبرام هدنة تمهد لسلام شامل مع فرنسا، وأن هناك توجهاً ومخططاً إنكليزياً لإنجاح ذلك عبر إقتران هنري السادس بأميرة فرنسية من آل - فالوا للتقرب من شارل السابع^(٧٣٤).

شجعت المعلومات آفة الذكر المبعوث البورغندي على تقديم خطابات إلى الملك هنري السادس، تضمنت رؤى دوق بورغندي فيليب الطيب لحسم المشاكل مع فرنسا باقتراح ثلاثة بدائل لحل النزاع: الأول. إبرام سلام نهائي، والثاني. عقد هدنة طويلة الأمد، أما الثالث. فتضمن شن حرب واسعة ضد الأرمانيك، في إشارة واضحة لرغبة البورغنديين في الحصول على دعم إنكليزي بالسلاح والأموال والمقاتلين، ثمناً لتجديد التحالف مع إنكلترا. بيد أن مستشاري هنري السادس أوضحوا للمبعوث أن التزامات إنكلترا العسكرية والمالية في فرنسا مثقلة بالآلاف المقاتلين الموزعين على

(732) G. L. Harriss, Cardinal Beaufort: A Study of Lancastrian Ascendancy and Decline, Oxford, 1988., p.227.

(733) Joseph Stevenson, Vol. II, Op. Cit, p.220, 241, 248.

(734) G. L. Harriss, Op. Cit, p.182-183.

الجبهات، بضمنها خمسمائة مؤتلفين مع القوات البورغندية، مما حال دون زيادة الدعم^(٧٣٥).

بحث الدوق فيليب الطيب عن مصالحه في مضمار آخر، فاخطف فرانك الثاني فان بورسيلين (Frank II. Van Borsselen) (١٤٢٢-١٤٤٥) زوج ابنه عمه جاكوبيا عام ١٤٣٣، بعد تراجعها عن معاهدة دلفت، وطالبها مقابل إطلاق سراحه بالتخلي عن مقاطعات هولندا وزيلاند وفريزلاند وهينو، فاضطرت للتنازل عن جميع حقوقها في الأراضي التي تحكمها له بموجب معاهدة لاهاي (Haager Vertrag)، في ١٢ نيسان ١٤٣٣، وهكذا تم تنصيب دوق بورغندي كونتاً لهولندا وزيلاند في نيسان ١٤٣٣، ورغبةً منه في توحيد تلك الأراضي سعى فيليب الطيب إلى توحيد ممتلكاته المترامية في الأراضي المنخفضة، فرأى أن تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي يقتضي إنشاء نظام نقدي موحد. ولذا قرر أن تُصدر دور سك العملة في هولندا، وهينو، وبرابانت، وفلاندرز عملة مشتركة تخضع لمعايير موحدة في الوزن والقيمة، بما يسهّل المبادلات التجارية ويعزز سلطته المركزية على تلك الإمارات المتعددة^(٧٣٦).

اقتترنت تلك الاصلاحات الادارية والنقدية بتجدد الحراك البورغندي ضد شارل السابع، فحاول فيليب الطيب استقدام قوات إنكليزية إضافية لدعم حراكه العسكري ضد الارمانيك، وتجدد التعاون العسكري بين الطرفين مع سيطرة البورغنديين على مونتارجيس جنوب باريس وتسليمها لحلفائهم الإنكليز صيف ١٤٣٣^(٧٣٧)، فرد الأرمانياك على تلك الهزيمة بغارة بحرية على جرانفيل ومصادرة بعض السفن الإنكليزية^(٧٣٨)، إلا أن مظاهر وبوارد التفوق الإنكلو - بورغندي برزت بوصول اثنا عشر ألف مقاتل إنكليزي بقيادة كامويز وهانجرفورد في آب ١٤٣٣^(٧٣٩)، وشهد شهر

(735) Joseph Stevenson, Vol. II, Op. Cit, p.250 – 258.

(736) Alois Schmid, Op. Cit., p.92–106 ; The Book of The Deeds of The Good Jacques De Lalaing, Op. Cit., p.16.

(737) André Bossuat, Perrinet Gressart et François de Surienne, E. Droz, Paris, 1936, p. 184, 197 – 198, 200.

(738) Paul Le Cacheux, Op. Cit., Vols. II, p.382, 383.

(739) G. L. Harriss, Op. Cit., p.221.

آب ١٤٣٣ اندفاعاً عسكرياً بورغندياً واسعاً مدعوماً بقوات إنكليزية بقيادة الأيرل تالبوت على رأس ألف وستمئة مقاتل، لاستعادة المدن التي احتلها الأرمانيك سابقاً، فاستعاد باسيسور، وأرمانسون، وبعض المدن البورغندية الواقعة على نهر يون، كما سيطر البورغنديون على سانت فاليري ٢٠ آب ١٤٣٣^(٧٤٠)، وفي المقابل شن الأرمانيكيون بقيادة لا هابير غارة مدمرة على أرتواز وكامبراي مطلع أيلول ١٤٣٣^(٧٤١)، وتلتها مؤامرتان فاشلتان في الأسبوع الأخير من الشهر ذاته للاستيلاء على باريس انتهتا بإعدام المئات من الأرمانيك والاسكتلنديين الذين شاركوا فيهما^(٧٤٢).

في إطار السجال آنف الذكر وجه دوق بورغندي في الشهر نفسه حملة عسكرية لحصار قلعة أيلون (Forteresced'Ayala)، فتمركزت القوات البورغندية بجرأة قرب خنادق القلعة، وشيدت آلات حصار ألحقت أضراراً جسيمة بأسوارها، حتى انهارت في مواضع عدّة. فشعر المحاصرون بالرعب لدرجة أنهم اختاروا الهرب ليلاً عبر بوابة خلفية غير محروسة، لكن انسحابهم لم يكتمل، بعد اكتشاف القوات البورغندية فرارهم، فاشتبكت معهم، وتمكنت من قتل وأسر عدد كبير منهم. ومع انهيار المقاومة، سقطت القلعة واستولى البورغنديون على جميع ممتلكاتها ونهبوها، مما أكد نجاح الحصار وسرعة حسمه لصالح الدوق^(٧٤٣)، وفرض دوق بورغندي حصاراً محكماً آخر على مدينة كولون (Coulougne)، عام ١٤٣٤، وبعد ثلاثة أشهر دخل اهالي المدينة في مفاوضات انتهت بتسليم الحصن للدوق، بشرط مغادرتهم بأرواحهم وممتلكاتهم، وبعد موافقة دوق بورغندي خرجوا من كولون دون أن تُمس حياتهم أو أموالهم^(٧٤٤).

لم تقتصر أطماع الدوق فيليب على الاراضي الفرنسية بل امتدت الى أراضي خاضعة قانونياً للامبراطورية الرومانية المقدسة، فاستغل حاجة عمته دوقة لوكسمبورغ إليزابيث غورليتز للأموال والحماية العسكرية، ففاوضها على شراء دوقيتها، مما اثار

(740) Alfred W. Pollard, Fifteenth Century Prose and Verse, A. Constable, Westminster, 1903, p.18 – 19.

(741) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 5, Op. Cit., p.79 – 81.

(742) Janet Shirley, Op. Cit, p.286 – 288.

(743) L. Douët-D'arcq, Tome 5, Op. Cit., p.69-70.

(744) L. Douët-D'arcq, Tome 5, Op. Cit., p.95-96.

قلق الإمبراطور سيجيسموند، فأعلن الحرب على دوق بورغندي في كانون الأول ١٤٣٤، ومن حينها سعى سيجيسموند إلى إثارة المعارضة داخل لوكسمبورغ ضد مساعي بورغندي الرامية إلى إلحاقها بنفوذها السياسي، لكن الدوق فيليب تجاهل تلك التحديات وأبرم معاهدة مالينز (The Treaty of Malines)، مع إليزابيث غورليتز عام ١٤٣٥ في مدينة ميكلين، وبموجبها وعدته الدوقة بالتنازل عن حقوقها في لوكسمبورغ مقابل دفع ثمانون ألف فلورين ومعاش سنوي قدره أربعة آلاف فلورين، لكنها تراجعت عن اتفاقها بسبب الضغط الامبراطوري عليها^(٧٤٥).

شنّ الفرنسيون عام ١٤٣٥ هجمات عنيفة على المناطق الخاضعة للإنجليز في وسط وشمال فرنسا، وارتكبوا خلالها مجازر مروعة بحق المدنيين، في سياق ردّ مدروس أعقب خسائر اقتصادية فادحة تكبّدها الإنجليز بعد شتاء قاسٍ اعتُبره المؤرخين الأشد في القرن الخامس عشر، ولم يكن ذلك التصعيد عفويّاً، بل جزءاً من استراتيجية بث الرعب في صفوف الإنجليز وبعض الفرنسيين المتعاطفين معهم، مما اقنع دوق بورغندي فيليب الطيب بأن الارمانيك هم الطرف الأقوى في المعادلة عسكرياً وسياسياً، فقرر فتح صفحة جديدة معهم^(٧٤٦).

وانتهت الفرصة حين عُقدت مؤتمرات سلام جديدة في مدينة نيفيرز مع صهره شارل، دوق بوربون (Charles duc de Bourbon)، وكونستابل فرنسا آرثر دي ريتشمونت، الموالين للملك شارل السابع، فأُسفرت تلك اللقاءات عن بروتوكول يهدف إلى إحلال السلام بين البيت الفرنسي والبيت البورغندي. ونصّت وثيقة ذلك الاتفاق المؤرخة في شباط ١٤٣٥ على عقد إطلاق مفاوضات سلام شاملة بين جميع الأطراف المتنازعة (الإنجليز - والبورغنديون - والفرنسيون) بحضور رئيس أساقفة ريمس

(745) Richard Vaughan, Philip the Good ..., p.276.

(746) André Bossuat, Op. Cit, p.214.

ريجنولت دي شارتر (Regnault de Chartres)(١٤١٤-١٤٤٤)، أحد أبرز مستشاري الملك شارل السابع^(٧٤٧).

تقرر تحديد عقد قمة للسلام في مدينة أراس في الأراضي المنخفضة البورغندية في ١ تموز ١٤٣٥. وقد أضفى الدوق على قمة أراس طابعاً عائلياً خاصاً، لأن دوقات بورغندي وبوربون وكونستابل فرنسا كانوا متزوجين ثلاثة شقيقات، رغم العداء السياسي الظاهري بينهم، وتميزت القمة بلحظة رمزية ذات دلالة عميقة، حين خاطب دوق بورغندي ملك فرنسا ولأول مرة بلقب "الملك شارل السابع"، في اعتراف واضح وصريح بشرعيته، مما شكّل تراجعاً وتتصلاً من دوق بورغندي عن معاهدة تروا، وإشارة واضحة إلى تفكك وفصم عرى تحالف بورغندي مع إنكلترا^(٧٤٨).

أبلغ دوق بورغندي الارمانيك نيته دعوة الوصي جون دوق بيدفورد، ممثل الملك هنري السادس وقائد القوات الإنكليزية في فرنسا، للمشاركة في قمة أراس بوصفه طرفاً أساسياً في محادثات السلام، وتعهّد أنه في حال رفض بيدفورد الحضور، سيُعلن رسمياً إنهاء تحالفه مع إنكلترا، وفي المقابل أبدى ممثلو الملك شارل السابع استعداد ملكهم لتعويض دوق بورغندي عن حادثة اغتيال والده، عن طريق منحه جميع أراضي التاج الواقعة على جانبي نهر السوم، بما في ذلك مقاطعة بونثوا، وتقديم اعتذار ملكي رسمي له، مع تسليم من يثبت تورطه في حادثة الأغتال^(٧٤٩)، وحين وصلت أنباء تلك الاتفاقات إلى دوق بيدفورد، تجاهلها تماماً، ورفض دخول مفاوضات مع حليف الأمس دوق بورغندي، مفضلاً الانتظار حتى يبلغ ابن أخيه هنري السادس سن الرشد، ليقرر مستقبل حكمه في فرنسا، مما مثّل رفضاً قاطعاً لأي سلام مع شارل السابع جملةً وتفصيلاً^(٧٥٠).

(747) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 5, Op. Cit.,p.106 – 110 ; Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.13-14.

(748) James H. Ramsay, Vol. I, Op. Cit.,p.464 – 465.

(749) G. L. Harriss, Op. Cit., p.241 – 242.

(750) Janet Shirley, Op. Cit, p.294 – 295.

بالتزامن مع مجريات قمة أراس، وجّه دوق بورغندي فيليب الطيب دعوة متأخرة للإنجليز للمشاركة رسمياً، فلبّوها بوفد ذي تمثيل متوسط ترأسه رئيس أساقفة يورك. بيد أن مجريات المؤتمر أوجت للإنجليز بوجود مؤامرة محكمة حيكت بدقة بين البورغنديين والأرمنياك لفرض تسوية دبلوماسية تمسّ بمصالحهم، وأسفرت المحادثات عن اتفاق جميع الوفود على تنازل الإنجليز عن جميع الأراضي التي بحوزتهم في فرنسا، باستثناء نورماندي التي سيحكمها ملك إنكلترا بوصفه إقطاعي تابع للملك الفرنسي شارل السابع، وهو ما رفضته إنكلترا رفضاً قاطعاً باعتباره انتهاكاً لمعاهدة تروا، وتجاهلاً للجهود والتضحيات العسكرية التي حققها الإنجليز على مدى عقدين للسيطرة على المقاطعات الفرنسية^(٧٥١).

حينها لعب دوق بورغندي أوراقه ببراعة، وتعمد اظهار الإنجليز أمام الوفود الأوروبية المشاركة، والتي ضمت ممثلين من إسبانيا والبرتغال وإيطاليا والدنمارك وبولندا، على أنهم العقبة الكأداء أمام إحلال السلام. ورغم محاولات الكاردينال بوفورت، عم الملك هنري السادس في ٦ أيلول ١٤٣٥ استخدام نفوذه من خلف الكواليس لثني دوق بورغندي للتراجع عن موقفه المعادي لإنكلترا، إلا أن تلك الجهود باءت بالفشل^(٧٥٢).

فوضت مؤسسة العرش الإنكليزي مندوبيها للتفاوض على هدنة تمتد لمدة عشرين عاماً، بهدف إتاحة الفرصة لإنعاش الاقتصاد الإنكليزي والقدرات العسكرية، ولضمان استمرار التزام دوق بورغندي بقسم معاهدة تروا، الذي استندت عليه شرعية حكم هنري السادس لفرنسا. لكن المقترح قوبل بالرفض، رغم تقديم الإنجليز تنازلاً إضافياً تمثل في استعدادهم للاعتراف بشرعية شارل السابع ملكاً في المناطق الفرنسية التابعة له، لكن تلك المحاولة أخفقت كسابقتها، لأن المفاوضون الأرمنياك تلقوا تعليمات صارمة برفض أي عرض لا يتضمن تخلي الإنجليز عن التاج الفرنسي كلياً^(٧٥٣).

(751) James H. Ramsay, Vol. I, Op. Cit, p.467.

(752) Ibid, p.467 – 469.

(753) Joseph Stevenson, Vol.II, Op. Cit, p.51 – 64.

ورداً على ذلك، قدم الوفد الفرنسي عرضاً يتيح للإنكليز الاحتفاظ بنورماندي وبعض مدن بيكاردي، واقتراح هنري السادس بأميرة فرنسية، مقابل التنازل النهائي عن التاج الفرنسي، مع إمكانية تأجيل التنفيذ لسبع سنوات حتى يبلغ هنري السادس سن الرشد^(٧٥٤)، فرفض الوفد الإنكليزي ذلك العرض وعاد خالي الوفاض، حينها حمل البورغنديون والأرمنياك الإنكليز مسؤولية الفشل، ووصموهم بـ"المتعنتين وغير المنطقيين، والرافضين لتقديم تنازلات معقولة من أجل السلام". ونجحت الدعاية البورغندية - الأرمنياكية في تصوير الإنكليز كأعداء للسلام أمام الأوروبيين والبابوية، وبذلك تمكن دوق بورغندي بمنتهى السهولة من الغاء تحالفه مع إنكلترا ونقل ولائه إلى ملك فرنسا شارل السابع^(٧٥٥).

في خضم تلك التطورات الدراماتيكية، وتحديداً في ١٤ أيلول ١٤٣٥ توفي الوصي جون بيدفورد، مما أحدث فراغاً خطيراً في القيادة العسكرية والسياسية لمملكة فرنسا الإنكليزية. وجاءت وفاته في توقيت حاسم زاد من ثقة الأرمنياك والبورغنديين على حدا سواء، أن تلك الوفاة فرصة سانحة لهزيمة الإنكليز، وأنهم قاب قوسين من تدميرهم نهائياً^(٧٥٦)، والطريف أن دوق بورغندي فيليب الطيب حاول توفير مزيد من الغطاء الشرعي لتحلله من التحالف مع إنكلترا، فأخبر وفود مؤتمر أراس أن العائق الوحيد أمامه هو التحرر من القسم السابق الذي أداه أمام مذبح كاتدرائية نوتردام للوفاء بمعاهدة تروا. فأخبره رؤساء الوفود وأكدوا له بطلان ذلك القسم، كونه تسبب بسفك الدماء لأبناء بورغندي وفرنسا وأبرم على حساب الشرعية، مشيرين إلى أن ملك فرنسا السابق شارل السادس لم يكن يملك حق حرمان ابنه من إرثه الشرعي - الملكي^(٧٥٧). أعلن كبار أساقفة فرنسا والكرادلة البابويون في ٢١ أيلول ١٤٣٥ براءة دوق بورغندي من قسمه السابق من معاهدة تروا. وقدم شارل دوق بوربون وآرثر دي ريتشمونت، اعتذاراً علنياً نيابة عن ملكهم شارل السابع، لفيليب الطيب دوق بورغندي عن اغتيال والده عند مذبح سانت فانس. فأقسم دوق بورغندي قسمًا جديداً بالولاء

(754) Ibid, p.64 – 65.

(755) G. L. Harriss, Op. Cit, p.250 – 251.

(756) Janet Shirley, Op. Cit, p.297.

(757) Joycelyne Gledhill Dickinson, The Congress of Arras 1435, Clarendon Press, Oxford, 1955, p.174 – 176.

لعاهل فرنسا شارل السابع، وتم إبرام معاهدة أراس (Traité d'Arras)^(٧٥٨)، في مدينة أراس في ٢١ أيلول ١٤٣٥، بين ملك فرنسا شارل السابع من جهة، ودوق بورغندي فيليب الطيب وملك إنكلترا هنري السادس من جهة أخرى، التي سوت صراعهما وأنهت الحرب الأهلية بين الألمانياك والبورغنديين، وكسرت تحالف فيليب الطيب مع إنكلترا، وألغت معاهدة تروا^(٧٥٩).

بموجب تلك المعاهدة نجح الدوق في الحصول على تنازلات إقليمية مهمة من شارل السابع وكذلك على ضمانات باستقلاله التام عن التاج الفرنسي، والإعفاء من الولاء الإقطاعي^(٧٦٠)، والحصول على حقوقاً ملكية وسيادية على مقاطعات أوكسير وماكون وقلعة بار سور سين وبولون بونثيو، ومدن السوم، التي يمكنه إعادة شرائها مقابل أربعمئة ألف إيكو، بالإضافة إلى حق اختيار الضباط الملكيين، وإذا لم يلتزم ملك فرنسا بالاتفاق، يكون لرعاياه البورغنديين حرية عصيانه^(٧٦١).

كذلك منحت الدوق مزايا أخرى، أبرزها معاقبة قتلة والده بالنفي ومصادرة ممتلكاتهم، وتعهد الملك شارل بالتكفير عن جريمة الاغتيال بتمويل بعض المؤسسات الدينية لراحة روحه. وضمنت المعاهدة حق دوق بورغندي في الاحتفاظ بجميع الأراضي التي منحه إياها الإنكليز سابقاً، ومنحه جميع ممتلكات التاج الفرنسي في منطقة السوم، مع إعفائه هو ورعاياه من الخدمة العسكرية للتاج الفرنسي، تقديراً لموقفه الداعم للألمانياك^(٧٦٢).

⁷⁵⁸) (H. Moranvillé, Chroniques de Perceval de Cagny, Librairie Renouard, Paris, 1902, p.195 – 209. أنظر ملحق رقم (١٩).

(759) Gordon Martel, The Encyclopedia of Diplomacy, John Wiley & Sons, Ltd, UK, 2018, p.1 ; Edward Adib Tabri, Op. Cit, p.179 – 180 ; Alexandre Grosjean, Op. Cit, p.9 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome I, Op. Cit, p.185.

(760) Gordon Martel, Op. Cit., p.1.

(761) Paul Saenger, Burgundy and the Inalienability of Appanages in the Reign of Louis XI, French Historical Studies, Duke University, Vol. 10, No.1, Spring, 1977, p. 8.

(762) H. Moranvillé, Op. Cit., p.195–209.

بالمقابل أعترف فيليب الطيب دوق بورغندي بشارل السابع ملكاً لفرنسا. وتنازل عن كونتية تونير (County of Tonnerre^[7])، التي اكتسبها من والده، وهكذا حقق لدولة بورغندي إمكانية ممارسة سياسة قوة عظمى مستقلة بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة بفضل الميراث الذي ورثه من فيليب برابانت (Philippe de Saint-Pol) (١٤١٥-١٤٣٠)، الابن الثاني لـ أنتوني دوق برابانت^(٧٦٣).

عكست معاهدة أراس، المبرمة عام ١٤٣٥ بين شارل السابع والدوق فيليب الطيب، رغبة أقوى أمراء التبعية في تقسيم واضح للسيادة بينه وبين الملك^(٧٦٤)، وهو ما بدا واضحاً في فصل دوق بورغندي عام ١٤٣٥ المجلس الأعظم عن المجلس الدوقي ليكون بمثابة محكمة عدل عليا متخصصة. وهكذا أصبح المجلس الأعظم منافساً لبرلمان باريس، الذي كان خاضعاً بشدة للنفوذ الملكي الفرنسي لدرجة اقتناع فيليب أنه لم يعد مقبولاً لرعاياه^(٧٦٥).

تلقت مملكة فرنسا الإنكليزية ضربة قاصمة بعد انشقاق دوق بورغندي ووفاته دوق بيدفورد. فبغيا ب الإدارة الحازمة لبيدفورد، بدأت المملكة بالانهيار، واغتتم قادة الأرمانياك ذلك الضعف لشن حملة عسكرية شاملة ضد الممتلكات الإنكليزية. ورغم أن اللورد ويلوبي (Lord Willoughby)، استعاد منهم سانت دينيس في ٢٤ أيار ١٤٣٥، إلا أن سماحه بانسحاب حاميتها المكونة من ألف وخمسمائة مقاتل بكامل عدتها أتاح لها نهب ضواحي باريس الخاضعة للسيطرة الإنكليزية، وفي الليلة ذاتها جاء الرد الفرنسي سريعاً حين باغت الفرنسيون حامية مولان بقيادة السير ريتشارد ماوبري (Sir Richard Merbury)، واستولوا على المدينة، وهكذا تمكن الفرنسيون من اغلاق مجرى نهر السين امام الملاحة النهرية مع باريس وقطعوا خطوط الإمداد معها^(٧٦٦).

(763) Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol. 7, p.439.

(764) Paul Saenger, Vol. 10, No.1, Op. Cit., p. 8.

(765) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.93.

(766) J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 5, Op. Cit., p.184 – 187.

انعكس تخلي البورغنديين عن حلفائهم الإنجليز على مسار الفعاليات القتالية، فاستعاد الفرنسيون باريس ربيع عام ١٤٣٦^(٧٦٧)، وادى الحراك العسكري الفرنسي واسع النطاق إلى تشطي القيادة داخل مملكة فرنسا الإنجليزية، ورغم مكانة المستشار لويس دي لوكسمبورغ (Louis of Luxembourg) (١٤١٥-١٤٤١) البارزة، فإن صفته كـ أسقف تروا ورعويته البورغندية وضعتة - مع أخيه جان دي لوكسمبورغ وابن أخيه كونت سان بول - في موقف حرج حال دون اتخاذهم إجراءات حازمة ضد الفرنسيين المتحالفين مع دوق بورغندي. وما زاد من تعقيد الوضع هو شغور منصب الوصي وعدم اختيار المجلس الملكي خلفاً له، مما جعل عبء اتخاذ القرارين السياسي والعسكري يقع بالكامل على عاتق سنشال نورماندي ولورد سكيلز توماس, Thomas (Lord Scales)، الذراع اليمنى لدوق بيدفورد وأحد أبرز القادة الإنجليز وأكثرهم خبرة وأطولهم خدمة^(٧٦٨).

شرع دوق بورغندي فيليب الطيب في ٩ تموز ١٤٣٦، بعملية عسكرية كبرى نظمتها بورغندي لحصار مدينة كاليه، لكن جميع محاولاته ومسايعه باءت بالفشل وذهبت ادراج الرياح، بسبب صمود حامية كاليه الإنجليزية والصعوبات المالية، والظروف المناخية وغيرها من العوامل^(٧٦٩)، ورغم محاولة الأسطول الفلمنكي اقتحام ميناء كاليه في ٢٥ تموز ١٤٣٦، إلا أن الاستحضارات العسكرية والدفاعات الإنجليزية المحكمة حالت دون ذلك. وفي ٢٨ تموز من العام نفسه، اضطر دوق بورغندي للانسحاب من أمام أسوار كاليه من دون تحقيق أي مكسب يُذكر، مما أتاح للحامية الإنجليزية الخروج والاستيلاء على كميات كبيرة من المؤن والمدافع التي تركها البورغنديون اثناء انسحابهم السريع^(٧٧٠).

(767) Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol. 7, p.439.

(768) Richard Ager Newhall, Muster and Review A Problem of English Military Administration 1420 – 1440, Harvard University Press, Cambridge, 1980, p.131 – 132.

(769) Jehan De Waurin, Tome 4, Op. Cit., p.157.

(770) Maurice Keen, The Laws of War in the Late Middle Ages, Routledge & K. Paul, London, 1965, p.120.

وصل الجيش الإنجليزي بقيادة دوق غلوسستر في ٢ آب ١٤٣٦ لإغاثة كاليه، لكنه وجد أن قوات دوق بورغندي قد انسحبت، فانتهاز الفرصة وأغار بقواته على الفلاندرز، مُحرقاً العديد من مدنها قبل أن يعود إلى كاليه محملاً بالغنائم^(٧٧١)، وفي الوقت ذاته، حققت القوات الإنجليزية تقدماً ملحوظاً في نورماندي السفلى منذ مطلع آب ١٤٣٦، فاستعادت خلال أربعة أشهر معظم مدن نورماندي السفلى ومدينة فيكامب (Fécamp) وكذلك قلعة ليلبون، باستثناء مينائي هارفلر ودييب^(٧٧٢).

هاجم دوق بورغندي في كانون الأول ١٤٣٧، قلعة لو كروتوي (Le Crotoy Castle) الاستراتيجية الواقعة على الضفة الشمالية من خليج السوم، في منطقة بيكاردي شمال فرنسا. وفرض عليها حصاراً محكماً بالتعاون مع كبار القادة الفرنسيين - الأرمانيكين بهدف إخراج القوات الإنجليزية منها^(٧٧٣)، فتحرك اللورد جون تالبوت (John Talbot) (١٤١٤-١٤٥٣)، لإنقاذ القلعة بسرعة، فعبر نهر السوم عند معبر بلانتجيك (Blanchetaque)، لكنه لم يهاجم البورغنديين مباشرة، بل استخدم أسلوب الحرب النفسية عبر التفافه حول قلعة لو كروتوي وشن غارات مدمرة على ممتلكات الأرمانيك جنوب بيكاردي استمرت عشرة أيام. فأرعبت تلك الغارات الفرنسيين، بما فيهم القوات البورغندية المحاصرة للقلعة، فاضطروا إلى رفع الحصار عن القلعة والانسحاب بسرعة دون قتال، خوفاً من مواجهة تالبوت وجنوده المحنكين، فنجت القلعة واستمرت تحت السيطرة الإنجليزية^(٧٧٤).

المبحث الرابع

التحديات التي واجهها الدوق فيليب الطيب في فرنسا

والمدن الفلمنكية ١٤٣٧ - ١٤٥٣

ازدادت حدة التوتر في العلاقات بين الملك شارل السابع ودوق بورغندي فيليب الطيب ابتداءً من حزيران ١٤٣٧، حين بدأت عصابات الإيكورشر أعمالها التخريبية. وهم مرتزقة في خدمة الملك مارسوا أعمال النهب في أراضي بورغندي من الجنوب إلى الشمال. ففرضت مقاطعة بورغندي ضريبة مقدارها ٦,٦٠٠ كرونة لمواجهة نحو أربعة عشر ألف من الإيكورشر بقيادة رودريج دي فيلاندراندو، كما عانت هينو وبيكاردي

(771) R. A. Griffiths, Op. Cit., p.204 – 205.

(772) H. Moranvillé, Op. Cit., p.276 – 277.

(773) Richard Vaughan, Philip the Good ..., p.84.

(774) Alfred W. Pollard, Op. Cit., p.49.

من اعتداءاتهم. ورغم مناشدات وإلحاح فيليب الطيب، فإن أوامر الملك بمنعهم من دخول بورغندي بقيت بلا جدوى، مما زاد الشرخ بين الطرفين^(٧٧٥).

أقدم الدوق فيليب الطيب عام ١٤٣٧ على تعيين ابن عمه كونت إيتامب جان بورغندي (Count of Étampes, John of Burgundy) (١٤٣٧-١٤٦٥)، ملازماً وقائداً عاماً له على أميان وبونتيو وسان كونتين وبيرون ومونتيدييه وروي، بعد أن أجر بيرون وروي ومونتيدييه إليه لمدة خمسة عشر عاماً. وقد جاء ذلك الإجراء كحل مالي مباشر هدفه تسديد الديون المتراكمة على الدوق عبر تحويل إيرادات تلك المدن إلى كونت إيتامب طوال مدة العقد. وتعكس تلك الخطوة جانباً من السياسة المالية الواقعية - البراغماتية التي اتبعتها فيليب الطيب للحفاظ على توازن موارده دون التفريط المباشر بأموال الدوقية^(٧٧٦).

واستناداً لما سبق يعكس ذلك الإجراء سياسة فيليب القائمة على تفويض السلطة الإقليمية لأفراد أسرته الموثوقين، بما يضمن ترسيخ السيطرة البورغندية على تلك المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية في شمال فرنسا.

تعرضت البلاد لمزيد من الانتكاسات على يد الإنجليز في بيكاردي وبروج عاصمة فلاندرز، ومن خلال ذلك اندلعت "ثورة بروج" عام ١٤٣٧ ضد مركزية فيليب، والضرائب الجديدة المفروضة، وتدخل بورغندي في الشؤون المحلية، مما أدى إلى تفاقم الصعوبات الاقتصادية وتهديد استقلال المواطنين، ونتيجة لذلك، شارك الدوق فيليب في مفاوضات مع الإنجليز في جرافيلين (Graveline)، في شباط ١٤٣٨ من أجل حماية المصالح الاقتصادية لفلاندرز^(٧٧٧)، وفي ٢٣ أيار ١٤٣٨، أصدر فيليب دوق بورغندي رسالة موجهة إلى سكان ماركنتر (Marketner)، أعلن فيها إعفائهم من الضرائب، والرسوم المتأخرة، والمستحقات المالية الواجبة عليهم، جاء ذلك الإعفاء بهدف مساعدتهم على إعادة بناء السدود والخنادق وقنوات الري الزراعية التي تضررت

(775) J. De.Fréminville, Op. Cit., p.87-88, 141-143.

(776) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .1, Edited By: G. Du Fresne De Beaucourt, Librairie Renouard, Paris, 1863, p.25.

(777) Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol. 7, p.439.

بفعل الفيضانات والحروب، وهي خطوة تعكس اهتمام الدوق بإعادة إعمار المناطق الزراعية وتعزيز الاستقرار الاقتصادي داخل دوقيته^(٧٧٨).

ذكرت حوليات بورغندي أنّ حصار مارسيني (The Siege of Marcigny) عام ١٤٣٨ الواقعة على بُعد نحو ١٥ كم شمال روان، جاء ضمن سلسلة عمليات عسكرية نفّذها فيليب الطيب شمال روان، في محاولة لإحكام سيطرته على الأراضي المتنازع عليها في نورماندي. وترسيخ سلطته كدوق بورغندي وإظهار قوته العسكرية في مواجهة خصومه المحليين، ضمن سياق الصراع القائم بين البورغنديين والأنصار الدوفينيّين في المنطقة^(٧٧٩).

مطلع عام ١٤٣٩، بدأت مفاوضات جديدة على سلام دائم بين فرنسا وإنجلترا. وفي الوقت نفسه، إبرام تفاهم إنكلو-فلمنكي، ووقع دوق بورغندي فيليب الطيب معاهدة جرافيلين (The Treaty of Gravelines) في تموز ١٤٣٩، مع ملك إنجلترا هنري السادس، مما سمح باستئناف التبادل التجاري بين إنجلترا والأراضي البورغندية بعد سنوات من التوقف بسبب الحرب، وبحلول بداية أربعينيات القرن الخامس عشر، تمكن دوق بورغندي، دون خسائر كبيرة، من وضع نفسه على هامش الصراع الإنكلو-فرنسي^(٧٨٠).

دخل فليب الطيب بالتعاون مع زوجته إيزابيلا البرتغالية، في مفاوضات مع الإنكليز لإطلاق سراح شارل دوق أورليان أُسر في معركة أجينكورت وظل في الأسر لمدة خمسة وعشرين عاماً. ووُقعت معاهدة إطلاق سراحه في ٢ تموز ١٤٤٠، بعد دفع فديته قدرها مئتان وأربعون ألف كرونة ذهب، وكان يُشترط دفع ربعها قبل إطلاق سراحه. وبفضل جهود دوق ودوقة بورغندي تم جمع المبلغ نهاية تشرين الاول ١٤٤٠،

(778) Henri Potez, Op. Cit., Vol. 50, p.299.

(779) Jehan De Waurin, Tome 4, Op. Cit., p.214-217 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome II, Op. Cit., p.287-289.

(780) Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol, 7, p.439.

مما أفضى إلى تحرير شارل دوق أورليان بعد طول أسر ، واستقبله دوق ودوقة بورغندي والسفراء الفرنسيون في جرافيلين^(٧٨١).

في ١١ تشرين الثاني ١٤٤٠ ، رحّب دوق بورغندي بحماس بدوق أورليان ، وبعد أيام من الاحتفالات في سان أومير ، زوّجه من ابنة أخته ماري دي كليفز (Marie de Clèves) في ٢٦ تشرين الثاني من العام أعلاه ، التي وعدّها بمهر قدره أربعة ملايين قطعة ذهبية ، وألزمه باليمين على معاهدة أراس ، وأخيراً منحه لقب فارس من فرسان الصوف الذهبي في ٣٠ تشرين الثاني من العام نفسه ، وفي ١٨ كانون الاول ١٤٤٠ ، أبرم معه تحالفاً هجومياً ودفاعياً ، وفي ١٩ كانون الاول من العام نفسه ، تم توقيع هدنة لمدة أربعين عاماً مع دوق بريتاني^(٧٨٢).

أرسل فيليب الطيب في عام ١٤٤١ ، أسطولاً قوامه سبع سفن بقيادة الفارس البورغندي جيفروي دي ثوازي (Geoffroy de Thoisy) ، وذلك لمساندة مدينة رودس التي كانت مهدّدة بهجوم عثماني. واصلت السفن البورغندية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود أنشطتها ، التي لا يمكن وصفها إلا بالقرصنة ، مثل ذلك التدخل البحري المبكر إحدى بوادر انخراط بورغندي في المواجهة ضد الأتراك ودليلاً على طموح الدوق في لعب دور مسيحي أوسع يتجاوز حدوده الإقليمية^(٧٨٣).

قرر فيليب الطيب عام ١٤٤١ رفع شكاواه إلى الملك شارل السابع ، لكنه تجنّب التفاوض المباشر معه لعدم لقائهما من قبل ، ففوّض زوجته إيزابيلا البرتغالية التي أثبتت مجدداً كفاءتها كوسيلة دبلوماسية. كان موضوع الإيكورشر في صدارة الاهتمامات ، فانطلقت إيزابيلا من لو كينوا في ٩ نيسان ١٤٤١ محمّلة بالتقارير التي

(781) Denise Hillard-Villard, Relations Diplomatiques Entre Charles Vii Et Philippe Le Bon De 1435 À 1445, (Unpublished Doctoral Thesis), École Des Chartes Paris, 1963, p.82 ; Monique Sommé, Isabelle De Portugal ..., Op. Cit., p.383- 404.

(782) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .3, Op. Cit., p.1-3 ; Jehan De Waurin, Tome 4, Op. Cit., p.293-299.

(783) Jacques Paviot, La Politique navale des ducs de Bourgogne 1384-1482, Univ. Septentrion, Lille, 1995, p.105-113.

تتضمن شكاوى الدوق. استُقبلت من قبل الملك وولي العهد في لاون، ودارت محادثات ودية عرف بـ "محادثات لاون" (The Negotiations of Laon)، وزارت شارل السابع مراراً لتعرض مطالبها. غير أن الملك اعتبر تلك المطالب ضارة بمصالحه، مما دفعها إلى تقصير إقامتها، فاستأذنت الملك وغادرت^(٧٨٤).

عاد دوق أورليان شارل عام ١٤٤١ من فرنسا لزيارة فيليب الطيب دوق بورغندي، الذي كان يقيم آنذاك في بلدة هيسدين. وعندما علم دوق بورغندي بقدومه، ذهب لاستقباله بحفاوة، ثم دخلا هيسدين معاً. أقام دوق أورليان ثمانية أيام واحتقلا بعيد جميع القديسين، وخلال تلك المدة، عقد الدوقان اجتماعات عديدة ذات أهمية متميزة، تناولت شؤونهما المشتركة والعلاقات بينهما، في أجواء اتسمت بالودّ والمساخي الدبلوماسية الهادئة^(٧٨٥).

أبرم فيليب الطيب في ٤ تشرين الأول ١٤٤١، معاهدة هيسدين (The Treaty of Hesdin) مع عمته إليزابيث غورليتز، دوقة لوكسمبورغ. وبموجبها، تنازلت الأخيرة لفيليب عن جميع حقوقها في الدوقية مقابل راتب سنوي قدره سبعة آلاف فلورين، وجعلته وصيها ووريثها الشرعي، ومع ذلك لم يتمكن دوق بورغندي من بسط سيطرته الفورية على الدوقية، لأن دوق ساكسونيا وليام الشجاع (William III, Landgrave of Thuringia)، قد اكتسب موقفاً قوياً فيها، فقد تنازلت إليزابيث لوكسمبورغ (Elizabeth of Luxembourg)، ابنة الإمبراطور الروماني الراحل سيجيسموند ووريثته الوحيدة، وزوجة دوق النمسا ألبرت الثاني هابسبورغ (Albert II of Germany) (١٤٣٧-١٤٠٤) عن حقوقها في ملكية دوقية لوكسمبورغ وكونتية غيني لابنتها الكبرى آن وصهرها وليام ساكسونيا، نتيجة وفاة زوجها وضعف مواردها المالية وعدم قدرتها على متابعة سياساته ومطالباتها بلوكسمبورغ. وأمام تلك التعقيدات حاول فيليب الطيب إيجاد تسوية سلمية بالتفاوض مع الإمبراطور الروماني المقدس

(784) Monique Sommé, Isabelle De Portugal ..., Op. Cit., p.401-405.

(785) L. Douët-D'arcq, Tome .6, Op. Cit., p.25 – 26 .

فردريك الثالث (Frederick III) (١٤٢٤-١٤٩٣)^(٧٨٦)، لكن كل تلك الجهود لم تقضِ إلى نتيجة^(٧٨٧).

ومع تزايد خطورة التهديدات لبورغندي، اضطر الدوق إلى مغادرة هولندا في تشرين الثاني ١٤٤١ لتنظيم الدفاع، وترك لإيزابيلا السلطة الكاملة للحكم في غيابه^(٧٨٨)، عقد دوق بورغندي مؤتمراً سياسياً آخر في ريثيل، عُرف في المصادر بـ مؤتمر ريثيل، في ٨ - ٩ كانون الأول ١٤٤١ جمعه بـ دوق أورليان، في إطار المساعي الدبلوماسية الرامية إلى معالجة التوترات القائمة بين الطرفين والسعي إلى تسوية الخلافات داخل النخبة الأميرية الفرنسية^(٧٨٩)، كذلك قدم الدوق مطالبه مرة أخرى إلى ممثلي الملك في مؤتمرات نيفير في كانون الثاني ١٤٤٢، لكن دون جدوى. وذلك بسبب توتر العلاقات الفرنسية - البورغندية في البلاط الفرنسي، ومعادات الحزب الأنجوي لفيليب الطيب، واستمرت العلاقات الفرنسية - البورغندية بعد ذلك بالتدهور وتزايدت مصادر الخلاف^(٧٩٠).

(٧٨٦) (١٤١٥-١٤٩٣): ولد في ٢١ ايلول في مدينة إنسبروك، وهو الابن البكر لدوق النمسا إرنست الحديدي، من زوجته الثانية، سيمبورجيس من ماسوفيا، أصبح دوق النمسا بعد وفاه والده عام ١٤٢٤، الالقاب الملكية التي حصل عليها الإمبراطور الروماني المقدس- ملك إيطاليا (١٤٥٢-١٤٩٣)، ملك الرومان - ملك ألمانيا (١٤٤٠-١٤٩٣)، للمزيد ينظر: Christian Kahl, Lehrjahre Eines Kaisers – Stationen Der Persönlichkeits entwicklung Karls V. 1500 – 1558 Eine Betrachtung Habsburgischer Fürstenerziehung – Bildung Zum Ende Des Mittelalters, Unpublished Doctoral Thesis, Universität Trier, German, 2008, p.55.

(787) Olivier De La Marche, Tome 4, Op. Cit, p.1 – 11.

(788) Monique Sommé, Isabelle De Portugal ...,Op. Cit., p.401 – 405.

(789) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .3, Op. Cit., p.1 – 3.

(790) Ibid, p.2-3.

جرت في عام ١٤٤٢ مفاوضات في مدينة الروان تحت إشراف الدوقة إيزابيلا البرتغالية. التي مثلها في المباحثات جان دي لوكسمبورغ، فيما أكدت رسالة ملكية صادرة عنها أن قرار دخولها في المفاوضات ووقف الأعمال الحربية جاء استناداً إلى السلطة الممنوحة لها في الأراضي المنخفضة من قبل زوجها دوق بورغندي. لإدارة أقاليمه وإقطاعاته في غيابه، وهو ما جعلها صاحبة الدور المحوري في إدارة مسار الهدنة^(٧٩١).

بعد معاهدة جرافيلين، أبرمت هدنة في ديجون في ٢٣ نيسان ١٤٤٣ بين هنري السادس ملك إنجلترا وفيليب الطيب، مما أتاح للدوق أن ينسحب تدريجياً من أتون الصراع الفرنسي - الإنجليزي، مع حفاظه على نفوذه في السياسة الفرنسية، مما إرسى السلام بين إنجلترا وبورغندي وسمح بتمتية التجارة في بحر الشمال ووقف جميع الأعمال العدائية على الأرض^(٧٩٢).

أجبرت الصعوبات المالية إيزابيث غورليتز، زوجة انتوني عم فيليب الطيب، وابنة أخ الإمبراطور الروماني المقدس سيغيسموند الاستعانة بفيليب الطيب ضد الساكسونيين وتعيينه وريثاً وحيداً لها، فمنح فيليب الطيب إيزابيث غورليتز معاشاً تقاعدياً كبيراً مدى الحياة، ثم سار لغزو لوكسمبورغ مع قواته في ٢١ تشرين الثاني ١٤٤٣، واستولى على الدوقية، وبذلك توغل في عمق أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مما أثار احتجاجاً عنيفاً من الإمبراطور سيغيسموند. وإلى جانب دوقية بورغندي، ومقاطعة بورغندي الحرة، ومقاطعة فلاندرز التي ورثها، شكل فيليب بذلك إقليماً من الأراضي على جانبي الحدود بين فرنسا وألمانيا^(٧٩٣).

احتل الدوفين لويس الحادي عشر (Louis XI) (١٤٦١-١٤٨٣)^(٧٩٤)، نجل شارل السابع، خلال حملة ضد السويسريين في عام ١٤٤٤، منطقة مونتبيليارد التابعة

(791) Monique Sommé, Isabelle De Portugal ..., Op. Cit., p. 396-399.

(792) Ibid, p.335-401.

(793) The Book of The Deeds of The Good Jacques De Lalaing, Op. Cit., p.17-18.

(٧٩٤) (١٤٢٣-١٤٨٣): الابن البكر لـ ملك فرنسا شارل السابع، وُلد في بروج، تزوج من شارلوت ابنة دوق سافوي، أصبح ملكاً عام ١٤٦١، ولقب بالعديد من الألقاب كالحكيم والماكر والعنكبوت العالمي نظراً لشبكة المؤامرات التي دبرها، أنشأ مكاتب البريد لأول مرة في فرنسا،

لدوق بورغندي، وفي ٢٨ آيار ١٤٤٤، توصل الملك هنري السادس وشارل السابع ودوق بورغندي فيليب الطيب إلى اتفاق يقضي بعقد هدنة في مدينة تورز عرفت بـ هدنة تورز (Les trêves de Tours)، للتفاوض حول شروط السلام وإمكانية إبرام تحالف زواج بين إنكلترا وفرنسا^(٧٩٥).

وأخيراً، استفاد شارل السابع من فترة الهدوء التي منحتها إياها هدنة تورز لإعادة تنظيم جيشه بتشكيل سرايا دائمة من المرتزقة عرفت بـ عصابات الإيكورشر. وقد خلقت تلك العصابات وضعاً مقلقاً بالنسبة للحكومة البورغندية. ولذا رغب فيليب الطيب في استئناف المفاوضات مع شارل السابع. أما الأخير، فعلى خلاف ما قد يبدو ظاهرياً، لم يكن معارضاً لتهدئة علاقاته مع دوق بورغندي. إذ كان هدفه الأساسي آنذاك هو مواصلة الحرب ضد إنكلترا واستعادة المملكة، ولم يكن يرغب في تجديد الأعمال العدائية مع بورغندي، الأمر الذي كان يمكن أن يؤدي إلى تقارب جديد بين الإنكليز والبورغنديين^(٧٩٦).

عُقدت مؤتمرات في ريمس في أذار ١٤٤٥، ثم في شالون في ١٣ آيار ١٤٤٥، لتسوية الخلافات بين الملك ودوق بورغندي منذ معاهدة أراس^(٧٩٧)، ومثلما حصل في لاون، قاد وفد بورغندي إلى مؤتمرات شالون الدوقة إيزابيلا البرتغالية، التي كانت تؤدي حينها دوراً محورياً في العلاقات الثلاثية بين فرنسا - وإنكلترا - وبورغندي. وقد أعدت دوق بورغندي قائمة بالشكاوى والاعتراضات الرئيسة في اثنين وثلاثين مادة، من أبرزها: احتلال القوات الملكية لبعض المواقع في دوقية لوكسمبورغ، وتعويض الأضرار التي تسبب بها جنود الملك المرابطون في الحاميات على حدود مقاطعة

للمزيد ينظر: Joseph Thomas, The Universal Dictionary of Biography and Mythology, Vol. 3, Cosimo Inc, New York, 2010, p.1457 ; Charles George Herbermann, Edward Apace, et al The Catholic encyclopedia; an international work of reference on the constitution, doctrine, discipline, and history of the Catholic Church, Vol. 9, Encyclopedia Press, Incorporated, New York, 1913, p.371.

(795) John A. Wagner, Op. Cit., p.301 – 303.

(796) Urbain Plancher, Vol 4, Op. Cit, p.138 – 143.

(797) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .2, Op. Cit., p.474 – 475 ; Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.16.

بورغندي، عدم اعتقال الملك مرتكبي جريمة مونترو رغم تعهده بذلك في معاهدة أراس، تقاعس ممثل الملك عن تنفيذ بنود معاهدة أراس التي تُلزمه بتأسيس بعض المؤسسات الدينية تكفيراً عن مقتل جون الجسور، ووجود دين قدره خمسة وثلاثون ألف كرونة ذهب في ذمة شارل السابع لفيليب الطيب، من التعويض الذي التزم بدفعه لتعويض الخسائر التي تكبدها الدوق، وتعيين الملك حاجباً لأميان بدلاً من دوق بورغندي وحصول تعدي على حقوق الدوق^(٧٩٨).

وهكذا أثمر العمل الذي قامت به إيزابيلا البرتغالية في ريمس وشالون في تذليل الصعوبات وخفيف من حدة الخلافات بين فيليب الطيب وشارل السابع، ومع ذلك، فإن مؤتمرات ريمس وشالون لم تُنه جميع أسباب الخلاف بين الملك ودوق بورغندي. فقد ظل فيليب الطيب وإقطاعاته عرضةً للمضايقات والاعتداءات. لم تحقق المفاوضات في شالون نتائج ملموسة تُذكر لصالح فيليب الطيب، إذ اقتصر على وعود عامة وتنازلات شكلية دون تلبية جوهر مطالبه السياسية والعسكرية، التنازل الوحيدة الذي قُدم لفيليب هو إخلاء مونتبيلارد، مما جعل الدوق يشعر بخيبة أمل إزاء جدوى التفاوض مع الملك شارل السابع^(٧٩٩).

حينها ركز فيليب قبل كل شيء على ربط إقطاعاته في هولندا بمنطقة بورغندي نفسها، ليقينه أن مستقبله ومستقبل عائلته وضمن استمرار سلالته يكمن في إنشاء مملكة مستقلة خاصة به، وقد خطا خطوة نحو ذلك الهدف حين استولى على ممتلكات ابنه عمه جاكوبيا، واشترى دوقية لوكسمبورغ من عمته إيزابيث غورليتز، ابنة أخ الإمبراطور سيجيسموند^(٨٠٠).

أنشأ فيليب الطيب عام ١٤٤٥ مؤسسة مالية مركزية عُرفت باسم **بنك الادخار** (la Caisse d'épargne)، أوكلت إدارتها إلى أمين الجواهر في بلاطه. شكّلت تلك المؤسسة خطوة مهمة نحو تنظيم الموارد المالية للدوقية، وضبط إيراداتها ونفقاتها، بما

(798) Monique Sommé, Isabelle De Portugal ..., Op. Cit., p.398 - 417.

(799) Denise Hillard-Villard, Op. Cit., p.83 ; Monique Sommé, Isabelle De Portugal ..., Op. Cit., p.399 – 415.

(800) W. T. Waugh, Op. Cit., p.277.

ينسجم مع سياسة فيليب في تعزيز البنية الإدارية والاقتصادية لدولة بورغندي الناشئة^(٨٠١)

في إطار الاتصالات الدبلوماسية بين أراغون وبورغندي لتنسيق الجهود من أجل حملة صليبية، نشأت علاقات وثيقة بين البلاطين. ونتيجة لذلك، أصبح ألفونسو الخامس العظيم ملك أراغون (Alfonso V) (١٤١٦-١٤٥٨)^(٨٠٢)، أول ملك أجنبي يصبح عضواً في فرسان الصوف الذهبي في مدينة غنت في كانون الأول ١٤٤٥. وفي المقابل وبعد عام واحد فقط، وكعربون متبادل للصداقة والتحالف وكنوع من تبادل الشرف والمكانة، قبل فيليب الطيب في عام ١٤٤٦ عضواً في وسام الجرة الارغوانية^(٨٠٣) (Ordre de la Jarra)^(٨٠٤).

(801) P. Kauch, Le Trésor De L'épargne, Création De Philippe Le Bon, Revue Belge De Philologie Et D'histoire Année, Belgium, Tome 11, Fasc. 3-4, 1932, 11-3-4, p.703 – 719.

(٨٠٢) (١٣٩٦-١٤٥٨): الملقب بـ "العظيم" اعتلى عرش أراغون عام ١٤١٦، ثم توج ملكاً على نابولي عام ١٤٤٢ بعد صراع طويل في إيطاليا. مثل عهده ذروة التوسع الأراغوني في حوض البحر المتوسط، وتميّز بنشاط دبلوماسي وعسكري واسع، إلى جانب رعاية ملحوظة للثقافة، واتخاذ نابولي مركزاً فكرياً بارزاً. توفي ٢٧ حزيران، للمزيد ينظر: Ryder, A. F. C, Alfonso The Magnanimous King of Aragon, Naples and Sicily, 1396-1458, Clarendon Press Oxford, 1990, p.1 – 21.

(803) The Book of The Deeds of The Good Jacques De Lalaing, Op. Cit., p.21.

(٨٠٤) وسام فروسية أراغوني انشأه ملك أراغون فرناندو الأول عام ١٤١٠، بهدف تعزيز الولاء الملكي وتكريم النبلاء المتميزين في الخدمة العسكرية والسياسية للتاج الأراغوني. استمدّ الوسام اسمه من الجرة (Jar) التي ترمز إلى العذراء مريم ومن الغريفون، وهو كائن أسطوري يرمز إلى القوة والحراسة والسيادة. ويقال إنه خلال احتفالات عيد البشارة في ١٥ آب ١٤٠٣ بمدينة مدينا ديل كامبو، وزّع على أبنائه وفرسانه أطواق وسامه، الذي سُمّي في البداية "جرة التحية"، ثم عُرف لاحقاً باسم "وسام الجرة الارغوانية"، للمزيد ينظر: D'arcy Jonathan Dacre Boulton, The Knights of The Crownthe Monarchical Orders of Knighthood

أنشأ فيليب الطيب في عام ١٤٤٦ غرفة حسابات هولندا (Chambre des Comptes de Hollande)، التي اتخذت من لاهاي مقراً لها، وأُنيط بها الإشراف على الشؤون المالية ومراقبة الإيرادات والنفقات في هولندا وزيeland وفريزلاند. مثلت تلك الخطوة امتداداً لسياسة فيليب في مركزية الإدارة المالية عبر مؤسسات متخصصة. وإلى جانب ذلك، اعتمد فيليب الطيب ثم ابنه شارل الجريء على الائتمان المالي على نطاق واسع، ما أتاح لهما تمويل مشاريعهما السياسية والعسكرية الطموحة وتعزيز نفوذ الدوقية داخل الأراضي المنخفضة وخارجها^(٨٠٥).

فرض فيليب الطيب ضريبة جديدة على الملح، ثلاثة فلوس على كل مكيال لمدة اثني عشر عاماً، لجمع الإيرادات المطلوبة، مقابل الاستغناء عن جميع الإعانات الأخرى، وفي كانون الثاني ١٤٤٧، رفض سكان غنت قبول فرض ضريبة جديدة على الملح لأن الملح كان ضرورة حيوية لمصايد الأسماك الفلمنكية، ومنذ ذلك الحين تزايدت المعارضة للسلطة البورغندية وتمردت مدينة غنت ضد الحكم البورغندي^(٨٠٦). ولم تبدأ الروح الملكية بالظهور إلا بعد أن أصبح فيليب الطيب دوقاً. وهناك مجموعة متنوعة من الأحداث التي شهدتها عهد فيليب، من توسطه في مؤتمر أراس إلى إنشائه وسام الصوف الذهبي، مثلت شواهد على توجهه نحو استقلال حقيقي، وفي تشرين الأول ١٤٤٧ أرسل فيليب الطيب سفيراً، أدريان فان دير إي (Adrian Van der Ee)، إلى بلاط فردريك الثالث، بهدف ترسيخ مكانة فيليب القانونية داخل الإمبراطورية. أمر فان دير إي بأن يقترح على الإمبراطور منح فيليب لقباً ملكياً داخل حدود الإمبراطورية، وقد تضمنت تعليمات السفير المكتوبة عدداً من الإشارات إلى لوثر ومملكته القديمة. ويُفترض أن لقب ملك لوثرينجيا كان هو اللقب الذي كان في ذهن فيليب. عرض الدوق تقديم الولاء لفردريك إذا كان اللقب الملكي دائماً وراثياً. رفض فردريك الموافقة على ذلك المخطط، فتم إسقاط الأمر على الفور. ونظراً لتوافر

In Later Medieval Europe 1325-1520, The Boydell Press, New York, 2000, p.330 – 331.

(805) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.255-256.

(806) Ruth Putnam, Op. Cit, p.28 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .1, Op. Cit., p.28-29.

أسباب مشروعة، اعتقد فيليب الطيب أن فردريك كان ضعيفاً في جوهرة، سواءً كفرد أو من حيث سلطاته الفعلية. ولهذا السبب عد الدوق نفسه مستقلاً عن الإمبراطورية من جميع النواحي^(٨٠٧).

عُرض عليه التاج الملكي بصفته تابعاً إمبراطورياً للإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث، وبدأت المفاوضات عام ١٤٤٧، لكن مطالب فيليب كانت تفوق قدرة الإمبراطور على الموافقة. أصرّ فيليب على ضمّ أراضي بورغندي، بالإضافة إلى الأراضي المتبقية غرب نهر الراين وحتى الحدود الفرنسية، إلى مملكته.. فشلت المفاوضات. لكن فيليب لم يتخلّ عن طموحاته^(٨٠٨)، فقام الدوق والدوقة في ٢٢ نيسان ١٤٤٨، بعدة رحلات من بروكسل إلى ليل، الأولى. كانت عبر مونس (Mons) وفالنسيان (Valenciennes) ودويه (Douai)، اما الثانية. فكانت عبر بروج^(٨٠٩). في عام ١٤٤٨، احتلت القوات البورغندية البلاد دون صعوبة تُذكر، وظل فيليب متمسكاً بها لبقية حياته، على الرغم من مؤامرات شارل السابع ومطالبات مختلف أفراد عائلة لوكسمبورغ^(٨١٠)، واحتجت الحكومة الملكية عام ١٤٤٨، ضد استخدام فيليب الطيب لقب "دوق بفضل الرب" (Duke by the Grace of God)، لأنها تُعد بحسب مستشاري الملك علامة على إنكار التبعية الإقطاعية، إذ بدا أن دوق بورغندي يؤكد من خلالها أنه يتولى دوقية بورغندي وسائر إقطاعياته لا من ملك فرنسا، بل مباشرة من الرب^(٨١١)، لكنّ ملك فرنسا شارل السابع كان له موقف مغاير من مسألة

(807) Edward Adib Tabri, Op. Cit, p.24.

(808) Kathleen Louise Kenyon, Op. Cit, p.16.

(809) Edward Tabri, Political Culture In The Early Northern Renaissance: The Court of Charles The Bold, Duke of Burgundy (1467-1477), Mellen Press, 2004, p.55 – 56.

(810) W. T. Waugh, Op. Cit, p.277.

(811) Denise Hillard-Villard, Op. Cit., p.197.

ألقاب دوق بورغندي، إذ اشارت رسائل الملك التي وجهها لـ فيليب الطيب في أجازته ومنحه الإذن بحمل لقب "دوق بفضل الرب" دون أن يطالب بأي حقوق إضافية^(٨١٢) كشف ذلك الموقف عن حسابات دبلوماسية دقيقة اتبعتها شارل السابع للحفاظ على توازن العلاقة مع الدوقية البورغندية ومكانة الدوق داخل التسلسل الهرمي للإمبراطورية الفرنسية، فهو اعترف للدوق باللقب الشرفي من غير أن يفتح الباب لمطالبات سيادية أو توسعية، مما يعكس رغبة الملك في احتواء النفوذ البورغندي عبر ضبط الشكل البروتوكولي للعلاقة من دون الدخول في نزاع مباشر حول الصلاحيات، لتثبيت العلاقة الدبلوماسية دون تصعيد أو نزاع.

غادر الدوق فيليب الطيب في تموز ١٤٤٩ لحضور البطولة التي أُقيمت في محيط سانت أومير (Saint-Omer) في سياق التقاليد البلاطية التي جمعت بين الاستعراض الفروسي والرمزية السياسية^(٨١٣)، وفي إطار التحضيرات العسكرية اللاحقة، منح الدوق في ١٨ تشرين الأول ١٤٤٩ هبة مالية قدرها مئتان وأربعون ليرة إلى مستشاره السير بيتر فايس (Pierre de Vieux-Châtel) تعويضاً عن جواده وملابسه، ولمساعدته على تغطية النفقات المترتبة على مشاركته في المسيرة العسكرية المرتقبة قرب شالون- سور- ساون، التي كان من المقرر أن يشارك فيها إلى جانب الفارس جاك دي لالينج (Jacques de Lalaing)، وعكست تلك المنحة الدور الميداني الذي أدّاه رجال البلاط البورغندي، فضلاً عن سياسة الدوق القائمة على الدعم المالي المنهجي لنبلائه عند تكليفهم بمهام ميدانية - عسكرية تتطلب تجهيزات ونفقات استثنائية^(٨١٤).

(812) Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 1 ..., p.202.

(813) Monique Sommé, La Jeunesse De Charles Le Téméraire D'après Les Comptes De La Cour De Bourgogne, Revue Du Nord, University – Lille, Tome 64, N.254-255, 1982, p.748.

(814) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .1, Op. Cit., p.274-275.

خلال مفاوضات فيليب الطيب مع مدينة غنت في كانون الثاني ١٤٥٠ فجرّ الدوق خلافاً جديداً بين الطرفين، بعد كشفه خطأ اعتبرها أهل غنت تهديداً لامتيازاتهم القضائية ولنطاق نفوذ الحرفيين فيها^(٨١٥)، وفي العام التالي ١٤٥١، دعا الدوق ممثلي أعضاء فلاندرز الأربعة^(٨١٦)، لفرض ضريبة على الملح، كانت من العوامل المباشرة التي أسهمت في اندلاع الحرب بينه وبين أهل غنت^(٨١٧)، وفي صيف ١٤٥١ دبّر سكرتيه بيتر بودان^(Peter Baudins)، مؤامرة للسيطرة على حكومة المدينة، لكنها فشلت. ومع تصاعد التوتر، أقدمت غنت في أوائل ١٠ كانون الاول ١٤٥١ على إلغاء مؤسساتها النظامية بما في ذلك مجلس المدينة، وأسندت إدارتها لثلاثة قادة منتخبين، كما أعدم عددًا من أنصار الدوق. وأرسلت المدينة رسائل استغاثة إلى بروج، لياج، وتورناي ولملك فرنسا شارل السابع طلباً للدعم ضد دوق بورغندي. لكن معظم مدن فلاندرز بقيت خاضعة لسيطرته، ما سمح لفيليب الطيب بالشروع في حصار غنت أواخر ١٤٥١، مكرراً أسلوبه التقليدي في إخضاع المدن المتمردة بالقوة^(٨١٨).

لجأ فيليب الطيب بعد رفض السكان لضريبة الملح إلى أساليب غير مباشرة لتحقيق مآربه، وبدأ يتلاعب بالانتخابات لضمان تعيين قضاة مطيعين. أدى ذلك

(815) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.384 – 386 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .3, Op. Cit., p.407 – 410.

(٨١٦) تنقسم مقاطعة فلاندرز إلى أربعة أقسام رئيسية: أولها. مدينة غنت: وهي أكبر مدن فلاندرز وأكثرها سكاناً، وتشمل أراضي الغرب الخصبة، والقسم الثاني. مدينة بروج: تضم ميناء نيوبورت على البحر، والقسم الثالث. مدينة إيبيرس: تضم مدينتي بيرغن ودونكيرك وعدد من القرى، والقسم الرابع. مدينة كورتريك: تضم مدينتي أودينارد وتيرموند، وعددًا من القرى الأخرى، للمزيد ينظر: M. Jackues Du Clericq, Memoires, Tome .11, Édité Par: M. Petitot, Faucault Libraire, Paris, 1826, p.30-31.

(817) Jehan De Waurin, Tome 1, Op. Cit, p.116.

(818) Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon ..., p.384-386 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .3, Op. Cit., p.407-410.

الاستياء والانزعاج إلى اندلاع ثورة عام ١٤٥٢ في غنت، عندما أقام المتمرّدون حكومةً ديمقراطية وتحذوا الدوق علناً. وعندما اقترب فيليب من المدينة بقوة جُمعت من جميع أنحاء مملكته، أظهر رجال غنت، الذين ساعدتهم العديد من فلاحي المنطقة، روحاً جريئة وعدوانية^(٨١٩).

أشارت الروايات المعاصرة إلى أنّ فيليب الطيب، دوق بورغندي، شنّ سلسلة من الحملات العسكرية ضد مدينة غنت عقب تفاقم تمرّدها عليه واستيلائهم على قلعة جافيري (Gavere Castle)، وقد بعث الدوق في ٢٨ نيسان ١٤٥٢ رسالة إلى الملك شارل السابع يعرض فيها بالتفصيل تجاوزات أهل غنت، مبيّناً رفضهم سلطته وإخلالهم بالاتفاقات والامتيازات السابقة. وبعد هذا الإشعار الرسمي اتخذ فيليب الطيب موقفاً حاسماً، فأعلن الحرب على غنت، في ٣١ آذار ١٤٥٢^(٨٢٠).

بعد سلسلة من عمليات الشد والجذب ضد مدينة غنت المتمردة حدثت معركة روبلموند (Battle of Ruppelmonde) في ١٦ حزيران ١٤٥٢، التي وقعت على حدود بازل وروبلوموند، بسبب فرض الدوق فيليب الطيب ضريبة على الملح والحبوب، وقتل فيها جاك دي لالينج، الذي كان يتمتع بسمعة أوروبية مرموقة باعتباره مرآة للفروسية، وكذلك ابن الدوق اللقيط كورنيل بورغندي أكثر أبناء الدوق غير الشرعيين نفوذاً، بعد طعنة في فمه من قبل أحد الفلاحين، فورث أخيه انطوان بورغندي (Antoine de Bourgogne)، لقب "الأمير الأكبر غير الشرعي لبورغندي" أو "اللقيط الأكبر لبورغندي" وسيادة بيفرين^(٨٢١).

(819) The Book of The Deeds of The Good Jacques De Lalaing, Op. Cit., p.22-27 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome 1, Op. Cit., p.368–369 ; Jehan De Waurin, Tome 1, Op. Cit., p.158.

(820) Monique Sommé, La Jeunesse De Charles Le Téméraire ..., Tome 64, Op. Cit., p.749 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome 3, Op. Cit., p.415-416.

(821) Amédée Renée, Les Princes Militaires ..., p.240-242.

مطلع عام ١٤٥٣، رحّب دوق بورغندي بطلبات التفاوض التي قدمها سكان غنت لأنه وجد نفسه عاجزاً عن حشد قوّة عسكرية كافية لفرض حصار مباشر على غنت، ومن جهة أخرى، كان يخشى على لوكسمبورغ. لذلك السبب رحّب الدوق بمبادرات الغنتيين لفتح باب التفاوض. بدأت المباحثات في ديندرموند في ٢٨ كانون الثاني ١٤٥٣، ثم انتقلت إلى بروج واستمرّت بين شهري شباط وآذار، قبل أن تُستأنف مجدداً في ليل أواخر أيار ١٤٥٣، في وقت كانت فيه قوات غنت قد حقّقت المزيد من النجاحات العسكرية. لكنّ كل تلك الجولات المتعاقبة من التفاوض لم تُفضِ إلى أي شيء. عندها اتّضح لسكان غنت تعنت الدوق في رفضه الحفاظ على امتيازاتهم، فعلّت في صفوفهم صرخة جماعية: "الحرب! الحرب!". وهكذا انتهت المفاوضات وأصبح الحسم للسلاح^(٨٢٢).

بعد ذلك ثار شعب غنت في حزيران ١٤٥٣، الذي يحظى بدعم شارل السابع بشكل علني، فقام فيليب الطيب بتسليح حملة لمعاقتهم وغادر ليل على رأس جيش قوي قوامه ٣٠ ألف مقاتل عازماً على وضع حد لثورة غنت^(٨٢٣)، كما استولى دوق بورغندي على مدينة سيكافيبك (Schendelbeke)، في حزيران ١٤٥٣، بعد ان استسلم سكانها لإرادته، لكنه فور دخوله أمر بشنقهم على الأشجار العالية المحيطة بالمدينة في خطوة هدفت إلى ترسيخ الهيبة البورغندية وردع المدن الأخرى عن مقاومة سلطته، وإرسال إنذار لبقية المتمردين^(٨٢٤).

حاصر فيليب الطيب قلعة جافيري المحصنة، في ١٦ حزيران ١٤٥٣ عندها أصيب أبنة شارل الجريء بضربة رمح في قدمه وتمزق درعة واصيب حصانة اثناء

(822) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .2, Op. Cit., p.80 – 81.

(823) Monique Sommé, La Jeunesse De Charles Le Téméraire ..., Tome 64, Op. Cit., p.749 ; Marcel Brion, Op. Cit., p.55.

(824) Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .2, Op. Cit., p.82-83.

القتال لتحرير والده من الأفواج الفلمنكية التي حاصرت والده^(٨٢٥)، وبعد إخضاع مدينة سيكافيبك وإعدام عدد من سكانها، توجه دوق بورغندي في ٢ تموز ١٤٥٣ مع جيشه، لحصار موقع آخر يُدعى قلعة بوك، يقع على مسافة تُقدر بثلاثة فراسخ من غنت. وخلال العمليات العسكرية، أصيب معلمة السير جاك دي لالينج إصابة قاتلة في رأسه، مما أثار استياء الدوق وغضبه الشديد. إذ حرص على إيدائهم بشدة حتى استسلموا لإرادته، وما إن تم الاستسلام، حتى أمر الدوق بشنق جميع الأسرى وتعليقهم على الأشجار المحيطة بحصن بوك، في مشهد يندرج ضمن سياسة الترهيب التي اتبعتها الدوق لردع المدن المتمردة^(٨٢٦).

تمكن دوق بورغندي فيليب الطيب في يوم الاثنين في ٢٣ تموز ١٤٥٣، من قمع انتفاضة الفلمنكيين أثناء تمرد غنت في الأراضي المنخفضة البورغندية، وشنهم هجوماً غير مدروساً على جيشة، وسحق قوات غنت في معركة جافيري الحاسمة (Battle of Gavere)، واضطروا إلى الاستسلام وقبول شروط الدوق وتوقيع معاهدة جافيري (Treaty of Gavere)، في ٤ أيلول ١٤٥٣ والتي تم بموجبها تقييد امتيازات المدينة وحقوقها وتقليص استقلالها، وإجبار سكانها على دفع تعويضات وغرامة مالية قدرها ثلاثمائة وخمسون ألف إيكو ذهبي وغيرها من الشروط، وهكذا نجح دوق بورغندي في إخضاع أقوى مدينة وأكثرها اضطراباً في فلاندرز، وفرض سلطته عليها بشكل مذهل^(٨٢٧).

تحمل مختلف أشكال الإذلال لكن من المهم عدم فرض ضريبة الملح، وأن فيليب سرعان ما أسبغ بعض الامتيازات على المدينة. في الواقع، كان فيليب قلقاً للغاية، لا سيما من مناشدة غنت لشارل السابع بصفته سيدها وأميرهم العظيم، وسعيه

(825) Amédée Renée, Op. Cit, p.240-241 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .1, Op. Cit., p.44-45 ; Olivier De La Marche, Tome 2, Op. Cit, p.223.

(826) Olivier De La Marche, Tome 2, Op. Cit, p.308 – 309.

(827) Monique Sommé, La Jeunesse De Charles Le Téméraire ..., Tome 64, Op. Cit., p.749 ; Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .3, Op. Cit., p.421-426.

للتدخل في الخلاف بين فيليب ورعيته، كانت أحداث ثورة غنت مزعجة للغاية لفيليب، إذ كان يحتاج إلى كل وقته وطاقته وموارده لتحقيق طموحاته الرئيسية^(٨٢٨).

المبحث الخامس

جهود الدوق فيليب الطيب لتحويل اقطاعاته إلى مملكة، وانعكاسات ذلك على ملوك آل فالوا ١٤٥٤ - ١٤٦٧

شكل سقوط القسطنطينية^(٨٢٩)، ضربة قاسية للمسيحية شعر بها دوق بورغندي فيليب الطيب بشدة معتبراً ذلك الحدث إهانة شخصية، مما جعله أن يقسم على حمل السلاح ضد الكفار. ولكسب تأييد الفرسان والنبلاء لحملته الصليبية الانتقامية، خطط فيليب الطيب لإقامة وليمة ضخمة أذهلت معاصريه، دعا إليها معظم نبلاء أوروبا الغربية، أُقيم ما يُسمى "عيد نذر الدراج" (Banquet du Vœu du Faisan)، مأدبة طيور الدراج في مدينة ليل بفرنسا، بفندق دي لا سال، يوم الأحد ١٧ شباط ١٤٥٤، وكانت أبواب قاعة الاحتفال محروسة من قبل نبلاء يرتدون الزي الرسمي ورماة القوس والنشاب، ووُضعت ثلاث طاولات طويلة في الداخل، وكان مكان الدوق على الطاولة المركزية في الوسط تحت مظلة من المخمل والذهب، ولامست مفارش المائدة المصنوعة من الحرير الدمشقي الأرض، ووُضعت وسائد مطرزة بشعارات نبالة متنوعة على المقاعد الطويلة. كانت امرأة عارية ذات شعر طويل منسدل تتكىء على أحد الأعمدة الكبيرة الداعمة في القاعة، يحرسها أسد حي مقيد بالسلاسل، كانت ترمز لمدينة القسطنطينية التي يحميها أسد فلاندرز، وكان الهدف من تلك المأدبة الترويج لشن حملة صليبية جديدة ضد العثمانيين الذين استولوا على القسطنطينية في العام السابق، ولتكون حدثاً استثنائياً يُضفي على عهود الدوق ونبلائه الصليبية^(٨٣٠).

تعد الرحلة المهمة الوحيدة التي قام بها فيليب الطيب دوق بورغندي خارج أراضيه تلك التي غادر فيها مدينة ليل متوجّهاً إلى ألمانيا، بدعوة من الإمبراطور

(828) W. T. Waugh, Op. Cit, p.277.

^(٨٢٩) سقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية حدث تاريخي مفصلي وقع في ٢٩ أيار ١٤٥٣ م، عندما نجح الجيش العثماني بقيادة السلطان محمد الفاتح باقتحام المدينة بعد حصار شرس دام ٥٣ يوماً، وكان الحدث بمثابة صدمة هزت جميع عروش أوروبا بما فيها دوقات بورغندي، للمزيد ينظر:

Jehan De Waurin, Tome 1, Op. Cit., p.167.

(830) Denise Hillard-Villard, Op. Cit., p.85 .

فردريك الثالث لحضور مجلس النواب التشريعي (الدايت) الذي انعقد في ريغنسبورغ بتاريخ ٢٣ نيسان ١٤٥٤. ورغم جميع التصريحات الصاخبة في ختام الجلسة بشأن تنفيذ الحملة الصليبية البورغندية، لكنها لم تُنفذ قط. ولم يحصل الدوق على أي شيء من فردريك الثالث، وبقيت القضية الأساسية التي دفعته إلى رحلته، والمتمثلة في تنظيم حملة صليبية ضد العثمانيين، دون حل، وبذلك، بدأ أن الهدف الحقيقي من الرحلة الدوقية لم يكن سوى مسعى دبلوماسي انتهى بالفشل^(٨٣١).

أشارت المصادر المعاصرة إلى أن زيارة فيليب الطيب إلى ريغنسبورغ عام ١٤٥٤ لم تقتصر على البعد الصليبي المعلن، بل جاءت أيضاً في إطار سعيه إلى تسوية وضعه القانوني والسياسي داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولا سيما مسألة خلافة لوكسمبورغ والحصول على استثمار إمبراطوري رسمي بأراضيه. غير أن تلك المساعي لم تُكلّل بالنجاح، إذ لم يصدر عن الإمبراطور فردريك الثالث أي اعتراف رسمي بحيازة فيليب لأراضيه الإمبراطورية، وهو ما تؤكد أغلب المصادر المعاصرة، ويعزّز الرأي القائل بأن الرحلة الدوقية، في جوهرها، كانت محاولة دبلوماسية أخفقت في تحقيق أهدافها الأساسية^(٨٣٢).

أراد فيليب استكمال سيطرته على أراضيه في هولندا في تشرين الثاني ١٤٥٥، وعلى الرغم من معارضة رجال الدين والأشخاص المعنيين، أقنع البابا بتعيين ابنه غير الشرعي ديفيد بورغندي، أسقف تيروان، أسقفاً لأسقفية أوترخت التي تقع بين فريزلاند وهولندا، التي كانت صلاحياتها الزمنية تُعادل إمارة كبيرة، لكن لم يتمكن دوق بورغندي من التوصل إلى اتفاق مع سكان أوترخت بشأن تنصيب ابنه ديفيد أسقفاً عليهم، فاضطر إلى اللجوء لإظهار القوة. وبعد أن رأى أهل أوترخت جدية الدوق، وافقوا على المعاهدة التي نصّت على تنصيب ديفيد أسقفاً على أوترخت مقابل دفع أربعة آلاف

(831) Werner Paravicini, Philippe Le Bon En Allemagne (1454), *Revue Belge De Philologie Et D'histoire*, Tome 75, Fasc. 4, 1997, p.967-974 ; *Chronique De Mathieu D'escouchy*, Tome 2, Op. Cit., p.246-247.

(832) Olivier De La Marche, Tome 1, Op. Cit, p.212-216 ; Jehan De Waurin, *Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre*, Tome 5, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1891, p.67-72.

فرنك ذهب سنوياً، وألفي فرنك سنوياً من أسقفية ثيرون. وفي ١٥ آب ١٤٥٦ دخل الدوق مع ابنه إلى مدينة أوترخت على رأس قوات بلغ تعدادها نحو أربعة عشر ألف مقاتل. وبعد تثبيت ديفيد في منصبه، توجه الدوق لحصار مدينة ديفينتر (Deventer)، التابعة لأسقفية أوترخت والتي كانت قد تمرّدت ورفضت طاعة الأسقف. دارت مناوشات بين الطرفين سقط خلالها قتلى وجرحى، ثم تمكن رجال الدوق، بعد أربعة أيام من بدء الحصار، من دخول المدينة وإحراق أجزاء واسعة منها. عندئذٍ بعث أهل ديفينتر برسائل مختومة يتعهدون فيها بطاعة ديفيد، فرفع الدوق الحصار وانتهى النزاع^(٨٣٣).

نجح فيليب في ١٥ آب ١٤٥٦ في تأمين انتخاب ابن أخته أغنيس، لويس بوربون (Louis de Bourbon) (١٤٥٦-١٤٨٢)، وهو شاب فاسق وجاهل في الثامنة عشرة من عمره، أسقفاً على أبرشية لياج، وهي أبرشية أكثر ثراءً. ومع ذلك، لم يكن من السهل على فيليب فرض إرادته على مدينة لياج، وهي مدينة مكتظة بالسكان ومزدهرة، تتمتع بقدرة كبير من الحكم الذاتي، غضب سكان لياج من سوء إدارة أسقفهم الجديد ورذائله، فدخلوا في علاقات مع لويس الحادي عشر^(٨٣٤).

في تاريخ العلاقات بين فيليب الطيب وشارل السابع، تميز عام ١٤٥٦ بتجدد العداء: حين أعلن دوفين فرنسا لويس الحادي عشر، التمرد العلني ضد والده شارل السابع، للبحث عن ملجأ في البلاط البورغندي، فاستمرت العلاقات المضطربة بين شارل السابع وابنه لويس الحادي عشر، فأدى صراع آخر، حول زواج لويس من شارلوت سافوي (Charlotte of Savoy)، التي كان والده يرفضها بشدة، إلى فرار لويس إلى بلاط فيليب الطيب في بروكسل^(٨٣٥).

فرأى دوق بورغندي في ضيفه "المزعج" الذي أعاد إشعال عداء الملك تجاه الدوق، فرصة مثالية لإقامة علاقات ودية لم تكن موجودة أبداً بين شارل وفيليب مع ملك فرنسا المستقبلي، وكذلك لإصلاح الخلاف مع فرنسا، فدلل الدوق ضيفه الملكي بكل الطرق مُظهراً تواضعاً مُبالغاً فيه من خلال منحه قلعة جيناب (Château de

(833) Oeuvres de Georges Chastellain, Vol. I, Op. Cit., p.23-24.

(834) W. T. Waugh, Op. Cit, p.277.

⁸³⁵(Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit.,p.113-114 ; Olivier De La Marche, Tome 2, Op. Cit, p.410 – 411.

(Genappe)، مقرأً لإقامته، فضلاً عن معاش سنوي قدره ستة وثلاثون ألف ليرة، ثم ثمانية وأربعون ألف ليرة ذهب، من جهة أخرى رافض جميع طلبات شارل السابع لتسليم لويس، ويُقال إن شارل السابع أدلى بتعليق لاذع وتنبؤي حين علق قائلاً: "أوى ابن عمي دوق بورغندي ثعلباً، سيلتهم جميع دجاجاته يوماً ما"، وبالفعل فبمجرد تتويجه تابع لويس الحادي عشر سياسات والده بتصميم أكبر، وأقام علاقات شخصية واسعة في البلاط البورغندي شكل من خلالها فصيلاً مؤيداً لفرنسا، ونسج شبكة تحالفات دولية مناهضة لبورغندي التي أفادته حين أصبح ملكاً على فرنسا وابتعد عن بيت بورغندي^(٨٣٦).

وصل سفراء الملك شارل السابع إلى دوق بورغندي في بروكسل في ٢١ كانون الأول ١٤٥٦، حاملين اعتراضين رسميين: الأول. مسألة لويس دوفين فرنسا: حين اتهم ملك فرنسا دوق بورغندي بأنه احتفظ بالابن الوريث في أراضيه خلافاً لإرادة والده، وأنه رفض إعادته رغم الطلبات المتكررة. وثانياً. مسألة الإنجليز: حين اتهمه بأنه عقد هدنات مع الإنجليز، وسمح لهم بالمرور عبر أراضيه والتوغّل في فرنسا لإلحاق الأذى بالرعية، ثم العودة إلى أراضي بورغندي آمين. وقد ردّ فيليب الطيب فوراً، بأن لويس لم يُستدرج ولم يُغوّ، بل لجأ إليه آمناً، وأن ضيافته له كانت تكريماً للملك نفسه. وأكد أنه لم يمنعه يوماً من العودة إلى والده، ولن يُجبره على البقاء أو الرحيل. أما بالنسبة للإنجليز، فأوضح الدوق أن تسللهم لم يكن بإرادته، وأنه عزز حاميات الحدود حول كاليه لمدة عام كامل، ورغم ذلك استطاعت العصابات الإنكليزية العبور والتسبب بأضرار، وأن الأمر وقع رغم جهوده وليس بسبب تقصيره ولم يكن لديه خيار آخر^(٨٣٧). تردد صدّى العلاقات المضطربة بين فيليب الطيب وابنه شارل الجريء، فأدى الشجار بينهم إلى صراع مرير على السلطة في بلاط بورغندي في عام ١٤٥٧. اثر

(836) Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.113-114 ; Olivier De La Marche, Tome 2, Op. Cit, p.410 – 411.

(837) Jackues Du Clericq, Memoires, Tome.11 ..., p.60-62.

ذلك غادر شارل البلاط وتقاعد في ممتلكاته الشخصية في لوكيسنوي (Le Quesnoy) في هينو، وفي جوركوم (Gorcum) في هولندا^(٨٣٨).

أنشأ فيليب الطيب في عام ١٤٥٧ لجنة مالية عليا مؤلفة من ستة أعضاء، مُنحت صلاحيات واسعة للإشراف على الشؤون المالية للدوقية، من جباية الضرائب إلى مراقبة النفقات وتنظيم الموارد، وشكلت تلك اللجنة خطوة إضافية نحو مركزية الإدارة المالية وإحكام الرقابة على الدخل والنفقات في الأراضي البورغندية، وفي عهد ابنه شارل الجريء، تحولت تلك اللجنة إلى مؤسسة دائمة باسم "غرفة المالية" (Chambre des finances)، وهي أبرز أدوات الحكم المالي والإداري في الدولة البورغندية^(٨٣٩).

عقد البابا بيوس الثاني (Pope Pius II) (١٤٥٨-١٤٦٤)، المعروف باسم إينياس سيلفيوس بيكولوميني مؤتمر مانتوفا (Congress of Mantua)، للأمراء في الأول من حزيران ١٤٥٩، لتوحيد القوى المسيحية ضد الزحف العثماني بقيادة محمد الثاني. بيد أن معظم ملوك وأمراء العالم المسيحي أظهروا ترددًا واضحاً، فملك فرنسا شارل السابع لم يُبدِ أي حماسٍ للحملة الصليبية بعد انتهاء حربه مع إنجلترا، أما ملك إنجلترا هنري السادس حالت الحرب الأهلية في بلاده دون مشاركته. بدا دوق بورغندي فيليب الطيب الأمير الوحيد المتحمس للحملة، لكن دعمه المنفرد لم يكن كافياً لتنظيم حملة صليبية عامة، فانتهى مؤتمر مانتوفا إلى الفشل في تحقيق هدفه^(٨٤٠).

اتهم دوق بورغندي فيليب الطيب في عام ١٤٦٠، أبناء زوجته الثانية بون أرتوا بممارسة السحر ضده وضد عائلته في محاولة لاستبدال وريث العرش شارل كونت شاروليه، لتجنب المزيد من المشاكل، هرب شارل كونت نيفيرز إلى البلاط الفرنسي^(٨٤١)، توج لويس الحادي عشر ملكاً لفرنسا في ١٥ آب ١٤٦١ في مدينة ريمس بعد وفاة والده شارل السابع في ٢٢ تموز ١٤٦١^(٨٤٢).

(838) Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit, p.114.

(839) Olivier De La Marche, Tome 4, Op. Cit, p.9-15.

(840) Jacques Paviot, Op. Cit, p.127.

(841) Helena Avelar De Carvalho, Op. Cit., p.233.

(842) Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 3 ..., p.151.

توقفت محاولات احتلال دوقية لوكسمبورغ، إذ تنازل ابنه لويس الحادي عشر، في تشرين الثاني ١٤٦٢، عن جميع مطالبه بتلك الإمارة المتنازع عليها. وقد اعتُبر ذلك التنازل، بحسب شهادة أوليفيه دي لا مارش، علامة امتنان من لويس لفيليب الطبيب، الذي كان قد آواه في بلاطه خلال منفاه الممتد خمس سنوات نتيجة خلافه مع والده شارل السابع. وبالمقابل، كتعويض عن جميع النفقات التي تكبدها ولي العهد آنذاك لصالح بيت بورغندي، دفع لويس الحادي عشر مبلغ عشرون ألف إيكوس، وهو المبلغ نفسه الذي كان والده قد سدّده مقابل حقوق دوقية لوكسمبورغ. وهكذا، أصبحت لوكسمبورغ ميراثاً شرعياً لدوق بورغندي وورثته، لتُحسم نهائياً بعد مرور عشرين عاماً على معاهدة هيسدين^(٨٤٣) فضلاً عن ذلك وعده لويس بالوفاء بشروط معاهدة أراس التي نصت على بناء كنيسة سيلستينية (Celestine Church)، في موقع اغتيال جون الجسور وغيرها من البنود^(٨٤٤).

تفاقم الخلاف داخل أسرة حكم دوقية جيلدرز عام ١٤٦٣، عندما تمرد أدولف (Adolf, Duke of Guelders) (١٤٦٥-١٤٧١)، على والده أرنولد حاكم دوقية جيلدرز (Arnold, Duke of Guelders) (١٤٢٣-١٤٦٥)، زوج كاثرين من كليفرز ابنة اخت فيليب الطبيب ماري بورغندي وأدولف الأول، دوق كليفرز، التي تركت زوجها وأخذت ابنها الأكبر معها، وتوجّهت إلى خالها دوق بورغندي لتبلغه بأن زوجها أرنولد يخطط للإطاحة والغدر به، وبدعم من فيليب الطبيب، اغتصب أدولف الدوقية وأصبح دوقاً وسجن والده في معركة الخلافة على جيلدرز^(٨٤٥).

وأخيراً في ٢٩ حزيران ١٤٦٣ أرسل فيليب الطبيب سفارة إلى روما للاتفاق مع البابا بيوس الثاني على مشاركة بورغندية في حملة صليبية، ونتج عن ذلك توقيع معاهدة ١٩ تشرين الأول ١٤٦٣ بين البابا والبندقية ودوق بورغندي، تنص على مشاركة البورغنديين في الحملة الصليبية. وفي كانون الثاني ١٤٦٤ دعا فيليب الطبيب المجلس العام للدولة لتنظيم شؤون الحكم في غيابه تحضيراً لرحيله. بيد أن مشروعاه واجه معارضة شديدة من نبلائه وضغط مباشر من الملك الفرنسي لويس الحادي عشر

(843) Olivier De La Marche, Tome 3, Op. Cit, p.5.

(844) Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 4 ..., p.10-11.

(845) Bart Van Loo, Op. Cit, p.405-406.

الذي ذكره بواجباته كأمر فرنسي وبخطر الإنجليز على المملكة. تحت تلك الضغوط، أجّل فيليب خطة رحيله لمدة عام، لكنه التزم بعهد البابا بيوس الثاني فأرسل أسطولاً بقيادة ولديه غير الشرعيين أنتوني وبالدين. أبحر الأسطول من سلويس في ٢١ أيار ١٤٦٤ ووصل إلى مرسيليا بعد ثلاثة أشهر، عندها علم البورغنديون بوفاة البابا في ١٥ آب ١٤٦٤، ما أدى إلى التخلي عن المشروع الصليبي. اقتصر التدخل العسكري على دعم البرتغاليين في سبتة ضد المرينيين، وهو إنجاز محدود لكنه مهم استراتيجياً لكون المدينة "مفتاح مضيق جبل طارق"، وملكاً للعائلة المالكة البرتغالية، المتحالفة مع بيت بورغندي... وهكذا انتهت الحملة الصليبية الأخيرة التي نظمها محكمة بورغندي. مثّلت تلك الحملة آخر محاولة صليبية لبلاط بورغندي، ويُذكر أنّ فيليب الطبيب ندم حتى ساعة وفاته على عجزه عن الوفاء بنذره^(٨٤٦).

ربما لم يكن تخفيض ملك إنجلترا إدوارد الرابع (Edward IV) (١٤٦١-١٤٧٠)، للعملة المعدنية ليدفع الدوق فيليب الطبيب، في حد ذاته، إلى اتخاذ أي إجراءات انتقامية. ولكن عند اقترانه بإعادة العمل بلوائح سبائك كاليه لعام ١٤٦٣، والمعارضة البورغندية الشديدة لها أصلاً، فإن تلك المحاولة الأخيرة لجلب الذهب إلى إنجلترا كانت فوق طاقة الدوق. كان هو نفسه يعاني من مشاكل مالية حادة لدرجة أن دور سك العملة الخاصة به اضطرت إلى الإغلاق، وكانت لا تزال مغلقة وقت إعلان إدوارد الأخير. بمجرد أن اتضح أن إدوارد لا ينوي التراجع عن مسألة السبائك، وضع ذلك فيليب في موقف يفرض عليه اتخاذ إجراء. لذلك في ٢٦ تشرين الأول ١٤٦٤ رد الدوق فيليب أخيراً على ما اعتُبر استفزازاً إنكليزياً بفرض حظر كامل على استيراد القماش الإنكليزي إلى أراضيه. لم يكن ذلك أمراً جديداً. للسياسة الاقتصادية البورغندية، يوضح النص الكامل لحظر بورغندي على استيراد القماش الإنكليزي أن غرضه كان حمائياً - نقدياً في آن واحد. كان حمائياً بشكل واضح لأنه سعى إلى القضاء على التهديد الذي يشكله تجار الأقمشة البورغنديون من خلال زيادة المنافسة الإنكليزية، وكان نقدياً أيضاً لأنه حظر حظراً صارماً جميع صادرات السبائك إلى إنجلترا، حتى من قبل التجار الأجانب الذين يمارسون التجارة في أراضيه. كان الدوق فيليب، في

واقع الأمر، يشن حرباً اقتصادية في محاولة لإجبار إدوارد على التخلي عن سياساته الحمائية ونقدية السبائك^(٨٤٧).

على الرغم من ترحيب سلطات أوترخت بالأسواق الحرة ومنحها إياها، إلا أن تجارة الأقمشة لتجار لندن انخفضت بنسبة ٧٦٪ في المدة ١٤٦٤-١٤٦٥، مع انخفاض إجمالي صادرات الأقمشة الإنجليزية بنسبة ٣٥٪ وكان البرلمان غاضباً بنفس القدر من تصرفات الدوق فيليب، فأقدم على فرض حظر خاص على استيراد جميع منتجات بورغندي، باستثناء المواد الغذائية. وعلى الجانب الآخر من القناة، كان استياء وغضب المجتمع التجاري البورغندي من سياسات إدوارد التجارية والنقدية معروفاً، إذ كان مسؤولاً إلى حد كبير عن حظر فيليب في المقام الأول. وقبل إبرام أي تحالف متين وطويل الأمد بين بورغندي وإنجلترا، كان لا بد من التغلب على تلك المشاكل الاقتصادية^(٨٤٨).

بحلول عام ١٤٦٥، كان لويس قد انتزع من الدوق فيليب مدن السوم ذات الأهمية الحيوية (التي تم التنازل عنها لبورغندي بموجب معاهدة أراس عام ١٤٣٥)، بالإضافة إلى أراضي بيرون وروي ومونتيدييه^(٨٤٩)، وارسل إدوارد في ٨ أيار ١٤٦٥ مجموعة من السفراء إلى فرنسا للقاء الدوق فيليب، وابنه شارل شاروليه، ودوق بريتاني فرانسيس الثاني (Duke Francis II of Brittany) (١٤٥٨-١٤٨٨)^(٨٥٠).

(847) James Wesley Vincent, Money, War and Diplomacy: The French Policy of King Edward Iv, 1461 – 1483, (Unpublished Doctoral Thesis), Duke University, Department of History, 1990, p.80.

(848) James Wesley Vincent, Ibid, Op. Cit., p.82.

(849) Jacques Paviot, Op. Cit., p.127-130.

(٨٥٠) (١٤٣٣-١٤٨٨): ولد في ٢٣ حزيران في بريتاني، وهو آخر دوق حافظ على استقلال دوقية بريتاني، رأى نفسه نداً لملك فرنسا لا تابعاً له، وسعى لصون استقلال دوقيته من خلال تحالفات مع القوى المناوئة لفرنسا، لاسيما بورغندي وملك إنجلترا إدوارد الرابع، وفي أواخر عهده مُني بهزيمة أمام القوات الفرنسية، قبل أن يتوفى في ٩ أيلول، وبعد وفاته آلت السلطة إلى ابنه أن التي تزوجت ملك فرنسا، وضمت بريتاني إلى التاج الفرنسي، للمزيد ينظر: Christine B. Weightman, Margaret of York :The Diabolical Duchess, Amberley

والملك لويس الحادي عشر. وكان من المقرر أن يناقشوا مع فيليب مشاكلهم المتعلقة بـ"تداول البضائع"، ليتفاوضوا مع الآخرين على هدنة ومعاهدة سلام طويلة الأمد. ومع ذلك لم تسفر تلك المفاوضات عن شيء سوى اتفاق مع بورغندي على الاجتماع مرة أخرى في تشرين الأول ١٤٦٥ في سانت أومير لمناقشة المسائل التجارية. لم تُعقد أي اتفاقات مع شاروليه أو بريتاني، وسُمح بانقضاء الهدنة مع فرنسا، ويُعزى فشل تلك المفاوضات إلى انخراط الأطراف القارية في حرب المصلحة العامة^(٨٥١).

بعد تدمير مدينة دينانت بالكامل في ٢٨ آب ١٤٦٦ على يد دوق بورغندي، توجه برفقة ابنه، كونت شاروليه، نحو مدينة لياج، إذ أقدم ابنه على إعادة فرض ضريبة الملح على سكانها، وهو ما حوّل مظاهر الترحيب إلى حالة من السخط والتذمر الشديد، وفي صباح يوم الأحد ٧ أيلول ١٤٦٦، استأنف كونت شاروليه تشكيلاته القتالية، استعداداً لمحاربة الليجيين. عندها طلب أهالي لياج الصلح، معلنين استعدادهم لتنفيذ شروط الدوق وولده. وبناءً على ذلك، أبرم معاهدة سلام بين الدوق وابنه والليجيين، نصت على أن يدفع الليجيون مبلغ ستمائة ألف فلورين موزعة على ست سنوات، مئة ألف فلورين كل عام، وسيكون الدوق هناك، بصفته دوق برابانت. كما تضمنت المعاهدة جملة من الالتزامات الأخرى التي تعهد بها سكان لياج بموجب المعاهدة المذكورة^(٨٥٢).

أصبحت بورغندي قبيل وفاة فيليب الطيب عام ١٤٦٧^(٨٥٣)، دولة قوية ومستقلة في شمال غرب أوروبا، تمتد من هولندا وزيeland شمالاً، إلى مقاطعة بورغندي في وسط فرنسا، وفرانش كومتيه عبر نهر السون في الإمبراطورية الرومانية المقدسة. كانت عبارة عن خليط من الأراضي متفاوتة المساحة والسكان والتوزيع الجغرافي^(٨٥٤)، وبعد حكم دام نحو خمسة عقود، أصيب دوق بورغندي، بمرض مفاجئ مساء الجمعة ١٢ حزيران ١٤٦٧ في مدينة بروج، عن عمر يناهز ٧١ عاماً. وبعد ثلاث أيام من المعاناة

— 2009,p.117 England, Limited, Publishing 120.

(851) James Wesley Vincent, Op. Cit., p.82-83.

(852) Jehan De Waurin, Tome 5, Op. Cit, p.524.

(853) Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ...,Tome I, Op. Cit, p.49.

(854) Peter J. Arnade, Op. Cit, p.27.

أطلق أنفاسه الأخيرة، وقد نسب بعض المعاصرين وفاته إلى جلطة دماغية (سكتة دماغية)، بينما ذهب رأي آخر إلى أن سبب الوفاة هو الألتهاب الرئوي^(٨٥٥).

بعد ست وثلاثون ساعة من وفات الدوق في القصر الملكي في بروج مساء يوم الاثنين ١٥ حزيران ١٤٦٧، وُضع جثمان الدوق العجوز، فيليب الطيب على سريريه في حالة رسمية ليراه الجميع، ووضع على رأسه غطاء أسود. وفي مساء يوم الثلاثاء، بدأت أعمال التحنيط. وتم نُقل الجثمان، في تابوت من الرصاص، مع القلب والأحشاء، كلٌّ منها في صندوق من الرصاص، إلى كنيسة الدوق ووُضع على نعش بارتراف مترين تقريباً، مغطى بقطعة قماش من المخمل الأسود تصل إلى الأرض، مع أربع شموع ضخمة مشتعلة في الزوايا الأربع. في يوم الأحد ٢١ حزيران من العام نفسه، حُشد أربعة أساقفة واثنان وعشرون رئيس دير بارز لمرافقة نعش فيليب الطيب بملايس بابوية كاملة من القصر الدوقي إلى كنيسة القديس دوناتيان (St. Donatian)^(٨٥٦)، داخل الكنيسة، كانت حرارة أكثر من ١٤٠٠ شمعة شديدة لدرجة أنه كان لا بد من عمل ثقب في النوافذ للسماح لها بالخروج. استغرقت صلاة الغروب وصلاة الجنازة على روح الموتى حوالي أربع ساعات مساء ذلك الأحد، وفي اليوم التالي، عاد الدوق وحاشيته إلى الكنيسة الساعة التاسعة صباحاً، ثم دُفنت وفات فيليب الطيب، القلب والأحشاء بشكل دائم، بينما بقي الجسد إلى أن رأى الدوق شارل أنه من المناسب نقله إلى دار شانمول - تشارتر في ديجون، والمعروف باسم سانت دوني دوق بورغندي^(٨٥٧).

(855) Dr. Lemaire, La mort de Philippe le Bon. Duc de Bourgogne (15 juin 1467), Revue du Nord, 1^e année, n.4, novembre 1910.p.321-326.

(856) Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 4 ..., p.302-307.

(857) Richard Vaughan, Charles The Bold ..., p.1.

الفصل الرابع

شارل الجريء، قراءة في دوره السياسي
والعسكري، وانعكاسات مقتله على مصير
آل فالوا _ بورغندي عام ١٤٨٢

النشاط العسكري والدبلوماسي للدوق شارل الجريء ٢٨ حزيران ١٤٦٧ - أواخر ١٤٧٢

كان عام ١٤٦٧ مفصلياً في حياة شارل الأول (Charles I) الملقب بـ **الجرىء** (Charles Le Téméraire) (١٤٦٧-١٤٧٧)^(٨٥٨)، فقد أعلن في ٢٨ حزيران ١٤٦٧ رسمياً دوقاً على بورغندي بعد وفاة والده بأربعة عشر يوماً مما زجه في صراع مستمر مع ابن عمه لويس الحادي عشر^(٨٥٩)، الذي قرر منذ تسنمه عرش فرنسا ضم دوقية بورغندي التي نمت لدرجة جعلتها بمثابة مملكة قوية شبه مستقلة في شمال غرب أوروبا، تمتد من هولندا وزيلاندا شمالاً، إلى مقاطعة بورغندي وسط فرنسا، وفرانش كومتيه عبر نهر السوم في الإمبراطورية الرومانية المقدسة^(٨٦٠)، وكان الملك لويس الحادي عشر مدركاً أن خصمه دوق بورغندي شارل الجريء أصبح صعب المراس أكثر من الماضي بعد وراثته أخصب بلاد الغرب والقباب والده وممتلكاته، بما في ذلك مقاطعات شاروليه وأرتوا وفلاندرز الغنية الخاضعة اسمياً للسيادة الفرنسية، فضلاً عن هولندا، وهينو، وزيلاندا وبرابانت التي كانت جميعها إقطاعات تابعة للإمبراطورية

^(٨٥٨)(١٤٣٣-١٤٧٧): وُلد في ١٠ تشرين الثاني في مدينة ديجون شرق فرنسا، عاصمة دوقية بورغندي، وهو آخر دوقات بورغندي من آل — فالوا العظام، والابن الشرعي الوحيد لفيليب الطيب وزوجته الثالثة الأميرة إيزابيلا البرتغالية، منحه والده رتبة كونت شاروليه في الأيام الأولى من عمره، تزوج في ١١ حزيران ١٤٣٩ من كاثرين الفرنسية ابنة ملك فرنسا شارل السابع، لقب بالجرىء لشجاعته التي ظهرت أثناء حصاره قلعة جافيري مع والده، واستماتته لإنقاذ والده من الأفواج الفلمنكية التي حاصرته، واستمراره بالقتال رغم إصابته برمح في قدمه وتحطم درعه وإصابة حصانه، كما حمل القنبيلة عدة، هي: دوق بورغندي، وكونت شاروليه، وكونت زيلاندا، وكونت هينو، وكونت فلاندرز، وكونت لوثرينجيا وغيرها من الألقاب، للمزيد ينظر:

Ruth Putnam, Op. Cit., p.3 ; Bart Van Loo, Op. Cit., p.287-288 ; Philip De Com Mines, Op. Cit., p.1 ; Jean Chartier, Hronique De Charles Vii ..., Tome II, Op. Cit., p.9 ; Amédée Renée, Op. Cit., p.240 – 241. أنظر ملحق (٢٠) رقم

859(Bart Van Loo, Op. Cit., p.387.

860(Peter J. Arnade, Op. Cit., p.25 – 27.

الرومانية المقدسة، مما جعل ممتلكاته الواسعة أغنى المناطق التجارية والصناعية في شمال أوروبا^(٨٦١).

واجه دوق بورغندي شارل الجريء تحدياً خطيراً في نفس يوم تنصيبه، فقد اندلعت أعمال شغب في سوق مدينة غنت، وطالب المتمرّدون بإنهاء القيود والضرائب المجحفة والمهينة التي فرضتها معاهدة جافيري عليهم، وإزاء ذلك الغضب الشعبي وعد دوق بورغندي بتقديم بعض التنازلات، لكنه في العام ذاته تبنى خطوات لتقوية نفسه وحكومته إزاء رعاياه، فبدّل العملة النقدية، وفرض نظاماً جديداً لحكم المدينة فأصبحت حكومة غنت بموجبه تدار من مفوضي الدوق بدلاً من أن ينتخبها سكان المدينة، وصادر القضاء حكماً على سكان غنت بلزوم التماسهم عفو دوقهم عن أحداث الشغب التي وقعت^(٨٦٢).

وسع شارل الجريء طيف علاقاته الخارجية، مركزاً على إيطاليا بهدف إضعاف نفوذ ملك فرنسا فيها، فسعى لتفكيك التحالف الثلاثي الذي تألف من دوقية ميلانو (duchy of Milan) وجمهورية فلورنسا (Republic of Florence) ومملكة نابولي (kingdom of Naples)، الذي كان مهيمناً على إيطاليا، وخاضعاً لنفوذ فرنسا، وفي إطار جهوده شكل دوق بورغندي شارل الجريء كتلة من القوى الإيطالية الصديقة له ليجعل منها قوة مضادة، ترفع شأن بورغندي، وتخضع إيطاليا لنفوذها بدلاً عن النفوذ الفرنسي^(٨٦٣).

مع أنه حقق نجاحاً جزئياً في الملف الإيطالي لكنه انشغل مجدداً بالاضطرابات في بعض ممتلكاته، فقد اندلعت حرب لياج الثانية (Second Liège war) عام ١٤٦٧ بعد انتفاض سكان لياج مجدداً بقيادة راييس فان هيرز ضد أسقف لياج لويس دي بوربون الذي لاذ بالفرار، فقاد دوق بورغندي شارل الجريء قواته إلى لياج واصطدم بالتمرد في بروسستم (Battle of Brustem) بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٤٦٧، التي انتهت بهزيمة ساحقة لـ الليجيين البالغ عددهم ٢٥,٠٠٠ وتشتتهم في المستنقعات بعد مذبحة فادحة راح ضحيتها

861(Christine B. Weightman, Op. Cit., p.10.

862(David Nicholas, Medieval Flanders, Taylor & Francis, London, 1992, p.392.

863(R. J. Walsh, Op. Cit., p.4 – 5.

الآلاف منهم، واستولى البورغنديون على أسلحتهم وعرباتهم وخيامهم، وأحرقت مدينتهم بالكامل^(٨٦٤).

تفرغ دوق بورغندي شارل الجريء مجدداً للسياسة الخارجية، وركز في هذه المرة على مملكة إنكلترا التي كانت له مشتركات سياسية واقتصادية كثيرة معها، ليس آخرها استعادة تحالفهما التقليدي القديم ضد عدوهما الآلد لويس الحادي عشر، وبدا تقاربهما جلياً في اظهار الملك ادوارد الرابع بهجته بوراثه شارل الجريء ابيه، واستقبله وفود بورغندي في إنكلترا بحفاوة وابهة بعكس وفود فرنسا، وفُرضت الاعتبارات التجارية نفسها بقوة على الملك ادوارد الرابع، الذي اراد استعادة الازدهار الاقتصادي الذي كان سائداً فيهما في العهود السابقة، فحدثت مفاوضات إنكلو- بورغندية حول المسائل التجارية، انتهت بالغاء حظر الأقمشة وإعادة العلاقات التجارية مع بورغندي^(٨٦٥).

تلى ذلك اقتران شارل الجريء من شقيقة الملك ادوارد الرابع ماركريت يورك (Margaret of York) (١٤٦٨-١٤٧٧)^(٨٦٦)، في ٣ تموز ١٤٦٨^(٨٦٧)، في مدينة دام (Damme) البلجيكية، بعد حصولهما على إعفاء بابوي لإضفاء الشرعية على

864(Bernard S. Bachrach Clifford J. Rogers, Kelly, Op. Cit., Vol .I, p.158 – 159 ; Paul Henrard, Op. Cit., p.50 – 65 ; Academie Van Oudheidkunde Van België, Op. Cit., Vol .23, p.626 – 633.

(٨٦٥) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص١٦٦ ; James Wesley Vincent, Op. Cit., p.67, 99.

(٨٦٦) (١٤٤٦ – ١٥٠٣): واحدة من أعظم السيدات في العالم، ولدت في قلعة فوثرينغهاي في إنكلترا، وتسمنت العديد من المناصب منها دوقة بورغندي ولوثرينجيا وبرابانت وليمبورغ ولوكسمبورغ وجيلدرز، وكونتيسة فلاندرز وأرتوا وبورغندي وهولندا وهينو وزيلاند ونامور وزوتفن، وماركيزة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وسيدة فريزلاند وسالينز ومالين، للمزيد: Christine B. Weightman, Op. Cit., p.69 – 75 ; Elihu Rich, Francis Lister Hawks, Lambert Lilly, et al The, Appletons Cyclopædia of Biography: Embracing a Series of Original Memoirs of the Most Distinguished Persons of All Times D. Appleton and Company, New York, 1865, p.538.

867(Ibid, p.98.

زواجهما، لأن شارل وماركريت أبناء عمومة من الدرجة الرابعة^(٨٦٨)، ولم يدخر دوق بورغندي شارل الجريء وسعاً لجعل المناسبة عرضاً باهظاً لبذخ بلاط بورغندي وقوته، وبعد زواجهما أدت ماركريت دوراً نشطاً في الدبلوماسية والإدارة^(٨٦٩)، ولا شك أن ما تقدم انتهى إلى تقارب كبير بين دوق بورغندي وإنجلترا انعكس سلباً على تدهور العلاقات الإنكلو - فرنسية^(٨٧٠)، وهكذا نجح دوق بورغندي في توجيه ضربة كبيرة إلى النفوذ الفرنسي في إنجلترا بعد ما حققه في إيطاليا.

أدرك دوق بورغندي شارل الجريء أن مستقبل دوقيته وممتلكاته الواسعة، مرهون بإصدار إصلاحات عسكرية لتقوية جيشه وتحديثه ليكون نداً لجيوش الممالك الكبرى في أوروبا، وكانت المشكلة الأبرز التي حالت دون تحقيق أهداف دوق بورغندي شارل ضالة الموارد العسكرية لبورغندي، مع أن الفلاندرز وباقي الممتلكات وفرت مشاة جيدين، فكان الحل الذي توصل إليه دوق بورغندي شارل الجريء إنشاء جيش على الطراز الحديث بجنود متفرغين، وزى رسمي ووحدات ورايات^(٨٧١).

أضاف دوق بورغندي شارل وحدات مدفعية البارود إلى الجيش النظامي، وعيّن النبلاء الذين تقاضوا رواتب كضباط مدفعية مع أنهم فضلوا سلاح الفرسان كحال أسلافهم، كما أنهم أول من ركّز المدافع في بطاريات محددة، بدلاً من توزيعها بالتساوي على جبهة القتال، وفي سلسلة الإصلاحات العسكرية التي بدأت عام ١٤٦٨ أُعيد تشكيل جيش بورغندي وتجهيز حملاته على غرار النموذج الفرنسي، لكن باستخدام

868(Christine B. Weightman, Op. Cit., 1911, p.47.

869(Pierre Hélot, A. Benoit, Georges de la Trémoille et la mainmise du duc de Bourgogne ..., Tome 24, N.93, p.37 – 38 ; David Nicholas, Medieval Flanders ..., p.393.

(٨٧٠) رشا مجيد منديل الحاجم، المصدر السابق، ص ١٦٦ ؛ James Wesley Vincent, Op. Cit., p.67, 99.

871(Jan Biederman, Organizace A Vybavení Vojska V 15. Století: Paralelní Vývoj Ve Francii, Burgundsku A Střední Evropě, Unpublished Doctoral Thesis, Filozo of ická Fakulta, Univerzita Karlova, 2015, p.13 – 15.

تشكيل فريد من نوعه مكون من أربعة مقاتلين كوحدة أساسية للجيش البورغندي^(٨٧٢)، كما أصدر دوق بورغندي سلسلة أوامر وتعليمات ومراسيم اصلاحية عسكرية مفصلة لتنظيم انضباط جيوشه، فأصبحت اصلاحاته نقطة تحول جذري في تاريخ التنظيم العسكري والانضباط البورغندي أواخر القرن الخامس عشر^(٨٧٣).

وأبرز الأوامر والمراسيم العسكرية التي أصدرها كانت في تموز ١٤٦٨، وتضمنت فرض قواعد انضباط وحسن السلوك، وإنشاء أفواج دائمة للأسلحة مقسمة إلى سرايا، وجعل تدريباتها إلزامية، وتحويل قوات الأسر المنزلية والحرس إلى فيلق نخبة^(٨٧٤)، وفرض الاعدام ازاء أي فعل من أفعال النهب أو الفدية أو التشويه أو السرقة المرتكبة في أراضي الدوق^(٨٧٥)، مع المعايير التي بموجبها يجند الأفراد في الجيش، وتحديد الاصناف الساندة لوحدات المدفعية ك البنائين، المساعدين والنجارين، فكان البنائون والنجارون مسؤولون عن إنشاء المواقع وتحصينها وبناء منصات المدافع فيها، بينما المساعدون والمدافعون مسؤولون عن تشغيل المدفعية وحمايتها، وبموجب مراسيم لاحقة اصدر دوق بورغندي تعليمات بتجهيز كل حملة بما يتوافق مع مهامها وعدد مقاتليها، وتحديد الأسلحة التي يجب توفيرها لكل فئة تكتيكية من الرماح، التي تضم سرايا القادة المفوضون، ويحدد الإمدادات اللوجستية ليس فقط من الذخائر، بل أيضاً من المعدات، والأدوات والحبال، إلخ^(٨٧٦).

أنهمك دوق بورغندي شارل الجريء في كتابة المراسيم العسكرية لهيكل إداري، لضمان تحويل جيشه من النظم عصر وسطوية الى أساليب أكثر فاعلية، من خلال

(872) Cathal J. Nolan, Op. Cit., Vol. I, p.100 – 103.

(873) Michael S. Drake, Problematics of Military Power, Government, Discipline and The Subject of Violence, Frank Cass Publishers, London, 2002, p.223.

(874) Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.205.

(875) Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.16.

(876) Robert Douglas Smith, Kelly Devries, Op. Cit., p.171.

تطبيق مبادئ كتاب "سيروبيديا" (Cyropaedia)، للمؤرخ والفيلسوف اليوناني زينوفون (Xenophon's) ^(٨٧٧)، كما اهتم بكتب العسكريين الرومان والدروس العملية التي أمل في استخلاصها منهم ^(٨٧٨).

ولم يكن مغزى تلك التدابير العسكرية خافية على العاهل الفرنسي، الذي قرر تبني خطوات لإضعاف دوق بورغندي، وإنهاء تحالفاته، فغزا بريتاني، وإجبر دوقها فرانسيس الثاني، على توقيع معاهدة أنسينيس (the Treaty of Ancenis) في ١٠ أيلول ١٤٦٨، التي ألزمت دوق البريتون بالولاء للعرش الفرنسي، وفسخ تحالفاته مع دوق بورغندي شارل الجريء وملك إنكلترا إدوارد الرابع ^(٨٧٩)، وتزامناً مع ذلك اندلعت في ٨ تشرين الأول ١٤٦٨ حرب لياج الثالثة (Third Liège War)، بسبب استمرار رفض سكان لياج الحكم البورغندي لهم، ولويس دي بوربون حاكماً اسقياً عليهم، فهاجم المتمردون بقيادة جان دي وايلد (Jan de Wilde)، الحامية البورغندية واستعادت لياج منزوعة السلاح حريتها ^(٨٨٠)، ثم هاجم المتمردون مدينة تونغيرين (Tongeren)، وقتلوا جميع البورغنديين ^(٨٨١).

زاد الأمر تعقيداً بعد وصول لويس الحادي عشر ومئة من اتباعه في ٩ تشرين الأول ١٤٦٨ الى مقر حكم دوق بورغندي شارل الجريء في بيرون لإجراء محادثات حول الملفات العالقة بينهما، واثاء محادثتهما وردت أنباء تمرد سكان لياج بتحريض من عملاء الملك لويس الحادي عشر، فغضب الدوق جداً من الملك لويس الحادي عشر الذي اصبح بمثابة رهينة عنده، حينها قرر الملك لويس الحادي عشر التخلص من ذلك الفخ بأي ثمن، فوافق على جميع طروحات دوق بورغندي شارل الجريء،

(٨٧٧) كتاب يوناني تعليمي للأمرء يُبرز التنشئة العسكرية للحاكم من خلال الأساليب العسكرية والسياسية التي استخدمها كورث الكبير لغزو الإمبراطورية البابلية الحديثة عام ٥٣٩ ق.م، مُركزاً على التدريب والتمرين، فأمر شارل الجريء بترجمته إلى اللاتينية، وأول نص ترجمة شارل هو أن فن الحكم بعقلانية لا تكمن في غايات الحفاظ على أمن الأمير، بل في وسائل تحقيق طاعة الرعية له، للمزيد ينظر:

Cit., p.221 – 223.

(878) (Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol 7, Op. Cit., p.132.

(879) (W. T. Waugh, Op. Cit., p.248.

(880) (Paul Henrard, Op. Cit., p.79 – 80.

(881) (Clifford J. Rogers, Op. Cit., Tome 1, p.507.

وليس آخرها إعادة الأراضي التي استولى عليها اتباعه لشارل الجريء وحلفائه، والتنازل له عن الأراضي الجديدة جنوب نهر السوم، وإعفاء جميع رعايا الدوق من الخدمة العسكرية للتاج الفرنسي، وبقاء الفلاندرز حرة لمدة ثماني سنوات من سلطة برلمان باريس، ولإثبات حسن نيته أعلن انه سيرافق شارل في حملة تأديبية ضد مواطني لياج^(٨٨٢).

انطلق في اليوم التالي دوق بورغندي وجيشه ولويس الحادي عشر وحرسه الاسكتلندي، الى مدينة لياج^(٨٨٣)، وأثناء الطريق وتحديداً في ١٤ تشرين الاول ١٤٦٨ اجبر دوق بورغندي شارل ملك فرنسا لويس الحادي عشر على توقيع معاهدة بيرون (Treaty of Peronne)، وذهب دوق بورغندي الى باريس وسجل معاهدته رسمياً في برلمانها، مع التنبيه الى أن المعاهدة تضمنت فضلاً عما ذكرناه انفاً حرية الدوق بإقامة تحالف مع إنكلترا شريطة ألا تكون ضد فرنسا، ومنح الدوق شارل مقاطعة بونتيو (Ponthieu)^(٨٨٤).

بعد تصديق معاهدة بيرون قاد شارل الجريء جيشه نحو لياج برفقة ملك فرنسا لويس الحادي عشر، ووصلها في ٢٦ تشرين الاول ١٤٦٨، وبعد سلسلة مناوشات عنيفة، وقصف بالمدافع طوال خمسة أيام، استسلمت لياج في ٣٠ تشرين الاول ١٤٦٨، فألقي المئات من سكانها في نهر الميز ونهبت مساكنها وكنائسها ثم إحرق

(882) (W. T. Waugh, Op. Cit., p.249.

(883) (Robert J. Knecht, The Valois Kings of France 1328 – 1589, Cambridge University Press, London, 2004, p.98.

(٨٨٤) وعد الملك بالالتزام بمعاهدتي أراس (١٤٣٥)، وكونفلان (١٤٦٥)، ومنح عفو عام لأنصار بورغندي في فرنسا وإعادة ممتلكاتهم، ووعد أن يعطي أخيه شارل مقاطعتي شامبانيا (Champagne) وبري (Brie) كإقطاعية، تعويضاً له عن خسارة نورماندي، ثم اقترح عليه قبول غوين (Guienne) بدلاً من الشمبانيا فوافق، وتعهد الملك على أنه في حالة انتهاك معاهدات أراس أو كونفلان أو بيرون، فإن الأراضي البورغندية التي تعتمد عادة على التاج الفرنسي ستحرر تلقائياً من أي ولاية قضائية فرنسية، وضمنت تلك البنود حصول شارل الجريء على مدن السوم، وإيرون (Éronne)، وروي (Royaumont) ومونتيدييه (Montdidier)، ومع ذلك، لم يلتزم التاج الفرنسي بشروط المعاهدة وظلت العلاقات الفرنسية البورغندية سيئة، للمزيد ينظر:

John Foster Kirk, Op. Cit., Vol. I, p.561 –

حتى غدت خراباً بلقياً^(٨٨٥)، وبعد أرساء الأمن في ممتلكاته وتوسيعها، خطط شارل لتوحيد ممتلكاته التي كانت مقسمة إلى كتلتين تفصل بينهما الألزاس (Alsace) واللورين (Lorraine)، ولذا كان عليه الاستحواذ على الألزاس واللورين لتوحيد ممتلكاته^(٨٨٦).

واته فرصه ثمينة لتحقيق شطر من أهدافه في النصف الأول من عام ١٤٦٩، فقد تعرضت أراضي آل هابسبورغ مطلع ذلك العام لسلسلة من هجمات مواطني كانتون برن السويسري (The Swiss canton of Bern)، فبذل الأرشيديوق النمساوي سيجيسموند^(٨٨٧)، قصارى جهده للحصول على الحلفاء ضد الاتحاد الكونفدرالي السويسري (The Swiss Confederacy)، فطلب المساعدة من ابن عمه الإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث، لكنه كان أكثر اهتماماً بمقاومة الأتراك، فبدأ يبحث عن حليف قادر على مساعدته في احتواء الأهداف التوسعية لاتحاد برن السويسري، ولإعتياده على رهن ممتلكاته لجمع المال، فإنه قرر في شباط ١٤٦٩ البحث عن التمويل والدعم في فرنسا أو بورغندي بعرض جزء من فورلاند (Vorlande)، المعروفة بـ الألزاس العليا (Upper Alsace) على لويس الحادي عشر الذي رفض عرضه، فلجأ إلى غريمه شارل الجريء ووصل إلى أراس للتشاور معه في ٢١ آذار ١٤٦٩، وبعد أسابيع من المفاوضات الشاقة أبرم شارل الجريء في ٩ آيار ١٤٦٩ معاهدة سانت أومير (Treaty of Saint-Omer)، التي بموجبها رهن الارشيديوق سيجيسموند لدى الدوق شارل الجريء أراضي آل هابسبورغ في الألزاس العليا، مقاطعة فيريت، ومدن الرينيش الأربعة: راينفيلدن (Rheinfelden)، وساكنجن (Säckingen)، لاوفنبورغ (Laufenburg)، والدشوت (Waldshut)، فضلاً عن مقاطعات هاوينشتاين (Hauenstein)، أورتنبيرغ (Ortenberg) وبريساخ (Breisach)، مقابل ذلك دفع شارل مائة ألف فلورين ذهب، وتعهد بإعادتها إلى الارشيديوق

885(Paul Henrard, Op. Cit., p.79 – 80 ; Jehan De Waurin, Tome 5, Op. Cit., p.570 – 572.

886(Peter J. Arnade, Op. Cit., p.28.

887(Alexander Gillespie, Op. Cit., Vol. III, p.26.

سيجيسموند عند سداد الرهن، ومنحت المعاهدة دوق بورغندي حق الوصول إلى نهر الراين، وإقامة تحالف دفاعي بين الطرفين، والحقت بالمعاهدة وثيقة وضعت الارشيدوق سيجيسموند رسمياً تحت الحماية البورغندية^(٨٨٨).

اثارت تلك المعاهدة مخاوف القوى المتوجسة من تنامي نفوذ دوق بورغندي، وفي مقدمتهم السويسريين^(٨٨٩)، الذين أصبح الدوق شارل جاراً لهم بحكم امتلاكه مقاطعة فيريت المحاذية لكونفدراليتهم^(٨٩٠)، والأخطر من ذلك أنه أثناء مفاوضات دوق بورغندي والارشيدوق سيجيسموند طُرحت فكرة انتخاب دوق بورغندي امبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة، كما طرح آل هابسبورغ أيضاً فكرة توحيد ممتلكاتهما بمتلكات البورغنديين عن طريق زواج ماري بورغندي والارشيدوق ماكسيميليان الأول (Archduke Maximilian)(١٤٧٧-١٥١٩)، آل هابسبورغ دوق النمسا الابن الوحيد للإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث^(٨٩١).

تؤكد المعطيات التاريخية أن ما اتفق عليه الطرفان أصبح هاجساً لدى دوق بورغندي شارل الجريء، فشكّل في صيف عام ١٤٦٩ تحالفاً مع ملك بوهيميا جورج بوديبيراد (King of Bohemia, George Podiebrad) (١٤٢٠-١٤٧١)، وعرض على الملك البوهيمي مئتان ألف عملة فلورنسية رينانية مقابل وعد الأخير باستخدام نفوذه لدى النخبين الآخرين لضمان انتخاب الدوق شارل الجري امبراطوراً على الرومان^(٨٩٢).

888(Rwf Van Der Wolf, Peter Von Hagenbach The First War Criminal-The Trial of Peter Von Hagenbach 9 May 1474, Wolf publishers, Part 6, p.17 – 20 ; Jehan De Waurin ,Tome 5, Op. Cit., p.574 – 575.

889(Peter J. Arnade, Op. Cit., p.28.

890(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

891(Julien Dubray, Op. Cit., p.9.

892(Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.28.

أتم شارل الجريء توحيد البلاد المنخفضة حين غزا دوقية جيلدرز الهولندية^(٨٩٣)، عام ١٤٧١، وأعاد حاكمها أرنولد إلى السلطة وزج المتمرّد أدولف في السجن، لكن الحاكم أرنولد الخاضع للنفوذ البورغندي فشل في فرض سلطته على جميع انحاء دوقية جيلدرز، وللاحتفاظ بالمساعدة البورغندية^(٨٩٤)، وخلافاً لإرادة سكان المدن ونبلائها وقانون الدوقية رهن أرنولد الدوقية لدى الدوق شارل الجريء مقابل ثلاثمائة ألف جيلدر ذهبي، وأصبح أرنولد رسمياً أحد اتباع الدوق شارل الجريء حين فشل في سداد مبلغ الرهن^(٨٩٥).

انتهت التطورات آنفة الذكر الى استثناء الصراع العسكري بين الدوق شارل الجريء والملك لويس الحادي عشر، اللذان أوجدا لصراعهما مضمارين احدهما خارجي من خلال قتالهما بالنيابة في ايطاليا وأسبانيا، والأخر داخلي عن طريق الصدام المباشر بين جيوشهما، وفي الإطار الخارجي أرسل لويس الحادي عشر جيشاً للاستيلاء على بعض اجزاء مقاطعة برشلونة^(٨٩٦).

في المقابل سعى الدوق شارل الجريء لتوسيع دائرة النفوذ البورغندي في إيطاليا وتقزيم دائرة النفوذ الفرنسي عن طريق تحالفه عسكرياً في ١٥ شباط ١٤٧١ مع ملك أراغون ونابولي فرديناند الأول (Ferdinand I) (١٤٥٨-١٤٩٤)، المعروف باسم

893(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

894(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.183.

(٨٩٥) استولى شارل الجريء - بعد عامين من وفاة أرنولد في شباط ١٤٧٣ - على الدوقية والممتلكات واللقب، مما أدى إلى بدء سلسلة من الحروب التي عرفت بـ حروب جيلدرز (Guelders Wars) التي استمرت لأكثر من ٧٠ عاماً، للمزيد ينظر: James P. Ward, Security And Insecurity, Spies and Informers In Holland During The Guelders War 1506 – 1515, Journal of Medieval Military History, The Boydellpress, Woodbridge, Vol X, 2012, p.173 ; Fritz Rudolf Künker, Künker Auktion 121 – The De Wit Collection of Medieval Coins, Osnabrück, Germany, 2007, p.320.

896(Barany Attila, Matthias Corvinus and Charles The Bold, Chronical, Annual of The Institute of History, University of Szeged, Magyarors-zág A Középkori Európába Kutatócsoport, 2016, p.74 – 75.

فيرانتي (King Ferrante)^(٨٩٧)، وعلى اثر ذلك حصل الدوق شارل الجريء على وسام أراغون للفرسان (Knights of the Order of Aragon)، وفي المقابل انضم الملك فرديناند الأول إلى وسام الصوف الذهبي عام ١٤٧٣، وهكذا أصبح فرديناند الأول درعاً واقياً لإيطاليا وإسبانيا ضد محاولات لويس الحادي عشر المتكررة للسيطرة على إيطاليا وانتزاع العرش النابولي^(٨٩٨).

دعا ما حدث الملك لويس الحادي عشر لمهاجمة بورغندي، فتحالف مع إيرل وارويك ريتشارد نيفيل (Richard Neville the Earl of Warwick)، (١٤٤٩-١٤٧١)، المعروف باسم صانع الملوك، وفي غضون أسابيع قليلة من هجومهما على الأملاك البورغندية، أصبحت سان كوينتين وأميان ومونتيدييه وأماكن مهمة أخرى في حوزة الملك الفرنسي، فهب دوق بورغندي للدفاع عن حدوده الثمينة في بيكاردي، وحاصر أميان ستة أسابيع، وبعد فشل حصاره شعر بالإحباط، فأبرم في نيسان ١٤٧١ هدنة لمدة عام، واحتفظ الملك الفرنسي بسانت كوينتين وأميان^(٨٩٩).

بعد شهرين قرر الدوق شارل الجريء تقديم ضربة مماثلة للملك الفرنسي، فاقتحم قلب الأراضي الفرنسية وفرض حصاراً على مدينة بوفيه (Beauvais)، في ٢٧ حزيران ١٤٧١، وبعد حصار دام خمسة وعشرين يوماً، اضطر شارل لسحب جيشه، الذي عانى نقصاً حاداً في الطعام، ولم يكن مجهزاً جيداً^(٩٠٠).

وهنا لا بد من التنويه إلى أن احتدام صراع الدوق شارل الجريء مع العاهل الفرنسي دفع دوق بورغندي إلى تقوية جيشه ليكون قادراً على التصدي للتحدي العسكري الفرنسي، فأصدر شارل الجريء المجموعة الثانية من مراسيمه العسكرية في مدينة أبفيل بتاريخ ٣١ تموز ١٤٧١، وركز فيها على تنظيم السرايا وتحديد المعدات لكل نوع

897(R. J. Walsh, Op. Cit., p.1.

898(Barany Attila, Op. Cit., p.74 – 75.

899(W. T. Waugh, Op. Cit., p.249 – 250.

900(L. J. Andrew Villalon And Donald J. Kagay, The Hundred Years War, Part .I, Vol 25, Leiden, Boston, 2005, p.444 – 445.

من المقاتلين^(٩٠١)، لتشكيل جيش نظامي دائمى مكون من قوات "النظام" (Regime forces)، أو ما يسمى بـ "السرايا الدائمة من المرتزقة" (Permanent Companies of Mercenaries) أو "سرايا الرتب" (Classer les entreprises)، وهو أول جيش نظامي في بورغندي أواخر العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث^(٩٠٢).

انشأ دوق بورغندي أيضاً سرايا خاصة به بلغ عددها ١٢ سرية، كل منها حملت ١٠٠ تشكيل بإسم رمح، ضم كل رمح بورغندي تسعة من سلاح الفرسان الثقيل، مع خادم لكل فارس ورجل السيف، وثلاثة رماة فرسان على ظهور الخيل، وثلاثة جنود مشاة - ورجل بندقية، ورامي سهام ونشاب، ورامي رماح، وهكذا بلغت القوة الإجمالية لسرايا الذخيرة البورغندي المنظمة اثنا عشر ألف مقاتل، كل فرقة رأسها قائد، تبعه أربعة قادة سرايا، لكل واحد منهم ٢٥ رمحاً، كما تم تقسيم السرية إلى ٤ أسراب ضمت كل منها ٦ رماح تحت إشراف قائد السرية^(٩٠٣).

فضلاً عن تحديد دقيق للمعدات اللازمة لكل فئة من الأسلحة وملابس كل رجل بالتفصيل، وكان على الرجل المسلح ارتداء بدلة مدرعة، وامتلاك ثلاثة خيول جيدة، بقيمة ثلاثين كرونة، وسرج قتالي وقبعة، وريش أزرق وأبيض على قبعته ورأس حصانه، ورمح جيد وسيف متوسط الطول، وستة سهام فضلاً عن قوسه وسيفه الطويل وخنجره، وارتدت الفرق البورغندي زياً رسمياً موحداً لها هو عبارة عن معطف، نصف أزرق والآخر أبيض، منقوش عليه صليب القديس أندرو الأحمر، وقد ضم مستودع المتحف الوطني السويسري في زيورخ ثلاثة نماذج رائعة تشهد على ثراء وتطور حاشية شارل العسكرية، أبرزها درع الرماة المزين بصليب القديس أندرو والمصنوع من خشب الزان والفولاذ المقاوم للنار^(٩٠٤).

901(Franck Viltart, La Garde Et Les Ordonnances Militaires De Charles Le Téméraire: Des Modèles Militaires?, Deutschen Historischen Institut, Paris, 2013, p.159.

902(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.206.

903(Jan Biederman, Op. Cit., p.13.

904(Franck Viltart, Op. Cit., p.163 – 164.

أرست مراسيم الدوق شارل الجريء تسلسلاً هرمياً عسكرياً متداخلاً، من خلال تطوير دمج وتفويض السلطة الإدارية والمسؤولية تحت سلطة الأمير التفويضية، بهدف منع الاقتتال الداخلي بين القادة ومروسيهم الذي قد ينشأ في ذلك التسلسل الهرمي، ومع ذلك فإن تلك المراسيم أنشأت مكاتب وسيطة بين النقباء والقائد الأعلى، بحيث لا يعتمد التفويض الإداري على وحدة السرية، بل يتدرج في مستويات توزعه نزولاً على جميع أفراد القوة الدائمة، مُنشئاً بذلك تسلسلاً فوقياً للإشراف، بدلاً من التسلسل الأفقي الناتج عن عقود الخدمة، ويُلزم كل جندي بإطاعة الضباط، وكل ضابط في ذلك التسلسل الهرمي التصاعدي مُلزم بالطاعة للرتب الأعلى منه، وصولاً إلى الدوق شارل الجريء بوصفه قائدهم الأعلى^(٩٠٥).

حددت مراسيم شارل الجريء أيضاً الرايات المرقمة للجيش البورغندي، وتم تدريب الفرسان على الهجوم في تشكيلات متقاربة بالرمح، والانسحاب، والتجمع، وترجل رماة السهام من خيولهم وقيادتها، برفقة حاملي الرماح في صفوف متقاربة، وهم راكعين أمامهم، ورماحهم مرفوعة، بينما كان الرماة يطلقون النار فوق رؤوسهم. وتم تغيير التشكيل المقترح لكل سرية تدريجياً^(٩٠٦).

كما تم تعيين أمين صندوق مسؤول عن رواتب الجنود في كل سرية، وعالج مرسوم أبفيل الصادر صيف عام ١٤٧١ المستلزمات التي تحتاجها قواته، وطور المرسوم العسكري الصادر عام ١٤٧٢ في مدينة بوهين- أون- فيرماندوا (Bohain-)

(٩٠٥) يُشكّل التسلسل الهرمي تعريفات مرتبة ذات مصالح حصرية وتضاماتٍ متباينة، ورتب متداخلة، بحيث يكون كل قائد سرية، مسؤولاً أيضاً داخل سريته عن عشرة رماح، ولا يمكن لأي رتبة من رتب الضباط في استغلال مروسيها، الذين يتشاركون مسؤولياتهم، فكل مستوى يضم أفراداً من الرتبة الأعلى مباشرة، بحيث يجب على جميع المستويات أن تنفذ الأوامر التي تصدرها بنفسها، والنتيجة هي بناء هيكل حكومي لدى كل ضابط تجاه الصالح العام لنظام الجيش، ولا توفر فقط "سلسلة القيادة"، مما أنتج نظاماً من الرعايا الذين يأمرهم ويطيعون في آن واحد، للمزيد ينظر:

Michael S. Drake, Op. Cit., p.224 - .

(en-Vermandois) التفاصيل التي وردت آنفاً، وأعطيت تعليمات أكثر شمولاً، فقد اهتم بطريقة الإقامة، المشي، الحصول على الإجازات والطعام، وتنظيم القوات وانضباطها على النحو التالي^(٩٠٧):

ت	جيوش شارل الجريء	العدد
١.	جنود مسلحون	١,٢٠٠
٢.	رماة السهام على ظهور الخيل	٣,٠٠٠
٣.	رماة الاقواس	٦٠٠
٤.	رماة السهام مشاة	١,٠٠٠
٥.	حاملو الرماح	٢,٠٠٠
٦.	صناع السكاكين	٦٠٠
الإجمالي	٨,٤٠٠	

تضمن مرسوم عام ١٤٧٢ أيضاً مناداة المقاتلين باسمائهم، فكان على كل ضابط أن يقدم قائمة بأسماء جنوده إلى قائده، ويحتفظ الأخير بنسخة واحدة ليتحقق من وجودهم، ويرسل النسخة الأخرى إلى الدوق، ومنح المرسوم سلطات قضائية للضباط وقائدهم العسكري الأعلى ليتعامل الضباط مع أي عصيان^(٩٠٨)، ومن الميزات الأخرى لمرسوم عام ١٤٧٢ القاعدة التي تُلزم جميع القوات المُسجلة في المرسوم بالقسم على "أن يكونوا صادقين ومخلصين للدوق وأن يخدموه ضد الجميع"^(٩٠٩)، وفرض المرسوم عقوبات صارمة على المقاتلين الفارين بهدف نهب أراضي العدو، وفرض المرسوم قيوداً على كمية النبيذ التي يمكن لمقاتليه شربها، وأنشأ مكتباً خاصاً لضباط الشرطة لضبط وتقييد الفوضى بين صفوفهم^(٩١٠).

أضاف الدوق شارل زخماً الى استعداداته السابقة حين ولج الملف الإيطالي مجدداً، فقرر انشاء تحالف مع جمهورية البندقية بسبب دعمه اياها في حروبها ضد

907(Franck Viltart, Op. Cit., p.159.

908(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.208.

909(Christopher Allmand, The New Cambridge ...,Vol 7, Op. Cit., p.137.

910(Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.16.

العثمانيين، المقترن بنصيحة ملك نابولي فرديناند الأول لحكومة البندقية بالتعاون مع الدوق شارل الجريء، كي يرى حليفه متحدين بمعاهدة، فقرر مجلس الشيوخ الفينيسي (Venetian Senate) عقد تحالف مع بورغندي في ٢٠ اذار ١٤٧٢، وانتهت مفاوضاتهم بإعلان المستشار البورغندي هيوم هوغونيه (Guillaume Hugonet) في حزيران ١٤٧٢ عن تحالف على غرار تحالف نابولي امده خمسة سنوات، هدفه فرنسا وميلانو في المقام الأول (٩١١).

طور شارل الجريء في العام نفسه علاقاته التجارية مع إنكلترا من خلال تجارة الصوف الحيوية لممتلكاته في الشمال، وحصل على دعم إنكليزي على المستويين المادي والعسكري، مما مكنه من تجنيد مرتزقة محترفين كالإيطاليين والإنكليز الى جانب مجموعات اخرى من الالمان والسويسريين لتعويض الفارق العددي بين قواته والقوات الفرنسية (٩١٢).

لا شك أن ما تقدم أضاف زخماً الى قوة جيوش بورغندي وخبرتها القتالية، فغزا شارل الجريء الأراضي الفرنسية بجيش فائق القوة، واستولى في ١٠ حزيران ١٤٧٢ على بلدة نيسلي - أون - فيرماندوا (Nesle-en-Vernandois)، في شمال شرق فرنسا وسط الكثير من الرعب، إذ اندفع رجاله في موجة قتل عاتية، ذبحت المدافعين عن المدينة، سوى عدد قليل من رماة السهام بعد أن قطعوا اليد اليمنى لكل رجل، وحين دخل شارل كنيسة نيسلي على ظهر حصانه تناثرت دماء القتلى على الأرض، فتباهى شارل بوحشية رجاله، قائلاً : "أن لديه العديد من الجزارين الجيدين في جيشه" (٩١٣).

بعد شهر تقريباً اتجه إلى نورماندي العليا (Upper Normandy)، وعاث في منطقة كوكس (Caux) فساداً دون رحمة (٩١٤)، ومع أن شارل الجريء شن هجوماً مباغتاً عبر نهر السوم، لكن أرهاق قواته ونقص مؤنه اضطره في ٣ تشرين الثاني

911(R. J. Walsh, Op. Cit., p.10 – 11.

912(Nicholas Michael, Op. Cit., p.8 – 9.

913(Albert Winkler, Op. Cit., p.11.

914(W.T. Waugh, Op. Cit., p.251.

١٤٧٢ لأبرام هدنة أمدها خمسة أشهر مع لويس الحادي عشر، فانسحب شارل الجريء الى ممتلكاته قبل استئناف الأعمال العدائية في موسم الحملات التالي، وباشروا الدوق في ممتلكاته تجنيد المزيد من المرتزقة لرفع مستوى جيشه وإيصاله إلى القوة العددية اللازمة استعداداً لسجلات واسعة النطاق وطويلة الأمد، ونجح شارل الجريء في تشكيل قوة ضاربة لمواجهة أعدائه الفرنسيين^(٩١٥).

اقتربت بتلك الاستعدادات العسكرية تدابير دبلوماسية مضادة لفرنسا، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن إيطاليا كانت مجدداً مضمار لتلك الدبلوماسية، وفي ذلك الصدد ركز شارل الجريء على إبرام تحالف ثالث مع دوق ميلانو غالياتسو ماريا سفورزا (Galeazzo Maria Sforza) (١٤٦٦-١٤٧٦)، ولضمان ذلك أرسل شارل وكلاء إلى روما أواخر عام ١٤٧٢ لنشر سلسلة شائعات مفادها أنه سيعزو ميلانو إذا رفض دوقها التحالف معه، واقترب بذلك ضغط شارل الجريء الدبلوماسي لعزل ميلانو عن فرنسا، مما اقنع دوقها على قبول اقتراح ممثلي بورغندي في البندقية وروما بالتحالف مع شارل الجريء، فسحب غالياتسو دعمه البحري من الجيش الفرنسي الذي كان على وشك البدء في حملته في روسيون (Roussillon)، مما أعاق المحاولات الفرنسية لاستعادة برينيان (Perpignan) من ملك أراغون حليف دوق بورغندي^(٩١٦).

المبحث الثاني

تدابير الدوق شارل الجريء العسكرية والدبلوماسية منذ

٩ حزيران ١٤٧٣ حتى ٢٥ تشرين الأول ١٤٧٤

خاض الدوق شارل الجريء قُدماً في توطيد مكانته دبلوماسياً وعسكرياً، واضعاف نفوذ مملكة فرنسا، فأجرى عام ١٤٧٣ مفاوضات مع دوق اللورين رينيه الثاني (René II, duke of Lorraine) (١٤٧٠-١٥٠٨)^(٩١٧)، انتهت الى حصول

(915) (R. J. Walsh, Op. Cit., p.342).

(916) (Ibid, p.12 – 14, 56).

(٩١٧) (١٤٥١-١٥٠٨): ولد في ٢ أيار في مدينة أنجيه، وهو أحد أبرز أمراء أوربا في أواخر العصور الوسطى. اعتلى دوقية لورين عام ١٤٧٣، ودوق بار عام ١٤٨٣، وارتبط اسمه على نحو خاص بمقاومته التوسع البورغندي في عهد شارل الجريء. وقد بلغ دوره ذروته في معركة نانسي، إذ ألحق بقوات بورغندي هزيمة حاسمة أفضت إلى مقتل شارل الجريء وانتهيار الدولة

شارل على حق حرية مرور جيوشه عبر أراضي دوق اللورين، لتمكينه من السفر من ديجون إلى بروكسل دون الحاجة إلى دخول الأراضي الفرنسية، والأهم من ذلك أن دوق اللورين سُمح بتعيين العديد من كبار القادة البورغنديين في التحصينات المهمة في لورين، مما حول دوقية اللورين إلى محمية بورغندية^(٩١٨).

وفي الوقت نفسه أرسل شارل الجريء حملة عسكرية ضد دوقية جيلدرز ادت الى اخضاع دوقية جيلدرز في ٩ حزيران ١٤٧٣، ولم تصمد بوجهه سوى مدينة نايميخن (Nijmegen)، فحوصرت ثلاثة أسابيع ولم تستسلم إلا بعد إحداثها خسائر جسيمة بالجيش البورغندي، وبعد الاستيلاء على جميع مدن جيلدرز، فرض شارل ضرائب باهظة وإدارة مركزية عليها، فعين حكاماً جدد في مدنها، وأدخل لوائح جديدة للقضاء الدوقي، ومنح صلاحيات شبه مطلقة لموظفي الدوقية القضائيين للسيطرة على المدن المتمردة، وفرض إدارة مركزية عليها، فعلى سبيل المثال عهد شارل إلى حاكم مدينة لياج جاي دي بريمو (Guy de Brimeu) (١٤٦٩-١٤٧٧)، بحكم مقاطعتين، وزوده بتعليمات لدمجهما في هيكل الدولة البورغندية، وقد عزز ضم دوقية جيلدرز مكانة الدوق شارل الجريء في الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ووطد مكانته كجار لكولونيا (Cologne)^(٩١٩).

ولو قيّمنا منطلقات سياسة الدوق شارل الجريء لوجدنا أن هدفها ابعاد دوقيته تماماً عن نفوذ فرنسا، وتحويلها الى قوة مستقلة تماماً لكن ذات روابط وطيدة مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وهو أمر غاية في الخطورة على مملكة فرنسا، لأنها هدّدت بانسلاخ دوقية بورغندي وتوابعها بضمها الفلاندرز عنها، وتحويلها الى قوة أوربية مستقلة مرتبطة بالإمبراطورية الرومانية المقدسة التي كانت منافستها التقليدية،

البورغندية، وتوفي ١٠ كانون الاول، للمزيد ينظر: Christine Barralis, René II lieutenant et duc de Bar (1473 – 1508), Annales de l'Est, Université de Lorraine, France, No.2, 2014, p.243 – 255.

)918(Bart Van Loo, Op. Cit., p.409.

)919(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.183

وفي إطار جهوده أنشأ شارل الجريء برلماناً في مالينس (Malines) امتدت سلطته إلى جميع مقاطعات البلاد المنخفضة، لتأكيد سلطته التامة عليها، وتأكيد استقلالها التام عن ملك فرنسا لويس الحادي عشر (٩٢٠).

في الصدد نفسه ضغط شارل الجريء على الإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث ليجعله وريثاً له في حكم الإمبراطورية، مع أن تسنم ذلك المنصب كان انتخابياً، ولإكساب نفسه شرعية تسنم منصب الإمبراطور الروماني المقدس سيطر الدوق شارل الجريء على شطر من الأراضي الواقعة على الأطراف الغربية للإمبراطورية الرومانية المقدسة، بدءاً بـ لياج وجيلدرز مروراً بالألزاس، وانتهاءً بالأراضي الشاسعة التابعة لأسقفية كولونيا، ثم اللورين (٩٢١).

يحسب للدوق شارل الجريء أنه في خضم مخططة السابق حرص على ادامة اصلاحاته العسكرية ليمتلك الأداة المناسبة لتوطيد سلطته وتنفيذ أهدافه الاستقلالية، فأصدر مرسوماً عسكرياً استثنائياً في تشرين الاول ١٤٧٣ تم فيه تغيير تنظيم السرايا جذرياً، فقد اختفى تماماً قادة المجموعات المكونة من عشرة رجال مسلحين، وبدلاً من تقسيمهم إلى عشرات، قُسم جنود كل سرية إلى أربعة أسراب متساوية الحجم، ضم كل منها قائداً وخمسة جنود، وهكذا أصبح كل سرب يتألف من خمسة وعشرين جندياً (٩٢٢).
تبنى نفخ الأبواق لحفظ النظام أثناء المسير والمعركة، كما وضعت لوائح وشارات لضمان تعرف الجنود على ضباطهم أثناء المعركة. وكان على قادة الأسراب ارتداء نفس الألوان والتصميم على الرايات المرفقة بقمصانهم والتي كانت ترقم (X1, X2, X3)، ولتشجيع الرجال على البقاء على مقربة ممن تدربوا معهم، كان من المقرر ترقيم الرايات، بحيث تُرقم راية السرب الأول بحرف (X) مطرز بالذهب، والراية الثانية بحرف (XX)، والثالثة بالحرف (XXX)، وبذلك الطريقة حافظت السرايا على وحدتها، وأصبحت أكثر فاعلية في ساحة المعركة (٩٢٣).

920(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

921(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.185

922(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.209 – 211.

923(Franck Viltart, Op. Cit., p.163.

عدلت مراسيم عام ١٤٧٣ القانون التأديبي ليكون أكثر مرونة وتجاوباً مع ميول المقاتلين ورغباتهم، لضمان طاعتهم لأوامر قادتهم، فعلى سبيل المثال بينما حظرت المراسيم الإنكليزية والفرنسية اقتراب "العاهرات" من الجند، سمح المرسوم البورغندي باصطحاب ٣٪ من العاهرات مع الجيش أي ٣٠ امرأة لكل سرية مكونة من تسع مائة جندي، وعدم إقامة علاقات شخصية بين المقاتل والعاهرة، لان النساء ملك لجميع مقاتلي السرية، كما نصت المراسيم العسكرية على تعليمات مفصلة للتمرين المنتظم في السلاح لسرايا المراسيم، مشيرة إلى "حركات دقيقة" للجسم محددة بدقة ومناورات منسقة لكل فئة تكتيكية، وحددت المراسيم أيضاً كيفية تعلم الجنود النظام والانضباط في مجموعات صغيرة ليتمكنهم بعد ذلك توجيه زملائهم الآخرين وتعليمهم، بحيث يتولى الجنود (الناقلون) تدريب رفاقهم في السلاح دون الحاجة الى ضابط كبير، وهكذا بدلاً من الروتين يتم خلق استعداد مستمر للتدريب العسكري عن طريق تغييره بشكل عشوائي، فلا يعرف الجنود متى سيطلب منهم أداء واجبهم، ويضطرون للبقاء في حالة تأهب دائم للحرب، وهكذا بدا الجيش البورغندي وكأنه كتلة واحدة متناسقة المناورات والتحركات^(٩٢٤).

نص ذلك المرسوم على تشديد الانضباط بجميع أنواعه، مع إيلاء اهتمام خاص للهاربين من الخدمة، ووضع عقوبات قاسية ضدهم تصل الى الاعدام، ومنع الجنود من لعب النرد وتبادل اللعن والسب والمشاجرات^(٩٢٥)، وانفرد مرسوم ١٤٧٣ في تأكيد على ضرورة وجود وثائق تتضمن وصف تفصيلي لمعدات الجنود ومؤونهم، ونص أيضاً على أن تكون سرعة المقاتل بعيدة عن البطئ أو السرعة الشديتين، وضرورة تعلم الرماة القتال مترادفين من خلال الدفاع المزدوج، أو في مربع، أو دائرة، شريطة وجود حاملي الرماح في الخارج لصد هجوم العدو^(٩٢٦)، وركز المرسوم أيضاً على مؤهلات

924(Michael S. Drake, Op. Cit., p.224 – 226.

925(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.209 – 225.

926(Bart Van Loo, Op. Cit., p.418.

قادة الجيش الدوقي وصلاحياتهم، لضمان خبرة قواد السرايا والأسراب، وقدرتهم على توجيه مقاتليهم^(٩٢٧).

حرص الدوق شارل الجريء على زج المزيد من المرتزقة في جيشه، فضلاً عن الايطاليين الذين كانوا اوائل مرتزقة جيشه جند الدوق شارل مرتزقة من جنسيات مختلفة ك الإنجليز والالمان والبولنديين، لكن الايطاليين ظلوا أهم من سواهم لسهولة وسرعة تجنيدهم بأعداد كبيرة، وهو أمر احتاجه لإدامة فعالياته القتالية الكثيرة^(٩٢٨)، كما جند الدوق شارل المرتزقة السويسريين لانهم مقاتلون شرسون، مهروا في استعمال سلاح الهالبيرد(Halberd) وهو عمود خشبي تراوح طوله بين خمسة وسبعة أقدام، مُثبت عليه رأس رمح وخطاف ونصل فأس، وكمنت أهمية ذلك السلاح من أهميته في سحب درع فرسان الأعداء، وسحبهم من خيولهم، فضلاً عن استخدام رأس الرمح للطعن ونصل الفأس للقطع^(٩٢٩).

اثبت الدوق شارل الجريء نضجاً سياسياً وبعد نظر شديدين حين اجرى بعد اصلاحاته وتدبيره العسكرية مباشرةً مفاوضات مع الإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث حول إمكانية تحويل بورغندي إلى مملكة مستقلة، مما دفع الملك لويس الحادي عشر لإعلان الحرب على شارل على أساس عدائه لمملكة فرنسا، وأمر بمصادرة القابه واقطاعاته الفرنسية، ورداً على ذلك منع شارل رعاياه البورغنديين من اللجوء إلى برلمان باريس (Paris Parliament)، معلناً أنه لم يعد تابعاً للتاج الفرنسي^(٩٣٠).

هنا لا بد من التنويه إلى أن دوق بورغندي شارل الجريء أعاد الكرة في توجيهه الى الإمبراطور الروماني المقدس فردريك، الذي كان أمله الوحيد في الحصول على لقب ملك، والتوحيد الإقليمي بين دوقية بورغندي واللورين وهولندا وباقي ممتلكات شارل الجريء لتحويلها الى مملكة مستقلة، ولضمان دعم الإمبراطور فردريك الثالث لمشروعه

927(Christopher Allmand, The New Cambridge ..., Vol 7, Op. Cit., p.133.

928(R. J. Walsh, Op. Cit., p.342 – 346.

929(Albert Winkler, Op. Cit., p.12.

930(Valérie Bessey, Op. Cit., p.296.

الطموح عرض الدوق شارل الجريء صفقة زواج ابنته الوحيدة ماري من الأرشيديوق ماكسيميليان الأول^(٩٣١).

التقى الدوق شارل الجريء مع الإمبراطور المقدس فردريك الثالث في ترير (Trier) بتاريخ تشرين الاول ١٤٧٣، للتفاوض حول صفقتي الزواج والاستقلال البورغندي، واثناء المفاوضات اشترط شارل أن يكون ثمن زواج ابنته ماري انتخابه امبراطوراً على الرومان خلفاً له، والاعتراف به ملكاً على مملكة بورغندية تمتد من بحر الشمال إلى حدود سافوي، فأخبره الإمبراطور أن اختياره خلفاً له يقتضي وقتاً طويلاً ويحتاج الى تحضيرات وتدابير كثيرة^(٩٣٢)، والأفضل له التركيز على ضمان استقلال ممتلكاته عن فرنسا، وتحويلها الى مملكة مستقلة^(٩٣٣).

انتهت المفاوضات إلى اتفاق الطرفين على اعداد الإمبراطور فردريك الثالث الوثائق اللازمة لترقية شارل الجريء إلى مرتبة ملك، ودفع شارل الجريء ٨٠ ألف غولدن للإمبراطور فردريك الثالث مقابل توليه منصب إقطاعي في مقاطعتي جيلدرز وزوتفن، ومع أن الدوق شارل الجريء دفع المبلغ الذي بذمته الى الإمبراطور فردريك الثالث، إلا أن الإمبراطور تتصل عن وعده، وغادر ترير ليلة ٢٤ تشرين الثاني ١٤٧٣ دون استكمال وثائق ترقية شارل الجريء الى ملك، وأبحر عبر نهر الراين خفية دون أن يتنازل عن شيء، تاركاً وراءه شارل الجريء الذي توقع أن يدخل ترير دوقاً ويغادرها ملكاً^(٩٣٤)، وفي اليوم التالي أدرك شارل الجريء حيلة الإمبراطور فردريك الثالث^(٩٣٥)، فغادر ترير في ٢٦ تشرين الثاني ١٤٧٣ دون تحقيق شيء يذكر، وأبحر عبر نهر موزيل إلى ثيونفيل في دوقية لوكسمبورغ^(٩٣٦).

931(Gordon Martel, Op. Cit., p.1 – 2.

932(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

933(R. J. Walsh, Op. Cit., p.3 – 4.

934(Thomas A. Brady Jr, Op. Cit., p.104.

935(Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.185

936(Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.16.

لم يقف شارل الجريء ساكناً ازاء المأزق الذي زجه فيه الإمبراطور فردريك الثالث، فتبنى دبلوماسية كسب أكبر عدد ممكن من معارضي الامبراطور لتحقيق خطته في تأسيس مملكة تمتد من بحر الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط^(٩٣٧)، وتمكن الدوق شارل الجريء من إدراج ستة وعشرين حليفاً له، منهم تسعة ملوك وستة دوقات وثلاثة رؤساء أساقفة مقابل خمسة عشر حليفاً للملك لويس الحادي عشر^(٩٣٨). مما له مغزاه أن الدوق شارل الجريء تفرغ للشؤون المالية لممتلكاته لإرساء بنية تحتية لها تضمن تحولها الى مملكة مستقلة بسهولة، فاجرى تحسينات في الشؤون المالية، ليس آخرها دمج محاكم المحاسبة في ليل وبروكسل ولاهاي في مؤسسة كبيرة تقع في ميشيلين، وتنظيم وسائل الحصول على دعم مالي إضافي من ممتلكاته، وإرساء نظام عام لفرض الضرائب في جميع أنحاء بورغندي، وإعادة الهيكلة المبكرة للنظام القانوني لممتلكاته^(٩٣٩).

في اطار اصلاحاته الإدارية والمالية وقّع شارل ستة مراسيم في ثيونفيل في ٨ كانون الاول ١٤٧٣، انشأ بموجب المرسوم الأول برلمان ميشيلين (Parliament in

937(Barany Attila, Op. Cit., p.69 – 88.

938(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.180.

939(Bart Van Loo, Op. Cit., p.418.

Mechelen)^(٩٤٠)، للنظر في الطعون المقدمة من المحاكم الأدنى درجة، مما جعل ذلك البرلمان مؤسسة قضائية وإدارية مركزية^(٩٤١).

نظم الدوق شارل بموجب مرسومه الثاني عقود تعيين موظفيه، وأسس بموجب الثالث خزانة موحدة (غرفة حسابات للبلدان المنخفضة في ميشيلين)، وعين في المرسوم الرابع موظفيها، ومنح في المرسوم الخامس حقوقاً خاصة لرسوم المرور لمدينة ثيونفيل، وتضمن المرسوم السادس أمراً بتعيين روبرت من بافاريا (Robert of Bavaria)، رئيساً لأساقفة كولونيا^(٩٤٢).

استكمل الدوق شارل الجريء مستلزمات انشاء مملكته حين اشترى دوقية اللورين، التي أنهت الفجوة بين أراضيه المنخفضة والجنوبية، ونقل بلاطه إلى نانسي (Nancy) في كانون الأول ١٤٧٣^(٩٤٣).

توجست مدن الألزاس والكانتونات السويسرية وارشيديوق النمسا سيجيسموند من أطماع الدوق شارل الجريء في أراضيهم، فشكل اتحاد المدن الإمبراطورية الألزاسية الحرة الأربع: ستراسبورغ (Strasbourg)، وبازل (Basel)، وكولمار (Colmar)، وسيلستا (Sélestat) وأساقفة بازل وستراسبورغ وبعض مدن الراين تحالفاً دفاعياً سُمي

(٩٤٠) اهتم شارل بالمجلس الكبير وأطلق عليه اسم "المحور الرئيس للدستور البورغندي"، وطور سلطاته، وزاد تطور المجلس الكبير مع فيليب الجريء، فلم يقتصر دوره على مساعدة الدوق في تحقيق العدالة فحسب، بل صياغة السياسة الدوقية، وفي أشهر الشتاء، يجتمع المجلس من الساعة ٨:٠٠ صباحاً حتى ١١:٠٠ ظهراً، وفي الصيف تعقد الاجتماعات من الساعة حتى العاشرة صباحاً، وجعله شارل أعلى محكمة استئناف لأراضيه، فبدأ المجلس في محاكمة القضايا الابتدائية وملاحقة المجرمين واعتقالهم في جميع أراضي الدوق، وكان الدوق نفسه على استعداد لسماع التماسات رعاياه عن طريق لقاء عام ثلاث مرات أسبوعياً، وكان شارل بصفته سيد تلك المراسيم، يتمتع بسلطة قضائية لمنح الإعفاءات وإصدار أوامر احتجاز، وأصبح المجلس يتألف من رئيسين، وأربعة فرسان، وستة رؤساء محاكم، واثنى عشر عضواً، وأعضاء في المجلس الديني، وضابطين عسكريين، ووكيل نيابة ونائبه، وأربعة أمناء، وثلاثة مسجلين، وتسعة وكلاء نيابة، وكان ذلك المجلس سلاح فيليب حين تحدى برلمان باريس وملك فرنسا، للمزيد ينظر:

Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.10, 13, 16 – 17.

(941) David Nicholas, Medieval Flanders ..., p.392.

(942) Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.16.

(943) Gustav Tobler, die Berner Chronik des Diebold Schilling 1468 – 1484, Vol. I, K. J. Wyss, Bern, 1897, p.352.

الاتحاد السفلي (The Lower Union) في شباط ١٤٧٤، ثم بذل الملك لويس الحادي عشر جهداً لافتاً للتوفيق بين اعداء شارل الجريء انتهى الى تحالف الاتحاد السفلي في ٣١ أذار ١٤٧٤ مع الاتحاد العلوي (The Upper Union) المؤلف من الكانتونات السويسرية الثمانية، وأنظم اليهما سيجيسموند أرشيدوق النمسا^(٩٤٤)، بسبب احتفاظ الدوق شارل الجريء بالالزاس ورفض إعادتها لسيجيسموند مرة أخرى^(٩٤٥).

كون أولئك الحلفاء في نيسان ١٤٧٤ عصبة كونستانس (League of Constance)، التي انضم إليها لاحقاً دوق اللورين رينيه الثاني، وقد جمعت تلك العصبة جيشاً قوياً قوامه أربعون ألف رجل لمقاتلة دوق بورغندي شارل الجريء^(٩٤٦)، والتخلص من نائبه على الالزاس العليا بيتر فون هاكنباخ (Peter Von Hagenbach)^(٩٤٧)، الذي كان مكروهاً من سكان الالزاس بسبب الضرائب القاسية التي فرضها عليهم^(٩٤٨)، ومُستهدفاً من الاتحاد السويسري بسبب تهديداته المتكررة بغزو مناطقه، واحتلال مدينة مولهاوس (Mulhouse)، الحدودية ما لم يتبع سياسات موالية للبورغنديين^(٩٤٩).

واستناداً لما سبق فإن الدوق شارل الجريء رغم جميع قدراته ومهاراته فشل في تحقيق هدفه، لأنه لم يكن صنو الملك لويس الحادي عشر ولم يمتلك مهاراته، كما أنه اقترف خطأ فادحاً حين فشل في التحالف مع الأمراء الالمان المناوئين لفرنسا لدعمه في صراعه معها، وتورط في صراعات مع أولئك الامراء ومنهم دوق اللورين رينيه الذي تحالف مع السويسريين نكاية بشارل الجريء، فضلاً عن مدينة ستراسبورغ التي تخوف سكانها من طموحات شارل الجريء فرفضوا التعاون معه، والأخطر من ذلك كله خسارة شارل حظوة بنك ميديشي (The Medici bank)^(٩٥٠).

944(Thomas A. Brady Jr, Op. Cit., p.105.

945(Barany Attila, Op. Cit., p.69 – 88.

946(Rwf Van Der Wolf, Op. Cit., Part 6, p.1 – 2.

947(Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.183.

948(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

949(Robert Douglas Smith, Kelly Devries, Op. Cit ., p.173.

950(Cathal J. Nolan, Op. Cit., Vol. I, p.98.

شهد الصراع تطوراً نوعياً، حين قرر الدوق شارل الجريء هزيمة جيش تلك العصابة، واحتلال ما تيسر من أراضيها، لاستكمال مشروع تأسيس مملكة بورغندية بين فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة^(٩٥١)، فسار بجيشه إلى الألزاس العليا لدعم نائبه بيتر فون هاكنباخ، فتمكن من فرض سلطته في الألزاس، لكن بمجرد مغادرته أياها تمرد الألزاسيون في ٩ نيسان ١٤٧٤ بدعم عصابة كونستانس^(٩٥٢)، وفي ٩ أيار ١٤٧٤ اطاح سكان ستراسبورغ ببيتر فون هاكنباخ، وبعد اعتقاله حوكم بتهمة ارتكاب جرائم حرب، وحُكم عليه بقطع رأسه، وكان ذلك ايزاناً بانتهاء الحكم البورغندي في الألزاس^(٩٥٣).

فرأى الدوق شارل الجريء فيما سبق تحدياً سافراً لمشاريعه التوسعية، لذا زحف بجيوشه لإعادة الألزاس، فتوجه أولاً نحو مونتيليارد (Montbéliard)، للانتقام من سيجيسموند، لكنه قرر استباق ذلك بالتدخل في إمارة كولونيا (The principality of Cologne)، مستغلاً حدوث اضطرابات فيها بسبب نشوب صراع بين رئيس أساقفتها روبريخت بالاتينات (Ruprecht of the Palatinate) (١٤٦٣-١٤٨٠)، ومدن الراين التجارية^(٩٥٤).

فتخلى أغلب أتباع روبريخت عنه، بضمنهم مواطنو كولونيا، وطلبوا من البابا والإمبراطور فردريك الثالث ازاحته، وأعلنوا لاندغريف هيرمان الرابع من هيسن (Landgrave Hermann IV of Hesse) (١٤٨٠-١٥٠٨)، مسؤولاً وحامياً للأسقفية، فطلب روبريخت مساعدة الدوق شارل الجريء، الذي أعلن نفسه حامياً لكولونيا، وبعد سلسلة مناوشات حاول شارل التوصل إلى سلام تفاوضي مع المدن

951(Albert Winkler, Op. Cit., p.9.

952(Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.183 ; Julien Dubray, Op. Cit., p.11.

953(Rwf Van Der Wolf, Op. Cit., Part 6, p.1 – 2.

954(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.98.

المتمردة، فعقد في ١٤ آيار ١٤٧٤ مؤتمر ماستريخت (Maastricht Conference)، الذي انتهى بفشل ذريع^(٩٥٥).

احكم اعداء الدوق شارل الجريء الطوق حوله حين ابرموا ١٣ حزيران ١٤٧٤ اتفاقاً دفاعياً في برن (Bern)، لتوحيد طاقاتهم العسكرية ازاء أي هجوم بورغندي عليها، لكن الدوق شارل الجريء تجاهلهم وخطط في ٢٢ حزيران ١٤٧٤، لحصار مدن كولونيا بدءاً بمدينة نويس، التي اراد احتلالها لضمان خطوط إمداد الهجوم البورغندي على باقي مدن كولونيا، وبالتوازي مع ذلك أبرم الدوق شارل الجريء حلفاً مع الملك الإنكليزي إدوارد الرابع لسحق فرنسا، فعقد الطرفان في ٢٥ تموز ١٤٧٤ معاهدة لندن (Treaty of London)، التي تضمنت وعداً صريحاً من الملك إدوارد الرابع بغزو فرنسا في الصيف التالي، ووعد شارل بتقديم عشرة آلاف جندي لمساعدته في غزوه المرتقب، وتتويجه ملكاً على فرنسا في ريمس بعد انتصاره^(٩٥٦).

تضمن التحالف تعهد إدوارد الرابع بعد تسنمه عرش فرنسا بالتنازل للدوق شارل الجريء عن بار (Bar)، نيفيرز (Nevers)، ريثيل (Rethel)، يو (Eu)، وجيز (Guise)، دونزي (Donzy)، تورناي (Tournai)^(٩٥٧)، وشامبانيا وبيكاردي (Picardy)^(٩٥٨)، ورفع الضرائب الملكية على ممتلكات الدوق شارل الجريء^(٩٥٩)، وهكذا تحرر الدوق رسمياً من تبعيته للملك لويس الحادي عشر^(٩٦٠).

ميدانياً وصل الجيش البورغندي في ٢٨ تموز ١٤٧٤ إلى البوابة الجنوبية لمدينة نويس، وبدأ بقصفها بالمدفعية لاخترق الأسوار وعزل المدينة، ثم عين شارل الجريء رجالاً على كل بوابة، وحاصر النهر عبر نويس بخمسين زورقاً مع تأمين

955(Gareth Williams, Fools Rush In ..., p.Vol. 4, No. 4, p.22.

956(Ibid, p.22 – 23.

957(Gareth Williams, Fools Rush In ..., p.Vol. 4, No. 4, p.22 – 23.

958(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.99.

959(Richard Vaughan, Charles The Bold ..., Op. Cit., p.340 – 341.

960(Edward Adib Tabri, Op. Cit., p.26.

الجزيرتين المحاذيتين للمدينة^(٩٦١)، ومع أن البورغنديين وصلوا أسوار نويس مراراً وتكراراً، لكنهم اضطروا للانسحاب^(٩٦٢)، حينها قرر الكونفدراليون السويسريون وآل هابسبورغ تكثيف جهودهم ضد الدوق شارل، فأبرموا معاهدة الإدارة الأبدية (Ewige Rightung) في ١٤ تشرين الاول ١٤٧٤، ثم اجتمع المجلس التنفيذي للاتحاد السويسري في مدينة لوسيرن (Luzern)، وأعلن الحرب رسمياً على شارل الجريء في ٢٥ تشرين الاول ١٤٧٤^(٩٦٣).

المبحث الثالث

سجلات الدوق شارل الجريء مع السويسريين حتى مقتله أرسل شارل الجريء بعد فشله في الاستيلاء على نويس جيشه إلى اللورين لإنقاذها من المجاعة^(٩٦٤)، ثم انخرط في صراع متعدد الجنسيات عُرف بـ الحرب البورغندية - السويسرية (Burgundian Swiss War) (١٤٧٤-١٤٧٧)، وهي عبارة عن صراع مفتوح اندلع عام ١٤٧٤ بين دوقات بورغندي والاتحاد السويسري القديم وحلفائه، وهُزم دوق بورغندي فيها ثلاثة مرات أثناء السنوات التالية، بسبب رغبته للاحتفاظ بملكية الألزاس العليا ضد التحالف الثلاثي (الاتحاد السفلي، والاتحاد العلوي، وسيجيسموند أرشيدوق النمسا)، الذي خاض سلسلة معارك شرسة ضد القوات

961(L. J. Andrew Villalon And Donald J. Kagay, Op. Cit., Part .I, Vol 25, p.445.

962(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.184.

963(Albert Winkler, Op. Cit., p.13.

964(Michael S. Drake, Op. Cit., p.225 – 226.

البورغندية^(٩٦٥)، ومع أن الالزاس كانت السبب المباشر لتلك المعارك، لكن سببها الأهم رغبته في توسيع نطاق نفوذه ورفعها إلى مصافّ الممالك، لجعلها إحدى القوى العظمى في أوربا، فضلاً عن رغبته في ربط ممتلكاته الأساسية في الشمال بالأراضي الإيطالية الغنية في الجنوب، وهو أمر تطلب سيطرته على بعض أراضي الاتحاد السويسري الواقعة بين القسمين^(٩٦٦).

انتهى إلى صدام دام بين جيوش دوق بورغندي واعدائه السويسريين في معركة هيريكورت (Battle of Hericourt)، بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٤٧٤، وهي من أوائل معارك التاريخ الأوروبي التي خاضها الجنود ببنادق يدوية، وحدثت المعركة حين حاصر ثمانية عشر ألف من الجيش السويسري وحلفائه مدينة هيريكورت في مقاطعة بورغندي التابعة لـ شارل، فحاول الجيش البورغندي الذي تراوح عدده بين عشرة آلاف إلى اثنتي عشرة ألف مقاتل كسر الحصار، لكنه هُزم وتكبّد خسائر ناهزت ثلاثة آلاف مقاتل، واستولى السويسريون على مدينة هيريكورت، وهي أول هزيمة كبيرة لقوات شارل الجريء، التي شكلت بداية نهاية الدوق وانتهاء نفوذ دوقيته^(٩٦٧).

تجاهل شارل الجريء هزيمته السابقة وأصر على احتفاظه بالالزاس ورفض بيعها إلى سيجيسموند^(٩٦٨)، ولإدامه تهديده لفردريك الثالث أبرم في تشرين الثاني ١٤٧٤ معاهدة مع ملك المجر ماتياس كورفينوس (Matthias Corvinus) (١٤٥٨-١٤٩٠)، اتفقا بموجبها على تقسيم الإمبراطورية الرومانية المقدسة بينهما، وتقرر أن يغزو شارل المدن والاسقفيات والأراضي الواقعة على طول نهر الراين ويحتفظ بها مع دعم الملك ماتياس له في المجمع الانتخابي ليصبح إمبراطوراً على الامبراطورية الرومانية المقدسة، مقابل حصول الملك ماتياس على مدينة بريسلاو (Breslau)، ومملكة بوهيميا^(٩٦٩).

965(Thomas A. Brady Jr, Op. Cit., p.105

966(Cathal J. Nolan, Op. Cit., Vol. I, p.98 – 99.

967(John Foster Kirk, Op. Cit., Vol. III, p.21.

968(Barany Attila, Op. Cit., p.69 – 88.

969(Ibid, p.74 – 75.

خاض دوق بورغندي شارل قُدماً في تحالفاته ضد اعدائه، فباشِر في أواخر تشرين الثاني ١٤٧٤ مفاوضات مع دوق ميلانو غالياتسو ماريّا سفورزا انتهت الى عقد معاهدة مونكاليري (Treaty of Moncalieri) في ٣٠ كانون الثاني ١٤٧٥ التي أنهت ارتباط ميلان بفرنسا، وربطتها بتحالف وثيق مع سافوي وبورغندي^(٩٧٠)، فابتهج البورغنديون بتلك المعاهدة لأنهم لا يستطيعون الحصول على مساعدات من أصدقائهم الآخرين في إيطاليا الا عن طريق ميلانو، وهكذا مثلت معاهدة مونكاليري تنويعاً للسياسة الإيطالية التي انتهجها شارل الجريء^(٩٧١).

أدام شارل الجريء فعالياته العسكرية ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة تنفيذاً لبنود تحالفه مع الملك المجري ماتياس، فاستمر في حصار مدينة نويِس الواقعة على نهر الراين لكن الإمبراطور فردريك الثالث أرسل ضده جيشاً كبيراً أجبره على فك حصاره في ٢٧ حزيران ١٤٧٥، بعد عشرة أشهر استنزفت الكثير من موارد الجيش البورغندي، فأضطر شارل الجريء الى توقيع هدنة، ووعد الإمبراطور فردريك الثالث مجدداً بتزويج ابنته الوحيدة ماري بورغندي من ابنه ماكسيميليان، وهكذا نال الإمبراطور الماكر ما أراد، ثم انسحب الدوق إلى بلاده خالي الوفاض^(٩٧٢).

لجأ شارل الجريء بعد فشله في نويِس لمهاجمة دوقية اللورين التي شكلت عائقاً جغرافياً بين ممتلكاته الشمالية (الأراضي المنخفضة) والجنوبية (دوقية بورغندي)، فقاد حملة خاطفة انتهت الى طرد الدوق رينيه الثاني منها، وتزامناً مع ذلك تعرض الدوق شارل الجريء الى اخفاق كبير في المضمار الفرنسي، فقد زحفت جيوش حليفه ملك إنكلترا ادوارد الرابع من كاليه الى اراضي شمال فرنسا في تموز ١٤٧٥ تنفيذاً لاتفاقهما السابق بمهاجمة الأراضي التابعة للملك لويس الحادي عشر في شمال فرنسا حتى عسكرت قرب مدينة بيرون المحاذية لممتلكات الدوق شارل الجريء في ٢ آب ١٤٧٥، فخدعهم حاكمها الكونت سانت بول متظاهراً بالرغبة في الاستسلام لهم، وتسليمهم مدينة كونتين أيضاً، لكنه أطلق نيران مدافعه على الجيش الإنكليزي عند اقترابه من

(970) (Gustav Tobler, Op. Cit., p.339.

(971) (R. J. Walsh, Op. Cit., p.8 – 13.

(972) (Thomas A. Brady Jr, Op. Cit., p.105

أسوار مدينته، وحين طلب الملك ادوارد الرابع الدعم من حليفه الدوق شارل الجريء لم يحصل على شيء منه لإنشغال شارل بحملته على اللورين، ف شعر الملك ادوارد الرابع بالخذلان، وقرر التفاوض مع الملك الفرنسي لويس الحادي عشر، فدخل الطرفان مفاوضات منذ ١٥ آب ١٤٧٥، عبر خلالها الملك الفرنسي عن حسن نواياه ازاء الإنجليز لكسبهم، فزود جيشهم في ٢٥ آب من العام نفسه بكميات كبيرة من الطعام والنبذ^(٩٧٣).

اجتمع العاهلان في ٢٩ آب ١٤٧٥ في مدينة بيكيني بمقاطعة بيكاردي الفرنسية، وأبرما معاهدة بيكيني (Treaty of Picquigny)، التي نظمت العلاقات الإنكلو- فرنسية^(٩٧٤)، فتبادلا بنود المعاهدة الجديدة، وأقسما رسمياً على الالتزام بها، وبمجرد حصول إدوارد الرابع على راتب سنوي قدره خمسون ألف كرونة ذهبية من الملك لويس مع كفالة الباقي، غادر إدوارد الرابع فرنسا مع جيشه، وتخلّى عن مطالبه بالعرش الفرنسي، فتفاخر لويس الحادي عشر أنه طرد الإنجليز من فرنسا بفطائر لحم الغزال والنبذ الفاخر، وبعد تخلص لويس الحادي عشر من خطر الإنجليز، أدرك الدوق شارل الجريء أن مخططاته العسكرية ضد الملك الفرنسي انتهت الى فشل ذريع، وأقنع أنه لامناص من الاتفاق الدبلوماسي معه، فباشر الطرفان مفاوضات شاقة انتهت الى ابرام معاهدة سولوفر السرية (Traité de Soleuvre)، في ١٣ آيلول ١٤٧٥، ومدتها تسعة سنوات، وكان من نتائجها المباشرة أنها مكّنت الملك لويس الحادي عشر من التعامل مع رعاياه المتمردين وعلى رأسهم الكونت سانت بول، وهيأت فرصة ثمينة للدوق شارل الجريء للسير قُدماً في

(973) Robert J. Knecht, Op. Cit., p.100.

(٩٧٤) نصت المعاهدة على الأحكام التالية: هدنة لمدة سبع سنوات بين الملكين وحلفائهما، وتحالف زواج بين اليزابيث يورك ابنة ادوارد الرابع من تشارلز ولي عهد فرنسا عند بلوغها سن الزواج، وحرية التبادل التجاري بين البلدين، وحصول ادوارد على تعويض فوري قدره ٧٥ ألف كرونة ذهب من لويس، إحالة أي خلافات بين البلدين إلى مُحَكِّمين من كل جانب، عدم تشكيل أي من الملكين تحالفاً دون علم الآخر، للمزيد ينظر:

Gareth Williams, Fools Rush in ..., Vol. 4, No. 4, p.26.

مخططاته التوسعية في الاراضي السويسرية المحاذية لممتلكاته^(٩٧٥).

كانت دوقية اللورين منطلق جيوش شارل الجريء، فمنذ عزل دوقها رينيه الثاني في أيلول ١٤٧٥ زحفت الجيوش البورغندية على طول نهر الموزيل (Moselle River)، واستولت على مدنه بوحشية^(٩٧٦)، فحين استولى البورغنديون على حصن بريي (Fortress of Briey)، وفرانش-كومتية (France-Comté)، وأسوار مدينة مورتين (City Walls of Murten) في أيلول ١٤٧٥، أسروا السويسريين الذين صمدوا أمام قصفهم المدفعي المتواصل لثلاثة أيام، فأعطاهم السويسريون إثنا عشر ألف غولدن مقابل الإبقاء على حياتهم. فأخذ البورغنديون المال، لكن شارل أمر بقتلهم، فشنق ثلاثمائة سويسري، وهدد الدوق قائلاً: "هكذا سأفعل مع جميع السويسريين"^(٩٧٧). فانتم رجال برن، وفريبورغ (Fribourg)، لإعدامات بريي ودمروا مدينة إستافاير (Estavayer)، المحصنة في تشرين الاول ١٤٧٥، وقتلوا الرجال المدافعين عنها، وأفادت التقارير أن السويسريين قتلوا بين ١٠٠٠ - ١,٣٠٠ من السكان، فهرب بعض المدافعين عن المدينة إلى قلعة شينو (Chenaux Castle)، لإنقاذ حياتهم، فاقترح السويسريون القلعة وقتلوا من فيها^(٩٧٨)، لكن ما سبق لم يفت في عضد الدوق شارل الذي اقتحم نانسي عاصمة اللورين في ٣٠ تشرين الثاني ١٤٧٥ بعد حصار دام أكثر من شهر، فوصل الى ذروة قوته^(٩٧٩).

زحف شارل نحو برن من الغرب بجيش جرار بلغ عدده حوالي ٢٠,٠٠٠ واستولى على حصون مهمة أثناء تقدمه، ولأسناد تحركاته أنشأ تحالف مونكالييري (League of Moncalieri)، مع ميلانو وسافوي ضد برن^(٩٨٠)، ومع أن ذلك

975(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101.

976(Nicholas Hooper And Matthew Bennett, Op. Cit., p.150.

977(Albert Winkler, Op. Cit., p.15.

978(Ibid, p.15 – 16.

979(Gustav Tobler, Op. Cit., p.336.

980(Albert Winkler, Op. Cit., p.9 – 10, 16 – 17.

التحالف لم يكن موجها بصورة مباشرة ضد الملك الفرنسي لويس الحادي عشر لكنه قلب الطاولة عليه في شبه الجزيرة الايطالية، لأن شارل الجريء أصبح حليفاً لثلاثة من القوى العلمانية الأربع الكبرى في شبه الجزيرة (نابولي، والبندقية، وميلانو)، وحتى القوة الرابعة جمهورية فلورنسا، التي ظلت لمدة طويلة موالية للملكية الفرنسية، أصبحت مهياة لدعم شارل، من خلال حليفهم المشترك البنادقة في حالة نشوب صراع فرنسي - بورغندي، أما خامس القوى الإيطالية الكبرى البابوية، فلم تستطع أن تصبح حليفاً معلناً لأي من الطرفين لمصالحها المتشعبة في كليهما^(٩٨١).

لا بد من القول أن الاندفاع العسكري والدبلوماسي آنف الذكر لـ شارل الجريء، اقترن بنظام عسكري متقن وصلت اليه جيوشه في جميع ممتلكاته مطلع عام ١٤٧٦، فقد شكلت الأفواج والسرايا العمود الفقري لقواته في المعارك، بينما استخدمت قوات المدن لحراسة المدن، مما قلل المقاومة الداخلية ضد طموحاته التوسعية، ولم يكتف الدوق شارل الجريء بذلك بل عزز في ١١ كانون الثاني ١٤٧٦ قواته بأفضل المرتزقة ورماة الأقواس من إيطاليا وإنجلترا، ورماة البنادق من ألمانيا، وحاملو الرماح من الراينلاند، فضلاً عن المدفعية^(٩٨٢).

غادر في ٣١ كانون الثاني ١٤٧٦ نانسي مع جيش قوي لمساعدة يولاند فالوا دوقة سافوي (Yolande of Valois the duchess of Savoy) (١٤٦٥-١٤٧٢)، في استعادة أجزاء من كانتون فود (Canton of Vaud) من السويسريين، ولصعوبة مهمته طلب مساعدة الملك لويس الحادي عشر^(٩٨٣)، وانضم الدوق شارل الجريء في ١٩ شباط ١٤٧٦ إلى جيشه تحت الأسوار الرمادية لمدينة غراندسون، وفي ٢١ شباط ١٤٧٦، حاصر قلعة غراندسون (Grandson Castle)، الواقعة على ضفاف بحيرة

(981) (R. J. Walsh, Op. Cit., p.13.

(982) (Michael S. Drake, Op. Cit., p.225 – 226.

(983) (Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101 – 103.

نوشاتيل (Lake Neuchatel)^(٩٨٤)، فسيطر على بلدة غراندسون المحاذية لها في اليوم التالي^(٩٨٥).

استسلمت حامية القلعة السويسرية في ٢٨ شباط ١٤٧٦، ورداً على الوحشية السويسرية في مدن بورغندي أمر شارل بشنق عناصر الحامية البالغ عددهم أكثر من أربعمائة مقاتلاً، فشنعوا أمام خيمته، وغرق من تبقى منهم في بحيرة نوشاتيل، وفي اليوم التالي قاد الدوق حملة استطلاعية إلى فوماركوس (Vaumarcus)، ونصب حامية فيها^(٩٨٦).

ركز الدوق شارل على احتلال مدينة فود، التي سيطر مقاتلي برن على تحصيناتها، فاتجه إليها بإحدى عشر ألف مقاتل مقابل عشرين ألفاً من عناصر العصابة السويسرية ثلثهم من برن^(٩٨٧)، وفي إطار السجال بين الطرفين زحف البورغنديون شمالاً لإقامة معسكرهم في قلعة فوماركوس في ١ آذار ١٤٧٦، فتبعتهن قوات العصابة السويسرية ونجحت في الحصول على رتل مدفعية بورغندي يضم أكثر من أربعمائة مدفع فائق الجودة، فضلاً عن الذخيرة وعربات الدعم^(٩٨٨).

اصطدم الجيش البورغندي بمقاتلي العصابة السويسرية، فنشبت معركة غراندسون (Battle of Grandson) في ٢ آذار ١٤٧٦، وهي إحدى أكثر المعارك حسماً في التاريخ السويسري، والمعركة المحورية في الحروب البورغندية (١٤٧٤ - ١٤٧٧)، التي حدثت بين السويسريين البالغ عددهم ثمانية عشر ألف مقاتل وستة وثلاثين ألف بورغندي، أي ضعفهم تقريباً، لكن كثرة البورغنديين وكفاءة تسليحهم لم تحل دون تعرضهم الى هزيمة نكراء أمام السويسريين، بالشكل الذي دمر الجيش

(984) Anne Curry, Adrian Robert Bell, Soldiers, Weapons And Armies In The Fifteenth Century, Journal of Medieval Military History, Boydell & Brewer Ltd, Vol IX, 2011, p.125.

(985) Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101 – 103.

(986) Albert Winkler, Op. Cit., p.9 – 10, 16 – 17.

(987) Anne Curry, Adrian Robert Bell, Op. Cit., p.125.

(988) Cathal J. Nolan, Cathal J. Nolan, Op. Cit., Vol. I, p.98 – 100.

البورغندي، فجرح حصان الدوق شارل بعد ثلاثة ساعات من القتال، ولاذ الدوق هرباً مع من تبقى من مقاتليه، تاركين كنوزهم الثمينة^(٩٨٩).

شملت "غنائم بورغندي الأسطورية"، خياماً وأثاثاً ومؤناً وآثاراً ولوازم وذخائر وكؤوساً من الفضة والذهب وأحجار كريمة، ومبالغ طائلة من المال، وكنوزاً فنية مثل المفروشات المزخرفة، والأهم من ذلك، الأغراض العسكرية، كما استولى السويسريون على أربعمئة وعشرون مدفعاً كبيراً، وثمانمئة مدفع أصغر، ومئات الأطنان من البارود، وآلاف الخيول، وآلاف أسلحة المشاة، بما في ذلك فؤوس القتال، الرماح، الحراب، الأقواس والسهام^(٩٩٠)، وهكذا اثبت السويسريون قدرتهم الكبيرة على هزيمة جيوش الدوق شارل النظامية المزودة بأفضل وأحدث الأسلحة مع أنهم لم يمتلكوا مدافع، أو هيكل إداري، أو نظام دعم لوجستي^(٩٩١).

انسحب الدوق شارل الجريء بجيشه إلى لوزان، وحين وصلها في ٤ آذار ١٤٧٦ حاول أعاد تنظيم صفوف قواته على أمل خوض المعركة بعد أسبوعين، وأمر بإرسال ثمانية آلاف جندي إضافي من الفلاندرز، وطلب صهر أي شيء مصنوع من المعدن في ديجون لصنع المدافع، وارسال جميع مدافع نانسي ودوقية لوكسمبورغ، وحصل في غضون شهر على أموال وأسلحة ومقاتلين من حلفائه في سافوي وميلانو والبندقية وأراغون والبابا، فضلاً عما حصل عليه من الفلاندرز، بورغندي، إنكلترا وبولندا، لكن ما سبق لم يمنع دوق اللورين رينيه الثاني من استغلال هزيمة غراندسون لاستعادة دوقيته من البورغنديين، فاستولى في ١٤ نيسان ١٤٧٦ على فودمونت (Vaudemont)^(٩٩٢).

لكن الدوق شارل الجريء لم يجرؤ على مباشرة قتاله مع اعدائه، واستمر في جهوده التعبوية، فأرسل هوج دي شالون (Hugues de Chalon) إلى إيطاليا في النصف الثاني من نيسان ١٤٧٦ لتجنيد المزيد من القوات، وكتب السفير الميلاني أن

⁹⁸⁹(Matthew Beazley, The Battle Of Grandson, Medieval Warfare Magazine, Karwansaray Bv, Vol. 4, No. 4, 2014, p.29. أنظر ملحق رقم (٢٠).

⁹⁹⁰(Albert Winkler, Op. Cit., p.19.

⁹⁹¹(Michael S. Drake, Op. Cit., p.225 – 226.

⁹⁹²(Nicholas Hooper And Matthew Bennett, Op. Cit., p.150.

الدوق شارل أراد الإيطاليين لأنهم أكثر ملاءمة لاستخدام الأسلحة الحديثة، وأكثر استعداداً لتنفيذ أوامره، وبحلول أيار ١٤٧٦ أصبح المرتزقة الإيطاليون أكثر الغرباء في جيشه، والمفضلين لديه وأعلى مقاتليه رتبة، وأكثرهم تفوقاً في فنون الحرب، بما امتلكوا من خبرة ومهارة وانضباط وتنظيم، ونقل المؤرخ جان مولينييه أن شارل قال لقواته الإيطالية في حصار نويس إن تلك الصفات هي التي أقنعتهم بإحضارهم من إيطاليا وترقيتهم إلى المناصب القيادية العليا في جيشه، حتى على حساب أقاربه ورعاياه وتابعيه^(٩٩٣)، حتى وصل عددهم خمسة آلاف وثلاثمائة جندي ايطالي^(٩٩٤).

يرى الباحث أن الجيش البورغندي بقيادة شارل الجريء تطور ليصبح قوة عسكرية متعددة الجنسيات، ضمت نبلاء من إنكلترا، وأمراء فرنسيين منشقين، ومرتزقة إنكليز وإيطاليين والمان وسويسريين وبولنديين، فضلاً عن كفاءة تسليحه وحدائه أساليبه التعبوية والقتالية، لكن ذلك كله لم ينعكس إيجاباً على قدراته القتالية في معاركه ضد السويسريين الأمر الذي يمكن رده الى تشتت ولاءات مقاتلي الدوق شارل وبحثهم عن الأموال دون وجود حافز معنوي لقتال الأعداء، فضلاً عن عدم قدرتهم على توظيف اسلحتهم الحديثة بالشكل الأمثل، مقابل شجاعة السويسريين واندفاعهم وارتفاع معنوياتهم وقدرتهم على قتال البورغنديين بأساليب ومهارات لا قبل للدوق شارل ومقاتليه بها، ومن ثم فإن المراسيم العسكرية التي أصدرها شارل الجريء بين عامي ١٤٦٨ - ١٤٧٣ وإن شكلت نقطة تحول بالغة الأهمية في تطور الجيوش الأوروبية في العصر الحديث، لكنها لم تثبت فاعليتها في حروب الدوق شارل ضد مقاتلي العصبة السويسرية.

تخللت الفعاليات القتالية للدوق شارل الجريء جولات دبلوماسية له مع الإمبراطور الروماني المقدس فردريك الثالث انتهت الى ابرامهما تحالفاً في ٦ أيار ١٤٧٦ نص على خطبة ماري بورغندي من الأرشيديوق ماكسيميليان من هابسبورغ،

(993) (R. J. Walsh, Op. Cit., p.343).

(٩٩٤) ممتلكاته الشمالية: بيكاردي، وأرتوا، وبولونيه والفلاندرز، وغيرها من الأراضي المنخفضة البورغندية، للمزيد ينظر: R. J. Walsh, Op.

Cit., p.342.

وفي الشهر ذاته وتحديداً في ٢٧ آيار قرر الدوق شارل استئناف معاركه مع السويسريين، فأوضح لسفير ميلانو أنه لا يستطيع التعايش مع عار هزيمته على أيديهم، مع أنه مدرك أنه يخاطر بفقدان حياته وشطر من ممتلكاته، ثم سار مباشرة عبر مورتن نحو برن السويسرية^(٩٩٥).

وصل جيش شارل في ٩ حزيران ١٤٧٦ إلى قلعة مورتن الحصينة (Château de Morten) ذات الأسوار العالية، وفي ١١ حزيران ١٤٧٦، فرض حصاراً على مدينة مورات (Morat)، واستفاد من تضاريسها لبناء خندق وتحصين الأسوار، يعرف باسم السياج الخشبي الأخضر "غرينهوغ" (Grin hog)، يحرسه رماة السهام، لصد أي تقدم سويسري من جهة برن، فحفر الرجال خنادق وأقاموا أسواراً، ونشروا مدافعهم لهدم أسوار مورتن الحصينة، وتدمير القوات السويسرية في حالة زحفها نحو البورغنديين^(٩٩٦).

قصفت مدافع البورغنديين في ١٧ حزيران ١٤٧٦ أسوار مورتن المحصنة لأيام، فهدم بعضها، وأنهيار برجها الرئيس المطل على قلعتها، وسقط جزء من السور على أحد جوانب الحصن، فتجمعت جيوش سويسرية ضخمة قرب برن في ١٨ حزيران ١٤٧٦، وانضمت إليها قوات أونترفالدن (Unterwalden)، لوسيرن، أوري (Uri)، شفيتس (Schwyz)، بازل (Basel)، فريبورغ (Fribourg)، سولوتورن (Solothurn)، ببال (Biel)، تسوغ (Zug)، غلاروس (Glarus) وفرق من الفرسان على ظهور الخيل من لورين وستراسبورغ ومناطق مختلفة من الألزاس وزحفت تلك الجيوش بأجمعها نحو مورتن لرفع الحصار البورغندي عليها، وقبيل زحفها وصلتها قوات اضافية من سانت غال (St. Gallen) وفرقة زيورخ (Zurich)، مساء ٢١ حزيران ١٤٧٦ فعبأت نفسها للقتال^(٩٩٧).

خطط السويسريون وحلفاؤهم للهجوم يوم السبت الموافق ٢٢ حزيران ١٤٧٦^(٩٩٨)، ففاجأوا البورغنديين النائمين، فاصطدم الجيشان فيما عُرف ب معركة

995(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101 – 103.

996(Nicholas Hooper And Matthew Bennett, Op. Cit., p.151.

997(Albert Winkler, Op. Cit., p.26.

998(Ibid, p.27.

مورات (Battle of Morat) باللغة الفرنسية، و(مورتن باللغة الألمانية)، واحتدم القتال بين الجيش السويسري البالغ عدده أربعة وعشرين ألف مقاتل، ونظيره البورغندي البالغ عدده خمسة وثلاثين ألف جندي، فتقدم السويسريون في ثلاثة تشكيلات قتالية كبيرة ضمت المقدمة المشاة بلغ قوامها خمسة آلاف جندي، نصفهم من حاملي الرماح ونصفهم الآخر من الرماة، اما الوسط فضمت مقاتلين يحملون بنادق وأقواساً بلغ قوامهم اثنتا عشر ألف جندي، ووضعت حاملي الهالبيرد على جوانب التشكيل، أما المؤخرة فبلغ قوامها سبعة آلاف جندي، ورافق تلك التشكيلات قوة من سلاح الفرسان الثقيل قوامها ألف وخمسمائة فارس، معظمهم من الألزاس، أما تشكيل كتلة الجيش الرئيسية فتألف من عشرة آلاف مقاتل، وانتهت تلك المعركة الكبيرة بإنكسار الجيش البورغندي في واحدة من أكثر المعارك الحاسمة والمدمرة في التاريخ العسكري لأوروبا آنذاك، وتبع ذلك مذبحه للجيش البورغندي الهارب إذ طاردوا جيشاً بورغندياً بأكمله إلى الموت فغرق مقاتلي ذلك الجيش في بحيرة مورتن (Lake Murten)، وتسلى بعض البورغنديين أشجار الجوز واختبأوا بين الأوراق، فقتلوا رمياً بالرصاص، ولم يُظهر السويسريون أي رحمة انتقاماً لما فعله البورغنديين سابقاً في قلعة غراندسون، فهرب الدوق شارل وانعزل تماماً عن سافوي، وخسر فود، واستولى الكونفدراليون المنتصرون على معسكر بورغندي، وكميات كبيرة من الغنائم، بما في ذلك الأسلحة ومئات المدافع ومبالغ طائلة من المال، وحين نمت تلك الأخبار إلى مسامع الملك لويس الحادي عشر قام برحلة حج من فرط بهجته^(٩٩٩).

أراد شارل مواصلة الحرب ضد السويسريين، لكن خطته تغيرت جذرياً حين استعاد الدوق رينيه الثاني احتلال مدينة نانسي عاصمة دوقية اللورين في ٦ تشرين الأول ١٤٧٦ بسبب تمرد الوحدة الإنكليزية في حامية نانسي، فيما اشارت إحدى الروايات الشهيرة التي كتبها أحد أكثر المؤرخين خيالاً وإبداعاً في ذلك العصر، عن كيفية إرسال جون دي روبميري (Jehan de Rubempré) إلى الدوق رينيه قطعة

أنظر ملحق رقم 151. (Nicholas Hooper And Matthew Bennett, Op. Cit., p.151)⁹⁹⁹

لحم كبيرة من لحم الخيل في المقابل تلقى جون دي رومبيري وجميع نبلائه فطائر لحم الغزال والدجاج وثلاثة أنواع من النبيذ، في إشارة الى معاناة الحامية في نانسي من مجاعة ونقص مؤن أدت الى استسلام جون دي رومبيري^(١٠٠٠).

حوّل شارل الجريء انتباهه إلى اللورين بعد هزيمته في سويسرا، فشكل جيش من عدة آلاف من المرتزقة الإيطاليين تحت قيادة كولا دي مونفورت كونت كامبوباسو (Cola de Monforte, Count of Campobasso)، والتعزيزات القادمة من هولندا التي ضمت أكثر من ثمانية آلاف مقاتل مرتدين الزي الدوقي الأزرق والأبيض واتجه إلى مدينة نانسي عاصمة اللورين، ووصل إليها في ١١ تشرين الاول ١٤٧٦^(١٠٠١)، ثم حاصرها في ٢٢ تشرين الاول ١٤٧٦ على أمل الانتقام لهزيمته على يد الجيوش السويسرية في غراندسون ومورات، محاولاً تحقيق حلمه بتوحيد أراضي الشمال والجنوبية^(١٠٠٢).

لكن حصار نانسي كانت خطوة محفوفة بالمخاطر، لأن خط اتصال شارل على طول وادي موزيل (The Moselle)، لم يكن آمناً، وكان معسكره محاطاً بحاميات العدو، لكن رينيه الثاني بدوره لم يتلق دعماً من أصدقائه، فقد رفض الملك لويس الحادي عشر مساعدته ورفضت العصابة السويسرية التدخل، والاستثناء الوحيد أن السويسريين وعدوا رينيه الثاني بتجنيد المتطوعين على أراضيهم بعد موافقة البرلمان السويسري، أما الدوق شارل الجريء فبقي خارج نانسي تزامناً مع حلول فصل الشتاء^(١٠٠٣).

ومع أن حامية نانسي كانت قليلة العدد لم تتعدّ ألفي مقاتل لكنها تحملت حصار البورغنديين رغم قصف الأسوار بالمدافع والهجمات المتكررة، ومع أن الحصار

(1000) (Robert Douglas Smith, Kelly Devries, Op. Cit., p.197.

(1001) (Société D'archéologie Lorraine, Recueil De Documents Sur L'histoire De Lorraine, D'archeologielorraine Societef, Nancy, 1859, p.234.

(1002) (Alistair Millar, Olivier De La Lmarche and The Court of Burgundy, C.1425 – 1502, Unpublished Doctoral Thesis, The University of Edinburgh, 1996, p.173.

(1003) (Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101 – 103.

استمر طوال الشتاء لكن المدينة امتصت الضربات ثقة من حاميتها بوعود سيدها رينيه الثاني لها قبيل هروبه بجلب الاغاثة لها شريطة صمودها أمام البورغنديين، ومع أن الدوق شارل حصل في تشرين الثاني ١٤٧٦ على امدادات من إقطاعيات بورغندي والفلاندرز بلغت حوالي ثلاثة الاف مقاتل بكامل عدتهم، لكن خطوط مواصلاته أصبحت منذ مطلع كانون الأول ١٤٧٦ شبه مسدودة بسبب مضايقات حاميات اللورين للموانئ البورغندية وقوافل البحث عن الطعام بشكل مُمنهج، أما حامية نانسي فعانت الأمرين حتى أكلت الفئران من شدة جوعها، وكذا الحال مع المقاتلين البورغنديين الذين كثرت حالات فرارهم بسبب البرد والجوع^(١٠٠٤).

استكمل الدوق رينيه الثاني استحضاراته العسكرية بعد حصوله من البرلمان السويسري على إذن بتجنيد المرتزقة، فاستأجر جيشاً من المرتزقة السويسريين بلغ تسعة آلاف، انضم اليهم آلاف المتطوعين من الألزاسيين والسويسريين الغربيين، فبلغت تلك القوة المشتركة خمسة عشر ألف متطوع سويسري تعهد لويس الحادي عشر بدفع رواتبهم^(١٠٠٥).

انطلق الدوق رينيه الثاني مع مرتزقته السويسريون من بازل عبر نهر الراين، وفي ٢٦ كانون الأول ١٤٧٦ انضمت إليهم قوات من الاتحاد السفلى ومن اللورانيين (Lorrainers)، فأصبح عددهم عشرون ألف رجل^(١٠٠٦)، مقابل الجيش البورغندي الذي بلغ عشرة الاف مقاتل، وزاد من ضعفه اختلاف جنسيات مقاتليه من بورغندي، الفلاندرز، سافوي، هولندا، ايطاليا وإنجلترا، وهكذا فأن جيش الأعداء كان أكثر من الجيش البورغندي عدداً وأكثر منه تماسكاً، وفيه ستة آلاف سويسري متمرس لا نظير لبراعتهم في القتال^(١٠٠٧).

1004(Sidney Dean, Battle of Nancy: End Game For Charles The Bold", Medieval Warfare, Vol. 4, No.4, 2014, p.27 – 33.

1005(E. William Monter, A Bewitched Duchy: Lorraine and Its Dukes 1477 – 1736, Librairie Droz, Genève, 2007, p.23.

1006(Robert J. Knecht, Op. Cit., p.101 – 103.

1007(Peter Connolly, Op. Cit., p.492.

مما له مغزاه أنه في يوم الأربعاء الموافق ١ كانون الثاني ١٤٧٧، أي قبل أربعة أيام من معركة نانسي، هرب كامبوباسو نيكولا دي مونتفورت، مع ١٨٠ فارساً من المرتزقة الإيطاليون من الجيش البورغندي المحاصر، وانتقل إلى جيش دوق اللورين رينيه الثاني، الذي كان يقترب من المكان، وبعد يومين تبعه ابنه جيوفاني (Giovanni) وأنجيلو (Angelo)، مع مائة وعشرون جندياً آخر، واوز أحد المصادر أسباب ذلك الفرار الجماعي لأسباب ليس آخرها الاشمئزاز من مزاج شارل المتقلب وعدم دفع الاجور له ولمقاتليه، فضلاً عن تواصل كونت كامبوباسو سراً مع دوق اللورين رينيه الثاني، بعد أن علم أنه كان على بعد أيام قليلة من نانسي، وقد تباينت الروايات في كيفية ترك كونت كامبوباسو الجيش البورغندي، فذكر توماس باسين (Thomas Basin) أن الكونت طلب الإذن من الدوق شارل بالمغادرة وحصل عليه، لكن هناك رواية فرنسية ادعى راويها أن الدوق شارل الجريء هو من طرده^(١٠٠٨).

استرسل المؤرخ والدبلوماسي والفيلسوف النابولي بينيدتو كروك (Benedetto Croc) في وصف أنشقاق كامبوباسو في كتاب عنوانه "وقائع اللورين"، فزعم أن كونت كامبوباسو قرر المغادرة بعد أن ضربه شارل بققازه في رد فعل غاضب كرد فعل على شفاعته لدى الدوق نيابة عن الرسول الأسير من دوق اللورين، الذي أراد شارل شنقه، فكانت تلك الضربة القشة التي قصمت ظهر البعير، لأن الكونت كان قد شكى بالفعل من مظالم أخرى أكدها العديد من المؤرخين أعلاه مثل متأخرات أجور الرواتب وخسارة بعض القادة مكانتهم بسبب إعادة الدوق توزيع قيادات جيشه^(١٠٠٩).

شن جيش دوق اللورين رينيه الثاني هجوماً مباغتاً على الجيش البورغندي وسط الثلوج الكثيفة عبر الممر المؤدي إلى نهر مورت (The River Meurthe) من كلا الجناحين فحاصروهم جيش رينيه الثاني بين نهر مورت شرقاً وقوات اللورين غرباً، فحاول شارل الجريء ومساعدوه الشخصيون حشد قواتهم دون جدوى، لأن شطراً من جيش البورغنديين فر شمالاً من ساحة معركة نانسي، فطاردتهم أسراب فرسان رينيه

(Sidney Dean, Op. Cit., Vol. 4, No.4, p.39.)1008

(R. J. Walsh, Op. Cit., p.369.)1009

الثاني، وحاصرت قوات المشاة السويسرية شارل الجريء وما تبقى من جيشه، فتعرض جسده لطعنات متعددة، وضرب على رأسه برمح سويسري اخترق خوذته ودخل في جمجمته، فانشق رأس الدوق من فوق الأذن إلى الأسنان، وتلقى الدوق طعنة أخرى اخترقت عموده الفقري، وأصيب بجراح قاتلة في فخذه وبطنه، فسقط عن حصانه في نهر مورت وواصلت حاشيته صراعها اليائس فقتل أكثر من نصف الجيش البورغندي، أثناء المعركة أو بعد الانسحاب^(١٠١٠).

وصلت أخبار هزيمة الدوق ووفاته في يوم الأحد ٥ كانون الثاني ١٤٧٧ إلى البلاط الفرنسي بسرعة بفضل خدمة البريد التي أنشأها لويس الحادي عشر^(١٠١١)، كما أرسل الدوق رينية الثاني خوذته كجائزة تذكارية إلى لويس الحادي عشر ملك فرنسا ثم باع جندي سويسري خاتم شارل الثمين إلى سويسري ثري أهده لاحقاً إلى دوق ميلانو، أما الجنود الألزاسيون فأخذوا بدلته المدرعة التي تم تعليقها كجائزة في كاتدرائية ستراسبورغ (Strasbourg Cathedral)، ثم تم بيع سلسلة وسام الصوف الذهبي الخاصة بشارل في ميلانو، وحفظ بكأسه الذهبي تذكراً في ليستال (Liestal) قرب مدينة بازل^(١٠١٢).

الغريب أن ما مضى لم يمنع الإمبراطور فردريك الثالث من المضي بهدوء في خطته لإتمام زواج ابنه بوريشة شارل بورغندي^(١٠١٣)، وسرعان ما تلاشت سلطة دوقات بورغندي، التي عززها الدوق شارل بوحشيته^(١٠١٤)، والحقيقة أن سقوط شارل الجريء كان إيذاناً بنهاية حقبة تاريخية محورية في تاريخ أوروبا الوسيط فقد انهارت ممتلكات

1010(Robert Douglas Smith, Kelly Devries, Op. Cit., p.199 – 200 ; Pierre Héliot, A. Benoit, Georges de la Trémoille et la mainmise du duc de Bourgogne ..., Tome 24, N.93, p.37 – 38 ; Alistair Millar, Op. Cit., p.174.

1011(Louis-Antoine Prat, Op. Cit., p.496.

1012(E. William Monter, Op. Cit., p.22.

1013(Thomas A. Brady Jr, Op. Cit., p.105

1014(Albert Winkler, Op. Cit., p.33.

دوقات بورغندي بين فرنسا والأمبراطورية الرومانية المقدسة، فوقعت بورغندي تحت السيطرة الفرنسية، وانتقلت ممتلكات شارل الفلمنكية إلى أصهاره آل هابسبورغ. اشارت المصادر أنه في ٧ كانون الثاني ١٤٧٧ تم العثور على جثة شارل بين الجثث على حافة برك مستنقعات من لدن نساء كنّ يجردن الموتى من ملابسهم^(١٠١٥)، وكانت جثته متجمدة في الجليد على سطح بركة سانت جون (St. John) جنوب غرب المدينة بين الجثث المتناثرة في الميدان، وكان ملقى عارياً بين القتلى الآخرين، وقد نُهب درعه وملابسه ومجوهراته، وشوهت وجهه وجسده الذئاب التي نهشت القتلى لدرجة أن طبيبه هو من استطاع التعرف عليه عن طريق وجود بعض الندوب والعلامات المميزة في جسده، مثل أظافره الطويلة وأسنانه العلوية المفقودة، واثار اصابات على كتفه منذ معركة مونتلييري (The Battle of Montlhery)، فتم نُقل جثمانه بشرف إلى نانسي، وبعد خمسة أيام دفن في كنيسة القديس جورج (The Church of St George) في نانسي، وذكر المؤرخون أن رعاياه رفضوا تصديق نبأ مقتله، واعتقدوا أنه هرب إلى ألمانيا لقضاء سبعة سنوات من التوبة، ليعود مجدداً ويحكم ممتلكاته^(١٠١٦).

وختاماً لابد من القول ان شارل الجريء لم يكن محارباً وحشياً ضيق الأفق، يحلم بإخضاع أوروبا لقانونه. بل كان رجل دولة وفارساً مثالياً وأوسع أمراء عصره أفقاً، أحبب العديد من مؤامرات خصمه لويس الحادي عشر "العنكبوت العالمي"، وشكل حلماً حين جعل بورغندي قوة عظمى في قلب أوروبا الغربية، وأراد أن يكون إسكندراً جديداً لكنه عانى هزيمتين على يد السويسريين قوضتا احلامه، وانتهتا به الى ميتة مؤلمة وفقدان ممتلكات اسلافه، لكن هزائمه لم تمنع الأوربيين من تتبع أساليبه المبتكرة في خوض المعارك ومزجه الخيول والمشاة والمدفعية التي أصبحت ميزة جيوش اوربا لقرون لاحقة.

المبحث الرابع

أوضاع دوقية بورغندي في عهد الدوقة ماري الثرية، حتى انتهاء
سلالة آل فالوا - بورغندي ١٤٧٧ - ١٤٨٢

1015(Michael S. Drake, Op. Cit., p.224 – 225.

1016(Alistair Millar, Op. Cit., p.174.

تلقت الأميرة ماري بورغندي (Marie de Bourgogne) (١٤٧٧-١٤٨٢) الملقبة بـ "الثرية" (Wealthy)، تعليمًا واسعاً شمل اللغات والتاريخ والأدب، وأظهرت براعة واضحة فيها، واتقنت الفرنسية والهولندية واللاتينية، وأساسيات اللغة الإنكليزية على يد زوجة أبيها ماركريت يورك دوقة بورغندي، التي كان لها أثر بالغ في تعليمها، كما لقنتها آن بورغندي، الابنة غير الشرعية لفيليب الطيب "الحياة العامة وحياة البلاط، والآداب والأناقة"، مما جعل الأميرة ماري "رائعة، رشيقة، وذات هيبة" (١٠١٨).

(١٠١٧) (١٤٥٧-١٤٨٢): الابنة والوريثة الوحيدة لـ شارل الجريء كونت شاروليه من زوجته الثانية إيزابيلا بوربون، وُلدت في قلعة كودنبرغ، بمدينة بروكسل في ١٣ شباط ١٤٥٧، وبعد أربعة أيام من ولادتها عمدها والدها في كنيسة قصر كودينبيرج، وقد لُقبت بـ الثرية نظراً لضخامة الإرث السياسي والاقتصادي الذي آل إليها عقب وفاة والدها، إذ ورثت طيفاً واسعاً من الأقاليم والمقاطعات. ومع ذلك، قوبل خبر ولادتها بفتور واضح من قبل جدّها، الدوق فيليب الطيب، الذي لم يُخفِ خيبة أمله لعدم إنجاب وريث ذكر يضمن استمرارية السلالة الحاكمة؛ فامتنع عن حضور مراسم التعميد، معبراً عن استيائه بقوله: "بأنها مجرد فتاة"، وتورد بعض المصادر المعاصرة رواية مفادها أنه في اللحظة التي وُلدت فيها الأميرة، سُمع الناس في كل مكان دوي رعدٍ مفاجئ وقوي في أرجاء المدينة، على الرغم أن السماء كانت صافية تماماً في ذلك الوقت من الغسق، وهو ما عده وفسره كثيرون آنذاك علامة استثنائية وبشارة رمزية تُنبئ بعظمة تلك الأميرة، للمزيد ينظر:

Oeuvres de Georges Chastellain, Tome 3, Op. Cit., p.297 ; Susan Marti, Till-Holger Borchert, Et Al, Splendeurs De La Cour De Bourgogne : Charles Le Téméraire (1433 – 1477), Fonds Mercator, Anvers, 2009, p.39 – 40 ; Christine Kooi, Reformation in The Low Countries 1500 – 1620, Cambridge University Press, 2022, p.21 – 24. أنظر ملحق رقم (٢٣).

(1018) Pontus Heuterus, Opera Historica Omnia Burgundica, Austriaca, Belgica: De Rebus A Principibus Burgundis Atque Austiacis, Qui Belgis Imperarunt, Pace Belloque Praeclare Gestis, Judocum Coppenium Lovanii, Belgium, 1643, p.363 ; Archives Des Arts, Sciences Et Lettres. Documents Inédits Publiés Et Annotés, Edited By: Alexandre Pinchart, Tome 3, Imprimerie Eug.Vanderhaeghen, Gand, 1881, p.163.

درست فن الموسيقى والعزف على القيثارة، وآلة الكلافيكورد (Clavicordion)، وتعمقت في الادب، في سياق عكس المستوى الرفيع للتنشئة التي تلقته الوريثة الشابة داخل بلاط دوقات بورغندي، المعروف برقيته الثقافي، ومكتبته الفخمة، وجوقته الموسيقية الشهيرة، فضلاً عن استقطابه الكتاب والرّسامين الذين تم الترحيب بهم وتوظيفهم هناك. ودلّت مجمل تلك المؤشرات على أن الوريثة الشابة حظيت بعناية خاصة وإعدادٍ مدروس، لتهيئتها لتولي الحكم، تحسباً لاحتمال عدم إنجاب وريثٍ ذكر (١٠١٩).

أدّى مقتل شارل الجريء في معركة نانسي إلى قلب مشروعه السياسي رأساً على عقب، ووضع ابنته ماري - التي غدت في سنّ العشرين وريثةً وحيدة لإرثٍ إقليمي واسع - في وضع بالغ الهشاشة ومحفوف بالمخاطر، وتزامن تنويعها كدوقة لبورغندي مع مقتل والدها في ٥ كانون الثاني ١٤٧٧ مع سلسلة من التطورات الدراماتيكية، فألفت نفسها معزولة سياسياً، مهددة من خصومها، وتعاني من ضعف ولاء رعاياها (١٠٢٠).

فضلاً عن تعرّضها لضغوط خارجية مباشرة، في مقدّمتها تحرّكات عرابها لويس الحادي عشر، كما تخلّى عنها عدد من تابعيها، وانضموا إلى المعسكر الفرنسي، وفُرضت عليها قيود فعلية من سلطات غنت، التي أتاح لها الطرف الاستثنائية فرصة نادرة للتأثير في قرارات السلطة الدوقية، ومن وراء ذلك كله، أمست ماري محاصرة من الطامعين بممتلكاتها (١٠٢١).

استقبل الملك لويس الحادي عشر، نبأ هزيمة نانسي صباح ٩ كانون الثاني ١٤٧٧ بقدرٍ كبير من الارتياح والسرور (١٠٢٢)، وعزم على اجتياح ممتلكات خصمه

(1019) Chroniques De Jean Molinet, Edited By: J.-A. Buchon, Tome I, Verdrière. Libraire, Paris, 1827, p.61.

(1020) Jean Favier, Louis Xi, Edité Par Fayard, Paris, 2001, p.704.

(1021) Olivier De La Marche, Mémoires, Tome 1, Op. Cit., p.143.

(1022) Henri Dubois, Louie Vi Choiesies, Librairie Générale Française, Paris, 1996, p.335.

الدود متجاهلاً الأسس التي أرستها معاهدة بيكيني المبرمة بينهما في ايلول ١٤٧٥، التي نصت على هدنة بينهما أمدها سبع سنوات، فأرسل قواته إلى بورغندي، أرتوا، بيكاردي وهينو، دون التمييز بين أراضي التاج الفرنسي وأراضي الإمبراطورية، في خطوةٍ هدفت إلى تقويض الإرث السياسي والإقليمي لدوقات بورغندي^(١٠٢٣).

مستنداً إلى الجدل القانوني والسياسي الواسع الذي أثاره تولّي ماري الحكم، فحرص لويس الحادي عشر على تأويل قانون الإقطاع بما يضمن نزع شرعية وراثته ماري دوقية بورغندي وإعادتها إلى التاج الفرنسي لعدم وجود وريث ذكر لشارل الجريء^(١٠٢٤)، بيد أنّ ذلك الادّعاء ظلّ موضع نزاع بين الطرفين، لأنّ المواثيق الممنوحة لـ فيليب الجريء عام ١٣٦٣ لم ترد فيها كلمة إقطاعية، ولم تفرض أي قيود صريحة على وراثتها، ما جعل المسألة قانونياً معقّدة ومحلّ خلافٍ بين الطرفين^(١٠٢٥). وجّهت ماري بورغندي في ٢٣ كانون الثاني ١٤٧٧ رسالةً إلى المجلس الدوقي في ديجون، ناشدته فيها بالدفاع عن حقوقها الشرعية، مذكرةً إياه بسوابق الخلافة في بورغندي، على غرار ما جرى في سائر الأراضي التي حصل عليها أسلافها. وأشارت إلى أنه عقب وفاة الدوق الشاب فيليب الأول المعروف بـ فيليب دي روفر، انتقلت الدوقية إلى الملك جون الثاني بوصفه ابن عمّه ومن الفرع الذي انحدرت منه السلالة الدوقية، التي وهبها لاحقاً لابنه الدوق فيليب الجريء وذريته، وهي ليست بأي حالٍ من الأحوال من الإقطاعيات الخاضعة للتاج الفرنسي، وأكدت ماري أن مقاطعة شاروليه آلت إلى الدوق فيليب الجريء عن طريق الشراء من جان الثالث كونت أرماجناك وشقيقه برنارد السابع، ونُقلت ماكون وأوكسير، بموجب معاهدة أراس، إلى

(1023) Yves Cazaux, Marie De Bourgogne, Albin Miche, Paris, 1967, p.14 – 15.

(1024) Paul Saenger, Vol. 10, No.1, Op. Cit., p.1 – 26.

(1025) Jean Favier, Op, Cit., p.707.

جدها الراحل فيليب الطيب وورثته من الذكور والإناث، واختتمت ماري رسالتها بدعوة صريحة إلى إبقاء البلاد تحت طاعتها وحمايتها^(١٠٢٦).

الثابت أن المجلس الدوقي في ديجون كان على دراية تامة بحقوق ماري بورغندي الشرعية، ففي أول طلب تقدّم به الملك لويس الحادي عشر للحصول على دوقية بورغندي، أجاب المجلس أن "الملك ليس لديه سبب للخلاف بشأن ذلك، ما دام الدوق شارل الجريء قد خلف ابنته الوريثة الوحيدة، صاحبة الحق الشرعي في امتلاك البلاد"^(١٠٢٧)، ولكن عقب وصول القوات الفرنسية إلى أبواب ديجون، اجتمعت طبقات الدوقية على عجل في ٢٩ كانون الثاني ١٤٧٧ بناءً على طلب المجلس، وانتهى بها المطاف إلى إعلان الولاء والخضوع لسلطة الملك لويس الحادي عشر، فبسط نفوذه عليها، واستسلمت له مدن أوكسير، وماكون، وشاروليه تبعاً^(١٠٢٨).

وفي ظل تصاعد موجة الغضب الشعبي ضد ممارسات الحكومة السابقة في مناطق متفرقة من البلاد، وجدت ماري بورغندي نفسها مضطرة لإدارة الأزمة عبر تقديم تنازلات كبرى للولايات، وهو ما نجحت فيه، وهو ما أشار إليه المؤرخ جان مولينييه قائلاً: "إن عامة الناس في المدن الكبرى ... التي كانت آنذاك تعاني من اضطرابات وأعمال شغب ونزاعات حادة، أجبروا السيدة على توحيد صفوفهم وإحلال الوئام السلمي بينهم"، وأرسلت الدوقة ماري بعثة إلى ملك فرنسا لويس الحادي عشر أواخر كانون الثاني ١٤٧٧، ضمّت شخصيات بورغندية رفيعة المستوى، من بينها المستشار غيوم هوغونيه (Guillaume Hugonet)، وغي دي بريميو (Guy de Premio)، ولويس دي غروثوس (Luis de Grothaus)، وولفرت دي بورسيل (Wolfert de Purcell)، لكن البعثة عادت خالية الوفاض، ولم تحصل على أي مهلة من الملك لوقف الأعمال العسكرية إلا مقابل شروط مجحفة، شملت التنازل

)1026(Sem-Link Pierre Héliot, Louis XI Et Le Boulonnais, Bibliothèque De L'école Des Chartes, Vol.100, 1939, p.112 – 144.

)1027(Chroniques De Jean Molinet, Tome I, Op, Cit., p.174.

)1028(Chroniques De Jean Molinet, Tome I, Op, Cit., p.175 – 178.

عن مقاطعة بولونيا ومدينة أراس، وفتح جميع حصون أرتوا أمام القوات الفرنسية، مصحوباً باقتراح زواج بين ماري ودوفين فرنسا شارل الثامن^(١٠٢٩).

أبدت ماري بورغندي نشاطاً سياسياً مكثفاً لانقاذ ممتلكاتها بالتنسيق مع ماركيت يورك، فدعت على عجل إلى انعقاد الجمعية العامة لطبقات الاتحاد، وكتبت إلى مدنها "معلنةً عزمها على تخفيف الأعباء الضريبية ومعاملتها من الآن فصاعداً بأقصى قدر من التسامح وأفضل عدل ونظام ممكن"، كما أرسلت سيمون دي كليرون (Simon de Cleron)، تعليمات إلى بورغندي للحيلولة دون انشقاق المقاطعة، وأرسلت غي دي روشفور (Guy de Rochefort)، وغي دي بيرو (Guy de Perrault) إلى أرتوا وبولونيا لانتزاع الاعتراف بسلطتها كحاكمة هناك، وسعت إلى تحييد تورناي في صراعها مع الملك، فضلاً عن محاولة فتح قنوات تفاوض مع رينيه الثاني^(١٠٣٠).

قدّم نواب الولايات في ٣ شباط ١٤٧٧ للدوقة ماري قائمةً بمظالم والدها وتجاوزاته، فوعدت بازالتها^(١٠٣١)، فأعلنت الولايات اعترافها الرسمي بها كوريثة لوالدها، وفي المقابل طالبت الولايات أن تُحكم بالالتزام صريح وباحترام امتيازاتها وتقاليدها، وفي ١١ شباط ١٤٧٧، صادقت الدوقة على وثيقة من تسعة عشر بنداً أعدها النواب في غنت عُرفت بـ"الامتياز الأعظم" (Het Groot Privilege)^(١٠٣٢)، دون تعديل يُذكر، وبموجب ذلك استعادت مقاطعات ومدن فلاندرز وبرابانت وهينو وهولندا وزيلاندا ومقاطعة نامور، جميع الحقوق المحلية والجماعية التي ألغيت بموجب مراسيم دوقات بورغندي في مساعيهم لإنشاء دولة مركزية، ونالت مدن عديدة مثل غنت، وبروج، وبروكسل، وأمستردام، ودلفت، وجودا، وهارلم، وميشيلين، ولوفان وأنتويرب على

¹⁰²⁹(Ibid, p.233 – 234.

¹⁰³⁰(Jehan Nicolay, Kalendrier Des Guerres De Tournay (1477 – 1479), Vol.2, Malo Et Levasseur,1853, p.38 – 42.

¹⁰³¹(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.39 – 59.

^(١٠٣٢) أصدرته ماري باللغة الهولندية، وأعاد جملةً من حقوق وحرّيات المقاطعات، التي كانت قد قُيّدت بشدة في عهد والدها، شارل الجريء، بسبب سياساته المركزية، للمزيد ينظر: Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.197.

امتيازاتها الخاصة، في مناخ اتسم بتوتر اجتماعي ملحوظ، تجلّى في اندلاع انتفاضات شعبية ضد القضاة وممثلي السلطة^(١٠٣٣).

جرت العادة، عند تولّي أي دوق جديد الحكم، أن يتقدّم النبلاء والقادة العسكريون بسلسلة مطالب، ويُعدّ التجاوب معها شرطاً أساسياً للحصول على الاعتراف والولاء، لكن ما ميز تلك المطالب تلك المرة انها أصبحت خطيرة، إذ قدّمت الطبقات العامة قائمةً مطوّلة من المظالم المتعلقة بالسياسات الحكومية، التي أرادوا تغييرها وتعديلها جذرياً، وتحت ضغط الخطر الفرنسي، وانضمام كبار النبلاء إلى جانب لويس الحادي عشر، فضلاً عن حالة الفوضى التي أصابت المؤسسات الحاكمة، لم يكن أمام ماري ومستشاريها خيار سوى تقديم تنازلات هائلة مقابل الاعتراف بها كحاكمة شرعية، حينها وافق مجلس الطبقات العامة على تجنيد القوات اللازمة لصد الغزو الفرنسي، وقد فُسّر الامتياز الأعظم لعام ١٤٧٧، في بعض الأحيان من المؤرخين على أنه رد فعل محافظ ومحلي على مسار بناء الدولة الحديثة، لكن مجلس الولايات العام^(١٠٣٤) ظل على الرغم مما تقدم متماسكاً وموالياً لسلالة بورغندي^(١٠٣٥).

أبدت طبقات المجتمع مقاومةً شديدة لأي مساس باختصاصها وبصلاحيات الحكومات المحلية، وأدانت بشدة إساءة استخدام السلطة على نطاق واسع من المسؤولين الدوقيين، وعرضت كل مقاطعة مظالمها الخاصة، وجرى التعامل معها عبر عشرات البنود التي تضمّنها كل امتياز من الامتيازات الممنوحة، ومع ذلك يبدو أنّ دوق بورغندي نجحت في ذلك الظرف الدقيق باستقطاب رعاياها وتوحيدهم، واللافت أنّ مجلس الولايات العام لم يستغرق سوى أسبوع للتوصّل إلى اتفاق حول البنود العشرين

¹⁰³³(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.50)

^(١٠٣٤) مجلس الولايات العام: هيئة تمثيلية أنشئت في عهد الدوق فيليب الطيب عام ١٤٦٤، لتيسير شؤون الحكم وتعزيز آليات جمع الضرائب. وقد ضمّ المجلس ممثلي المقاطعات الكبرى القوية ذات الثقل السياسي والاقتصادي، وفي مقدمتها فلاندرز وبرابانت، واضطلع المجلس بدور بارز في إقرار قضايا الحرب والسلام وفرض الضرائب، لا سيّما في المرحلة التي أعقبت مقتل شارل الجريء عام ١٤٧٧، إذ أدّى وظيفة محورية في دعم ماري دوق بورغندي، مقابل الحصول على امتيازات دستورية ونفوذ سياسي وعسكري، للمزيد ينظر:

Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.108

¹⁰³⁵(I bid., p.197.

التي شكّلت الامتياز الأعظم الصادر في ١١ شباط ١٤٧٧، أي بعد شهر واحد فقط من وفاة شارل الجريء، بل وفي مدة أقل من ذلك منذ شيوع خبر وفاته في البلدان المنخفضة^(١٠٣٦).

ترتب على ذلك الاتفاق نقض شامل لمعظم سياسات شارل الأخيرة، بضمنها إلغاء المؤسسات المركزية في ميشيلين، وتشكيل مجلس كبير جديد ضم ممثلين عن الأقاليم، وضمان حق مجلس الولايات العام في الاجتماع بحرية، واشتراط موافقته المسبقة على أي إعلان حرب، والحد من الالتزامات والخدمة الإقطاعية، واحترام جميع الأعراف والعادات والامتيازات المحلية، فضلاً عن إقرار استخدام اللغات المحلية في الإدارة، بما مثل تحولاً واضحاً عن النزعة المركزية التي وسمت الحكم السابق^(١٠٣٧).

وأخيراً في ١٨ شباط ١٤٧٧، منحت طبقات فرانك كومتية (مقاطعة بورغندي الحرة) الملك حق الوصاية عليها، شريطة احترام حقوق ماري بورغندي، واقتراح مشروع زواجها من ابن لويس شارل الثامن دوفين فرنسا (Charles VIII) (١٤٨٣-١٤٩٨)^(١٠٣٨)، غير أنّ تلك الترتيبات القانونية والسياسية لم يكن لها من الوزن ما يضاهي واقع القوة، إذ لم تكن احتجاجات ماري بورغندي وذرائعها وشروط مجلس الطبقات ومزاعم لويس الحادي عشر وادعاءاته الواهية، ذات أهمية قليلة مقارنةً بالحقائق المتمثلة باستيلاء الملك على دوقية بورغندي بالقوة، ولم تنه مقاومة بعض المقاطعات الشمالية، إذ أعلن مواطنو أراس بصراحةً أن أرتوا ملك ماري بورغندي ابنة شارل الجريء، لأنها وريثته الشرعية، ومع ذلك سرعان ما بسط الملك سيطرته على بيكاردي وأصبح سيدها،

¹⁰³⁶(Jelle Haemers, For The Common Good: State Power and Urban Revolts in The Reign of Mary of Burgundy (1477 – 1482), Brepols Publishers, Turnhout, 2009, p.48 – 49.

¹⁰³⁷(Jelle Haemers, Op. Cit., p.48 – 49.

¹⁰³⁸(The Memoirs Philip De Commynes, Lord of Argenton: Coktaikixg The Histories of Louis XI and Charles VIII Kings of France, Aim Orcharles The Bold, Duke of Burgundy, Edited By: Sir Andrew R. Scoble, Vol. II, Henry G. Bohn, London, 1856, p.12.

وفتحت له أنفيل أبوابها، واستسلمت بيرون على يد غيوم بيش (Guillaume Biche)، سيد كلاري، وتبعته مونتدييه وروي^(١٠٣٩).

رفضت ماري الشروط آنفة الذكر، وقرر النبلاء إرسال سفارة ثانية برئاسة غيوم دي كلوني رئيس دير سان بيير ليه غان مطلع آذار ١٤٧٧، استقبلها الملك في مدينة أراس، وبحسب الروايات نجح في "زرع الشكوك في نفوس الناس تجاه كبار مستشاري الدوقة". وما إن عاد السفراء على عجل إلى غنت، حتى أدى تقريرهم المقدم أثناء سفارتهم، إلى اعتقال المستشار غيوم هوغونيه، وعدد من كبار رجال الدولة، الذين اتُّهموا بأنهم "من خلال نفوذهم داخل المجلس، تورط الدوق الراحل شارل الجريء في سياساتٍ أفضت إلى أزماتٍ جسيمة أعقبت وفاته"^(١٠٤٠).

وعلى الرغم من اقرار الامتياز الأعظم، اندلعت في ذات الشهر اضطرابات كبرى وأعمال شغب في بعض المدن، نتيجة الإجراءات المالية الصارمة والقيود المفروضة على الحقوق الاسقفية وحقوق النقابات، فحملت ماري بورغندي المسؤولية لممثليها ومستشاريها المحليين في تلك المدن، فأقالت عدداً من كبار مسؤولي غنت، واجتمعت المحكمة والحكومة ومجلس الولايات العام، وأصدرت قرارات حازمة منها اقالة المسؤولين الفاسدين في تلك المدن ومعاينة بعضهم، مما عكس اهتمام الدوقة ماري بمطالب السكان ومحاولتها تهدئة الأوضاع الداخلية والاستعداد للحرب مع لويس الحادي عشر^(١٠٤١).

غدت مسألة زواج الدوقة من أمير يتمتع بنفوذ كافٍ لحماية أرثها السياسي والإقليمي مسألة ذات أهمية بالغة لبلادها، وهو ما لخصه أوليفيه دي لا مارش قائلاً: "أراد ملك فرنسا تزويجها إلى ولي العهد شارل الثامن، في حين رغب أدولف دي كليفر (Adolph de Clèves) (١٤٥٠-١٤٩٢)، لورد رافنشتاين تزويجها إلى ابنه فيليب دي كليفر (Philippe de Clèves) (١٤٨٥-١٤٨٨)، لورد رافنشتاين

1039(Ibid, p.317.

1040(Irit Ruth Kleiman, Philippe De Commynes: Memory, Betrayal, Text. University of Toronto Press, London, 2013, p.379 – 389.

1041(Willem Pieter Blockmans And Walter Prevenier, Op. Cit., p.198

المستقبلي"، وهكذا تعرّضت ماري لضغوط مكثقة، كما تقدم لخطبتها أنتوني وودفيل(Anthony Woodville)(١٤٦٩-١٤٨٣)، شقيق ملكة إنجلترا إليزابيث وودفيل (Elizabeth Woodville)(١٤٦٤-١٤٨٣)، لكنه لم يكن من سلالة رفيعة بما يكفي مما حال دون اعتباره مرشحاً مناسباً لوريثة بورغندي^(١٠٤٢).

ووفقاً لشهادة فيليب دي كومين، فإن بعض مقربي الدوقة ماري، بمن فيهم عمها أسقف ليبج لويس دي بوربون، رغبوا بشدة في ذلك الزواج، وعقدوا مجلس لمناقشة تلك المسألة، أعلنت وصيفة الدوقة الأولى جان دي هالوين (Jan de Halloween) اثناؤه، "أن البلاد بحاجة إلى رجل لا طفل"^(١٠٤٣)، وأن سيدتها "امرأة قادرة على الإنجاب، والبلاد بحاجة إلى ذلك الزواج". وخلص المؤرخ كومين إلى أن الجميع التزموا بذلك الرأي، وفي ظل تلك المعطيات عاد مشروع الزواج النمساوي إلى الواجهة، لكن الدوقة ماري رفضت ترك تقرير مصيرها للآخرين، فكتبت رسالة إلى ماكسيميليان في ٢٦ آذار ١٤٧٧^(١٠٤٤)، دون علم مستشاريها، حثته فيها على القدوم إلى أراضيها في أسرع وقت ممكن، وفي الوقت ذاته باشر والده الإمبراطور فردريك الثالث تحركاً دبلوماسياً، فرتب لإيفاد سفارة في أواخر آذار ١٤٧٧، ضمّت لويس التاسع دوق بافاريا(Louis IX, Duke of Bavaria)(١٤٥٠-١٤٧٩)، ورئيس أساقفة ترير، وأسقف ميتز، والكاتب الإمبراطوري جورج هيسلر (George Hesler)، إلى الأراضي البورغندية^(١٠٤٥)، وفي خضم تلك التطورات، أرسل جان دي كليف (Jean de Clève)

1042(Olivier De La Marche, Mémoires, Tome 3, Op. Cit., p.243.

1043(Irit Ruth Kleiman, Op. Cit., p.436 – 437.

1044(Hermann Wiesflecker, Kaiser Maximilian I. Das Reich, Österreich Und Europa Zu Beginn Der Neuzeit, Band 1, Oldenburg, Deutschland, 1971, p.96 – 104.

1045(Thomas Kren and Scot Mckendrick, Illuminating The Renaissance: The Triumph of Flemish Manuscript Painting in Europe, Getty Publications, Los Angeles, 2003, p.24 – 26.

في ٣١ اذار ١٤٧٧ خطاباً من بيزانسون إلى ماري بورغندي أكد فيه أن أي فرنسي في مقاطعة بورغندي تم قتله أو أسره^(١٠٤٦).

قبيل انجاز السفارة، التي رتب لها الامبراطور فردريك الثالث، استؤنفت العمليات العسكرية الفرنسية في مقاطعتي أرتوا وهينو، ففتحت مدينة أراس، التي وافقت السفارة الأولى على التنازل عنها أمام الفرنسيين في وقت سابق، ثم استسلمت رسمياً في ١ نيسان ١٤٧٧ بعد أن تخلى عنها قائدها فيليب دي كريفيكور (Philippe de Crèvecœur) (١٤٦٥-١٤٩٤)^(١٠٤٧)، الذي انضم إلى خدمة الملك الفرنسي^(١٠٤٨).

أعلنت البراءات الملكية قبول خضوع أعضاء مجلس المدينة وسكانها لسلطة لويس الحادي عشر بصفته حاكماً لمقاطعة أرتوا، بحجة غياب الولاء الذي كانت ماري تدّين به له، وتتابع بعد ذلك الانتصارات الفرنسية فسقطت لانس، وبيتون، وتيرون، كما استولى الفرنسيون على هسدين في ٧ نيسان ١٤٧٧، ثم أفين بعد ثلاثة أيام^(١٠٤٩). تحت زخم الاحداث أعلنت نقابات غنت انسحابها من مكان الاعتصام، وفي اليوم التالي حضر أعضاء المجلس البلدي أمام الدوقة طالبين رسائل عفو ورأفة عن التجاوزات والجرائم المرتكبة ضدها، فوافقت، وفي ١٨ من الشهر ذاته دخلت الدوقة إلى بروج ضمن موكب احتفالي، ثم انطلقت في جولة طويلة عبر أراضيها شملت

(1046) Olga Karaskova, Marie De Bourgogne Et Le Grand Héritage, L'iconographie Rincièr Face Aux Défis D'un Pouvoir En Transition (1477 – 1530), (Unpublished Doctoral Thesis), College Sciences De L'homme Et De La Société, Université Université Lille, 2014, p.60.

^(١٠٤٧) (١٤١٨ - ١٤٩٤): الملقب — مارشال إيسكيرد، وهو عسكري ودبلوماسي فرنسي رفيع المستوى ومن أبرز الشخصيات التي عاصرت ماري بورغندي. بدأ مسيرته السياسية والعسكرية في خدمة دوق بورغندي شارل الجريء، كما نال شرف الانضمام إلى نظام الصوف الذهبي، وبعد مقتل شارل الجريء عام ١٤٧٧، انتقل لخدمة ملك فرنسا لويس الحادي عشر، وتوفي في ٢٢ نيسان، للمزيد ينظر: Geneviève Maze Sencier, Christophe Brun, Et Al, Dictionnaire Des Maréchaux De France : Du Moyen Âge À Nos Jours, Perrin, Paris, 1988, p.22 – 30.

⁽¹⁰⁴⁸⁾ (The Memoirs Philip De Communes, Lord of Argenton: 'Coktaikixg The Histories of Louis Xi. And Charles VIII, Kings of France, Aim Orcharles The Bold, Duke of Burgundy, Edited By: Sir Andrew R. Scoble, Vol. I, Henry G. Bohn, London, 1855, p.343.

(1049) (The Memoirs Philip De Communes, Op. Cit., p.343.

دينردموند، وبروكسل، وفيلفورد، ولوفان، وميشيلين، وأنتويرب، قبل أن تعود للاستقرار مجدداً في غنت بانتظار وصول خطيبها^(١٠٥٠).

افتُتحت بولون في ٢٠ نيسان ١٤٧٧، على يد القوات الفرنسية، بيد أن التقدم الفرنسي لم يكن بلا مقاومة، إذ ثارت أراس وقاومت القوات الفرنسية الملكية لما يقرب من ثلاثة أسابيع، واستعد الفلمنكيون للدفاع عن أراضيهم. ووصلت الملك أنباء أخرى تفيد أن الفلمنكيين وغيرهم من أنصار الدوقة كانوا يحتشدون في الحقول، عازمين على إلحاق الأذى بالملك وأراضيه^(١٠٥١)، وفي خضم تلك الأحداث، خاضت السفارة التي تبناها الامبراطور فردريك الثالث مباحثات شاقة، افضت الى إبرام الاتفاقيات بين ماكسيميليان ووالده الإمبراطور، وأقيم حفل الزواج بالوكالة بسبب تأخر وصول ماكسيميليان، مما حدا بـ لويس التاسع دوق بافاريا لتمثيله في غنت بتاريخ ٢٧ نيسان ١٤٧٧، ونال ذلك الترتيب مصادقة مجلس الولايات العام في أيار من العام نفسه اثناء جلسته المنعقدة في لوفين^(١٠٥٢).

خاض لويس الحادي عشر قدماً في فعالياته القتالية، فاستولى على مدينتين محايدتين في ٢٣ أيار ١٤٧٧، وتمكّن مستشاره أوليفيه لو دايم (Olivier le Daim)، من خداع القوات البورغندية ودخول تورناي، وبعد يومين استولى الملك على كامبراي، مع انها مدينة إمبراطورية، عازماً على اتخاذها قاعدة للهجوم على الحدود الفلمنكية المحصنة بسلسلة قلاع منيعة، من بينها فالنسيان، التي يسيطر عليها فيليب دي كليفز لورد رافينشتاين، ودواي، وليل، وآير، وسان أومير، التي عززها نشر الحاميات وأعمال التحصين^(١٠٥٣).

1050(Mare Boone, La Justice En Spectacle. La Justice Urbaine En Flandre Et La Crise Du Pouvoir «Bourguignon» 1477 – 1488, Presses Universitaires De France, N.625, 2003, p.43 – 65.

1051(The Memoirs Philip De Commynes, Vol. I, Op. Cit.,p.343.

1052(Manfred Hollegger, Markus Gneiß, Maximilian I. (1459–1519): Herrscher Und Mensch Einer Zeitenwende, Kohlhammer, Stuttgart, 2025, p.33 – 34.

1053(Manfred Hollegger, Op.Cit, p.44.

شهدت ديجون في ١ حزيران ١٤٧٧ بواذر ثورة، بلغت ذروتها في ٢٦ حزيران ١٤٧٧ باندلاع أعمال الشغب المعروفة باسم موتماك (Moutmaque) بتحريض من كريستيان فيليون (Christian Fillion) أحد أعيان المدينة الذين فقدوا نفوذهم، ونهبت جموع الغوغاء منازل أنصار الملك وأضرمت النار فيها، واغتالوا جان جوارد (Jean Gourd)، رئيس مجلس بورغندي، الذي يُعتبر المسؤول الأول عن خضوعها لـ لويس الحادي عشر، ولم تستمر أعمال الشغب سوى أربعة أيام، إذ استرجعها سيد كراون جورج لاترومويل بوحشيته المعهودة، أما في فرانك كومتية وشاروليه فاستمر الصراع محتدماً^(١٠٥٤).

وفي سياق متصل، أثار نبأ استدعاء أدولف دوق جيلدرز إلى تورناي اضطرابات واسعة في غنت، انتهت بإطلاق سراحه من سجنه في كورتراي (بعد أن كان مسجوناً بتهمة الخيانة العظمى على يد شارل الجريء منذ عام ١٤٧١)، لوضعه على رأس الجيش الذي كلفتة ماري بورغندي بالتوجه إلى تورناي لتحريرها من الفرنسيين. لكنه لقي حتفه أمام أسوار المدينة في ٢٧ حزيران ١٤٧٧^(١٠٥٥).

سعى الزوجان ماري بورغندي وماكسيميليان الأول إلى تجديد شبكة تحالفاتهما الدولية لدعم موقفهما إزاء التوسع الفرنسي، وفي مطلع تموز ١٤٧٧ أثمرت مساعي الدوقة لإحياء العلاقات مع فرديناند الثاني ملك أراغون (Ferdinand II of Aragon)(١٤٧٩-١٥١٦)، وإيزابيلا الأولى ملكة قشتالة (Isabella I of Castile)(١٤٧٤-١٥٠٤)، فوصلت سفارة إسبانية إلى غنت في ٣ تموز ١٤٧٧، وأعرب الملك عن سروره بزواج ماري وماكسيميليان، معلناً استعداداه لدعم ابنة عمه ماري "العزيزة والمحبوبة" ضد لويس ملك فرنسا، الذي يسعى لحرمانها من الميراث، وفي الوقت نفسه حاول الأرشيدوقان ماري وماكسيميليان استئناف التعاون مع إنكلترا،

1054(Olivier De La Marche, Mémoires, Tome 3, Op. Cit., p.244 – 245.

1055(Olga Karaskova, Op.Cit, p.62.

بيد أن إدوارد الرابع فضّل الحفاظ على اتفاقه مع ملك فرنسا مقابل الدفعة السنوية البالغة خمسون ألف إيكو التي حصل عليها من نظيره الفرنسي^(١٠٥٦).

تزامن ذلك مع وصول ماكسيميليان الأول الى بورغندي في ٥ أيلول ١٤٧٧، ثم غنت بعد ظهر يوم ١٨ ايلول ١٤٧٧، إذ كانت ماري بانتظاره في قصر تين وال (Tinwalle)، فأقيم حفل الزفاف في كنيسة القصر صباح اليوم التالي، في أجواء احتفالية عكست مكانة الحدث بوصفه اقتران ابن الإمبراطور بأعظم وريثة في أوربا آنذاك^(١٠٥٧)، وجرى في اليوم نفسه توقيع عقد الزواج، الذي نصّ على صون استقلال الأراضي البورغندية، وضمان انتقال الإرث والممتلكات إلى أبناء الزوجين، وأكد العقد حق الدوقة في تعيين وريث من نسلها، إن وُجد، ليرث تراث بورغندي حتى لا ينقرض اسم الأم وشعارها^(١٠٥٨).

الأهم من ذلك، نص البند المحوري على أنه في حال وفاة أحد الزوجين دون وريث، يجوز للزوج الباقي على قيد الحياة المطالبة بالإرث، غير أن ماري قامت بتغيير هذا البند بعد شهر في وثيقة صادقت عليها ماركريت يورك، وعيّنت بموجبها ماكسيميليان وريثاً عاماً لها في حال وفاتها أولاً دون أن يكون لها طفلاً حياً، من جانبه أقسم ماكسيميليان على احترام الامتيازات التي منحتها إياه زوجته، وبعد ثلاثة أيام كتب رسالة إلى لويس الحادي عشر يُعلمه بزواجه، وبصفته زوجاً للدوقة، احتج على ما لحق بأراضيها من خراب ودمار، مطالباً الملك بإعادة الأراضي المحتلة، محذراً إياه من اللجوء إلى السلاح دفاعاً عنها بشكل قانوني^(١٠٥٩).

(1056) Jean-Marie Cauchies, Philippe Le Beau Le Dernier Duc De Bourgogne, Brepols, Belgium, 2003, p.3 – 5.

(1057) Olga Karaskova, Op.Cit, p.63

(1058) Otto Pächt, The Master of Mary of Burgundy, The Burlington Magazine For Connoisseurs, Dec., 1944, Vol. 85, London, 1944, p. 296.

(1059) Jille Hemmers, A Troubled Marriage: Maximilian and the Low Countries," in Maximilian I (1459 – 1519): Perception, Transformation, and Reception, Edited By: Heinz Neufacher, Michael Chisholm, and Maximilian Shaw, Prepolis Publishers, Turnhout, Series 27, 2021, p.421 – 422.

إزاء ذلك، فضّل الملك الفرنسي منح هدنة أولية لمدة عشرة أيام، وجرى تمديد لها لاحقاً إلى أجل غير مسمى، بيد أن تلك الهدنة لم تشمل دوقية بورغندي، إذ واصل مستشار الملك سيد كراون العمليات العسكرية على حساب ممتلكات ماري بورغندي، الهادفة إلى احتلال وإخضاع شاروليه، وازداد الوضع سوءاً بالنسبة للملك لويس في فرانش كومتيه التي احتلها مسبقاً، بسبب عدم قناعة سكانها بحمايته عليهم، وفي أواخر أيلول ١٤٧٧ اندلعت انتفاضات في مناطق أخرى، تلاها إعلان المقاطعة بأكملها ولاءها للدوق ماري بورغندي وأمير أورانج جان دي شالون (Jean de Chalon)، وأمام ذلك التحول خاب أمل فليب دي كريفيكور، في تعيينه حاكماً لبورغندي خلفاً لماري، فانشقّ عن قوات الملك الفرنسي والتحق بمعسكر الدوقة، وبمساعدة الأخوين غيوم دي فودري (Guillaume de Vaudrey)، وكلود دي فودري (Claude de Vaudrey)، الذان تولّيا الدفاع عن فيزول (Visol)، وأوكسون (Oxon)، جرى تحصين المقاطعة^(١٠٦٠)، وأمام تلك التطورات الخطيرة اضطرت القوات الفرنسية التي حاصرت فرانش كومتيه إلى إخلاءها في ٣٠ أيلول ١٤٧٧، حينها ثارت مدن الدوقية واحدة تلو الأخرى في غضون أسابيع قليلة، وأعاد مكسميليان السيطرة على البلاد بأكملها، فأصبح الحاكم الفعلي لبورغندي باستثناء ديجون، وهكذا انتهى الغزو الفرنسي الأول للبلاد بالفشل. في حين استغل حكام الولايات الأخرى مدة الهدنة لجمع الموارد المالية اللازمة لمواصلة الحرب وتفقد الحصون تمهيداً لاستئناف الصراع^(١٠٦١).

وعلى صعيد آخر، سعى الزوجان ماكسيميليان الأول وماري دوق بورغندي على تعزيز علاقتهما مع النبلاء، ومنع لويس الحادي عشر من الاستيلاء وبسط نفوذه على وسام الصوف الذهبي، لاسيما بعد أن انضم بعض فرسانه إلى المعسكر الفرنسي، حث الزوجان ماري وماكسيميليان الفرسان المتبقين للاجتماع في بروج في ٣٠ نيسان ١٤٧٨، خلال الاحتفال الرسمي الذي سوف يقام في كنيسة سانت سوفور بحضور الدوقة، لتسلم ماكسيميليان طوق وسام فرسان الصوف الذهبي ولتعيينه رئيساً وسيداً لهم، في خطوة هدفت إلى تثبيت شرعيته السياسية وتعزيز ولاء النخبة العسكرية له،

(1060) (Olga Karaskova, Op.Cit, p.60.

(1061) (Ibid., p.65.

وفي الأول من أيار ١٤٧٨، وبعد تنصيبه رئيساً وسيداً لفرسان الصوف الذهبي تم انتخاب ثمانية فرسان جدد^(١٠٦٢).

استمرت الاحتفالات حتى وصلت أنباء استيلاء لويس الحادي عشر على مدينة كوندي (Condé) في ٢ أيار ١٤٧٨ بعد نقض الهدنة، وعلى إثر ذلك تحرك ماكسيميليان سريعاً بكامل قواته نحو مونس، التي غدت نقطة ارتكاز لتجمع جيشه وتحضيراته العسكرية، وسرعان ما انضم إليه عدد من كبار اللوردات وقادة الحرب البورغنديين وبعض اللوردات الألمان، فحاول ماكسيميليان مباغته القوات الفرنسية، لكنها كانت مستعدة وتمكنت من صد الهجوم^(١٠٦٣).

منيت القوات الفرنسية بهزائم متلاحقة في فلاندرز بضغط قوات ماكسيميليان، وفي حزيران ١٤٧٨، وفي محاولة لتجنب معركة جديدة، تخلى لويس الحادي عشر عن عدة مواقع منها كوندي، ولو كيسنوي، وبوشان، وتورناي، وأخلى كامبراي، أما دوقية بورغندي، فقد تطور وضعها بشكل مختلف تماماً، ففي غضون أسابيع قليلة استعاد شارل الأول دامبواز (Charles I d'Amboise) (١٤٧٧-١٤٨١)، الدوقية بأكملها، وسقطت بون، آخر معاقل المعارضة البورغندية في ٢ تموز ١٤٧٨ بعد حصار دام خمسة أسابيع^(١٠٦٤)، وبسبب حاجة الطرفين لترتيب أوضاعهما الداخلية، وحاجة ماكسيميليان لتثبيت حكمة في الأراضي المنخفضة، تم توقيع هدنة

1062(Jean-Marie Cauchies, Op.Cit,p.3 – 5.

1063(Johan Huizinga, The Waning of The Middle Ages, Edward Arnold & Co, London,1924, p.80 – 81.

1064(Olga Karaskova, Op.Cit, p.69.

نيميغن(Nijmegen Armistice)^(١٠٦٥)، في ١٠ تموز ١٤٧٨، التي رافقها هدوء نسبي في العمليات العسكرية ضد فرنسا^(١٠٦٦).

كُلفت لجنة برئاسة جان دوفاي (Jean Dufay)، بانتظار مبعوثي الملك لويس الحادي عشر للتفاوض على شروط السلام النهائي، إلا أن أولئك المبعوثين لم يصلوا قط، وفي تلك الأثناء غادر ماكسيميليان إلى مدينة ليل لاتخاذ الترتيبات اللازمة لتأمين حدودها، وفي خضم كل تلك التطورات وُلد وريث الدوقية فيليب الجميل (Philip the Handsome)(١٤٧٨-١٥٠٦)^(١٠٦٧)، ولم يتمكن ماكسيميليان من الاجتماع مجدداً بزوجته ماري بورغندي وابنهما فيليب الجميل إلا في الثاني من آب ١٤٧٨ في بروج، بينما استمر مجلس الولايات العام عُقد سلسلة من جلسات المتتالية ففي الثاني من ايلول من العام نفسه اجتمعوا في ديندرموند، وفي منتصف تشرين الثاني في بروكسل، وفي كانون الثاني ١٤٧٩ في سيرتوخنبوس (s-Hertogenbosch)، وفي شباط في

^(١٠٦٥) هدنة مؤقتة تم التوقيع عليها في نيميغن بين ماكسيميليان الأول ولويس الحادي عشر لوقف الأعمال العدائية مؤقتاً بعد عام من الحروب المستنزفة "حرب الميراث البورغندي" التي تلت وفاة شارل الجريء. وتكمن أهميتها العسكرية: انها سمحت لماكسيميليان بالتقاط الأنفاس وإعادة تنظيم صفوفه العسكرية والتعامل مع الاضطرابات الداخلية في المدن الفلمنكية، بينما كان لويس الحادي عشر يسعى لتثبيت سيطرته على المناطق التي احتلها مثل أرتوا وبيكاردي، للمزيد يـــــــنظـــــــر: <https://Opil.Ouplaw.Com/%20/721>.

^(١٠٦٦) (Jean-Marie Cauchies, Op.Cit., p.3 – 7).

^(١٠٦٧) (١٤٧٨-١٥٠٦): يعرف بـ فيليب الأول ملك قشتالة، وباسم فيليب الرابع ملك بورغندي، ولد في ٢٢ حزيران، في برينسنهوف، في المقر الكونتاري في بروج (بلجيكا الحالية)، وعُمد رسمياً في التاسع والعشرين من حزيران في كنيسة القديس سان دوناتيان وهو ابن الإمبراطور الروماني المقدس ماكسيميليان الأول وماري دوق بورغندي. ورث أراضي بورغندي وهولندا وهو في سن الرابعة عقب وفاة والدته، وفي عام ١٤٩٦ تزوج من خوانا الأولى ملكة قشتالة المعروفة بـ "خوانا المجنونة"، وقد لُقِّب بـ "الجميل" أو "الوسيم" لأنه يتمتع بجمالٍ باهر وذو شعر أشقر وعينان جذابتان ذات اللون الرمادي المائل للأزرق، في عام ١٤٨٢، توفيت والدتها، وخلفها فيليب، البالغ من العمر أربع سنوات، كحاكم للأراضي المنخفضة، وكان والده وصياً عليه. وفي عام ١٥٠٦ أصبح ملكاً على قشتالة، قبل أن يتوفى في ٢٥ أيلول، ويُرجَّح أن سبب وفاته كان إصابته بحمى التيفوئيد، رغم انتشار شائعات في ذلك الوقت بأنه مات مسموماً، للمزيد ينظر:

Jean-Marie Cauchies, Op. Cit., p.3 – 17.

دينردموند، وتركزت المناقشات بشكل أساسي على الدفاع عن الأراضي وتجنيد القوات، ومعالجة الأزمات المالية الناتجة عن الحرب، من خلال تخفيض قيمة العملة ونفقات بلاط الأرشيديوق، وفي ١٧ نيسان ١٤٧٩ اجتمع مجلس الولايات مجدداً في أنتويرب، عقب خرق لويس الحادي عشر الممنهج لهدنة نيميغن، إذ كانت قواته تشن غارات على فرانك كومتية بينما هاجم أسطول السفن التجارية التي تنقل الحبوب من دول البلطيق إلى هولندا. وفي ظل ذلك التصعيد أعلن النواب عزمهم على مواصلة الحرب ضد ملك فرنسا في الأراضي البورغندية والبلدان المنخفضة وتحديداً هولندا، وفي ٢٨ نيسان ١٤٧٩ نقض البورغنديون الهدنة واحتلوا قلعة سيل (Castle of Celle)، ثم وصلوا كامبراي في اليوم التالي، واستولوا على بوشان (Bouchan)، وقلاع أخرى، ورداً على ذلك عبرت القوات الفرنسية نهر السون (La rivière Sonne) في ١٠ أيار ١٤٧٩، وحاصرت مدينة دول (Dole)، ثم استولت عليها بالخداع في ٢٥ من الشهر نفسه، وقتلت معظم سكان المدينة، وأسرت الباقين^(١٠٦٨).

لكن ملك فرنسا لويس رغب في التوصل إلى اتفاق، فاجرى مفاوضات لعقد هدنة مع ماري بورغندي وزوجها الأرشيديوق ماكسيميليان في ١٦ حزيران ١٤٧٩^(١٠٦٩)، فوافق الأرشيديوقان على ذلك، وبناءً عليه وقّعت هدنة لثلاثة أشهر في ٢١ اب ١٤٧٩ في مدينة دواي (Douai) شمال فرنسا، وصدقها ماري وزوجها في ٢ أيلول ١٤٧٩، وبعدها بيوم صدّقها الملك لويس، على أن تُستأنف لاحقاً تمهيداً لعقد سلام نهائي^(١٠٧٠). والثابت أن لويس الحادي عشر لم يود تحقيق سلام دائم، بل استخدم الهدنة كاستراحة محارب وللتقاط الأنفاس وإعادة تنظيم قواته، فضلاً عن قمع الاضطرابات الداخلية في المناطق البورغندية، حينها ادرك ماكسيميليان أن عامل الزمن يصب في مصلحة فرنسا، فكلما طال أمد الهدنة تمكن لويس الحادي عشر من ترسيخ نفوذه في الأراضي التي استولى عليها، لذا سعى إلى تنظيم جيشه، واستغلال فصل الصيف

¹⁰⁶⁸(The Memoirs Philip De Commynes, Vol. 2 , Op Cit., p.399.

¹⁰⁶⁹(Irit Ruth Kleiman, Op. Cit.,p.458 – 460.

¹⁰⁷⁰(Olga Karaskova, Op.Cit, p.72.

لشن هجوم مفاجئ يستعيد به زمام المبادرة العسكرية قبل ضياع ممتلكات زوجته ماري للأبد^(١٠٧١).

انطلق المرتزقة الألمان نحو مدينة تيروان (Thérouanne)، الخاضعة للاحتلال الفرنسي، لإجبار القوات الملكية الفرنسية بقيادة القائد فيليب دي كريفيكور على خوض معركة حاسمة، وفي ٧ أيلول ١٤٧٩ اشتبك الجيشان عند سفح تل غينغات، فحدث ما يُعرف بمعركة غينغات الأولى (First Battle of Guinegate)^(١٠٧٢)، وفي بدايتها مالت الكفة لصالح القوات الفرنسية، فاخترق فرسانها صفوف الجيش البورغندي، لكن انشغالهم في مطاردة الفارين ونهب الغنائم مكن القوات البورغندية من تنظيم صفوفها وشن هجوم مضاد، انتهى الى نصر البورغنديين، فانسحب القائد الفرنسي كريفيكور^(١٠٧٣)، تاركاً ساحة المعركة لماكسيميليان، ومع ذلك لم يستغل الأخير انتصاره بسبب نقص الأموال، وإرهاق جيشه، ووقوعه تحت رحمة ميليشيات برجوازية مترددة وغير متحمسة لمواصلة العمليات العسكرية، لذا لم يحاول الاستيلاء على مدينة تيروان، رغم افتقارها للدفاعات، ولا مدينة أراس، التي لم تكن قد أعيد توطينها بعد، وبعد تنفيذ بعض الغارات المحدودة خلال شهر تشرين الأول ١٤٧٩، ومع اقتراب فصل الشتاء، وسوء الأحوال الجوية سرح الأرشيديوق جيشه، لكن انتصار معركة غينغات كان ذا دلالة معنوية بالغة، إذ عزز مكانة ماكسيميليان بوصفه

¹⁰⁷¹) (Paul Murray Kendall, Louis Xi: The Universal Spider, Allen And Unwin, London, 1971, p.348 – 360.

^(١٠٧٢) وقعت بين القوات البورغندية - الهابسبوركية بقيادة الأرشيديوق ماكسيميليان الأول ضد القوات الفرنسية بقيادة فيليب دي كريفيكور، وتعتبر نقطة التحول التي منعت لويس الحادي عشر ملك فرنسا من ابتلاع كامل ميراث ماري بورغندي ومن أهم نتائج المعركة انها ثبتت زواج ماري وماكسيميليان وعززت مكانة ماكسيميليان كحاكم شرعي ومدافع عن حكم وارث زوجته ماري البورغندية، للمزيد ينظر: Charles Oman, A History of The Art of War in The Sixteenth Century, New York, 1937, p.42 – 44.

⁽¹⁰⁷³⁾ Mateusz Krason, Success of Pike Over The Bow – Battle of Guinegate – Infantry of The Swiss Type In A Clash With Louis The Xi Armies: Twilight of English Military System, Vol. 26, No. 1, Krason, 2021, p.55.

زوج الدوقة وشريكها في حكم الأراضي المنخفضة، وقد أثبت ذلك الأمر أهميته لاحقاً لا سيما مع تجدد تصاعد التوترات السياسية في المنطقة، ففي أواخر عام ١٤٧٩ ثار سكان دوقية جيلدرز وأعلنوا بطلان تنازل أرنولد دوق جيلدرز عن بلاده لشارل الجريء، كما طلبوا من ماري بورغندي إرسال دوق جيلدرز تشارلز الثاني (Charles II, Duke of Guelders) (١٤٩٢-١٥٣٨)، الذي نشأ في بلاطها، ليعود ويحكم دوقية جيلدرز لمواجهة السيطرة البورغندية، وفي الوقت نفسه عقدوا تحالفاً مع ملك فرنسا لويس الحادي عشر، اتفق الطرفان بموجبه على مهاجمة دوقية برابانت مما اجبر ماكسيميليان على عدم حضور لحظة ولادة طفله الثانية، مارغريت (Margaret of Austria, Duchess of Savoy) (١٥٠١-١٥٣٠) (١٠٧٤)، في ١٠ من كانون الثاني ١٤٨٠، فبينما كان والدها يخدم نيران الثورات في جيلدرز ويواجه انقسامات الهوكن والكود، ولدت مارغريت التي تحولت حياتها لاحقاً لسلسلة تضحيات دبلوماسية بدأت بكونها رهينة سلام في فرنسا وهي طفلة، وانتهت بكونها الحاكم الفعلي للأراضي المنخفضة (١٠٧٥).

وفي خضم التوترات الأوروبية، تحرك الكرسي الرسولي في روما بدوره لمحاولة احتواء الصراعات. ففي ٦ آب ١٤٨٠ أصدر البابا سيكستوس الرابع (Sixtus IV) (١٤٧١-١٤٨٤)، مرسوماً بابوياً حث فيه الأمراء المسيحيين على التوحد ووقف جميع الأعمال العدائية والنزاعات بينهم، والكف عن ملاحقة بعضهم بعضاً، إدراكاً منه للحاجة الملحة لوقف تقدم التهديد العثماني المتصاعد بعد استيلاء العثمانيين على أوترانتو (Otranto)، وهكذا رأى الكرسي الرسولي أن تحقيق سلام مستقر بين فرنسا وبورغندي

(١٠٧٤) (١٤٨٠-١٥٣٠): وُلدت ١٠ كانون الثاني في بروكسل، وعُمِّدت في كاتدرائية المدينة، التي سُمِّيت تيمناً بجدها، مارغريت يورك. وكانت الابنة الثانية والوحيدة لكلٍّ من ماكسيميليان وماري بورغندي، تسنمت منصب دوقة سافوي خلال الأعوام (١٥٠١-١٥٠٤)، ثم أصبحت حاكمة هولندا التابعة لآل هابسبورغ من عام ١٥٠٧ إلى عام ١٥٣٠، لتُعد بذلك أول وصية على العرش في هولندا، وقد توفيت في ١ كانون الأول في برابانت، للمزيد ينظر:

Joni M. Hand, *Women, Manuscripts And Identity in Medieval Europe*, Ashgate Publishing, London, 2013, p.37.

(1075) (Henri Pirenne, *Histoire De Belgique*, Vol. 3, Henri Lamertin, Bruxelles, 1907, p.149.

شرطاً أساسياً لإنجاح مشروع حملة صليبية جديدة، لكن تلك المساعي واجهت عقبات مبكرة بسبب رفض ماكسيميليان استقبال الكاردينال يوليوس الثاني (Julius II) (١٥٠٣-١٥١٣)، المعروف باسم جيوليانو ديلا روفيري بصفته مندوباً بابوياً، مدعياً أنه سبق له أن خدم في المنصب نفسه لدى ملك فرنسا، ولم يوافق على قبوله إلا بصفته كاردينالاً فقط (١٠٧٦).

شهد النصف الثاني من عام ١٤٨٠ ومطلع عام ١٤٨١ نشاطاً دبلوماسياً مكثفاً في سياق الصراع البورغندي - الفرنسي، ففي تلك المدة انطلقت ماركريت يورك، مدعومةً بسفارة إلى لندن للتفاوض مع شقيقها إدوارد الرابع ملك إنجلترا وإقناعه بعقد تحالف مع ماري بورغندي وزوجها ماكسيميليان للدخول في تحالف هجومي ضد فرنسا، وفتح جبهة عسكرية جديدة ضد لويس ملك فرنسا، بيد أن إدوارد الرابع أبدى تردداً واضحاً، لخشيته من الانخراط في مغامرات عسكرية غير مأمونة العواقب، قد تؤدي إلى تجدد الصراع الفرنسي - الإنجليزي، فضلاً عن حرصه على الحفاظ على الفدية السنوية التي كان يحصل عليها من ملك فرنسا مقابل بقاءه محايداً في الصراع البورغندي - الفرنسي، لكنه لم يرفض فكرة التحالف مع أمراء بورغندي مقابل حصوله منهم على المبلغ الذي كان يتقاضاه من لويس الحادي عشر ومقداره خمسون ألف إيكو ذهبي سنوياً مقابل دعمه العسكري لهم، وجرى الاتفاق على ترتيب زواج كونت شاروليه فيليب الجميل، من ابنة ملك إنجلترا إدوارد الرابع آن يورك (Anne of York)، وفي إطار تلك الترتيبات تم إبرام اتفاق تقرر بموجبه إرسال قوة إنجليزية لدعم جبهة ماكسيميليان تكونت من عدد من رماة السهام والمشاة وصل عددهم أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل، على أن تتكفل مارغريت يورك بدفع أجورهم، مستغلة صلاتها العائلية بوصفها عراب الاتفاق بين الطرفين (١٠٧٧).

استؤنفت المفاوضات مطلع عام ١٤٨١، ومع اقتراب نهاية الهدنة التي استمرت سبعة أشهر، أرسل الأرشيدوقان ماري وماكسيميليان سفارة جديدة إلى بلاط إدوارد

¹⁰⁷⁶(Olga Karaskova, Op.Cit, p.77.

¹⁰⁷⁷(Olga Karaskova, Op.Cit, p.75.

الرابع، طالبين منه تحديد موقفه النهائي من استئناف الحرب ضد لويس الحادي عشر، بعد انقضاء المدة المذكورة، وتقديم الدعم العسكري لبورغندي في تلك الحرب، بيد أن الملك الإنجليزي تصرف بحذر كعادته حيال اقتراح إعلان الحرب على فرنسا، فنصح الأرشيدوقان بحكمة بتمديد الهدنة مع ملك فرنسا حتى وفاته التي كان يُعتقد أنها وشيكة، واقترح في الوقت ذاته إقامة تحالف مع دوق بريتاني فرانسيس الثاني، الذي كان في صراع دائم مع ملك فرنسا^(١٠٧٨).

كتبت ماري بورغندي في ١٣ شباط ١٤٨١ رسالة شخصية إلى ملك إنجلترا إدورد الرابع خاطبته فيها بلقب "العم الطيب" لأنه شقيق زوجة أبيها ماركريت يورك، وطلبت منه استقبال سفرائها، وفي ١٦ نيسان ١٤٨١ أبرمت معاهدة تحالف بين بورغندي وبريتاني في لندن، بحضور مبعوثي الدوق فرانسيس الثاني لتعزيز التعاون بين الطرفين في مواجهة النفوذ الفرنسي، مع حرص إدوارد الرابع على موازنة مصالحه بين الحفاظ على علاقاته المالية مع فرنسا لأرسال الأموال له من جهة، ومنعها من بسط سيطرتها على كامل الساحل الأوروبي المقابل لإنجلترا من جهة أخرى^(١٠٧٩).

شهد آيار ١٤٨١ أحداثاً هامة، إذ أقيمت احتفالات وسام الصوف الذهبي في بوا لو دوك (Bois-le-Duc)، وفي اجتماع ٨ آيار ١٤٨١، تم استبعاد جميع الفرسان الذين انضموا إلى خدمة ملك فرنسا، ووصفهم أوليفيه دي لا مارش بـ "الخونة" للقضية البورغندية، وأعلن أنهم "غير مؤهلين لارتداء هذا الطوق مرة أخرى"، وكان أبرزهم فيليب دي كريفيكور الذي جُرد رمزياً من شعار نبالته وعلق مقلوباً رأساً على عقب على مدخل كنيسة سان جان، وفي ١٦ آيار ١٤٨١ شاركت الدوقة ماري في مراسم الفروسية، وفي العشرين من الشهر نفسه في ساحة السوق أدت يمين التنصيب، وتسلمت مع زوجها زمام أمور المدينة^(١٠٨٠).

¹⁰⁷⁸(Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, Op. Cit., p.199)

¹⁰⁷⁹(Christine B. Weightman, Op. Cit., p.312 – 315.

¹⁰⁸⁰(The Memoirs Philip De Commynes, Vol. 2, Op. Cit., p.40 – 42.

اصدر البابا سيكستوس مرسوم لاحق دعا فيه الأمراء المسيحيين إلى وقف جميع الحروب قبل ١ حزيران ١٤٨١، إلا أن ماري وزوجها ماكسيميليان رفضا الامتثال للمرسوم البابوي لأنه يخدم المصالح الفرنسية فقط، لأن الأخيرة احتلت أجزاء من الأراضي البورغندية، والهدنة تعني تجميد الوضع الراهن، والإقرار بالاحتلال الفرنسي، كما تجاهلا التهديد بالعقوبات الكنسية، بما في ذلك الحرمان الكنسي لمن يرفض تطبيق الهدنة^(١٠٨١).

وردّ الزوجان بإيفاد مبعوثيهما كلود كارونديليه (Claude Carondelet) وجان رولان (Jean Rolin)، إلى روما في ١٢ حزيران ١٤٨١، لتذكير البابا سيكستوس بالدور الحماسي الدائم لآل بورغندي في الدفاع عن العقيدة المسيحية، وفضح تجاوزات الملك لويس الحادي عشر وقسوته وظلمه وسياساته العدائية تجاه أراضيهم أمام البلاط البابوي، الأمر الذي حال دون انخراط الأرشيديوقين في حملة مشتركة ضد العثمانيين^(١٠٨٢).

لم يُحسم ذلك الجدل الدبلوماسي ولم يتمكن من حل تلك العقدة من الاتهامات المتبادلة إلا بعد استعادة ألفونسو الثاني ملك نابولي ودوق كالابريا (Alfonso II of Naples) (١٤٩٤-١٤٩٥)، مدينة أوترانتو في ١٠ ايلول ١٤٨١ بعد وفاة السلطان محمد الثاني، مما جعل المكائد الدبلوماسية للملك عديمة الجدوى إلى حد ما، وعلى الصعيد الداخلي، اتسمت سنة ١٤٨١ بكثرة تنقلات الزوجين، فأمضى ماكسيميليان عدة أشهر في هولندا، بينما تنقلت ماري بين برابانت وفلاندرز، واجتمعا معاً في نامور قبل أن يتوجه الأرشيديوق ماكسيميليان إلى لوكسمبورغ^(١٠٨٣).

أثناء رحلة صيد نظمها مضيفهم أدولف دي رافينشتاين (Adolf of Ravenstein)، في آذار ١٤٨٢ في قلعة واينينديل (Wijnendale Castle) قرب

¹⁰⁸¹(Ludwig Pastor, The History of The Popes, From The Close of The Middle Ages: Ed Frederick Ignatius Antrobus, Volume IV, Kegan Paul, Trench, Trübner, & Co., Ltd, London, 1894, p.338 – 339.

¹⁰⁸²(Ludwig Pastor, Op. Cit., p.338 – 339.

¹⁰⁸³(Olga Karaskova, Op.Cit, p.79

بروج سقطت الدوقة ماري عن حصانها أثناء مطاردة طائر مالك الحزين، فكسرت أربعة من أضلاعها وإصيب ذراعيها، فنُقلت على الفور إلى قصر برينسنهوف (Prinsenhof) في بروج، إذ أصيبت بحمى، وتدهورت حالتها^(١٠٨٤).

أملت ماري بورغندي في ٢٤ آذار ١٤٨٢، وصيتها مُعينةً زوجها ماكسيميليان وصياً على طفليها، وحاكماً على أراضيها وإقطاعياتها ومدنها وقلاعها حتى بلوغهم سن الرشد^(١٠٨٥)، ثم رتبت شؤون خدمها وأقاربها، مؤكدة ضرورة الحفاظ على صون مكانة أمير وأميرة أورنج، اللذين فقدوا كل ممتلكاتهما في سبيل خدمته، وإعادة ميراث أسرة أدولف دي كليفر لورد رافينشتاين لأبنائه، تشارلز وفيليبين (Adolf of Cleves)، اللذين كانا يُربيان في بلاطها، وعيّنت جان دي هالوين مربيةً لأطفالها، وكلفت أمين خزانة تيبو بارادو (Thibault Parat)، بتسوية ديونها والإشراف على تنفيذ وصيتها قبل تحديد ترتيبات جنازتها ودفنها وأعمال الصدقة المرتبطة بها. وفي اليوم التالي في ٢٥ آذار ١٤٨٢، استدعت إلى جوارها فرسان وسام الصوف الذهبي، وأعضاء المجلس الكبير، وكبار نبلاء بلاطها. وحثتهم على أن يظلوا متحدين ومخلصين لزوجها وأبنائها^(١٠٨٦).

وفي الوقت نفسه امتلأت كنائس مدينة بروج بالصلوات العامة طلباً لشفائها. ورغم تحسن حالتها مؤقتاً في ٢٦ آذار ١٤٨٢، لكن حالتها تدهورت في اليوم التالي، وتوفيت في الحادية عشر من مساء ٢٧ آذار ١٤٨٢، وبوفاتها أصبح ابنها فيليب الجميل البالغ من العمر أربع سنوات وريثها المباشر، وتولّى ماكسيميليان الوصاية عليه في ظروف سياسية صعبة، وفي ٣ نيسان ١٤٨٢ دُفنت الدوقة في كنيسة سيدة بروج (Church of Our Lady Bruges)، المعروفة بـ كنيسة السيدة العذراء أمام المذبح تنفيذاً لوصيتها^(١٠٨٧).

¹⁰⁸⁴(Ibid, p.42 – 43.

¹⁰⁸⁵(Kathleen Louise Kenyon, Portrait Painting in The Time of Philip The Good, Duke of Burgundy: 1419 – 1467, (Thesis Unpublished Master's) The Faculty of The School of Art and Design, San Jose State University, 1996, p.11 ; Jehan De Waurin, Tome 5, Op. Cit., p.312 – 318.

¹⁰⁸⁶(Christine B. Weightman, Op. Cit., p.132 – 133.

¹⁰⁸⁷(Chroniques De Jean Molinet, Tome I, Op, Cit., p.369.

الخاتمة

الخاتمة

أدى دوقات آل فالوا - بورغندي دوراً محورياً في تاريخ أوروبا الوسيط، على الصعد السياسية والعسكرية والدينية والفنية والاقتصادية، بالشكل الذي جعل لمساتهم واضحة على تحول أوروبا إلى بواكير العصر الحديث، ومع أن نشاطاتهم السياسية والعسكرية شهدت انقلاباً جذرياً بين التبعية للعرش الفرنسي والطموح لتأسيس مملكة مستقلة، إلا أن دورهم أثر في القارة الأوروبية بقوة سلباً وإيجاباً، وتنامى دور دوقيتهم من مجرد إقطاعية تابعة لباريس إلى دولة وسيطة هيمنت على مقدرات الحرب والدبلوماسية حتى انهيارها عام ١٤٨٢. ولارتباط الدراسة بفرضية وتساؤلات، فإنها انتهت إلى جملة استنتاجات فيها إجابات عن محاور فرضيتنا، وتوضيح لكثير من حيثياتها، وكالاتي:

• لم يكن آل فالوا البورغنديون مجرد فرع ثانوي في الأسرة الحاكمة، بل كانوا العصب الحيوي للسيادة الفرنسية، وأثبتت الدراسة أن أسلاف الدوقات لم يكتفوا باللقب الملكي، بل امتلكوا الحنكة التي جعلتهم المحرك الحقيقي لسياسات القصر الفرنسي، مما مهد الطريق لظهور بورغندي كقوة لا يستهان بها.

• لم تكن نشأة فيليب الجريء في بلاط باريس مجرد حياة رفاهية، بل إعداداً قيادياً صارماً، فقد تشرب قيم الفروسية والانضباط الأرستقراطي، مما صقل شخصيته وحولها من أمير شاب إلى رجل دولة امتلك رؤية واضحة لإدارة شؤون الحكم والنبالة.

• قدم فيليب الجريء في معركة بواتييه عام ١٣٥٦ درساً في الولاء والثبات، فحين أثر إخوته الانسحاب (بضمنهم الملك المستقبلي شارل الخامس)، اختار فيليب البقاء بجانب والده الملك في قلب الخطر، وهو موقف لم يمنحه لقب الجريء فحسب، بل منحه أحقية أخلاقية وتميز سياسي جعله يتفوق على أقرانه من أمراء البيت الملكي.

• كشفت الدراسة أن سنوات الأسر التي قضاها فيليب الجريء في إنكلترا كانت بعثة دبلوماسية مغلفة بالقيد، فبدلاً من الاستسلام لليأس، استثمر فيليب الجريء وجوده في قلب السلطة الإنكليزية لفهم عقلية خصومه ودراسة توازنات القوى، مما أكسبه خبرة سياسية دولية قلما توفرت لغيره.

• أظهرت ملازمة فيليب الجريء لوالده في الأسر قدرته الفائقة على قراءة الواقع، وذكاءه في توظيف الفرص لصالحه، فقد أدرك مبكراً كيف يحول أعراف الحرب الإقطاعية من مجرد قوانين جافة إلى أدوات استراتيجية تخدم طموحه، واستطاع ببراعة أن يحول محنة الأسر إلى قاعدة انطلاق لبناء مشروع دوقية بورغندي العظيمة.

• أن دعم فيليب الجريء المستمر للعرش الفرنسي ومشاركته الفاعلة في الحروب ضد الإنكليز لم يكن مجرد واجب عسكري، بل استثماراً سياسياً ذكياً، وذلك الإخلاص الميداني عزز مكانته في قلب السلطة، مما دفع والده الملك لمنحه دوقية بورغندي كإقطاع وراثي عام ١٣٦٣ لتكون حجر الزاوية في مشروعه السياسي الكبير.

- رسم الدوق فيليب الجريء منذ عام ١٣٦٤ معالم دوقية بورغندي، فلم يكتفِ بالحكم الإداري بل ابتكر رموز نبالة وشعارات خاصة مزجت بين أصوله الملكية وإرث الدوقية، وكانت تلك الخطوة بمثابة إعلان رسمي عن ولادة كيان سياسي بدأ ينفصل تدريجياً عن عباءة التاج الفرنسي ليصبح قوة ذاتية التأثير.
- لم يتوقف طموح الدوق فيليب الجريء عند حدود جغرافيا بورغندي التقليدية، بل كانت لديه رؤية توسعية عابرة للأقاليم، فسعى ببراعة لاكتساب نفوذ في أي بقعة تمنحه موطئ قدم داخل هرم النبلاء الأوروبي المعقد، محولاً دوقيته من مجرد إقليم محلي إلى لاعب أصيل في السياسة الأوروبية.
- استغل الدوق فيليب الجريء براعته العسكرية وموقعه القيادي في عهد أخيه الملك شارل الخامس لتقوية مركز بورغندي، فلم يكن قائداً للجيش فحسب، بل مهندس نفوذ جعل من بورغندي عنصراً فاعلاً لا يمكن تجاوزه عند اتخاذ القرارات المصيرية في السياسة الفرنسية.
- مثل زواج الدوق فيليب الجريء من النبيلة ماركريت دمبيير انقلاباً في موازين القوة، أدى إلى توسيع رقعة الدوقية لتشمل أراضي الفلاندرز الغنية، وبذلك نجح الدوق فيليب الجريء في ربط العمق الزراعي لبورغندي والمراكز الصناعية والتجارية الكبرى في الشمال صانعاً كياناً اقتصادياً وسياسياً فريداً من نوعها.
- برع الدوق فيليب الجريء في تحويل النظام الإقطاعي من مجرد أعراف تقليدية إلى أداة استراتيجية فعالة، سار بخطوات مدروسة بعناية فائقة، مكنته من إعادة صياغة موازين القوى، محولاً دوقية بورغندي من مجرد إقليم تابع إلى قوة إقليمية مهابة الجانب، تمتلك سيادة واقعية وتأثيراً عابراً للحدود.
- وظف الدوق فيليب الجريء الانقسام الكنسي لخدمة أهدافه السياسية، فأدار دبلوماسية ضرب الخصوم تحت غطاء الشرعية الدينية، وحظي بدعم الباباوات المقربين من بلاط باريس في دبلوماسية الازمات والحروب التي قادها ببراعة، مما أضفى صبغة أخلاقية وقانونية على تحركاته التوسعية.
- لم يبرز جون الجسور بمحض الصدفة، بل كان نتاج عناية تربوية مكثفة بدأت منذ طفولته. فقد حرص والده على تهيئته ليكون دوق المستقبل عبر نظام تعليمي

شامل، لم يقتصر على العلوم فحسب، بل ركز على فنون الصيد والفروسية، بوصفها المهارات الأساسية لتشكيل شخصية الحاكم في العصور الوسطى.

• لم يكن شغف جون الجسور باقتناء الحيوانات المفترسة كالدببة والنمور مجرد ميل شخصي، بل سلوك سياسي رمزي لاستثمار تلك المظاهر السلطوية لتكريس صورته كحاكم قوي ومهاب، وإرسال رسالة بليغة لخصومه ومنافسيه تعكس سطوة النخب البورغندية الحاكمة وتفوقها المعنوي.

• أن سر نجاح جون الجسور في إدارة شؤون الحكم يعود إلى تنشئته المتوازنة التي جمعت بين العلوم الدينية والمبادئ العلمانية في آن واحد، ذلك المزيج المعرفي منحه قابلية ذهنية عالية وبصيرة سياسية مكنته من استيعاب تعقيدات الإدارة والسياسة، والاضطلاع بمسؤولياته الجسيمة بقدرة فائقة على المناورة واتخاذ القرار.

• تنامي نفوذ جون الجسور بمنحه صلاحيات قضائية مبكرة، مما صقل خبرته في إدارة شؤون الإدارة، ومنحه القدرة على اتخاذ القرارات السيادية الرصينة التي واجه بها تعقيدات الحكم لاحقاً.

• عزز جون الجسور مكانته السياسية والاجتماعية من خلال استثمار الزواج السياسي كأداة لتمتين الروابط مع البيوتات الحاكمة، بينما عكست تفاصيل حياته الخاصة التزاماً دقيقاً بتقاليد الطبقة الأرستقراطية السائدة، مما منحه هيبة اجتماعية دعمت مشروعه السياسي.

• اتسم أسلوب الدوق جون الجسور بالهدوء والعمل المنهجي المنظم، وبرع في تهيئة الجبهة الداخلية لدوقية بورغندي وترتيب أوراقها الاقتصادية والعسكرية، تمهيداً للمواجهة الكبرى مع نفوذ دوق أورليان المنافس له في العاصمة باريس.

• تبنى الدوق جون الجسور نهجاً تشاورياً رصين مع نخبة من مستشاريه، مما عكس نضجاً سياسياً كبيراً في تقدير المواقف قبل الإقدام على أي صدام مسلح، مفضلاً بناء رؤية جماعية تضمن سلامة قراراته الاستراتيجية في الأوقات الحرجة.

• نجح الدوق جون الجسور في بناء شبكة تحالفات واسعة النطاق، وظفها بذكاء للسيطرة على مقدرات العرش الفرنسي، بالتوازي مع سياسة المحاباة التي اتبعها مع

إخوته لضمان وحدة البيت البورغندي وتماسك العائلة الحاكمة أمام التحديات الخارجية.

- واجه الدوق جون الجسور تحدياً سياسياً وعسكرياً خطيراً بظهور حزب الألمانياك، الأمر الذي دفعه لاتخاذ خيار استراتيجي صعب بالاستعانة بالقوات الإنكليزية، مرسخاً سابقة تاريخية خطيرة في الاستقواء بالقوى الخارجية لحسم النزاعات الداخلية، وهو ما أثر على مسار الصراع الفرنسي طويل الأمد.

- فشل الدوق جون الجسور في الحفاظ على قاعدة الدعم الشعبي داخل باريس، لاسيما بين الحرفيين والطبقة الوسطى، مما منح خصومه ثغرة سياسية مكنتهم من إقصائه واستعادة السيطرة على العاصمة، فتراجع نفوذه السياسي بقوة.

- أربك التدخل الإنكليزي المكثف في الشأن الفرنسي حسابات الدوق جون الجسور بعد أن تردد إزاء مواجهة الدوفين شارل السابع عسكرياً، مما عمق أزمة الثقة بين الأطراف المتصارعة وأدى إلى شلل في اتخاذ القرار الوطني الموحد.

- انتهت مسيرة الدوق جون الجسور بحادثة اغتياله المأساوية عام ١٤١٩، التي لم تكن مجرد تصفية جسدية، بل عكست في جوهرها عمق الانقسام السياسي الحاد ووصول الصراعات الداخلية في فرنسا إلى طريق مسدود لا يقبل المساومة.

- تولى الدوق فيليب الطيب مقاليد دوقية بورغندي واضعاً الثأر لوالده على رأس أولوياته السياسية، وهو الدافع العاطفي والسياسي الذي قاده للارتقاء في أحضان الإنكليز وعقد تحالفات وثيقة معهم، متجاوزاً بذلك مقتضيات الانتماء الوطني لفرنسا في تلك المرحلة الحرجة.

- حرص الدوق فيليب الطيب على تدعيم جبهته العسكرية والداخلية بالتوازي مع منح دور استشاري كبير لنخبته ومساعديه، وهو النهج الذي دفع المؤرخين لوصفه بالدبلوماسي الحاذق ورجل الدولة الكيس، مفضلاً المناورة السياسية على كونه مجرد قائد عسكري مقاتل.

- عكس لقب الطيب الذي لُقّب به الدوق استراتيجيته دعائية محكمة هدفت إلى تلميع صورته في الوجدان الشعبي كحاكم راعٍ للفنون والآداب، مع أن واقع ممارساته

التاريخية أثبت حزمًا شديدًا وصرامة مطلقة في اتخاذ القرارات السيادية التي تخص استقلال دوقيته.

• امتلك الدوق فيليب الطيب عقلية فذة في إدارة المعارك التي خاضها، وأثبت قدرة فائقة على قراءة الميدان وتوظيف الظروف السياسية والعسكرية لصالحه في اللحظات الحاسمة، محققًا تفوقًا بورغنديًا ملموسًا في موازين القوى الأوروبية.

• غدا الدوق فيليب الطيب المستفيد الأكبر والمحوري من التحالف البورغندي-الإنكليزي، فاستثمر تعاونه العسكري مع الإنكليز لتحقيق مكاسب إقليمية شاسعة وتوسيع رقعة الدوقية بمساندة القوات الإنكليزية، مما جعل بورغندي قوة عظمى في تلك الحقبة.

• أبدى الدوق فيليب حذرًا سياسيًا لافتًا عندما قرر فتح قنوات تواصل دبلوماسية مع الدوفين عام ١٤٣٣، في خطوة استراتيجية عكست تحولاً جوهرياً في توجهاته نحو استعادة الوحدة الفرنسية وإنهاء حالة القطيعة مع العرش.

• احتك شارل الجريء بخفايا السلطة وممارساتها في عهد والده بشكل مبكر وجاد، مما نمى لديه نزعة قوية نحو التفرد بالحكم والتعجل في استلام زمام الأمور، وأدى إلى توتر ملحوظ في علاقته بوالده الدوق في مراحل مختلفة.

• كان صوت السلاح وخيارات المواجهة العسكرية أقرب إلى مسار الدوق شارل الجريء من لغة الدبلوماسية والحلول السلمية، فاتجه بثقله نحو طموح شديد يهدف إلى تحويل الدوقية إلى مملكة بورغندي المستقلة عن التاج الفرنسي.

• اتسمت علاقة الدوق شارل الجريء بالملك الفرنسي لويس الحادي عشر بصراع وجودي محتدم واقتتال مرير، تجاوز حدود الجغرافيا الفرنسية إلى الساحة الأوروبية، مشكلًا أحد أعنف فصول الصراع السياسي في العصر الوسيط.

• رسخت الإصلاحات العسكرية التي أجراها الدوق شارل الجريء ميله الواضح لاستخدام القوة والعنف في تصفية خلافاته مع المتمردين والخصوم، مما ساهم في تعزيز صورته الذهنية في الأوساط الأوروبية كحاكم متشدد يميل إلى السطوة العسكرية.

- فتح الدوق شارل الجريء على نفسه جبهات قتالية متعددة في آن واحد، مما فاقم من تدهور أوضاعه العسكرية والسياسية، ولا سيما دخوله في صراع حاسم ومصيري مع الاتحاد السويسري الذي كان بمثابة بداية النهاية لمشروعه.
- أدى إصرار الدوق شارل الجريء على مواصلة القتال رغم هزائمه المتتالية إلى انهيار وتفكك جيشه المنظم، مما تركه مكشوفاً تماماً في ساحة المعركة أمام خصومه، وأدى في الختام إلى مقتله وتلاشي أحلامه.
- تعرض الدوق شارل الجريء لسلسلة دسائس وكماثن دبلوماسية أربكت حساباته، أبرزها الإخفاق في إتمام صفقة زواج ابنته ماري الثرية، الأمر الذي ألحق ضرراً بالغاً بمكانته السياسية وتفوقه المالي الذي كان يرتكز عليه.
- أدى تجاهل الدوق شارل الجريء لآراء نخبته ومستشاريه البورغنديين، وتفضيله الاعتماد على قادة المرتزقة، إلى إضعاف تماسك المؤسسة العسكرية وتوالي الهفوات القاتلة في الميدان، مما أفقد الجيش عقيدته القتالية المتماسكة في أحرج اللحظات.
- تسببت السياسات المتهورة وغير المحسوبة لآخر دوقات بورغندي في انهيار المشروع السيادي الذي بناه أسلافه، حيث قاده اندفاعه العسكري واصطدامه العنيف مع السويسريين إلى تهلكة محققة، وضياح حلم المملكة المستقلة التي طالما سعى لترسيخها.
- استمر أثر النظم الإدارية والسياسية التي استحدثها دوقات بورغندي شاخصاً في تاريخ أوروبا الوسيط حتى بعد زوال كيانهم السياسي، إذ بذلت القوى الكبرى المحيطة جهداً مكثفاً لتصفية هذا الإرث أو استيعابه ضمن أنظمتها الجديدة، مما يثبت عمق التجربة البورغندية وأصالتها المؤسسية.
- واجهت الدوق ماري الثرية تركّة سياسية وعسكرية مثقلة بالأزمات فور مقتل والدها، حيث وجدت نفسها أمام أطماع الملك لويس الحادي عشر الساعي لضم الدوقية للتاج الفرنسي، مما دفعها لاتخاذ قرارات سيادية شجاعة في ظروف استثنائية للحفاظ على استقلال أراضيها.
- أقرت الدوقة ماري الثرية وثيقة الامتياز العظيم عام ١٤٧٧، في خطوة سياسية ذكية لتهدئة الثورات الداخلية في المدن الفلمنكية، ومنحت الرعية حقوقاً وإصلاحات إدارية واسعة مقابل ضمان ولائهم ودعمهم العسكري والمالي ضد التهديدات الفرنسية.

- حسمت الدوقة ماري الثرية مستقبل آل فالوا - بورغندي بزواجها من ماكسيميليان الأول ابن الإمبراطور الروماني المقدس، وهو التحالف الذي أنقذ الميراث البورغندي من الابتلاع الفرنسي الكامل، ونقل مركز ثقل الدوقية إلى حوض أسرة هابسبورغ، مغيرةً بذلك وجه التاريخ السياسي لأوروبا لقرون قادمة.
- جسدت الدوقة ماري الثرية في مسيرتها القصيرة نموذج الأميرة المقاتلة دبلوماسياً، واستطاعت رغم صغر سنّها وقلة خبرتها العسكرية أن تحافظ على وحدة الأراضي المنخفضة تحت سيادة بورغندية، مانعةً تفككها الكلي أمام الأطماع الإقليمية المحيطة بها.

الملاحق

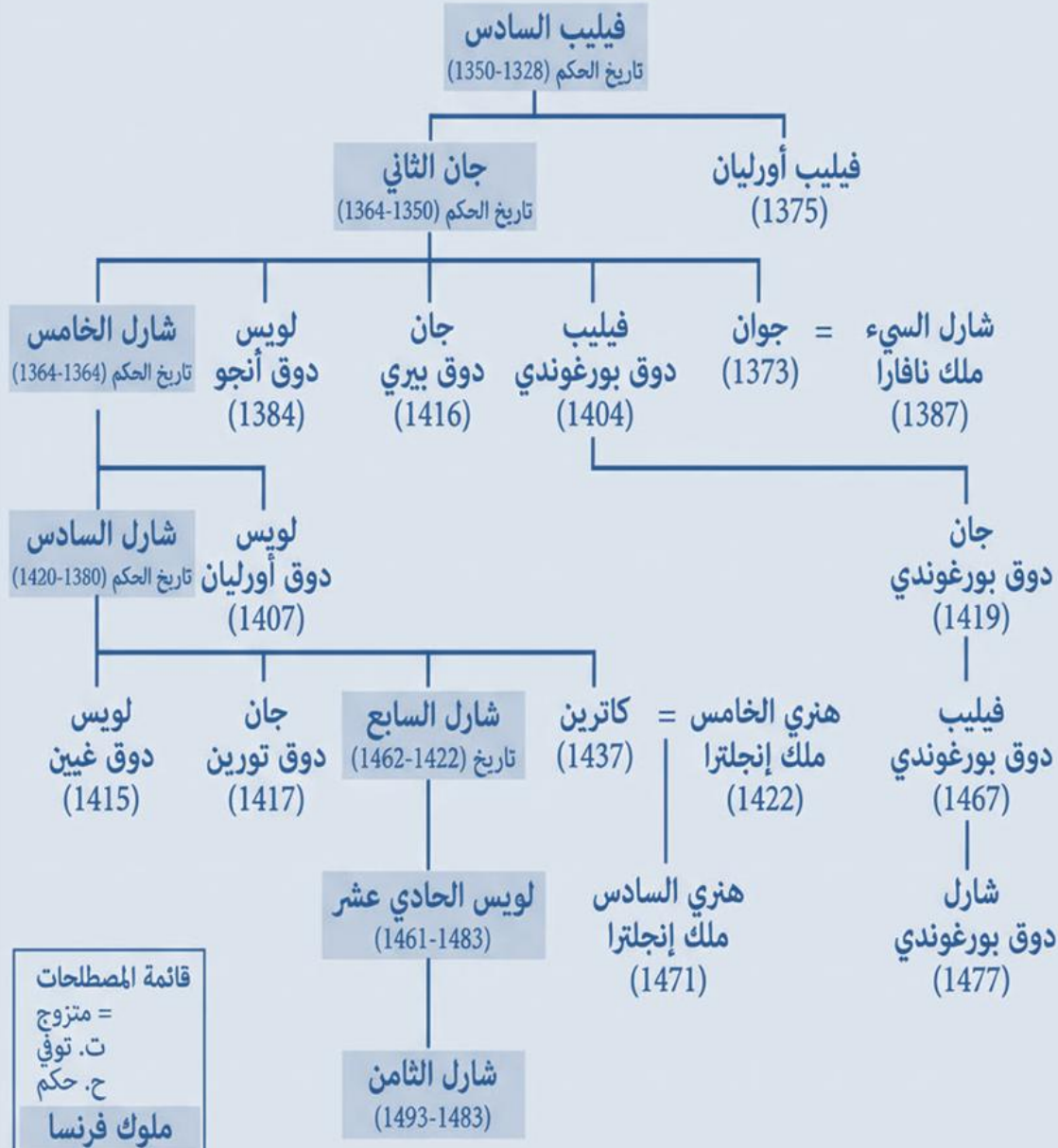
ملحق رقم (١)
دوقات آل فالوا_ بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢ (١٠٨٨).
الجدول من أعداد الباحث

الشعارات	ملاحظات	تاريخ الوفاة	المنصب الدوقي	تاريخ الولادة	الاسم	صورة	ت
	الابن الأصغر لجون الثاني الصالح	27 أبريل ١٤٠٤	6 سبتمبر ١٣٦٣	15 يناير ١٣٤٢	فيليب الثاني الملقب بالجريء		-١

	الابن الأكبر لفيليب الجريء	10 سبتمبر ١٤١٩	27 أبريل ١٤٠٤	28 مايو ١٣٧١	جون الأول الملقب بالجسور		-٢
	الابن الأكبر لجون الجسور	15 يونيو ١٤٦٧	10 سبتمبر ١٤١٩	31 يوليو ١٣٩٦	<u>فيليب الثالث الملقب</u> بالطيب		-٣
	الابن الأكبر لفيليب الطيب	5 يناير ١٤٧٧	15 يونيو ١٤٦٧	21 نوفمبر ١٤٣٣	شارل الأول الملقب بالجريء		-٤
	الابنة الوحيدة لشارل الجريء	27 مارس ١٤٨٢	5 يناير ١٤٧٧	13 فبراير ١٤٥٧	<u>ماري الأولى الملقبة</u> بالثرية		-٥

ملحق رقم (٢)
شجرة نسب دوقات آل فالوا- بورغندي (١٠٨٩)

بيت فالوا



الشجرة من عمل الباحث بالاعتماد على كتاب:

ملحق رقم (٣)
ملوك فرنسا (١٠٩٠)

¹⁰⁹⁰(L.J. Andrew Villalon And Donald J. Kagay, Part I I, Op. Cit,P.428.

سلالة آل -كاييت
الجدول من أعداد الباحث

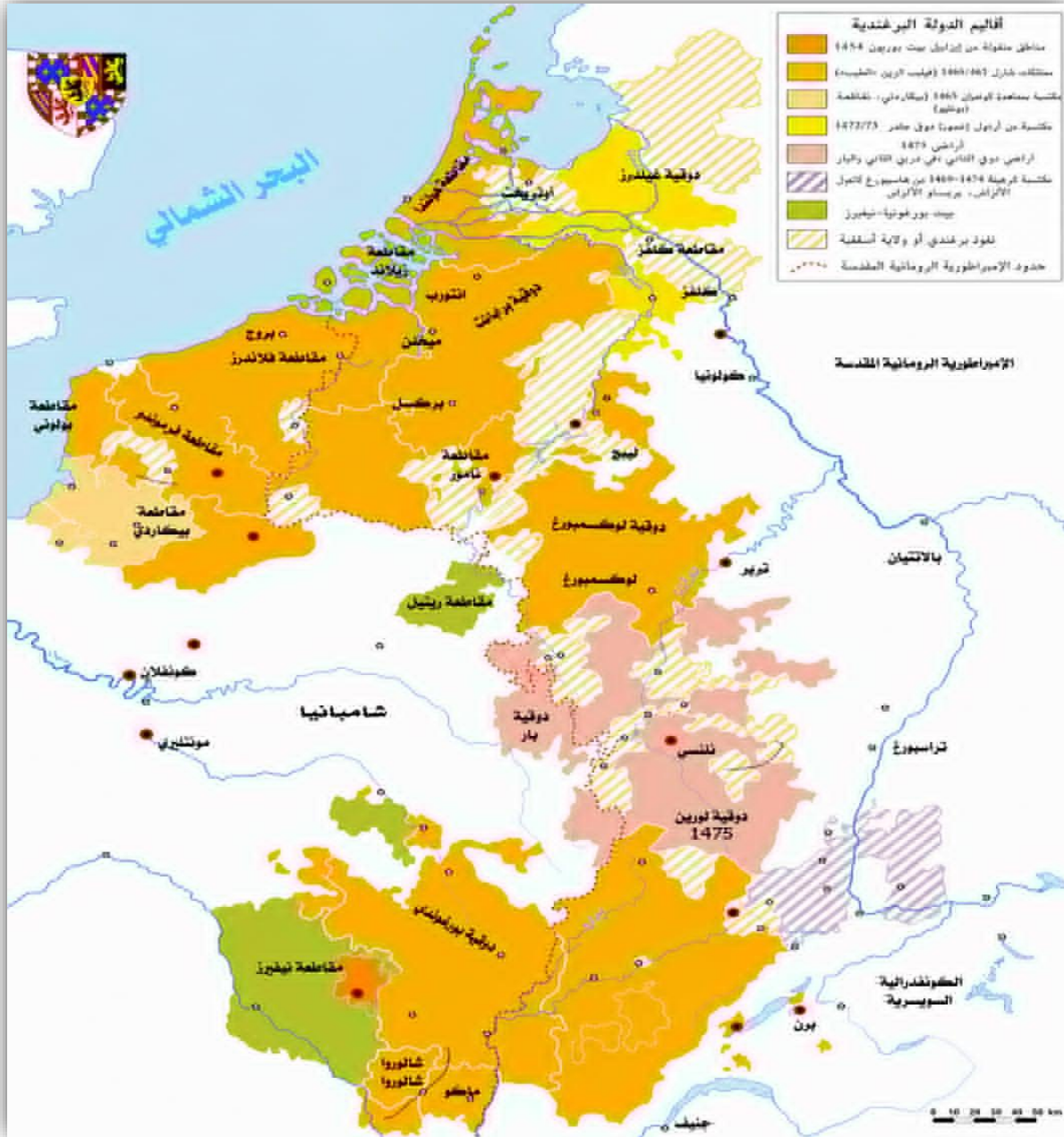
١٣١٤-١٢١٥	فيليب الرابع
١٣١٦-١٣١٤	لويس العاشر
١٣٢٢-١٣١٦	فيليب الخامس
١٣٢٨-١٣٢٢	تشارلز الرابع

سلالة آل فالوا -بورغندي

١٣٥٠-١٣٢٨	فيليب السادس
١٣٦٤-١٣٥٠	جون الثاني
١٣٨٠-١٣٦٤	تشارلز الخامس
١٤٢٢-١٣٨٠	تشارلز السادس
١٤٦١-١٤٢٢	تشارلز السابع
١٤٨٣-١٤٦١	لويس الحادي عشر
١٤٩٨-١٤٨٣	تشارلز الثامن
١٥١٥-١٤٩٨	لويس الثاني عشر

ملحق رقم (٤)
خريطة دوقية بورغندي والاراضي الخاضعة
لدوقات بورغندي ١٣٦٣-١٤٨٢ م (١٠٩١)

¹⁰⁹¹(施正鋒,荷蘭的獨立建國,台灣國際研究季刊,東華大學民,第 16,卷
第2,2020年/夏季號,期頁183.



الخريطة من عمل الباحث بالاعتماد على كتاب:

ملحق رقم (٥)
 الألقاب الملكية التي شغلها دوق بورغندي فيليب الجريء بين
 عامي (١٣٦٣ - ١٤٠٤) (١٠٩٢).

¹⁰⁹²) Stéphane Mund, Antoine de Bourgogne, prince français et duc de Brabant (1404 – 1415), Revue belge de philologie et

الجدول من أعداد الباحث

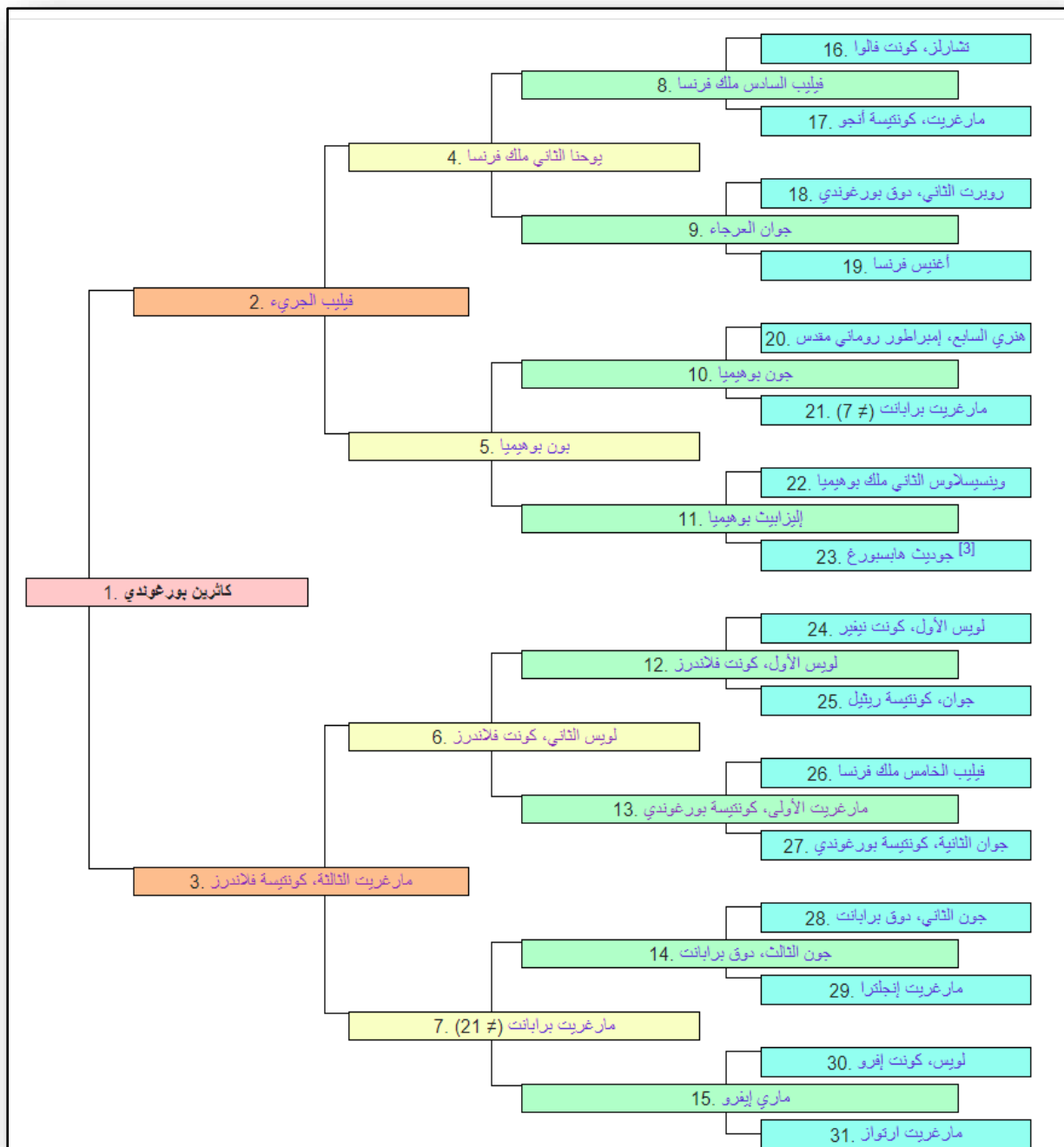
الألقاب الملكية	
1363-1360	دوق تورين
1404-1363	دوق بورغندي
1404.1390	كونت شاروليه
1404.1384	كونت نيفيرز
1404.1384	كونت بالاتين
1404.1384	فلاندرز كونت
1404.1384	كونت أرتوا
1404.1384	كونت ريثيل

ملحق رقم (٦)

أسلاف كاثرين بورغندي (١٠٩٣).
الجدول من أعداد الباحث

d'histoire, Université Libre de Bruxelles, tome 76, number 2, 1998, p.319 – 321 ; Andrée Van Nieuwenhuysen, Documents Relatifs À La Gestion Des Finances De Philippe Le Hardi, Duc De Bourgogne Et Comte De Flandre (1384 – 1404), Tome 146, p.72.

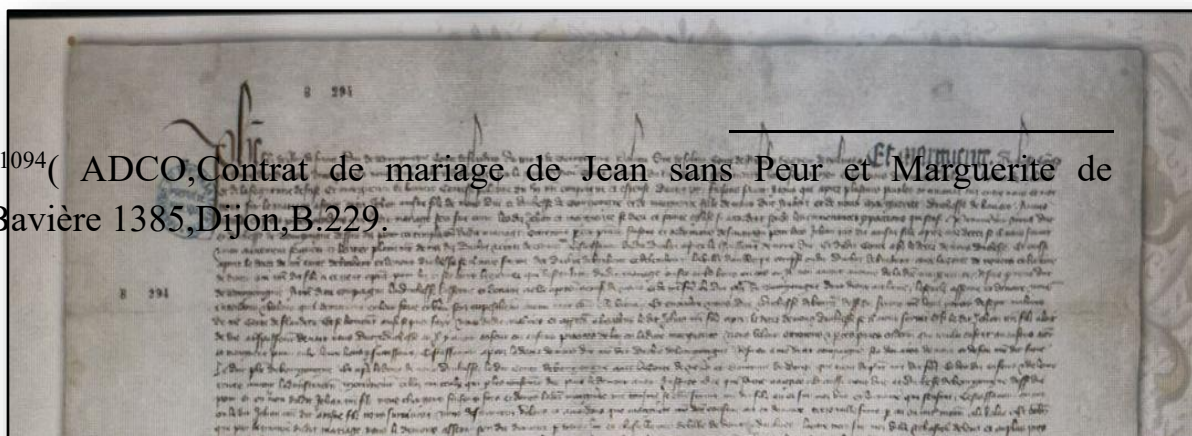
(¹⁰⁹³) Sousa Antonio Caetano de, Historia genealogica da casa real portugueza : desde a sua origem até o presente, com as familias illustres, que precedem dos reys, e dos serenissimos duques de Bragança, Vol 2, Lisboa Occidental, Na officina de Joseph Antonio da Sylva, 1735 ,p.147.



ملحق رقم (٧)

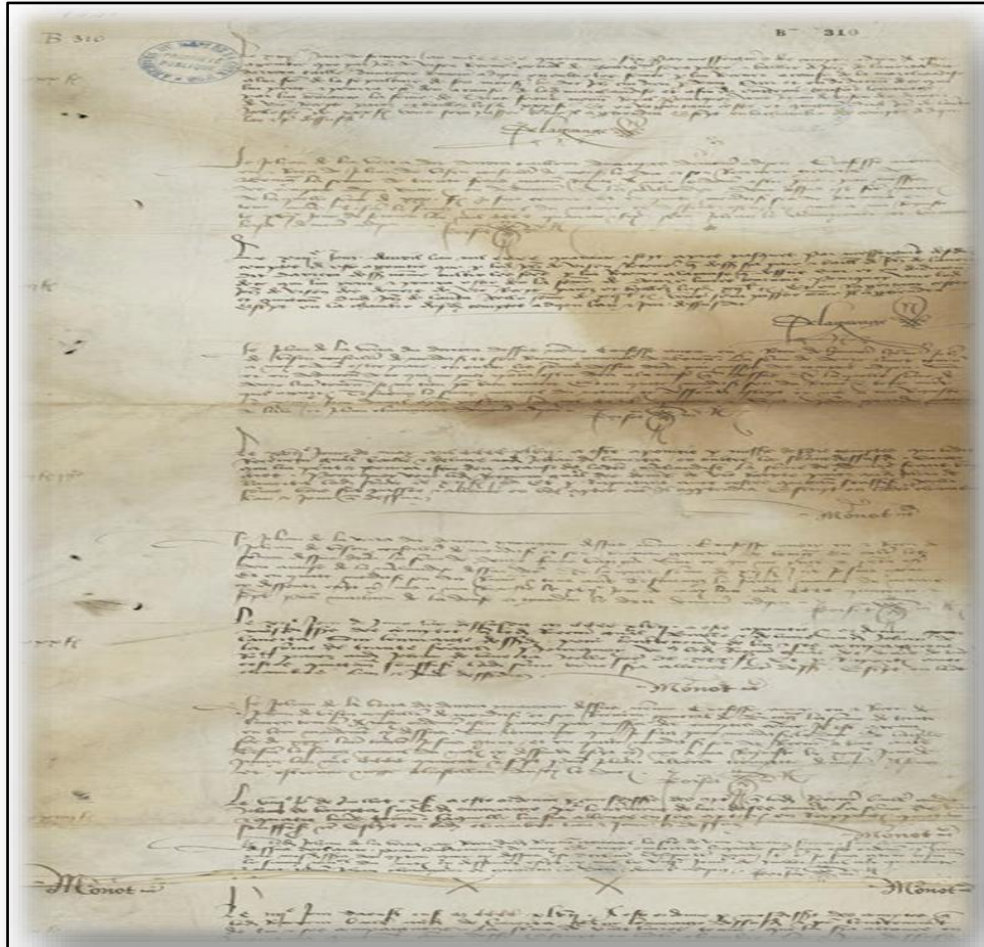
عقد زواج جون الجسور وماركريت بافاريا عام ١٣٨٥ (١٠٩٤)

(1094) ADCO, Contrat de mariage de Jean sans Peur et Marguerite de Bavière 1385, Dijon, B.229.

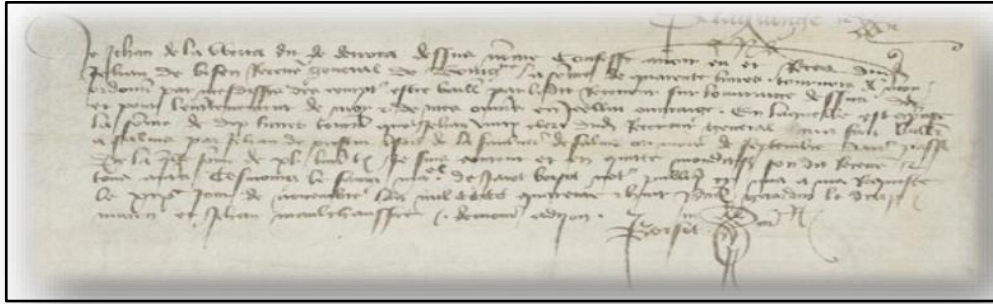


ملحق رقم (٨)

ملحق رقم (٩)
أوامر وإيصالات جان دي لا هويرتا، نحات دوق بورغندي،
لبناء ضريح جون الجسور (١٤٤٧-١٤٤٨) (١٠٩٦)



¹⁰⁹⁶(Adco, Mandements Et Quittances De Jean De La Huerta, Imagier Du Duc De Bourgogne, Pour La Construction Du Tombeau De Jean Sans Peur(1447-1448), 19 Novembre 1448, Dijon,B.310.



ملحق رقم (١٠)
مكتبة جون الجسور الدينية (١٠٩٧)
الجدول من أعداد الباحث

ت	نوع الكتاب
١	الكتاب المقدس التاريخي باللغتين اللاتينية والفرنسية
٢	الكتاب المقدس باللغة اللاتينية وباللغة الفرنسية
٣	مقتطفات من العهد القديم
٤	كتاب الادعية لباريس
٥	كتاب الادعية لروما
٦	كتاب الساعات
٧	كتاب القداس
٨	سفر المزامير
٩	مزامير التائبين السبعة
١٠	كتاب الصلوات
١	الأنجيل الاربعة
٢	توافق الاناجيل
٣	كتاب الأب نوستتر

¹⁰⁹⁷(Léon Mirot, Le Livre D'heures De Jean ..., Tome 101, , P.P. 225-229.

ملحق رقم (١١)
الألقاب الملكية التي شغلها دوق بورغندي جون الجسور
بين الاعوام (١٤٠٤ - ١٤١٩) (١٠٩٨).
الجدول من أعداد الباحث

الألقاب الملكية		
	١٤٠٤-١٣٨٤	كونت نيفيرز
	١٤٠٥-١٤٠٤	كونت شاروليه
	١٤١٩-١٤٠٤	دوق بورغندي
	١٤١٩-١٤٠٥	كونت بالاتين
	١٤١٩-١٤٠٥	كونت أرتوا
	١٤١٩-١٤٠٥	كونت فلاندرز

¹⁰⁹⁸(Urbain Plancher, Vol 3, Op. Cit.,p. 248-250 ; L. Douët-D'arcq,La Chronique D'enguerrân De Monstrelet(1400 — 1444),Tome .6,Jules Renouard,Paris,1857,P.192 ; Chronique Du Religieux De Saintdenys,Tome 6,Op. Cit.,P.335.

ملحق رقم (١٢)
قائمة معاهدات السلام في الحرب الاهلية الارماغناكية - البورغندية
خلال عهد جون الجسور (١٠٩٩).
الجدول من أعداد الباحث

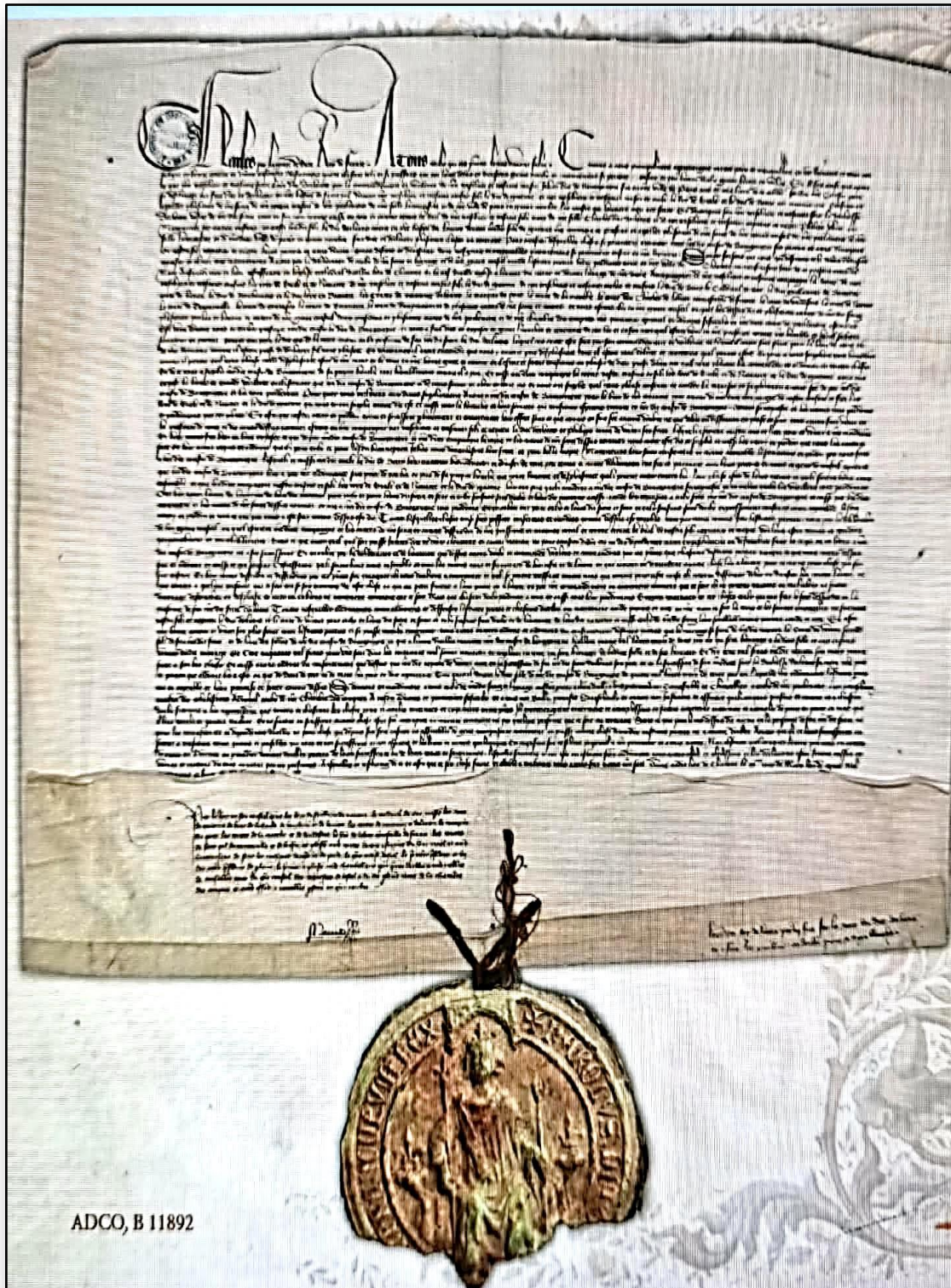
ت	المعاهدة	التاريخ	المكان	الاطراف
١	سلام شارتر	٩ مارس ١٤٠٩	شارتر	الارماجنك بقيادة شارل اوليانز البورغنديون بقيادة جون الجسور
٢	سلام بيستر	٢ نوفمبر ١٤١٠	بيستر	الارماجنك بقيادة جون الاول دوق بيري- البورغنديون بقيادة جون الجسور
٣	معاهدة بورجيه	١٨ مايو ١٤١٢	بورج	الارماجنك بقيادة شارل اوليانز وجون الاول دوق بيري- انكلترا بقيادة الملك هنري الرابع
٤	سلام أوكسير	٢٢ اغسطس ١٤١٢	أوكسير	الارماجنك بقيادة شارل اوليانز البورغنديون بقيادة جون الجسور
٥	سلام بونتواز	٢٨ يوليو ١٤١٣	بونتواز	الارماجنك بقيادة جون الاول دوق بيري- البورغنديون بقيادة جون الجسور
٦	سلام أراس	٤ سبتمبر ١٤١٤	أراس	ملك فرنسا - ودوق بورغندي
٧	معاهدة سانت مور دي فوسي	١٦ سبتمبر ١٤١٨	سانت مور دي فوسي	مملكة فرنسا - ودوق بورغندي
٨	معاهدة بوي لوفورت	١١ يوليو ١٤١٩	بوي لوفورت	مملكة فرنسا - ودوق بورغندي
٩	معاهدة تروا	٢١ مايو ١٤٢٠	تروا	مملكة إنجلترا- مملكة فرنسا

ملحق رقم (١٣)
رسالة ملكية باللغة اللاتينية إلى جون الجسور

¹⁰⁹⁹(Nicolas Offenstadt, OP, CIT.,p.p.16,479 ; Françoise Autrand, Op.
Cit.,p.p. 647 -651 ; Emilie Lebailly, OP, CIT.,p. 357-374

ملحق رقم (١٤)

صلح شارتر الذي وقعه ملك فرنسا شارل السادس ١٤٠٩ (١١٠١)



١١٠١(ADCO,Paix de Chartres scellée par le roi Charles VI
1409,Dijon,B.11892

ملحق رقم (١٥)

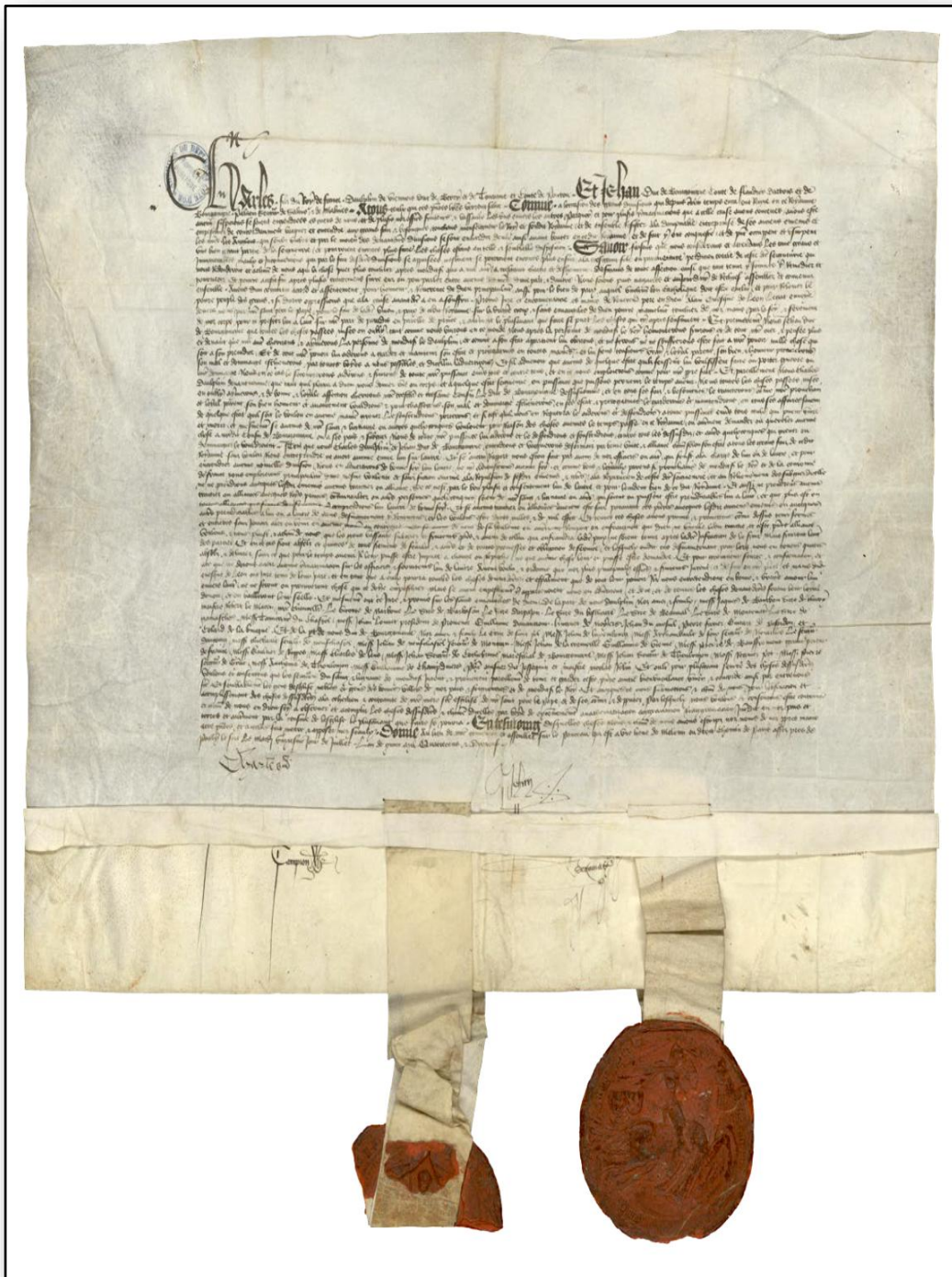
رسالة من هنري الرابع، ولي عهد إنكلترا ١٤١٢ ، أبلغ فيها ابنه، هنري الخامس



المستقبلي من سحب دعمه لجون الجسور (١١٠٢)

)¹¹⁰²(ADCO,Dépêche d'Henri de Lancastre, héritier du trône d'Angleterre 1412, Dijon, B.11926

ملحق رقم (١٦)
معاهدة بويي لو فورت باللغة اللاتينية موقعة ومختومة من قبل الدوفين
وجون الجسور ١٤١٩ (١١٠٣)



¹¹⁰³⁾ (ADCO, Paix de Pouilly-le-Fort signée et scellée par le dauphin et
Jeansans Peur 1419,Dijon,B.11896.

ملحق رقم (١٧)
معاهدة تروا ١٤٢٠ (١١٠٤)



ملحق رقم (١٨)
الألقاب الملكية التي شغلها دوق بورغندي فيليب الطيب بين عامي
(١٤٣٣ - ١٤٦٧)
الجدول من أعداد الباحث (١١٠٥).

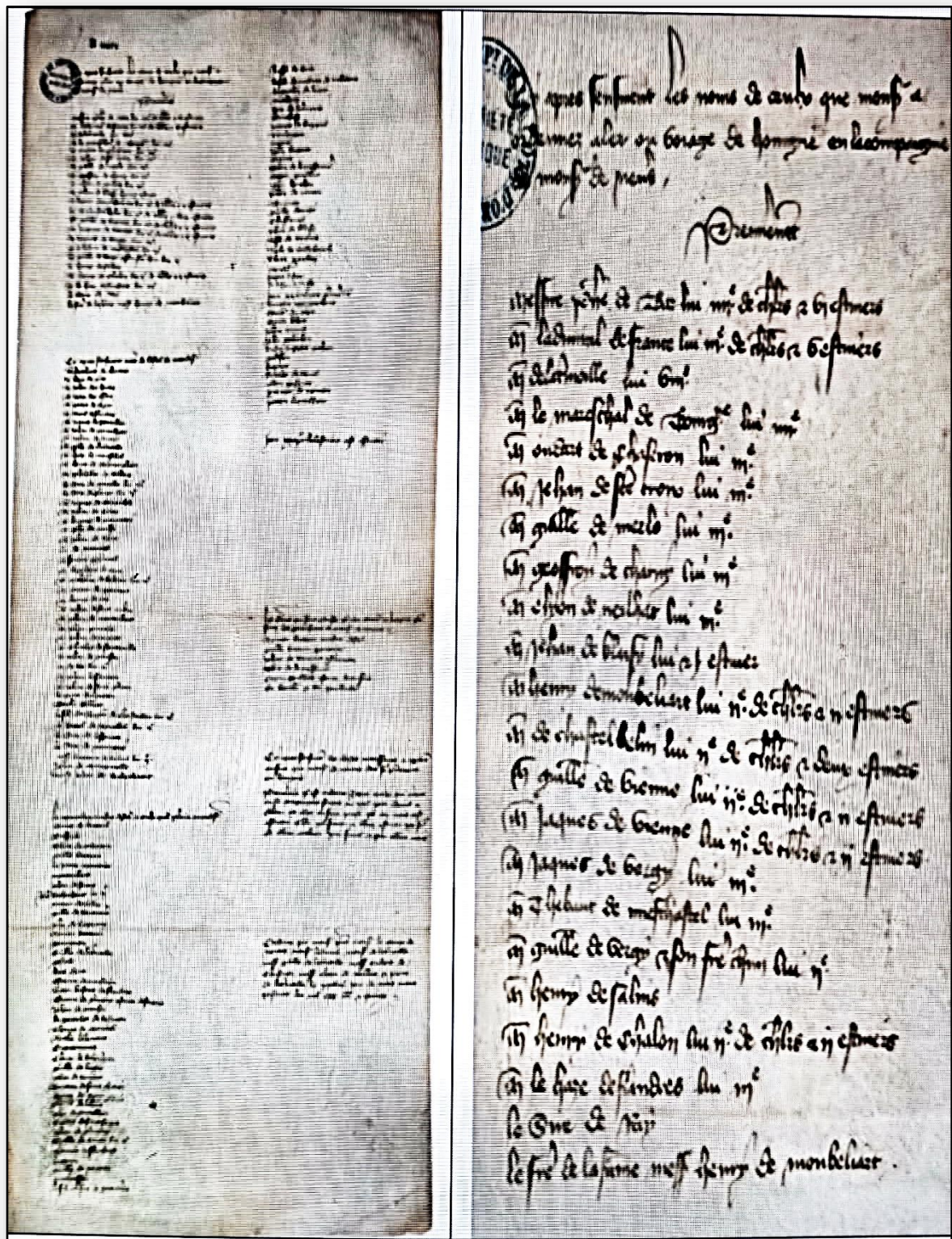
الألقاب الملكية

¹¹⁰⁴(ADco,raité de Troyes1420,Dijon,B.11926

¹¹⁰⁵(Matthieu D'escouchy,Op. Cit., Tome .3,P.409-410 ; Jackues Du Clericq, Memoires, Tomexi, Édité Par: M. Petitot, Faucault Libraire, Paris, 1826,P.30-31.

	۱۴۰۵-۱۴۳۳	کونت شارولیه
	۱۴۶۷-۱۴۱۹	دوق بورغندي
	۱۴۶۷-۱۴۱۹	کونت آرتوا
	۱۴۶۷-۱۴۱۹	کونت بلاتین
	۱۴۶۷-۱۴۱۹	کونت فلاندرز
	۱۴۶۷-۱۴۲۹	مارغریف نامور
	۱۴۶۷-۱۴۳۰	دوق برابانت ولوتیر
	۱۴۶۷-۱۴۳۰	دوق لیمبورغ
	۱۴۶۷-۱۴۳۳	کونت هینو
	۱۴۶۷-۱۴۳۳	کونت هولندا
	۱۴۶۷-۱۴۳۳	کونت زیلاند
	۱۴۶۷-۱۴۳۵	کونت اوكسير
	۱۴۶۷-۱۴۳۵	کونت ماکون
	۱۴۶۷-۱۴۳۵	کونت بولوني
	۱۴۶۷-۱۴۳۵	کونت بونثیو
	۱۴۶۷-۱۴۳۵	کونت فیرماندوا
	۱۴۶۷-۱۴۴۳	دوق لوکسمبورغ

ملحق رقم (١٩)
معاهدة آراس ١٤٣٥ (١١٠٦)



¹¹⁰⁶(ADCO,Traité d'Arras 1435,Dijon,B. 11901

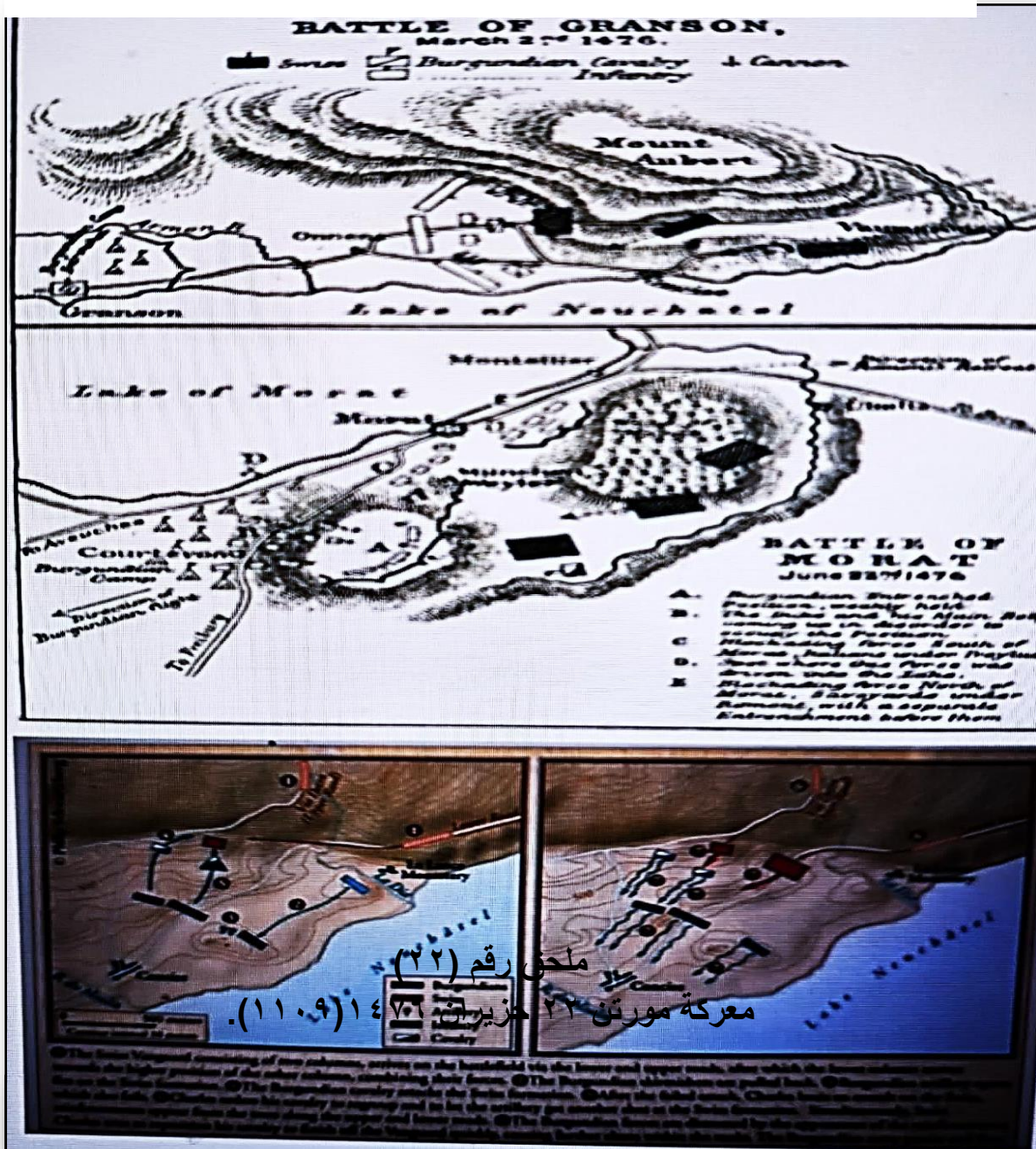
ملحق رقم (٢٠)
الألقاب الملكية التي شغلها دوق بورغندي شارل الجريء
بين عامي (١٤٣٣ - ١٤٧٧) (١١٠٧).
الجدول من أعداد الباحث

الألقاب الملكية		
	١٤٣٣-١٤٧٧	كونت شاروليه
	١٤٦٧-١٤٧٧	دوق بورغندي
	١٤٦٧-١٤٧٧	دوق برابانت
	١٤٦٧-١٤٧٧	دوق ليمبورغ
	١٤٦٧-١٤٧٧	كونت لوكسمبورغ
	١٤٦٧-١٤٧٧	مارغريف نامور
	١٤٦٧-١٤٧٧	كونت فلاندرز
	١٤٦٧-١٤٧٧	كونت هينو
	١٤٦٧-١٤٧٧	كونت هولندا
	١٤٦٧-١٤٧٧	كونت زيلاند
	١٤٦٧-١٤٧٧	دوق غيلدرز
	١٤٧٣-١٤٧٧	دوق زوتفن

ملحق رقم (٢١)

¹¹⁰⁷(Richard Vaughan, Philip The Bold ...,P.365.

معركة غراندسون في ٢ آذار ١٤٧٦ (١١٠٨)

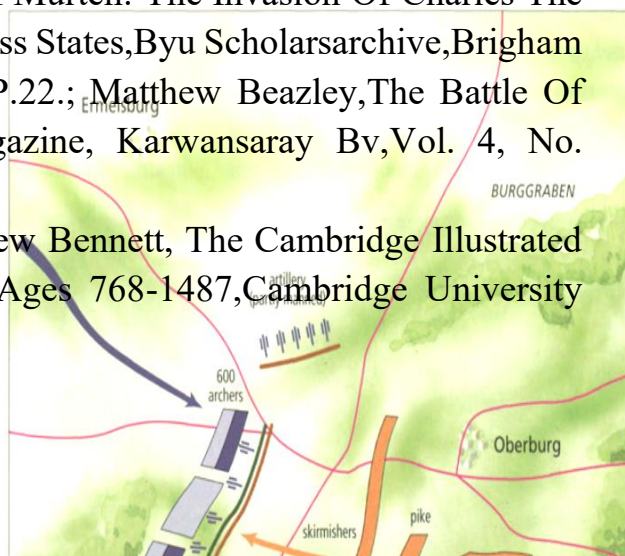


¹¹⁰⁸ (Albert Winkler, The Battle Of Murten: The Invasion Of Charles The Bold And The Survival Of The Swiss States, Byu Scholarsarchive, Brigham Young University - Provo, 2010, P.22.; Matthew Beazley, The Battle Of Grandson, Medieval Warfare Magazine, Karwansaray Bv, Vol. 4, No. 4, 2014, P. 32.)

¹¹⁰⁹ (Nicholas Hooper And Matthew Bennett, The Cambridge Illustrated Atlas Of Warfare : The Middle Ages 768-1487, Cambridge University Press, London, 1996, P.152.)

forced marches and went straight into battle the next day.

Charles had stood his men down, the defences being manned by only 2,000 archers and handgunners, with 1,200 horse in support. The rest of his troops were lunching in the camp; even so he was outnumbered by



ملحق رقم (٢٣)
الألقاب الملكية التي شغلها دوق بورغندي ماري الثرية
بين عامي (١٤٧٧ - ١٤٨٢) (١١١٠).

الألقاب الملكية		
	١٤٧٧-١٤٨٢	دوق بورغندي
	١٤٧٧-١٤٨٢	دوق لوثير
	١٤٧٧-١٤٨٢	دوق برابانت
	١٤٧٧-١٤٨٢	دوق ليمبورغ وزوتفن
	١٤٧٧-١٤٨٢	دوق لوكسمبورغ
	١٤٧٧-١٤٨٢	كونتيسة فلاندرز ونامور

¹¹⁰(Christine Kooi, Op. Cit.,P.21-24.

	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيسة ارتوا
	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيسة بالاتين بورغندي
	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيسة هينو
	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيسة هولندا
	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيسة زوتفن
	١٤٨٢-١٤٧٧	مارغريفة أنتويرب
	١٤٨٢-١٤٧٧	كونتيت زيلاند
	١٤٨٢-١٤٧٧	دوقة غيـلدرز



قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

○ القرآن الكريم:

أولاً. الوثائق الفرنسية المنشورة:

أ. وثائق أرشيف مقاطعة كوت دور (A.D.C.O) (Côte-d'Or):

1. ADCO, Contrat de mariage de Jean sans Peur et Marguerite de Bavière 1385, Dijon, B.229.
2. ADCO, Dépêche d'Henri de Lancastre, héritier du trône d'Angleterre 1412, Dijon, B.11926.
3. ADCO, Lettre Royale À Jean Sans Peur Après L'assassinat De Louis D'orléans 1408, Dijon, B.11892.
4. ADCO, Mandements Et Quittances De Jean De La Huerta, Imagier Du Duc De Bourgogne, Pour La Construction Du Tombeau De Jean Sans Peur 1447 - 1448, 19 November 1448, B 310.
5. ADCO, Paix de Chartres scellée par le roi Charles VI 1409, Dijon, B.11892.
6. ADCO, Paix de Pouilly-le-Fort signée et scellée par le dauphin et Jean sans Peur 1419, Dijon, B.11896.
7. ADCO, Traité d'Arras 1435, Dijon, B.11901.
8. ADCO, Traité de Troyes 1420, Dijon, B.11926.

ب. السجلات الوثائقية الفرنسية المنشورة:

1. Alfred Coville, L'Ordonnance cabochienne (26 - 27 mai 1413), Alphonse Picard, Paris, 1891.
2. Andrée Van Nieuwenhuysen, Documents Relatifs À La Gestion Des Finances De Philippe Le Hardi, Duc De Bourgogne Et Comte De Flandre (1384 - 1404), Bulletin De La Commission Royale D'histoire, Académie Royale De Belgique, Tome 146, 1980.
3. Archives Des Arts, Sciences Et Lettres. Documents Inédits Publiés Et Annotés, Edited By: Alexandre Pinchart, Tome 3, Imprimerie Eug. Vanderhaeghen, Gand, 1881.
4. Costa De Beauregard, Souvenirs Du Règne D'amédée VIII, Premier Duc De Savoie : Mémoires Accompagnés De Pièces Justificatives Et De Documents, Imprimerie De Puthod Fils, Al Verney, Chambéry, 1859.
5. Dunod De Charnage, Histoire Du Second Royaume De Bourgogne, Ducomté De Bourgogne Sous Les Rois

Carlovingiens, Des Iii. Et Iv . Royaumes De Bourgogne, Et Des Comtes De Bourgogne, Montbéliard & Neufchatel. Avec Une Description Du Comté De Bourgogne, & Plufieurs Généalogies, Tome 2, Fay Imprimeur Des Etats, De La Ville & De L'univerfité, Dijon, 1737.

6. Louis Prosper Gachard, Alexandre Joseph Pinchart, Inventaire Des Archives Des Chambres Des Comptes, Tome Troisième, Imprimeur De La Commission Royale, Bruxelles, 1851.

ثانياً. السجلات الوثائقية اللاتينية:

1. P. Lecacheux, G.. Mollat, Lettres Secrètes & Curiales Du Pape Urbain V (1362 – 1370) Se Rapportant A La France Extraites Des Registres D'avignon Et Du Vatican, Bocard, Paris, 1955.
2. Thomas Rymer & Roberto Sanderson & Georgii Holmes, Foedera, conventiones, literæ, et cujuscunque generis acta publica, inter reges Angliæ et alios quosvis imperatores, reges, pontifices, principes, vel communitates, ab ineunte sæculo duodecimo, viz. ab anno 1101, ad nostra usque tempore habita aut tractata; ex autographis, infra secretiores Archivorum regionum thesaurarias, per multa sæcula reconditis, fideliter exscripta, Vol. IV, London, 1739.

ثالثاً. السجلات الوثائقية الإنكليزية:

- Mark Twain, Personal Recollections of Joan of Arc, eartnow, London, 1895.

رابعاً. الحوليات:

أ. الحوليات اللاتينية:

- Annales Antverpienses ab urbe conditaad annum MDCC, Vol. 2, ed. J. E. Buschmann, Anvers, 1845.

ب. الحوليات الفرنسية:

1. Albert Mirot, Chroniques De J. Froissart 1387 – 1389, Tome 15, Libraire De La Société De L'histoire De France, Paris, 1975
2. Chronique De Mathieu D'Escouchy, Tome 2, Revue par: G. Du Fresne De Beaucourt, Madame Veuve Jules Renouard, Paris, 1863.

3. Chronique De Mathieu D'escouchy, Tome .1, Edited By: G. Du Fresne De Beaucourt, Librairie Renouard, Paris, 1863.
4. Chronique Du Religieux De Saintdenys, Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 1, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1839.
5.,Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 2, De L'imprimerie De Crapelet, Paris,1840.
6.,Edited By: M. L. Bellagiet,Tome 3, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1841.
7.,Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 4, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1842.
8.,Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 5, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1844.
9.,Edited By: M. L. Bellagiet, Tome 6, De L'imprimerie De Crapelet, Paris, 1800 .
10. Chronique Jean Le Fèvre De Saint-Remy, Tome 1, Transcrite D'un Manuscrit Appartenant À La Bibliothèq-Ue De Boulogne-Sur-Mer, Et Publiée Pour La Société De L'histoire De France Par François Morand, Librairie Renouard, Paris 1876 .
11. Chronique Jean Le Fèvre De Saint-Remy, Tome 2, Transcrite D'un Manuscrit Appartenant À La Bibliothèq-Ue De Boulogne-Sur-Mer, Et Publiée Pour La Société De L'histoire De France Par François Morand, Librairie Renouard, Paris 1876 .
12. Chroniques de Jean Molinet, éd. J.-A. Buchon, Tome I, Paris: Verdière Libraire, 1827.
13. Guillaume Gruel, Chronique D'arthur De Richemont Connétable De France, Duc De Bretagne (1393 – 1458), Edited by: Achille Le Vavassuer, Librairie Renouard, Paris, 1890 .
14. Guillaume Paradin De Cuy, Annales De Bourgongne, Antoine Gryphius, Lyon, 1566.
15. J. A. Buchon, La Chroniques D'enguerrand De Monstrelet 1390 – 1453, Tome 1, Verdière Libraire, Paris, 1826.

16. J. A. Buchon, Les Chroniques De Jean Froissart (1337 – 1410), Tome 4 – 7, Libraire Quai Des Augustins, Paris, 1824.
17. J. A. Buchon, La Chronique D'enguerran De Monstrelet (1400 – 1444), Tome 1, Société De L'histoire De France, Paris, 1978
18. Jackues Du Clericq, Memoires, Tome 1,Édité Par: Frédéric Auguste Ferdinand Thomas De Reiffenberg, Lacrosse, Bruxelles, 1823.
19., Memoires, Tome 2 – 11, Édité Par: M. Petitot, Faucault Libraire, Paris, 1826.
20. Jean Chartier, Hronique De Charles Vii Roi De France, Tome I, II, III, P. Jannet, Paris,1858.
21. Jehan De Waurin,Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 1, Edited By: William Hardy, Longman, Lond,1864.
22.,Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre,Tome 2,Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1868.
23.,Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 3, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1879.
24.,Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 4, Edited By: William Hardy, Longman, Lond,1884.
25.,Recueil Croniques Et Anchiemes Istoeies De La Geant Bretagne, A Present Nomme Engleterre, Tome 5, Edited By: William Hardy, Longman, Lond, 1891.
26. Jehan Froissart, Chronique De France, D'angleterre Et De Bretagne, Tome 2, Desclée, De Brouwer Et Cie.
27. L. Douët-D'arcq, La Chronique D'enguerrân De Monstrelet (1400 — 1444), Tome .1 – 6, Jules Renouard, Paris, 1857.
28. M. Le Baron Kervyn De Lettenhove, Oeuvres De Froissart, Tome.9 – 24, Biblio Verlag Osnabrück, 1967.

29. Oeuvres de Georges Chastellain, Chronique 1419 – 1422, Edited By: M. le Baron Kervyn de Lettenhove, Vol. I, F. Iieussner, Bruxelles, 1863.
30. Olivier De La Marche, Mémoires, Tome 1 – 4, Edited by: Henri Beaune Et J, Maitre D'hotel Et Capitaine Des Gardes De Charles Le Téméraire Librairie Renouard, Paris, 1885, p.59 – 64 .
31. Roland Delachenal, Les Grandes Chroniques De France Chronique Des Règnes De Jean Ii Et De Charles V 1364 – 1380, Tome 2, Libraire De La Société De L'histoire De France, Libraire De La Société De L'histoire De France, Paris, 1916.
32. Siméon Luce, Chroniques De J. Froissart (1382 – 1385), Tome 11, Librairie Renouard, Paris, 1800.
33. Urbain Plancher, Histoire Générale Et Particulière De Bourgogne, Vol .1 – 4, Antoine Imprimeur, Dijon, 1739.

ج. الحوليات الإنكليزية:

1. Chronicles Jean Froissart, Edited By: Geoffrey Brereton, Penguin Books, London, 1968 .
2. The Book of The Deeds of The Good Jacques De Lalaing, Knight, Translated By, Nigel Bryant, The Boydell Press, Nigel, 2022.
3. The Chronica maiora of Thomas Walsingham, 1376 – 1422, Translated by David Preest with introduction and notes by James G. Clark, Woodbridge, 2005.
4. The True Chronicles of Jean Le Bel 1290 – 1360, Translated By Nigel Bryant, The Boydell Press, Woodbridge, 2011.

د. الحوليات الألمانية:

- Die Berner Chronik des Diebold Schilling (1468–1484), éd. Gustav Tobler, Vol. I, K. J. Wyss, Bern, 1897.

خامساً. الرسائل والاطاريح الاجنبية:

أ. الفرنسية:

1. Denise Hillard-Villard, Relations Diplomatiques Entre Charles VII Et Philippe Le Bon De 1435 À 1445,

(Unpublished Doctoral Thesis), École Des Chartes Paris, 1963.

2. Julien De Palma, *Le Prince En Armes. Image Et Représentations Des Ducs De Bourgogne De La Maison Valois En Chefs De Guerre (1363 – 1477)* (Unpublished Doctoral Thesis), Université De Lille, École Sciences De L'homme Et De La Société, 2021.
3. Julien Dubray, *Le Téméraire Des Allemands La Perception De Charles Le Téméraire Dans L'espace Allemand Au Xve Siècle*, Unpublished Doctoral Thesis, Faculté De Philosophie, Arts Et Lettres, University of London, 2017.
4. Olga Karaskova, *Marie De Bourgogne Et Le Grand Héritage, L'iconographie Rincièr Face Aux Défis D'un Pouvoir En Transition (1477 – 1530)*, (Unpublished Doctoral Thesis), College Sciences De L'homme Et De La Société, Université Université Lille, 2014.
5. Patrick Proisy, *La bataille de Mons-en-Vimeu, août 1421*, (Thesis Unpublished Master's), Université de Lille III, 2011.
6. Thalia Brero, *Les Baptêmes Princiers : Le Cérémonial Dans Les Cours De Savoie Et De Bourgogne (Xve-Xvie S.)*, Université De Lausanne, Section D'histoire, Faculté Des Lettres, Lausanne, 2005.

ب. الإنكليزية:

1. Aleksandr Lobanov, *Anglo-Burgundian Military Cooperation, 1420-1435*, (Unpublished Doctoral Thesis), Faculty of Humanities of arts history, University of Southampton, University of Southampton, 2015.
2. Alistair Millar, *Olivier De La Lmarche And The Court of Burgundy, C.1425 – 1502*, Unpublished Doctoral Thesis, The University of Edinburgh, 1996.
3. Edward Adib Tabri, *Political Culture in The Early Northern Renaissance The Court of Charles The Bold, Duke of Burgundy 1467 – 1477*, (Unpublished Doctoral Thesis), Department Philoso-phy, University of Virginia, 1996.

4. Graeme Small, The Chronicle And Career of George Chastelain 1415 – 1475, A Study in The Political and Historical Culture of The Court of Burgundy, Unpublished Doctoral Thesis, The Faculty of Arts, University of Edinburgh, 1994.
5. Heather K. Robinson, Joan of Arc From Myth to Modern Fragmentation, (Unpublished Doctoral Thesis), University Texas, San Marcos, 2007.
6. Hurlbut Jesse, Ceremonial Entries In Burgundy: Philip The Good And Charles The Bold 1419 – 1477, Unpublished Doctoral Thesis, The Faculty of The Graduate School-The Department of French and Italian, Indiana University, 1990.
7. James Wesley Vincent, Money, War and Diplomacy: The French Policy of King Edward IV, 1461 – 1483, (Unpublished Doctoral Thesis), Duke University, Department of History, 1990.
8. Jeffrey Chipps Smith, The Artistic Patronage of Philip The Good, Duke of burgundy (1419 – 1467), (Unpublished Doctoral Thesis), The Faculty of Philosophy, Columbia University, 1979.
9. Kathleen Louise Kenyon, Portrait Painting in The Time of Philip The Good, Duke of Burgundy: 1419 – 1467, (Thesis Unpublished Master's) The Faculty of The School of Art And Design, San Jose State University, 1996.
10. Peter J. Arnade, Citizens, Sovereigns and Ritual Behavior: Ghent And The Burgundian Court, 1440 – 1540, (Unpublished Doctoral Thesis), University of New York, Department Philosophy, At Binghamton, 1992.

ج. الألمانية:

- Christian Kahl, Lehrjahre Eines Kaisers – Stationen Der Persönlichkeitsentwicklung Karls V. 1500 – 1558 Eine Betrachtung Habsburgischer Fürstenerziehung – Bildung Zum Ende Des Mittelalters, Unpublished Doctoral Thesis, Universität Trier, German, 2008.

د. التشيكية:

1. Jan Biederman, Organizace A Vybavení Vojska V 15. Století: Paralelní Vývoj Ve Francii, Burgundsku A Střední Evropě, Unpublished Doctoral Thesis, Filozofická Fakulta, Univerzita Karlova, 2015.
2. Jan Hrdina, Papežské Odpustkové Listiny Ve Střední Evropě Za Pontifikátu Bonifáce IX. (1389 – 1404) (Unpublished Doctoral Thesis), Filozofická Fakulta, Univerzita Karlova V Praze, 2010.

سادساً. الرسائل والاطاريح العربية:

١. ايمان نعيم عرد الموسوي، المعارك الإنكليزية - الفرنسية ١٤١٥ - ١٤٥٣ دراسة تاريخية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠٢٤.
 ٢. حسنين عبد الكاظم عجة الشمري، الصراع الانكليزي - الفرنسي ومواقف القوى الأوروبية منه ١٣٣٧ - ١٣٧٧، (اطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٢.
 ٣. حيدر جابر حسين الزرقي، جان دارك وأثرها في الصراع الانكليزي الفرنسي ١٤١٢-١٤٣١، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، ٢٠١٩.
 ٤. رشاشا مجيد منديل الحاجم، حروب الوردتين في إنكلترا (١٤٥٥-١٤٨٥)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، ٢٠١٧.
 ٥. محمود تركية، أوضاع الدولة العثمانية الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد بايزيد الأول ١٣٨٩ م - ١٤٠٢ م، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، ٢٠١٥.
- سابعاً. المصادر الأولية:

أ . المصادر اللاتينية:

1. Pontus Heuterus, Opera historica omnia Burgundica, Austriaca, Belgica: de rebus a principibus Burgundis atque Austriacis, qui Belgis imperarunt, pace belloque praeclare gestis, Lovanii: Judocus Coppenius, 1643.
2. Thomæ de Elmham, Vita & Gesta Henrici Quinti Anglorum Regis, Edited by T. Hearne, London, 1727.

ب. المصادر الفرنسية:

1. A. Et J. Le Glay, M. Desplanque, Inventaire- Sommaire Des Archives Départementales Antérieures A 1790 – Nord Archives Civiles Série Bchambre Des Comptes De Lille, Nos 4 À 1560, Tome Premier, Imprimerie De L. Danel, Lille, 1865.
2. Alexandre Grosjean, Toison D’or Et Sa Plume La Chronique De Jean Lefèvre De Saint-Rémy, Brepols.
3. Alexandre Tuetey, Journal D'un Bourgeois De Paris 1405 – 1449 Publie D'après Les Manuscrits De Rome Et De Paris, A Paris, H. Champion, Paris, 1881.
4. Bernard Prost & Henri Prost, Inventaires Mobiliers Et Extraits Des Comptes Des Ducs De Bourgogne De La Maison De Valois 1363 – 1477, (Philippe Le Hardi 1363 – 1377), Tome.1, Ernest Leroux, Paris, 1902.
5. Christine de Pizan, Livre des faits et bonnes moeurs du sage roi Charles V 1401 – 1410 Bibliothèque nationale de France, Département des manuscrits. Français 10153, 1978.
6. Chroniques de Perceval de Cagny, éd. Moranvillé, Librairie Renouard, Paris, 1902.
7. Coville, Le véritable texte de la justification du duc de Bourgogne par Jean Petit (8 mars 1408), Bibliothèque de l'école des chartes, Tome 72, 1911.
8. Etienne Picard, La Venerie Et La Fauconnerie Des Ducs De Bourgogne D'après Des Documents Inédits, Champion, Paris, 1881.
9. Jean Juvénal des Ursins, Histoire de Charles VI, Roy de France et des choses mémorables advenues de son règne, Paris, 1754.

10. Jehan Nicolay, Kalendrier des guerres de Tournay (1477 – 1479), Vol. 2, Malo et Levasseur, 1853.
11. Louis Douët D'arcq, Choix De Pièces Inédites Relatives Au Règne De Charles VI, Tome 1, Mame Ve Jules Renouard, Paris, 1863.
12. Paul Le Cacheux, Actes de la Chancellerie d'Henri VI concernant la Normandie sous la domination anglaise (1422 – 1435), Société de l'Histoire de Normandie, Tome II, Paris, 1907.
13. Philippe de Commynes, Mémoires, Vol. I, London, 1855.
14. Pierre Cochon, Chronique Normande De, A. Le Brument, Rouen, 1870.

ج . المصادر الهولندية:

- W. Prevenier, Handelingen van de Leden en van de Staten van Vlaanderen 1384 – 1405 Excerpten uit de rekeningen der steden, kasselrijen en vorstelijke ambtenaren, Brussels, 1959.

د. المصادر الإنكليزية:

1. Alfred W. Pollard, Fifteenth Century Prose and Verse, Westminster: A. Constable, 1903.
2. F. W. D. Brie, The Brut or The Chronicles of England, Vol. II, Oxford, 1906.
3. Janet Shirley, A Parisian Journal 1405–1449, Translated from the Anonymous Journal d'un Bourgeois de Paris, Oxford, 1968.
4. Jean D'arras, Melusine Or The Noble History of Lusignan, Translated By Donald Maddox And Sara Sturm-Maddox, The Pennsylvania Stateuniver Sitypress, Pennsylvania, 2012.
5. Joseph Morawski, Proverbes français antérieurs au XVe siècle, É. Champion, Paris, 1925.
6. Joseph Stevenson, Letters and Papers Illustrative of the Wars of the English in France during the Reign of Henry VI, Vol. II, London, 1861.
7. Mark Twain, Personal Recollections of Joan of Arc, London, 1895.

8. Michael Drayton, The Battaile of Agincourt, Editor: Richard Garnett, London, 1893.
9. N. H. Nicolas, Proceedings and Ordinances of the Privy Council of England, Vol.II, London, 1834.
10. The Memoirs Philip De Commines, Lord of Ardenon: Coktaikixg The Histories of Louis XI and Charles VIII., Kings of France, Aim Orcharles The Bold, Duke of Burgundy, Edited By: Sir Andrew R. Scoble, Vol. I, Henry G. Bohn, London, 1855.
11. The Memoirs Philip De Commines, Lord of Ardenon: Coktaikixg The Histories of Louis XI and Charles VIII., Kings of France, Aim Orcharles The Bold, Duke of Burgundy, Edited By: Sir Andrew R. Scoble, Vol. II, Henry G. Bohn, London, 1856.

ثامناً. المراجع الأجنبية:
أ. المراجع الفرنسية:

1. Abel Desjardins, Vie de Joan of Arc, Didot, Paris, 1854.
2. Alain Marchandisse & Bertrand Schnerb, La Bataille Du Liège Actes Des Congrès Nationaux Des Sociétés Historiques Et Scientifiques, Paris, 2013.
3. Amédée Gouët, Histoire Des Règnes De Charles Vi Et Charles VII (1380 – 1461), A.-N. Lebègue Et, Bruxelles, 1870.
4. Amédée Renée, Les princes militaires de la maison de France: contenant les états de services et les biographies de près de 300 princes (...) jusqu'à la révolution française, Amyot, Paris, 1848.
5. André Bossuat, Perrinet Gressart et François de Surienne, E. Droz, Paris, 1936.
6. Anne Le Cam, Charles le Téméraire: Un homme et son rêve, France, 1992.
7. Arsène Perier, Un Prévôt De Paris Sous Charles V, Hugues Aubriot, Jacquot Et Floret, Dijon, 1908.
8. Augustin Challamel, Mémoires Du Peuple Français Depuis Son Origine Jusqu'a Nos Jours, Tome. 3, Biblio Lyon, Paris, 1893.
9. B.-A. Pocquet du Haut-Jussé, Deux féodaux Bourgogne et Bretagne 1363 – 1491, Boivin, Paris, 1935.

10. Barthélemy Pocquet Du Haut-Jussé, Les Papes Et Les Ducs De Bretagne: Essai Sur Les Rapports Du Saint-Siège Avec Un État, Vol. I, E. De Boccard, Paris, 1928.
11. Bernard Guenée, Les Campagnes De Lettres Qui Ont Suivi Le Meurtre De Jean Sans Peur, Duc De Bourgogne (Septembre 1419 – Février 1420), Editions De Boccard, Paris, 1993.
12. Berriet Saint-Prix, Jeanne d'Arc ou coup d'œil sur les Révolutions de France au temps de Charles VI et de Charles VII, et surtout de La Pucelle d'Orléans, Pillet, Paris, 1817.
13. Bertrand Schnerb, Jean Sans Peur Le Prince Meurtrier, Éditions Payot & Rivages, Paris, 2005.
14. Bertrand Schnerb, L'état Bourguignon 1363 – 1477, Librairie Acade – Mique, Perrin, 1999.
15. Bertrand Schnerb, Un Seigneur Auvergnat À La Cour De Bourgogne: Renaud II, Vicomte De Murat (1405 – 1420), Editions De Boccard, Annuaire-Bulletin De La Société De L'histoire De France, 2005.
16. Boris Bove, Le temps de la guerre de cent ans 1328 – 1453, Belin, 2015.
17. Bouquet Barthélémy de Haute-José, Le connétable de Richemont, seigneur bourguignon, Imprimerie Bernigaud et Privat, Dijon, 1936.
18. Bran de Charmettes, Histoire de Jeanne d'Arc surnommée La Pucelle d'Orléans, Vol. I, Arthus Bertrand, Paris, 1817.
19. C.-U.-J. Chevalier, Notice Chronologico Historique Sur Les Archevêques De Vienne : D'après Des Documents Paléograp-hiq ues Inédits, E.-J. Savigné, Vienne, 1879.
20. Charles Arthur John Armstrong, La politique matrimoniale des ducs de Bourgogne de la maison de Valois, Centre d'études bourguignonnes, Dijon, 1968.
21. Charles de la Roncière, Histoire de la Marine Française, Tome. II, Paris, 1899.
22. Claude-Bernard Petitot, précis de L'histoire de Jeanne d'Arc, surnommée La pacelle d'orleans, Foucault, Paris, 1819..
23. D. Cornet, siège de Montargis par les Anglais 1427, Imprimerie Deslis Frères, Montargis, 1903.

24. Delaville Le Roulx, *La France En Orient Au Xiv Siècle Expeditions Du Marechal Boucicaut*, Libraire Des Ecoles Francaises, Paris, 1886.
25. E. C. De Gerlache, *Histoire De Liège, Depuis César Jusqu'a Maximilien De Bavière*, M. Hayez, Bruxelles, 1843.
26. E. Cosneau, *Les grands traités de la guerre de cent ans*, A. Picard, Paris, 1889.
27. Eberhard Windecke, *Les sources allemandes de l'histoire de Jeanne d'Arc*, Vol. II, Paris, 1903.
28. Edmond Meyer, *Charles Iroi De Navarre, Comte D'évreux Et La Normandie Au Xiv Siècle* Ernest Dumont, Paris, 1898.
29. Emilie Lebailly, *Le Dauphin Louis, Duc De Guyenne, Et Les Arts Précieux (1409 – 1415)*, Bulletin Monumental, Ome 163, N.4, Année 2005.
30. Ernest Champeaux, *Les ordonnances des Ducs de Bourgogne sur l'administration de la justice du Duché*, Mégariotis Reprints, Genève, 1978.
31. Ernest Petit, *Ducs De Bourgogne De La Maison De Valois D'après Des Documents Inédits Philippe Le Hardi (1363 - 1380)*, Tome I, H. Champion, Paris, 1909.
32. Ernest Petit, *Itinéraires De Philippe Le Hardi Et De Jean Sans Peur, Ducs De Bourgogne 1363 – 1419*, Paris, 1888.
33. Ernest Petit, *Campagne De Philippe-Le-Hardi 1372 (Poitou, Angoumois, Aunis, Saintonge, Anjou, Bretagne) : Fragments De Documents Inédits*, Bibliothèque Nationale De France, 1885.
34. Eugène Jarry, *La Vie Politique De Louis De France Duc D'orléans 1372 – 1407* A Picard, Paris, 1889.
35. Felix Ragon, *Histoire De France*, Librairie Louis Colas, Paris, 1874, p.120.
36. Florentin Briffaz, *Jean sans Peur (1419 – 2019)*, Archives Départementales de la Côte-d'Or, Dijon, 2019.
37. Françoise Autrand, *Charles V: Le Sagel* Librairie Arthème Fayard, Paris, 1994.
38. Frantz Funck-Brentano, *Histoire Le Moyen - Âge - La France Féodale*, Translated From French by Elizabeth O'Neill, William Heinemann Co., London, 1922.

39. Fritz Quicke, *Itinéraire De Jeanne, Duchesse De Brabant, De Limbourg Et De Luxembourg (1383 – 1404)*, Bulletin De La Commission Royale D'histoire, Académie Royale De Belgique, Tome 98, 1934.
40. Fritz Quicke, *Les Pays-Bas À La Veille De La Période Bourguignonne 1356 – 1384*, Éditions Universitaires, Brussels, 1947.
41. G. Du, *Fresne De Beaucourt, Histoire De Charles VII Le Dauphin 1403 – 1422*, Tome. 1, Librairie De La Société Bibliographique, Paris, 1881.
42. Georges Bordonove, *Les Rois Qui Ont Fait La France Jean Ii (1350 – 1364) Fils De Philippe VI*, Éditions Pygmalion, Paris, 1980.
43. Georges Bordonove, *Les Rois Qui Ont Fait La France, Charles V Le Sage (1364 – 1380) Fils De Jean II Le Bon*, Éditions Pygmalion, Paris, 1985.
44. Georges Bordonove, *Les Rois Qui Ont Fait La France Charles Vi Le Roi Fol Et Bien-Aimé (1380 – 1422)*, Éditions Pygmalion, Paris, 2006.
45. Georges Doutrepoint, *La Littérature Française À La Cour Des Ducs De Bourgogne*, Tome VIII, Champion, Paris, 1909.
46. Georges Duby, *Histoire De La France Des Origines À Nos Jours*, Carl Aderhold, Larousse, 1970.
47. Gérard Bacquet, *Azincourt*, Bellegarde, 1977.
48. Henri Dubois, *Louis VI: Choix de textes*, Paris: Librairie Générale Française, 1996.
49. Henri Laurent & Fritz Quicke, *Les Origines De L'état Bourguignon L'accession De La Maison De Bourgogne Aux Duchés De Brabant Et De Limbourg 1383 – 1407*, Académie Royale De Belgique, Belgique, 1939.
50. Henri Pirenne, *Histoire de Belgique*, Vol. 3, Bruxelles: Henri Lamertin, 1907.
51. Herman Vander Linden, *Itinéraires de Charles, duc de Bourgogne... (1467 – 1477)*, Bruxelles: M. Lamertin, 1936.
52. Hubert Carrier, *Si vera est fama. Le retentissement de la bataille d'Othée dans la culture historique au XVe siècle*, Presses Universitaires de France, Vol. 303, N.619, 2001.

- 53.**J. C. L. Sismonde De Sismondi, Histoire Des Français, Vol. XII, Imprimeur Libraire, Paris, 1828.
- 54.**J. De.Fréminville, Les Écorcheurs En Bourgogne (1435 – 1445), Mémoires De L'académie Des Sciences, Arts Et Belles-Lettres De Dijon,Imprimerie Darantiere, 3e Série, Tome 10, 1887.
- 55.**J. Van Ooteghem, Les Caecilii Metelli De La République Palais des Académies, Brussel, 1967.
- 56.**Jacques Marseille, Journal De La Bourgogne, Larousse, 2002.
- 57.**Jacques Paviot, La politique navale des ducs de Bourgogne 1384–1482, Univ. Septentrion, Lille, 1995.
- 58.**Jean Cordey, Les Comtes De Savoie Et Les Rois De France Pendant La Guerre De Cent Ans 1329 – 1391, Librairie H. Champion, Paris, 1911.
- 59.**Jean Favier, La Guerre De Cent Ans, Fayard, Paris,1980.
- 60.**Jean Favier, Louis XI, Paris: Fayard, 2001.
- 61.**Jean Michel Mehl, Les Jeux Au Royaume De France Du Xiiiie Au Début Du Xvie Siècle, Fayard, Paris, 1990.
- 62.**Jean Rauzier, Finances Et Gestion D'une Principauté. Le Duché De Bourgogne De Philippe Le Hardi 1364 – 1384, Comité Pour L'histoire Économique Et Financière, Paris, 1996.
- 63.**Jean-Marie Cauchies, Philippe le Beau: le dernier duc de Bourgogne, Brepols, 2003.
- 64.**John-Bell Henneman, Olivier De Clisson Et La Société Politique Sous Charles V Et Charles VI, Presses Universitaires, Rennes, 2011.
- 65.**Joseph Billioud, Les États De Bourgogne Aux Xit & Xv' Siècles, Academie Des Sciences, Arts Et Belles Lettres, Dijon, 1921.
- 66.**Joseph Calmette, Les Grands Ducs De Bourgogne, Albin Michel, Paris, 1956.
- 67.**Jules De La Chauvelays, Es Armées Des Trois Premiers Ducs De Bourgognerary De La Maison De Valois,Libraire Dumaine, Paris, 1880.

- 68.**L. J. Chrétien, Essai sur l'histoire et les antiquités d'Argentan, Falaise, 1834.
- 69.**Leon Bloy, Jeanne d'Arc et l'Allemagne, G. Crès et Cie, Paris, 1915.
- 70.**Léon Mirot, Jean Sans Peur De 1398 – 1405, Bulletin De La Société De L'histoire De France,Paris,1939.
- 71.**Léon Mirot, La Colonie Lucquoise À Paris Du Xiii^e Au Xv^e Siècle, Vol. 88, Bibliothèque De L'école Des Chartes, Paris, 1927.
- 72.**Léon Mirot, La Colonie Lucquoise À Paris Du Xiii^e Au Xv^e Siècle, Tome. 89, Bibliothèque De L'école Des Chartes. 1928.
- 73.**Léon Mirot, Le Livre D'heures De Jean Sans Peur, Librairie Droz, Tome 101, 1940.
- 74.**Léon Mirot, Raoul D'anquetonville Et Le Prix De L'assassinat Du Duc D'orléans, Bibliothèque De L'école Des Chartes, Tome 72, Avril 1911.
- 75.**L'intermédiaire Des Chercheurs & Curieux, Intermédiaire Des Chercheurs & Curieuxcorrespondance Littéraire, Historique Et Artistique Questions Etréponses,Volume 72, Biblioth Ville De Lyon, Paris, 1914.
- 76.**Louis Prosper Gachard, Études et notices historiques concernant l'histoire des Pays-Bas, Vol. 1, Bruxelles: F. Hayez, 1890.
- 77.**M. Jollois, Histoire abrégée de la vie et des exploits de Joan of Arc, Paris, 1821.
- 78.**Marc Boone, La justice en spectacle: la justice urbaine en Flandre et la crise du pouvoir bourguignon (1477 – 1488), Paris: Presses Universitaires de France, 2003.
- 79.**Marcel Brion, Charles le Téméraire, Duc de Bourgogne (1433 – 1477), Paris, 2006.
- 80.**Memoires De La Sooiété Pour L'histoire Du Droit Et Des Institutions Des Anoiens Pays Bourguignon Oomtois Et Romands, Faculté De Droit, Dijon, 2e Fascicule, 1935.
- 81.**Michael Nordberg, Les Ducs Et La Royauté Études Sur La Rivalité Des Ducs D'orléans Et De Bourgogne 1392 – 1407, Almqvist & Wiksells, Stockholm, 1964.

- 82.** Monique Sommé, Isabelle De Portugal, Duchesse De Bourgogne: Une Femme Au Pouvoir Au Xve Siècle, Presses Universitaires Du Septentrion, Villeneuve D'ascq, 1998.
- 83.** Moranvillé Henri, Étude Sur La Vie De Jean Le Mercier (1300 – 1397) In: Mémoires Présentés Par Divers Savants À L'académie Des Inscriptions Et Belles-Lettres De L'institut De France, Paris, 1888.
- 84.** Nathalie Blancardi, Les petits princes: enfance noble à la cour de Savoie (XVe siècle), Lausanne, 2001.
- 85.** Nicolas Offenstadt, Faire La Paix Au Moyen Âge, Odile Jacob, France, 2007.
- 86.** P. Mantellier, Siège d'Orléans, H. Herluison, Orléans, 1867.
- 87.** Patrick M. De Winter, Copistes éditeurs et enlumineurs de la fin du XIVE siècle, la production à Paris de manuscrits à miniatures, Paris, 1978.
- 88.** Patrick M. De Winter, La Bibliothèque De Philippe Le Hardi, Duc De Bourgogne 1364 – 1404 Etude Sur Les Manuscrits À Paintures D' Une Collection Princièrre À L' Époque Du 'Style Gothique International', Edité Par Editions Du Centre National De La Recherche Scientifique, Paris, 1985.
- 89.** Paul Bonenfant, Philippe le Bon: sa politique, son action, Bruxelles, 1996.
- 90.** Paul Henrard, Les campagnes de Charles the Bold contre les Liégeois (1465 – 1468), Bruxelles, 1867.
- 91.** Philippe Contamine, Charles VII Une Vie, Une Politique, Perrin, Paris, 2017.
- 92.** Philippe Hector Dunand, Études critiques d'après les textes sur l'histoire de Joan of Arc, Toulouse, 1903.
- 93.** Philippe Hector Dunand, Histoire complète de la bienheureuse Joan of Arc, Vol. I, Toulouse, 1912.
- 94.** Raymond Cazelles, Société Politique, Noblesse Et Couronne Sous Jean Le Bon Et Charles V, Librairie Droz, Rue Massot, 1982.
- 95.** Roland Delachenal, Histoire De Charles V (1338 – 1358), Tome 1, Auguste Picard, Paris, 1909.

- 96....., Histoire De Charles V (1358 – 1364), Tome 2, Auguste Picard, Paris, 1909.
 - 97....., Histoire De Charles V (1364 – 1368), Tome 3, Auguste Picard, Paris, 1916.
 - 98....., Histoire De Charles V (1368 – 1377), Tome 4, Auguste Picard, Paris, 1928.
 99. Serge Boffa, L'expédition d'octobre 1407 dirigée par Antoine, duc de Brabant, contre Renaud IV, duc de Juliers et de Gueldre, fasc. 2, 1999.
 100. Susan Marti, Till-Holger Borchert et al., Splendeurs de la cour de Bourgogne: Charles le Téméraire (1433 – 1477), Anvers: Fonds Mercator, 2009.
 101. Théophile Boutiot, Histoire De La Ville De Troyes Et De La Champagne Méridionale, Deuxième Volume, Dufey-Robert, Paris, 1872.
 102. Yves Cazaux, Marie de Bourgogne, Paris: Albin Michel, 1967.
 103. Yves Charlier, La Bataille D'othée Et Sa Place Dans L'histoire De La Principauté De Liège, E L'institut Archéologique Liégeois, Tome Xcvii, Liège, 1985.
- ب. المراجع الهولندية:
1. Andrée Holsters, Moord En Politiek Tijdens De Gentse Opstand 1379 – 1385, Handelingen Der Maatschappij Voor Geschiedenis En Oudheidkunde, Gent, 1983.
 2. Johan Huizinga, Verzamelde Werken, Deel 2, Editie L. Brummel, Nederland, 1948.
 3. R. Demuyne, De Gentsche Oorlog (1379 – 1385), Oorzaken En Karakter, Delen 5, Handelingen Der Maatschappij Voor Geschiedenis En Oudheidkunde, Gent, 1951.
 4. W. Prevenier, De Beden in Het Graafschap Vlaanderen Onder Filips De Stoute (1384 – 1404), Revue Belge De Philologie Et D'histoire Année, Brussel, N.2, 1960.
- ج. المراجع الإنكليزية:
1. A. F. C. Ryder, Alfonso the Magnanimous, King of Aragon, Naples and Sicily (1396 – 1458), Oxford, 1990.

2. A. Ford, *Blessed Joan of Arc*, Christian Press Association Publishing Company, New York, 1910.
3. Albert Winkler, *The Battle of Murten: The invasion of Charles The Bold And The Survival of The Swiss States*, Byu Scholarsarchive, Brigham Young University - Provo, 2010.
4. Alexander Gillespie, *The Causes of War (1400 – 1650)*, Vol. III, Hart Publishing, Oxford, 2017.
5. Alfred Higgins Burne, *The Agincourt War A Military History of the Latter Part of the Hundred Years War from 1369 to 1453*, Front Line Books, London, 1956.
6. Alfred John Church, *Henry the Fifth*, New york, 1889.
7. Alfred W. Pollard, *Fifteenth Century Prose and Verse*, A. Constable, Westminster, 1903.
8. Aline S. Taylor, *Isabel of Burgundy: The Duchess Who Played Politics in the Age of Joan of Arc*, Madison Books, New York, 2001.
9. Anatole France, *The Life of Joan of Arc*, Vol. I, London, 1908.
10. Andrew C. P. Haggard, *The France of Joan of Arc*, Stanley Paul & Company, New York, 1912.
11. Andrew Lang, *The Maid of France: Being the Story of the Life and Death of Joan of Arc*, London, 1909.
12. Anne Curry, *The Hundred Years War 1337 – 1453*, Oxford, 2003.
13. Arthur Whetnall, *Joan of Arc*, Robert Culley, London, 1900.
14. Aziz Suryal Atiya, *The Crusade Of Nicopolis*, Methuen & Co, London, 1934.
15. Barbara W. Tuchman, *A Distant Mirror: The Calamitous 14th Century*, New York, 1978.
16. Bart Lambert, *The City, The Duke And Their Banker The Rapondi Family and The Formation of The Burgundian State (1384 – 1430)*, Brepols Publishers N. V., Turnhout, Belgium, 2006.
17. Bart Van Loo, *The Burgundians A Vanished Empire A history of 1.111*, London, 2021.
18. Bert S. Hall, *Weapons And Warfare In Renaissance Europe*, The Johns Hopkins University Press, London, 1997.

- 19.**Brendan Egan, Bore by discent and by title of right, justly to reigne in England and in Fraunce: Literature Directed at English Kings During the Hundred Years War, Master of Arts, University of Guelph, Canada, 2019.
- 20.**Charles Lethbridge Kingsford, Henry V. The Typical Medieval Hero, London, 1901.
- 21.**Charles M. Andrews, History of England, London, 1903.
- 22.**Charles Oman, A History of the Art of War in the Sixteenth Century, New York, 1937.
- 23.**Christine Kooi, Reformation in the Low Countries (1500–1620), Cambridge University Press, 2022.
- 24.**Christine Weightman, Margaret of York: The Diabolical Duchess, Amberley Publishing, England, 2009.
- 25.**Christopher Allmand, Henry V, Yale University Press, London, 1997.
- 26.**Christopher Allmand, The Hundred Years War: England and France At War 1300 – 1450, Cambridge University Press, Cambridge, New York, 1988.
- 27.**Christopher Allmand, The New Cambridge Medieval History: (1415 – 1500), Vol. 7, Cambridge University Press, Cambridge, 1960.
- 28.**Christopher Tyerman, England And The Crusades 1095 – 1588, University of Chicago Press, London, 1988.
- 29.**Cyril E. Robinson, A History of England Early and Middle Ages to 1485, London, 1920.
- 30.**D'arcy Jonathan Dacre Boulton, The Knights of the Crown: The Monarchical Orders of Knighthood in Later Medieval Europe 1325 – 1520, The Boydell Press, New York, 2000.
- 31.**Daniel Hobbins, The Trial of Joan of Arc, London, 2005.
- 32.**David Green, The Hundred Years War A People's History, Yale University Press, London, 2014.
- 33.**David Hume, The History of England from the Invasion of Julius Caesar to the Abdication of James II (1688), Vol. I, Phillips Sampson, Boston, 1854.
- 34.**David Nicholas, Medieval Flanders, Taylor & Francis, London, 1992.

35. David Nicholas, *The Scheldt Trade and The Ghent War of 1379 – 1385 Belgique*, Tome 144, Bulletin De La Commission Royale D'histoire, Académie Royale De, 1978.
36. David W. Bartlett, *The Life of Joan of Arc: The Maid of Orléans*, Miller & Orton & Mulligan, New York, 1854.
37. Denis Lynch, *Joan of Arc: The Life-Story of the Maid of Orléans*, Chicago, 1919.
38. Desmond Seward, *Henry V The Scourge of God*, U.S.A., 1987.
39. Donald Spoto, *Joan: The Mysterious Life of the Heretic Who Became a Saint*, Harper San Francisco, London, 2007.
40. E. M. Wilmot Buxton, *Joan of Arc*, Frederick A. Stokes Company, New York, 1914.
41. E. William Monter, *A Bewitched Duchy: Lorraine and Its Dukes (1477 – 1736)*, Librairie Droz, Genève, 2007.
42. Edith Thompson, *History of England*, New York, 1873.
43. Edward Shepherd Creasy, *History of The Ottoman Turks*, R. Bentley, London, 1878.
44. Edward Tabri, *Political Culture in the Early Northern Renaissance: The Court of Charles the Bold (1467 – 1477)*, Mellen Press, 2004.
45. Enid McLeod, *Charles, Prince of Orléans*, Paris, 1971.
46. Enoch Vine Stoddard, *Bertrand Du Guesclin Constable of France His Life And Times*, G. P. Putnam's Sons, New York, Street, 1897.
47. Eugene L. Cox, *The Green Count of Savoy: Amedeus Vi And Transalpine Savoy in The Fourteenth Century*, Princeton University Press, N.J., 1967.
48. Francis C. Lowell, *Joan of Arc*, Houghton Mifflin & Co., Boston, 1896.
49. Francis M. Wyndham, *Life of the Blessed Joan of Arc*, London, 1910.
50. Frantz Funck-Brentano, *The National History of France in The Middle Ages*, Translated From The French By Elizabeth O'Neill, William Heinemann, London, 1922.
51. Fritz Rudolf Künker, *The De Wit Collection of Medieval Coins*, Osnabrück, 2007.

52. George Edward Cokayne, *The Complete Peerage of England, Scotland, Ireland, Great Britain, And The United Kingdom*, Vol. 6, London, 1926.
53. George M. Wrong, *The Crusade of Mccclxxxii, Known As That of The Bishop of Norwich*, J. Parker, London, 1892.
54. George Makepeace Towle, *The History Henry The fifth King of London, Lord of Ireland and Heir of France*, New York, 1866.
55. Helena Avelar de Carvalho, *An Astrologer at Work in Late Medieval France: The Notebooks of S. Belle*, Boston, 2021.
56. Henry Ketcham, *Joan of Arc: The Maid of Orléans from Michelet's History of France*, Perkins Book Company, New York, 1900.
57. Ian Mortimer, *Henry IV's Date of Birth and the Royal Maundy*, *Historical Research*, Vol.80, November 2007.
58. Irit Ruth Kleiman, *Philippe de Commines: Memory, Betrayal, Text*, University of Toronto Press, 2013.
59. Isabelle Janvrin, Catherine Rawlinson, *The French in London: From William The Conqueror To Charles De Gaulle*. Translated By Emily Read, Wilmington Square Books, 2016.
60. J. R. Moreton Macdonald, *A History of France*, Vol. I, Macmillan, New York, 1915.
61. James Grant, *British Battles on Land and Sea*, Vol. I, New York, 1924.
62. James H. Ramsay, *Lancaster and York A Century of English History 1399–1485*, Vol. I, Oxford, 1892.
63. James Hamilton Wylie, *The Reign of Henry the Fifth (1413 – 1415)*, Vol. II, III, Cambridge at the University Press, Cambridge, 1914.
64. James M. Murray, *Bruges, Cradle of Capitalism, 1280 – 1390*, Cambridge University Press, United Kingdom, 2005.
65. Jan R. Veenstra, *Magic and Divination At The Courts of Burgundy*, Brill, New York, 1998.
66. Janet Hubbard Brown, *Women of Achievement: Joan of Arc, Religious and Military Leader*, New York, 2010.

- 67.**Jelle Haemers, *For the Common Good: State Power and Urban Revolts in the Reign of Mary of Burgundy (1477 – 1482)*, Turnhout: Brepols, 2009.
- 68.**Joel Dorman Steele & Esther Baker Steele, *A Brief History of France*, New York, 1875.
- 69.**Johan Huizinga, *The Waning of the Middle Ages*, London: Edward Arnold, 1924.
- 70.**John A. Mooney, *Joan of Arc*, Nova Publishers, New York, 1919, p.41.
- 71.**John Foster Kirk, *History of Charles the bold Duke of Burgundy*, Vol. I, III, Philadelphia, 1803. .
- 72.**John O'Hagan, *Joan of Arc*, Kegan Paul, Trench, Trübner & Co., London, 1893.
- 73.**John Richard Green, *History of the English People*, Vol. I, Harper & Brothers, New York, 1892.
- 74.**Jonathan Sumption, *The Hundred Years War*, Vol. 4, *Cursed Kings*, niversity of Pennsylvania Press, Pennsylvania, 2017.
- 75.**Joni M. Hand, *Women, Manuscripts and Identity in Medieval Europe*, Ashgate, 2013.
- 76.**Joni M. Hand, *Women, Manuscripts And Identity in Northern Europe, 1350 – 1550*, Ashgate, Farnham, 2013.
- 77.**Joycelyne Gledhill Dickinson, *The Congress of Arras 1435*, Clarendon Press, Oxford, 1955.
- 78.**Juliet Barker, *The English Kingdom of France 1417 – 1450*, Harvard University Press, Cambridge, 2012.
- 79.**Kathryn Edwards, *Families and Frontiers Re-creating Communities and Boundaries in the Early Modern Burgundies*, Brill, Boston, 2021.
- 80.**Kenneth Hotham Vickers,Humphrey, Duke of Gloucester: A Biography, Good Press, 2019.
- 81.**L. Harriss, *Cardinal Beaufort: A Study of Lancastrian Ascendancy and Decline*, Oxford, 1988.
- 82.**L. J. Andrew Villalon & Donald J. Kagay, *The Hundred Years War*, Part I, Leiden–Boston, 2005.
- 83.**L. J. Andrew Villalon and Donald J. Kagay, *The Hundred Years War*, Part III, Brill, Boston, 2013.

- 84.** Laura E. Richards, *Joan of Arc*, D. Appleton & Company, London, 1919.
- 85.** Leah Shopkow, *Joan of Arc: Study of Documents*, New York, 1902.
- 86.** Louise Creighton, *Some Famous Women*, London, 1909.
- 87.** Lucy Foster Madison, *Joan of Arc: The Warrior Maid*, Philadelphia, 1919.
- 88.** Ludwig Pastor, *The History of the Popes from the Close of the Middle Ages*, ed. Frederick Ignatius Antrobus, Vol. IV, London: Kegan Paul, Trench, Trübner & Co., 1894.
- 89.** M. Stevens, *The Wonderful Story of Joan of Arc and the Meaning of Her Life*, New York, 1918.
- 90.** Margaret B. Freeman, *A Book of Hours Made For The Duke Of Berry*, *The Metropolitan Museum of Art*, Dec, 1956, New Series, Vol. 15, No. 4.
- 91.** Margreet Brandsma, *Riches And Power? Princely Widows In The Burgundian Period: The Case of Margaret of Burgundy 1374 – 1441*, Vol. 5, Leiden University, 2018.
- 92.** Marguerite Keane, *Material Culture and Queenship In 14th Century France: The Testament of Blanche of Navarre (1331–1398)*, Brill, Leiden, Boston, 2016.
- 93.** Maude Royden, *Blessed Joan of Arc*, Sidgwick and Jackson, London, 1918.
- 94.** Maurice Keen, *The Laws of War in the Late Middle Ages*, Routledge & K. Paul, London, 1965.
- 95.** Michael S. Drake, *Problematics of Military Power*, London, 2002.
- 96.** Nicholas Michael, *Armies of Medieval Burgundy, 1364 – 1477*, Bloomsbury Usa, 1983.
- 97.** Nicolae Sfetcu, *The Music Sound*, Multimedia Publishing, 2021.
- 98.** Norman Davies, *Vanished Kingdoms The Rise and Fall of states and nations*, New York, 2012.
- 99.** Paul Murray Kendall, *Louis XI: The Universal Spider*, London: Allen & Unwin, 1971.

- 100.**Peter Arnade, *Realms of Ritual Burgundian Ceremony and Civic Life In Late Medieval Ghent*, Cornell University Press, Ithaca And London, 1996.
- 101.**Philip J. Potter, *Monarchs of the Renaissance*, North Carolina, 2014.
- 102.**Pierre Champion, *The Trial of Joan of Arc*, Paris, 1932.
- 103.**Pierre Gosset, *History of The Middle Ages From The 5th To The 15th Century*, Legare Street Press, 2022.
- 104.**R. A. Griffiths, *The Reign of King Henry VI*, Fonthill Media, Stroud, 2004.
- 105.**R. J. Walsh, *Charles the Bold and Italy (1467 – 1477)*, Liverpool, 2005.
- 106.**Richard Ager Newhall, *Muster and Review: A Problem of English Military Administration 1420 – 1440*, Harvard University Press, Cambridge, 1980.
- 107.**Richard Ager Newhall, *The English conquest of Normandy 1416 – 1424 a study in fifteenth century warfare*, New Haven, 2011.
- 108.**Richard Allington Smith, *Henry Despenser The Fighting Bishop* Larka Press, Dereham, 2003.
- 109.**Richard Vaughan, *John The Fearless the Growth of Burgundian Power*, Barnes & Noble, Inc, New York, 1873.
- 110.**Richard Vaughan, *Philip The Bold: The Formation of The Burgundian State*, Longmans, London, 1962.
- 111.**Richard Vaughan, *Philip the Good: The Apogee of Burgundy*, Boydell Press, 2002.
- 112.**Richard Vaughan, *Valois Burgundy*, Allen Lane, London, 1975.
- 113.**Richard Vaughan, *Charles The Bold, The Last Valois Duke of Burgundy*, Longman Group Limited, London, 1973.
- 114.**Robert Balmain Mowat, *Henry V*, London, 1919.
- 115.**Robert Douglas Smith, *Kelly Devries, The Artillery of The Dukes of Burgundy, 1363 – 1477*, Boydell Press, England, 2005.
- 116.**Robert J. Knecht, *The Valois Kings of France (1328 – 1589)*, Cambridge, 2004.
- 117.**Ronald Gower, *Joan of Arc*, London, 1893.

- 118.**Ruth Putnam, *The Last Duke of Burgundy (1433 – 1477)*, New York, 1908.
- 119.**Sarah M. Grimké, *Joan of Arc: A Biography*, Boston, 1867.
- 120.**Sharon Turner, *The History of England During The Middle Ages*, Vol. I, II, London, 1853.
- 121.**Sherry C.M. Lindquist, *Agency, Visuality and Society At The Chartreuse De Champmol*, Routledge, New York, 2016.
- 122.**Steven J. Gunn & Arie Janse, *The Court as a Stage*, Woodbridge, 2006.
- 123.**Sydney Armitage – Smith, *John of Gaunt King of Castile And Leon, Duke of Aquitaine and Lancaste*, Ravenio Books, 2015.
- 124.**Thomas Keightley, *The History of England, From The Earliest Period to 1839*, Vol. II, New York, 1842.
- 125.**Thomas A. Brady Jr., *German Histories in the Age of Reformations (1400 – 1650)*, Cambridge, 2009.
- 126.**Thomas Kren & Scot McKendrick, *Illuminating the Renaissance: The Triumph of Flemish Manuscript Painting in Europe*, Los Angeles: Getty Publications, 2003.
- 127.**Thomas Mante, *Naval and Military history of the wars of England including the wars of Scotland and Ireland*, Vol.II, London, 1795.
- 128.**Tracy Adams, *The Life and Afterlife of Isabeau of Bavaria*, Baltimore, 2010..
- 129.**Uriel R. Limjoco, *The Popes: A Brief Synopsis (From Peter To Francis)*, Covenant Books, Inc, 2021.
- 130.**W. C. Oman, *England and the hundred year's war 1327 – 1485*, London, 1898.
- 131.**W. C. Oman, *History of The Peninsular War*, Vol. III, Oxford, 1812.
- 132.**W. H. Margetson, *Cassell's History of England from the Roman invasion to the Wars of the Roses*, Vol. I, London, 1909.
- 133.**W. Mark Ormrod, *Edward Iii*, Yale University Press, London, 2011.
- 134.**W. T. Waugh, *A History of Europe from 1378 to 1494*, London, 1932.

135. Willem Pieter Blockmans and Walter Prevenier, *The Promised Lands: The Low Countries Under Burgundian Rule, 1369 – 1530*, University Pennsylvania Press, Philadelphia, 1999.
136. William Henry Ireland, *Memoirs of Joan of Arc, Vol. I*, London, 1824.
137. William P. Nimmo, *Joan of Arc or the Story of a Noble Life*, Edinburgh, 1871.
138. Winifred Stephens, *The La Trémoille family*, New York, 1914.

د. المراجع الألمانية:

1. Alfred von Wurzbach, *Niederländisches Künstler-Lexikon*, Vol. III, Wien–Leipzig, 1911.
2. Alois Schmid & Katharina Weigand, *Bayern mitten in Europa: von Frühmittelalter bis ins 20. Jahrhundert*, C.H. Beck, München, 2005.
3. Brigitte Kasten, *Herrscher Und Fürstentestamente Im Westeuropäischen Mittelalter*, Böhlau, Verlag Köln Weimar, 2008.
4. Christoph Driessen, *Geschichte Belgiens: Die gespaltene Nation*, Verlag Friedrich Pustet, Regensburg, 2018.
5. Gotthelf Wilhelm Rupert Becker, *Karl der Kühne, Herzog von Burgund*, Prag–Leipzig, 1792.
6. Hermann Wiesflecker, *Kaiser Maximilian I: Das Reich, Österreich und Europa zu Beginn der Neuzeit*, Band 1, Oldenburg, 1971.
7. Jorg K.Hoensch, *Kaiser Sigismund: Herrscher An Der Schwelle Der Neuzeit, 1368 – 1437*, Verlag C. H. Beck München, 1996.
8. Manfred Hollegger & Markus Gneiß, *Maximilian I (1459 – 1519): Herrscher und Mensch einer Zeitenwende*, Stuttgart: Kohlhammer, 2025, p.33 – 34.
9. Rwf Van Der Wolf, *Peter Von Hagenbach The First War Criminal- The Trial of Peter Von Hagenbach 9 May 1474*, Wolf publishers, Part 6, p.17 – 20
10. W. Kohlhammer, *Geschichte Der Burgundischen Niederlande*, W. Kohlhammer Gmbh, Stuttgart, 2018.

هـ . المراجع الهنكارية:

- Erika Juhász, Byzanz Und Das Abendland Vii. Studia Byzantino Occidentali, Eötvös-József-Collegium, Budapest, 2021.

و . المراجع الايطالية:

- Bar M. De Barant, History Of The Ducs Of Bourgogne De La Maison De Valoi, Bruxelles, J. P. Meline, 1833.

ز . المراجع البرتغالية:

1. Sousa Antonio Caetano de, Historia genealogica da casa real portugueza : desde a sua origem até o presente, com as familias illustres, que precedem dos reys, e dos serenissimos duques de Bragança, Vol 2, Lisboa Occidental, Na officina de Joseph Antonio da Sylva,1735.

تاسعاً. المعاجم الأجنبية:

أ. المعاجم الفرنسية:

- Geneviève Maze-Sencier et al., Dictionnaire des maréchaux de France: du Moyen Âge à nos jours, Paris: Perrin, 1988.

ب. المعاجم الانكليزية:

1. American Heritage Dictionary, The Riverside Dictionary of Biography, Houghton Mifflin Harcourt, 2005.
2. Charles N. Baldwin, A Universal Biographical Dictionary: Containing The Lives of The Most Celebrated Characters of Every Age and Nation, Grigg & Elliot, 1842.
3. J. Thomas, The Universal Dictionary of Biography and Mythology, Vol. Ii, J. S. Virtue & Co., Limited, London A.M., M.D.
4. Joseph Thomas, The Universal Dictionary of Biography and Mythology, Vol. 3, Cosimo Inc, New York, 2010.
5. Michael Walsh, Dictionary of Popes, Oxford University Press, New York, Third Edition, 2015.
6. Peter Connolly, John Gillingham, The Hutchinson Dictionary of Ancient and Medieval Warfare, John Lazenby, Routledge, London, 2016.
7. Samuel Macauley Jackson, The Concise Dictionary of Religions Knowledge, Christian Literature Company, New York, 1889.

ج. المعاجم الألمانية:

1. Ban Ber Na-Baldamus, Allgemeine Deutsche Biographie, Erfler Band, Fünfter Band, Verlag Von Duncker & Humblot, Leipzig, 1877.
2. J. B. J. De Chantal, Manuel Des Dates En Forme De Dictionnaire Ou Répertoire Encyclopédique Des Dates Historiques Et Biographiques (Les Dates Des Principaux Événemens Révolutions Politiques, Guerres, Batailles, Sièges, Traités), Librairie Classique De Perisse Frères, Paris, 1839.

عاشراً. الموسوعات الأجنبية:

أ. الموسوعات الفرنسية:

1. Otfried Neubecker Et Roger Harmingues, Le Grand Livre De L'hérald-Ique, Bordas, Paris, 1976.
2. Patrick Van Kerrebrouck, Nouvelle Histoire Généalogique De L'auguste Maison De France, Vol. 3, Villeneuve d'Arcy, 1990.

ب. الموسوعات الانكليزية:

1. Cathal J. Nolan, The Age Of Wars Of Religion 1000 – 1650, An Encyclopedia of Global Warfare And Civilization, Vol 1, Greenwood Press Westport, Connecticut, London, 2006.
2. Charles George Herbermann, Edward Aloysius Paceet Al, Et Al, The Catholic Encyclopedia: Assize Brownr, Vol.2, Appleton, New York, 1907.
3. Charles George Herbermann, Edward Apace, et al The Catholic encyclopedia; an international work of reference on the constitution, doctrine, discipline, and history of the Catholic Church, Vol. 9, Encyclopedia Press, Incorporated, New York, 1913.
4. Clifford J. Rogers, The Oxford Encyclopedia of Medieval Warfare And Military Technology, Vol. I, III, Oxford University Press, 2010.
5. Elihu Rich, Francis Lister Hawks, Lambert Lilly, et al The, Appletons' Cyclopædia of Biography: Embracing a Series of Original Memoirs of the Most Distinguished Persons of All Times D. Appleton and Company, New York, 1865.
6. Encyclopaedia Britannica, Inc, Britannica Concise Encyclop-edia, Encyclopaedia Britannica, Inc., 2008.

7. Encyclopedia Americana, J. B. Lion Co, New York, 1920, Vol.14.
8. Frederick Converse Beach, The Encyclopedia Americana: A Universal Reference Library Comprising The Arts And Sciences ... Commerce, Etc., Of The World, Voi.11, Scientific American Compiling Dpt, New York ,1905.
9. Gordon Martel, The Encyclopedia of Diplomacy, John Wiley & Sons, Ltd, UK, 2018.
10. Harry Thurston Peck, Selim Hobart Peabody, Et Al, The International Cyclopædia: A Compendium of Human Knowledge. Revised With Large Additions, Voi.1, Dodd, Mead and Company, New York, 1900, p.699.
11. Hugh Chisholm, The Encyclopædia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, Vol.5, Encyclopædia Britannica Company, 1910.
12. Nicholas Hooper And Matthew Bennett, The Cambridge Illustrated Atlas of Warfare : The Middle Ages 768 – 1487, Cambridge University Press, London, 1996.
13. John A. Wagner, Encyclopedia of The Hundred Years War, London, 2006.
14. Richard Kenneth Emmerson, Key Figures In Medieval Europe :(Routledge Encyclopedias of The Middle Ages), Taylor & Francis, England, 2013.
15. The Encyclopedia Britannica, Dictionary of Arts, Sciences, Literature And General, Vol. 5, The University Press, Cambridge, Eleventh Edition, 1910.
16. The Encyclopædia Britannica: A Dictionary of Arts, Sciences, Literature and General Information, Vol. 7, 8, 15, (Chaldeans to Confections), 11th Edition, Cambridge University Press, New York, 1911.
17. W. Ward & G. W. Prothero Et Al, The Cambridge Modern History. Vol. XIII. Cambridge University Press, 1934.
18. William Bated, Rir David Brewste Ret Al Appletons' Cyclopædia of Biography: Embracing A Series of Original Memoirs of The Most Distinguished Persons of All Times, D. Appleton And Company, New York.

أحدى عشر. الأبحاث الأكاديمية الاجنبية:
أ. الأبحاث الفرنسية:

1. Académie d'archéologie de Belgique, Annales de l'Académie d'archéologie de Belgique, Vol. 23, Anvers, 1867.
2. Académie Royale des Sciences, des Lettres et des Beaux-Arts de Belgique, Bulletins de l'Académie Royale des Sciences, des Lettres et des Beaux-Arts de Belgique, Tome XIV, I Partie, M. Hayez, Bruxelles, 1847.
3. Amédée Boinet, "Un bibliophile du XVe siècle: Le Grand Bâtard de Bourgogne", Bibliothèque de l'École des Chartes, Tome 67, 1906.
4. Christian Kiening, "Rhétorique de la perte: L'exemple de la mort d'Isabella of Bourbon (1465)", Médiévales, n°27, 1994.
5. Christine Barralis, "René II, lieutenant et duc de Bar (1473–1508)", Annales de l'Est, Université de Lorraine, 2014.
6. De La Société Des Études Juive, Revue Des Études Juives, Publication Trimestrielle, Biblioth De La Ville De Lyon, Paris, Tome LVIII, No. 115, 1909.
7. Dr. Lemaire, "La mort de Philip the Good (15 juin 1467)", Revue du Nord, 1^e année, N.4, novembre 1910.
8. Franck Viltart, "La garde et les ordonnances militaires de Charles the Bold", Deutsches Historisches Institut, Paris, 2013.
9. Geneviève Contamine & Philippe Contamine, Autour de Marguerite d'Écosse, Actes du colloque, H. Champion, 1999.
10. Henri Potez, "Recueils périodiques et sociétés savantes: Bulletin mensuel de la Société d'histoire et d'archéologie du Vimeu (1906 – 1908)", Annales de l'Est et du Nord, Berger-Levrault, Paris – Nancy, Vol. 50, No. 1, janvier 1909.
11. Henri Stein, "Un diplomate bourguignon du XVe siècle: Antoine Haneron", Bibliothèque de l'École des Chartes, Tome 98, 1937.
12. Hilmi Kaçar, Jan Dumolyn, The Battle of Nicopolis 1396, Burgundian Catastrophe and Ottoman Fait Divers, Revue

Belge De Philologie Et D'histoire, Ghent University, Tome 91, 2013.

13. Hubert Nelis, Bâtards de Brabant et bâtards de Bourgogne, Revue belge de philologie et d'histoire, Tome.1, fasc.2, 1922.
14. Hubert Nelis, Burgundica. V, Revue belge de philologie et d'histoire, tome 12, fasc. 1 – 2, 1933.
15. Jean-Marie Cauchies, Baudouin de Bourgogne (v. 1446 – 1508), bâtard, militaire et diplomate. Une carrière exemplaire, Revue du Nord, No. 310, 1995.
16. Johan Huizinga, “La physionomie morale de Philip the Good”, Annales de Bourgogne, T. IV, 1932.
17. Jules Finot, La Paix D'arras (1414 – 1415), Annales De L'est Et Du Nord, Berger- Levrault & Cie, Paris, Vol. 2, N.1 . Janvier 1906.
18. Kauch, “Le Trésor de l'épargne, création de Philip the Good”, Revue Belge de Philologie et d'Histoire, Tome 11, Fasc. 3 – 4, 1932.
19. Maur-François Dantine, François Clément, Et Al, L'art De Vérifier Les Dates Des Faits Historiques, Des Chartes, Des Chroniques Et Autres Anciens Monumens, Depuis La Naissance De Nostre-Seigneur, Chez G. Desprez, 1770.
20. Monique Sommé, “La jeunesse de Charles the Bold d'après les comptes de la cour de Bourgogne”, Revue du Nord, Université de Lille, Tome 64, N.254–255, 1982.
21. Paul Bonenfant, L'origine Des Surnoms De Philippe Le Bon, revue Annales De Bourgogne, Université De Dijon, Dijon, T. Xvi, Fascicule II, No 62, Juin 1944.
22. Pierre Héliot, “Louis XI et le Boulonnais,” Bibliothèque de l'École des Chartes, Vol. 100, 1939.
23. Pierre Héliot, A. Benoit, Georges de la Trémoille et la mainmise du duc de Bourgogne sur le Boulonnais, Revue du Nord, Tome. 24, No. 93, février 1938.
24. Scupelins Michèle Clément & Éliane Viennot, “La France, les femmes et le pouvoir: l'invention de la loi salique (Ve–XVIe siècles)”, Réforme, Humanisme, Renaissance, N.67, 2008.

25. Serge Boffa, Antoine De Bourgogne Et Le Contingent Brabançon À La Bataille d'Azincourt (1415), *Revue Belge De Philologie Et D'histoire*, Université Libre De Bruxelles, Tome 72, Number 2, 1994.
26. Stéphane Mund, Antoine De Bourgogne, Prince Français Et Duc De Brabant (1404 – 1415), *Revue Belge De Philologie Et D'histoire*, Université Libre De Bruxelles, Tome 76, Number 2, 1998.
27. Valérie Bessey & Werner Paravicini, “Guerre des manifestes: Charles the Bold et ses ennemis (1465 – 1475)”, *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 2017.
28. Werner Paravicini, “Philippe le Bon en Allemagne (1454)”, *Revue Belge de Philologie et d'Histoire*, Tome 75, Fasc. 4, 1997.
29. Yvon Lacaze, “Philippe le Bon et l'Empire: bilan d'un règne”, *Artemis-Verlag*, 1981.

ب. الأبحاث الإنكليزية:

1. Anne Curry & Adrian Robert Bell, “Soldiers, Weapons and Armies in the Fifteenth Century”, *Journal of Medieval Military History*, Vol. IX, 2011.
2. Attila Barany, “Matthias Corvinus and Charles the Bold”, *Chronica: Annual of the Institute of History*, University of Szeged, 2016.
3. Bernard S. Bachrach & Clifford J. Rogers, “Kelly”, *Journal of Medieval Military History*, Vol. I.
4. Edmund A. Bowles, Instruments at the Court of Burgundy 1363 – 1467, *The Galpin Society Journal* 6, No.4, 1953.
5. Emily J. Hutchison, Partisan Identity in The French Civil War 1405 – 1418, *Journal of Medieval History*, Mount Royal University, History Department, Canada, Vol. 33, No. 3, 2007.
6. Emily J. Hutchison, The Politics of Grief in the Outbreak of Civil War in France, 1407 – 1413, *The University of Chicago Press*, Vol. 91, No. 2, April 2016.

7. Gareth Williams, "Fools Rush In: Charles the Bold and the Siege of Neuss", *Medieval Warfare Magazine*, Vol. 4, No. 4, 2014.
8. J. J. N. Palmer, *England, France, The Papacy and The Flemish Succession, 1361 – 1369*, *Journal of Medieval History*, Amsterdam, Vol 2, Issue 4, December 1976.
9. James P. Ward, "Security and Insecurity: Spies and Informers in Holland during the Guelders War (1506 – 1515)", *Journal of Medieval Military History*, Vol. X, 2012.
10. Jelle Haemers, "A Troubled Marriage: Maximilian and the Low Countries," in *Maximilian I (1459–1519): Perception, Transformation, and Reception*, ed. Heinz Noflatscher et al., Turnhout: Brepols, 2021.
11. Lamar Jensen, "Charles the Bold", *Brigham Young University*, Vol. 7, No. 3–4, 1966.
12. Louis-Antoine Prat, "Delacroix: The Sultan and Charles the Bold", *Master Drawings*, Vol. 47, No. 4, 2009.
13. Mateusz Krason, "Success of Pike over the Bow – Battle of Guinegate...", Vol. 26, No. 1, 2021.
14. Matthew Beazley, *The Battle of Grandson*, *Medieval Warfare Magazine*, Karwansaray Bv, Vol. 4, No. 4, 2014.
15. Otto Pächt, "The Master of Mary of Burgundy," *The Burlington Magazine*, Vol. 85, London, 1944.
16. Patrick M. De Winter, *The Grandes Heures of Philip The Bold, Duke of Burgundy: The Copyist Jean L'aveuant And His Patrons At The French Court*, *A Journal of Medieval Studies*, *Medieval Academy of America*, Vol. 57, No 4, October 1982.
17. Paul Saenger, "Burgundy and the Inalienability of Appanages in the Reign of Louis XI of France", *French Historical Studies*, *Duke University*, Vol. 10, No. 1, Spring 1977.
18. Sidney Dean, "Battle of Nancy: End Game for Charles the Bold", *Medieval Warfare Magazine*, Vol. 4, No. 4, 2014.

ت. الأبحاث الصينية:

- 施正鋒, 荷蘭的獨立建國, 台灣國際研究季刊, 東華大學民, 第16, 卷第2, 2020年/夏季號, 期頁183.

أثنتا عشر. الأبحاث الأكاديمية العربية:

١. طالب محيبس حسن الوائلي, هَزِيمَةُ العُثمانيين فِي أنْقَرَةَ ١٤٠٢ دراسة في مقدمات الصدام التتاري - العثماني ومجريات الحرب, مجلة كَلِيَّة التربية, جامعة واسط, العدد ٤, تشرين أول ٢٠٠٨.
 ٢. فاهم نعمة أدریس, معركة بيارتيز وانعكاساتها على الواقع العسكري والدبلوماسي لحرب المائة عام, كلية التربية, مجلة واسط للعلوم الإنسانية, عدد ٢٠.
 ٣. ماجد محي الفتلاوي, رشا مجيد منديل الحاجم, حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣) وآثارها على إنجلترا, مجلة العلوم الانسانية, كلية التربية للعلوم الإنسانية, المجلد ٢٤, العدد ٢, حزيران ٢٠١٧.
- ثلاثة عشر . الصحف الفرنسية:

- Journal Jean Sans Peur, Dijon, N 42, 26 Novembre An Samedi 3 Décembre, 1892.

أربعة عشر . شبكة المعلومات الدولية الانترنت :

1. <https://taxfreegold.co.uk/austrianducatsinfo.html>
2. https://en.wikipedia.org/wiki/Elizabeth_of_G%C3%B6rlitz
3. File:///C:/Users/3a-G.U304/Desktop
4. https://en.wikipedia.org/wiki/Montjoie_Saint_Denis
5. <https://Opil.Ouplaw.Com/%20/721>

Abstract:

The geopolitical landscape of Late Medieval Europe underwent political and military upheavals coupled with structural transformations that reshaped the map of sovereign powers in the West. The Duchy of Burgundy played a preeminent role in defining these transformations. Since the second half of the 14th century, specifically in 1363, an ambitious political entity began to crystallize, seeking to seize the position of a "Middle State" between France and the Holy Roman Empire. The period extending until 1482 was not merely a conflict over geographical borders but a struggle over political identity and military sovereignty, during which

the Duchy and its rivals exhausted their human and economic resources in prolonged disputes that profoundly impacted both feudal and monarchical systems.

These contentions reached their zenith in the 14th and 15th centuries, coinciding with the Duchy's transition from a feudal fiefdom subject to the French Crown into a quasi-independent kingdom possessing its own decision-making and resources. While previous academic studies have addressed aspects of this history, there remains a pressing need for an in-depth analytical study linking political variables with the professional military practices adopted by the Valois Dukes of Burgundy, starting with Philip the Bold's accession in 1363, through the stage of deliberate expansion characterized by military and diplomatic fluctuations, and culminating in the major military expansion under Charles the Bold, where the lands of Burgundy, Flanders, and France served as arenas for continuous combat activities.

Accordingly, I have chosen the political and military role of the Dukes of Burgundy as the subject of my study, titled: **"The Political and Military Activities of the Dukes of Burgundy 1363–1482: A Historical Study"** Examining such a topic through a multi-axial hypothesis requires a scientific approach that leads to evidence-based answers. Thus, the study proceeds from the following hypothesis:

"The Duchy of Burgundy, represented by the Valois dynasty, initiated extensive political movements and complex military maneuvers to achieve sovereign gains stemming from expansionist ambitions to separate from French vassalage. It engaged in remarkable combat activities to dismantle French influence and compete for the leadership of Western Europe. This began with laying the foundations of a quasi-independent kingdom under Philip the Bold, then exploiting French internal conflict under John the Fearless, reaching the pinnacle of political and military glory under Philip the Good—who turned the Duchy into the 'balance of power' during the Hundred Years' War—and ending with the great military adventure of Charles the Bold, which ultimately shifted the initiative back to the centralized French monarchy following the Battle of Nancy in 1477 and its subsequent repercussions until 1482."

To analyze this hypothesis, several critical questions were formulated:

- What were the political motives behind granting the Duchy of Burgundy to Philip the Bold in 1363?
- What were the reasons for the superiority of Burgundian diplomacy in attracting military and financial elites in Flanders?
- Why did the Burgundians concentrate their combat activities in Northern and Eastern France rather than engaging in a direct confrontation in the heartland?

- What were the circumstances surrounding the Burgundian alliance with the English under the Treaty of Troyes (1420), and its impact on fragmenting the French military establishment?
- How did Philip the Good alter the conflict pattern from direct clashes to diplomacy coupled with military threats?
- What was the impact of using advanced "Burgundian Artillery" as a technical variable in deciding major sieges and battles?
- What variables occurred in Burgundian combat activities during the clash with the Swiss Confederacy?
- How and why did the Burgundian military power break before Louis XI of France despite the superior organization of the Burgundian army?

This hypothesis necessitated discarding a purely narrative framework in favor of analysis, comparison, and approximation. I have adopted two methodologies: a **Descriptive Approach**, respecting the chronological progression of the Dukes' reigns and geographical unity, and an **Analytical Approach** to interpret strategic motives and analyze documentary material.

Chapter I: Philippe the Bold: His Political and Military Activities, and the Context of His Accession to the Duchy of Burgundy January 17, 1342 – April 27, 1404), This chapter provides a conception of Philip's early life, his accession to the Duchy (1342–1364), his escalating political and military activity until 1379, the circumstances of the Ghent uprising and its suppression in 1385, and concludes with the convergence of his diplomatic and combat activities (1385–1398).

Chapter II: The Growing Influence of the Duchy of Burgundy and its Political and Military Activities during the Reign of Duke John the Fearless until the Bridge of Montereau Incident (April 27, 1404 – September 10, 1419), Focusing on John's upbringing and training, his efforts to dominate the French throne (1404–1407), his stance on internal rebellions (the Huidrotters), and his role in the Armagnac–Burgundian Civil War until 1415. It concludes by analyzing English combat activities in France and their impact on Burgundy (1415–1419).

Chapter III: Philip the Good: His Political and Military Activities, and His Impact on the Growing Influence of the Duchy of Burgundy, September 10, 1419 – June 15, 1467, Divided into four sections: Philip's early reign (1396–1419), the implications of his alliance with the English (1419–1428), his role in the capture of Joan of Arc (1428–1431), and his broader political and military activities until 1437.

Chapter IV: Charles the Bold: An Analytical Reading of His Political and Military Role, and the Impact of His Death on the Fate of the House of Valois-Burgundy Until 1482, This chapter tracks the growth of French military and diplomatic movements (1433–1436), the intensification of Anglo-French military activities (1436–1441), and the

final stages of the military liberation of France from the English (1451–1453).

Given the research hypothesis and its central questions, the study has reached a set of conclusions that address our hypothesis as follows:

- **Political Legitimacy and Influence:** The Valois-Burgundians were never a secondary branch of the ruling family; they were the "vital nerve" of French sovereignty. The study proves that the Dukes' ancestors possessed the "shrewdness" to become the true engines of French court policy, paving the way for Burgundy's emergence as a formidable power.
- **Leadership Formation:** Philip the Bold's upbringing in the Parisian court was not a life of luxury, but a rigorous leadership preparation. He absorbed the values of chivalry and aristocratic discipline, transforming from a young prince into a statesman with a clear vision for governing and nobility affairs.
- **Moral and Political Superiority:** At the Battle of Poitiers (1356), Philip provided a lesson in loyalty and steadfastness. While his brothers (including the future King Charles V) chose to withdraw, Philip stayed by his father's side in the heart of danger. This stance earned him the title "the Bold" and granted him a moral and political distinction over his royal peers.
- **Captivity as an Opportunity:** The years Philip spent as a prisoner in England were a "diplomatic mission in shackles." Instead of surrendering to despair, he studied the English mindset and power balances, gaining rare international political expertise. He masterfully turned the ordeal of captivity into a launching pad for the Great Burgundian project.
- **Strategic Investment in Loyalty:** Philip's continuous support for the French throne against the English was a "smart political investment." His battlefield loyalty solidified his status at the heart of power, leading King John II to grant him the Duchy of Burgundy in 1363 as a hereditary fief, serving as the cornerstone of his political project.
- **The Birth of a Sovereign Entity:** Starting in 1364, Philip began defining the features of a "Burgundian State." He introduced unique heraldry and symbols that blended his royal origins with the Duchy's heritage, marking the official birth of a political entity gradually separating from the French crown.
- **Marital Geopolitics:** The marriage of Philip to Margaret of Dampierre was a "power coup," expanding the Duchy to include the wealthy lands of Flanders. This linked Burgundy's agricultural depth with the northern industrial centers, creating a unique economic and political empire.

- **John the Fearless and Crisis Management:** John's success was rooted in a balanced education between religious and secular sciences. His early judicial powers honed his administrative experience, enabling him to handle complex governance issues with high maneuverability.
- **The Use of Symbolism:** John's passion for exotic animals (bears and tigers) was a "symbolic political behavior" aimed at projecting an image of a powerful and formidable ruler, signaling the superiority of the Burgundian elite to his rivals.
- **The Anglo-Burgundian Precedent:** Facing the "Armagnac" party, John made the difficult strategic choice to seek English assistance, establishing a "dangerous historical precedent" of using foreign powers to settle internal French disputes.
- **The Assassination as a Turning Point:** The assassination of John the Fearless in 1419 reflected the depth of the sharp political division in France, showing that internal conflicts had reached a dead end where compromise was no longer possible.
- **Philip the Good's Diplomacy:** Philip assumed power with "avenging his father" as his priority, leading to a close alliance with the English. However, he was later described as a "shrewd diplomat" and a "prudent statesman" for his ability to prioritize political maneuverability over direct military combat.
- **The "Good" Moniker as Propaganda:** The title "the Good" was a calculated propaganda strategy to polish his image as a patron of arts, while historical facts prove his absolute firmness in sovereign decisions regarding the Duchy's independence.
- **The Downfall of Charles the Bold:** Charles's preference for "the voice of weapons" over diplomacy led to a collision course with King Louis XI. His "strategic recklessness" and tendency to ignore his advisors in favor of mercenaries weakened the military's cohesion, leading to his death and the collapse of the sovereign project.
- **Mary of Burgundy's Resilience:** Following her father's death, Mary faced the ambitions of Louis XI. She made brave sovereign decisions in exceptional circumstances, most notably the "Great Privilege" of 1477, to secure the loyalty of Flemish cities against French threats.
- **The Shift to the Habsburgs:** Mary's marriage to Maximilian I saved the Burgundian heritage from total French absorption, shifting the Duchy's weight to the Habsburg family and altering the political face of Europe for centuries.
- **Institutional Legacy:** The administrative systems created by the Dukes remained a fixture in European history even after their political demise. Major powers sought to either liquidate or absorb this legacy, proving the depth and authenticity of the Burgundian institutional experience.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Wasit University/College of Education for Human Sciences

Department of History



The Political and Military Activities of the Dukes of Burgundy 1363 – 1482

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for the Humanities
in fulfillment of the requirements for obtaining a
doctoral degree in the philosophy of modern history

By

Muhammad Shadhan Diab Al-Sultani

Supervised By

Prof. Dr. Hasanein Abd-alkadem Ajja

H.D.1447

A.D. 2026